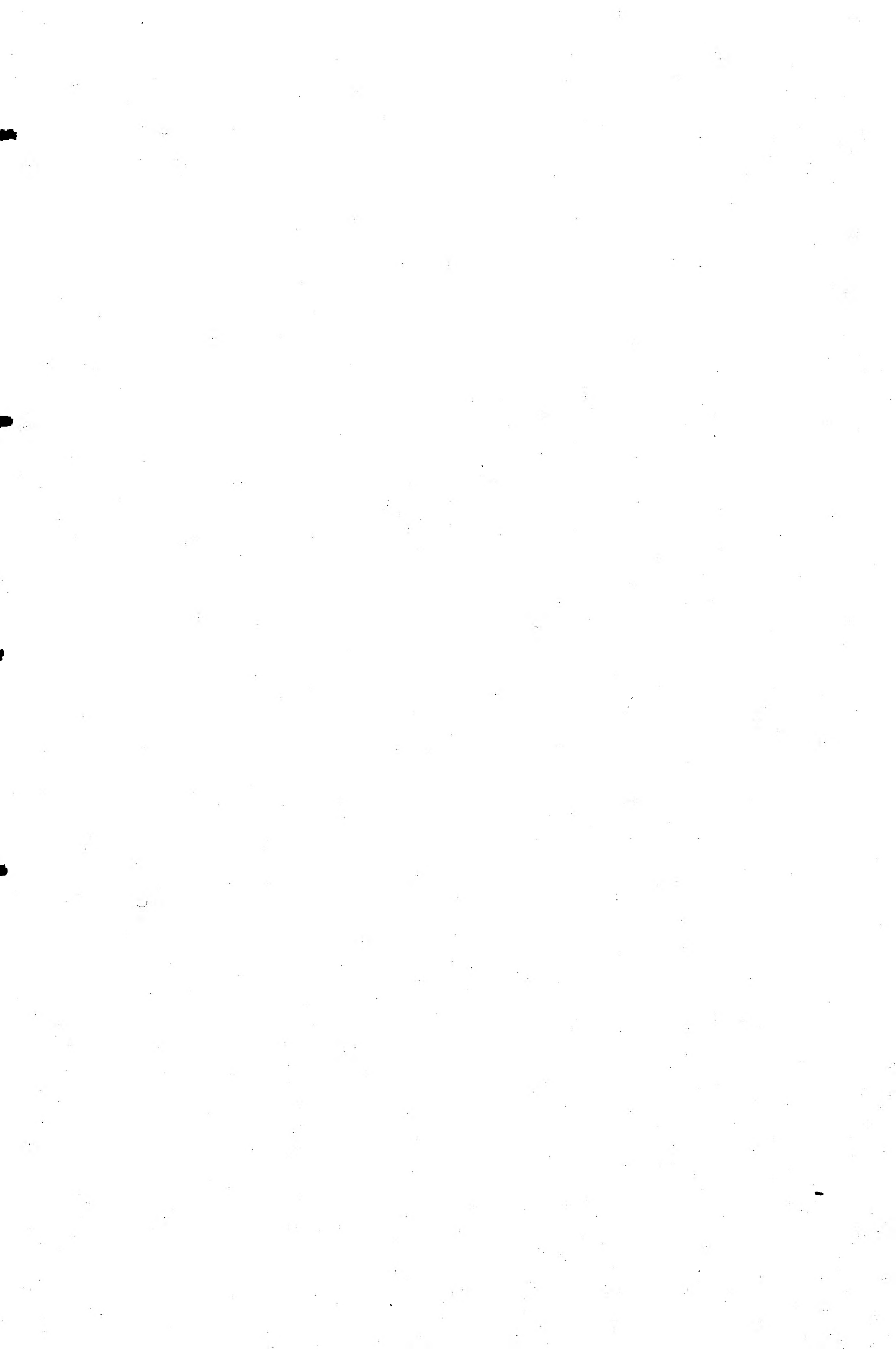
البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد الدهر ، وفريد العصر ، جامع أشتات الفضائل ، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ الشافعيّ ، بلّغه الله منه ما يرجوه :

الحمدُ لله الذى نوّر بكتابه القلوب ، وأنزله فى أوجز لفظ وأعجز أسلوب ، فأعيت بلاغتُه البلغاء ، وأعجزتْ حكمتُه الحكماء ، وأبكمت فصاحته الخطباء .

أحمَده أن جعل الحمدَ فاتحة أسراره ، وخاتمةَ تصاريفه وأقداره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله المصطفَى ، ونبيّه المرتضَى ، الظافر من المحامد بالخَصْل [1] ، الظاهرُ بفضله على ذوى الفضْل . معلّم الحكمة ، وهادى الأمة ، أرسله بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار .

أما بعد ؛ فإنّ أوْلى ما أعملتْ فيه القرائح ، وعَلِقَت به الأفكار اللواقح ، الفحصُ عن أسرار التنزيل ، والكشفُ عن حقائق التأويل ، الذى تقوم به المعالم ، وتثبت الدعائمُ . فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجّةُ البالغة ، والدلالة الدامغةُ ، وهو شفاء الصدور ، والحكَم العدْل عند مشتبهات الأمور ؛ وهو الكلام الجزْل ، وهو الفصْلُ الذى ليس بالهزل ؛ سراج لا يخبو ضياؤه ، وشهاب لا يَخْمُد نوره وسناؤه ، وبحر لا يُدْرَك غَورُه .

---

(١) الخصل هنا : السبق والغلبة .

بهرتْ بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كلّ مقُول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتقارَن فى الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوتْ كلّ البيان جوامعه وبدائعه ، قد أحكم الحكيم صيغتَه ومبناه ، وقسّم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ، ويقرِّط المسامع ، من تجنيس أنيس ، وتطبيق لبيق ، وتشبيه نبيه ، وتقسيم وسيم ، وتفصيل أصيل ، وتبليغ بليغ ، وتصدير بالحسن جدير ، وترديد ما له مزيد ؛ إلى غير ذلك مما أجرى [1] من الصياغة البديعة ، والصناعة الرفيعة ، فالآذان بأقراطه حالية ، والأذهان من أسماطه غير خالية ؛ فهو من تناسب ألفاظه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذاتُ اتساق ؛ ومن تبسّم زهْره ، وتنسُّم نَشْره ، حديقة مبهِجة للنفوس والأسماع والأحداق ؛ كل كلمة منه لها من نفسها طرَب ، ومن ذاتها عجَب ، ومن طلعتها غُرّة ، ومن بهجتها دُرّة ، لاحت عليه بهجة القدره ، ونزل [2] ممن له الأمر [2] ، فله على كل كلام سلطان وإمرَه ، بهرَ تمكّنُ فواصلِه ، وحسنُ ارتباط أواخره وأوائلِه ، وبديعُ إشاراته ، وعجيب انتقالاته ؛ من قصص باهرة ، إلى مواعظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة ، وأدلة على التوحيد ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، ومواقع تعجّبٍ واعتبار ، ومواطن تنزيه واستغفار ؛ إن كان سياق الكلام ترجيةً بسط ، وإن كان تخويفا قبض ، وإن كان وعدًا أبهج ، وإن كان وعيدًا أزعج ، وإن كان دعوة حدب ، وإن كان زجرة أرعب ، وإن كان موعظة أقلق ، وإن كان ترغيبا شوق .

هذا ، وكم فيه من مزايا وفى زواياه من خبايا
ويُطمع الحِبر فى التقاضِى فيكشف الخبرُ عن قضايا

فسبحان مَنْ سلكه ينابيع فى القلوب ، وصرّفه بأبدع معنى وأغربِ أسلوب ،

---

(١) كذا فى ط . وفى حاشيتها : « كذا بخط المصنف ، ولعله : احتوى » . وفى ت ، م : « احتوى » .
(٢ــ٢) ط : « ونزل بأمر من له الأمر »

لا يستقصى معانيَهُ فَهْمُ الخلق ، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطَّلْق ، فالسعيد من صرف همتَه إليه ، ووقف فكرَه وعزمه عليه ، والموفَّق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكّره ، فهو يرتع منه فى رياض ، ويكرع منه فى حياض .

أنْدَى على الأكبادِ من قَطْرِ النَّدَى　　　وألذّ فى الأجفان من سِنَةِ الكَرَى

يملأ القلوب بِشْرا[١] ، ويبعث القرائح عبيرا ونشرا ، يحيى القلوب بأورادِه ، ولهذا سمّاه الله رُوحا ؛ فقال : ﴿ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عبادِه ﴾[٢] ، فسمّاه روحاً لأنه يؤدى إلى حياة الأبَد ، ولولا الروح لمات الجسد ، فجعل هذا الروح سببا للاقتدار ، وعلَما على الاعتبار .

يَزِيدُ على طولِ التأمُّل بهجةً　　　كأن العيونَ الناظراتِ صياقِلُ

وإنما يفهم بعضَ معانيه ، ويطّلع على أسراره ومبانيه ؛ مَنْ قوِىَ نظرُه ، واتسع مجالُه فى الفكر وتدبّره ؛ وامتد باعُه ، ورقّت طباعُه ؛ وامتدّ فى فنون الأدب ، وأحاط بلغة العرب .

قال الحَرالّى[٣] فى جزء سماه : « مفتاح الباب المقفل ، لفهم الكتاب المنزل » : لله تعالى مواهب ، جعلها أصولا للمكاسب ، فمن وهبه عقلا يسّر عليه السبيل ، ومن ركّب فيه خُرْقاً نقص ضبطُه من التحصيل ، ومن أيّده بتقوى الاستناد إليه فى جميع

---

(١) م : « بشرى »

(٢) سورة غافر ١٥

(٣) الحرالى ؛ بفتح الحاء والراء المهملتين وبعد الألف لام مشددة مكسورة ، نسبة إلى حرالة ؛ قرية من أعمال مرسية ؛ وهو أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن التجيبى ، صاحب التفسير العظيم ؛ اعتمد عليه البقاعى فى تفسيره . وله أيضا شرح الموطأ والشفاء وفتح الباب المقفل وغيرها . توفى سنة ٦٣٧ . (شذرات الذهب ٥ : ١٨٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٧ ، تاج العروس — حرل) .

أموره علّمه وفهّمه . قال : وأكملُ العلماء من وهبه الله تعالى فهما فى كلامه ، ووعيا عن كتابه ، وتبصرة فى الفرقان ، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن ، ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين ؛ إذ فيه كلّ العلوم .

وقال الشافعىّ رضى الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح للسّنّة ، وجميع السّنّة شرح للقرآن . وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ـ زاد غيره : وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم ـ وكما أنّه أفضلُ من كل كلام سواه ، فعلومه أفضل من كلّ علم عداه ؛ قال تعالى : ﴿ أفمَنْ يَعْلَمُ أنّما أُنزلَ إليكَ مِنْ رَبك الحقُّ كمن هُوَ أعْمَى ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يشاء وَمن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقدْ أُوتِيَ خيْراً كثيراً ﴾[٢] . قال مجاهد[٣] : الفهم والإصابة فى القرآن . وقال مقاتل[٤] : يعنى علم القرآن .

وقال سفيان بن عُيَيْنة[٥] فى قوله تعالى : ﴿ سَأصْرِفُ عن آياتِيَ الّذينَ يتكبّرُونَ فِي الْأَرْضِ بغيْرِ الْحَقِّ ﴾[٦] ، قال : أحرمهم فهمَ القرآن .

وقال سفيان الثورىّ[٧] : لا يجتمع فهمُ القرآن والاشتغال بالُحطام فى قلبِ مؤمنٍ أبداً .

(١) سورة الرعد ١٥

(٢) سورة البقرة ٢٦٩

(٣) هو مجاهد بن جبر المكى ، مولى السائب ، أحد التابعين الثقات ، وأحد العلماء فى القراءة والتفسير . توفى سنة ١٠٠ فى إحدى الروايات . (تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤) .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى ، صاحب التفسير . توفى سنة ١٥٠ . (خلاصة تذهيب الكمال ٣٣١) .

(٥) هو سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى ، وشيخ أهل الحجاز فى الحديث والفقة والتفسير . توفى سنة ١٩٨ (تذكرة الحفاظ ١ : ٢٤٢) .

(٦) سورة الأعراف ١٤٦ .

(٧) هوسفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى ، المسمى أمير المؤمنين فى الحديث ؛ قالوا : كتب عنه ألف ومائة شيخ ، وتوفى سنة ١٦١ . (تذكرة الحفاظ ١ : ١٩٠ ، صفة الصفوة ٣ : ٨٢) .

وقال عبد العزيز بن يحيي الكنانيّ [١] : مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكِّن من غيله سواه .

وقال ذو النون المصريّ [٢] : أبى الله عز وجلّ [إلا] [٣] أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن .

وقال عز وجل : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [٤] . وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [٥] .

وقال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٦] قال : القرآن ، يقول : أرشِدْنا إلى علمه .

وقال الحسن البصريّ [٧] : علم [٨] القرآن ذكر لا يعلمه إلاّ الذكور من الرجال .
وقال الله جلّ ذكره : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [١٠] ؛ يقول : إلى كتاب الله .

---

(١) عبد العزيز بن يحيي الكنانى ، تفقه بالشافعى ، وروى عن سفيان بن عيينة . توفى بعد سنة ٢٣٠ . (تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٤) .

(٢) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذى النون المصرى . أحد المعروفين بالزهد والورع . ولد بأخميم ؛ وروى عنه الجنيد وغيره ، توفى سنة ٢٤٥ . (طبقات الصوفية للسلمى ١٥ ، حسن المحاضرة ١ : ٢١٨) .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، وفى م : « أبى الله عز وجل أن يكرم قلوب البطالين مكنون القرآن »

(٤) سورة الأنعام ٣٨

(٥) سورة النساء ٨٢ ، محمد ٢٤

(٦) سورة الفاتحة ٦

(٧) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ؛ أحد سادات التابعين وكبرائهم ، توفى سنة ١١٠ (وانظر ترجمته وأخباره فى ابن خلكان ١ : ١٢٨ ، وأمالى المرتضى ١ : ١٥٢) .

(٨) كلمة « علم » ساقطة من م

(٩) سورة النساء ٥٩

(١٠) سورة الشورى ١٠ .

وكلّ علم من العلوم منتزع من القرآن ، وإلا فليس له برهان . قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثوِّر[1] القرآن ، فإن فيه علمَ الأولين والآخرين . [2] رواه البيهقى فى المدخل وقال : أراد به أصول العلم [2] .

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم علماء ؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم كعلىّ رضى الله تعالى عنه بالقضاء ، وزيد بالفرائض ، ومعاذ بالحلال والحرام ، وأبىّ بالقراءة ، فلم يسمّ أحد منهم بحراً[3] إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل ؛ وقال فيه على بن أبى طالب : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال فيه عبد الله بن مسعود : نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس ؛ وقد مات ابن مسعود فى سنة ثنتين وثلاثين ؛ وعمر بعده ابن عباس ستا وثلاثين سنة ؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ! نعم ؛ كان لعلى فيه اليد السابقة قبل ابن عباس ؛ وهو القائل : لو أردت أن أملىَ وِقْر بعير على الفاتحة لفعلت .

وقال ابن عطية [4] : فأما [5] صدر المفسّرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب ، ويتلوه ابن عباس رضى الله عنهما ؛ وهو تجرّد للأمر [وكمّله] [6] ، وتتبعه العلماء عليه ؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما .

وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيّب الشعبىّ وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم ، مع ادراكهم وتقدمهم .

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية (١ : ١٣٨): « أى لينقر عنه ، ويفكر فى معانيه وتفسيره وقراءته » .

(٢ ــ ٢) « ليس فى نسخة المصنف » ــ حاشية ط

(٣) كان يقال لابن عباس : « الحبر ، والبحر » لعلمه . (تاج العروس ــ حبر) .

(٤) هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرءوف المعروف بابن عطية ؛ وتفسيره هو المعروف بالمحرر الوجيز توفى بمدينة لورقة سنة ٥٤٦ (الديباج المذهب ١٧٤ ــ ١٧٥) .

(٥) المحرر الوجيز ١ : ٨ ــ ٩ (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٦٨ تفسير) .

(٦) من كتاب المحرر الوجيز .

ثم جاء بعدهم طبقة فطبقة ، فجدّوا واجتهدوا ؛ وكلٌّ ينفق مما رزق الله ؛ ولهذا كان[1] سهل بن عبد الله يقول : لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله فى آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته . وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ؛ وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة .

* * *

ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالقدر[2] الممكن . ومما فات المتقدمين وضعُ كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى ـ وله الحمد ـ فى وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلّم الناس فى فنونه ، وخاضوا فى نكته وعيونه ، وضمنته من المعانى الأنيقه ، والحكم الرشيقه ، ما يهزّ القلوبَ طربا ، ويبهر العقول عُجباً ؛ ليكون مفتاحا لأبوابه ، عنوانا على كتابه ؛ معينا للمفسّر على حقائقه ، ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه ؛ والله المخلّص والمعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته : « البرهان فى علوم القرآن » . وهذه فهرست أنواعه :

الأول : معرفة سبب النزول .

الثانى : معرفة المناسبات بين الآيات .

الثالث : معرفة الفواصل .

الرابع : معرفة الوجوه والنظائر .

الخامس : علم المتشابه .

---

(١) كلمة « كان » ساقطة من ط ، م وأثبتها عن ت .

(٢) ت : « القدور »

* * *

واعلم أنّه مامن نوع من هذه الأنواع إلّا ولو أراد الإنسان استقصاءه ، لاستفرغ عُمْرَه ، ثم لم يُحْكِم أمرَه ؛ ولكن اقتصرنا من كلّ نوعٍ على أصوله ، والرّمْز إلى بعض فصوله ؛ (١ فإن الصناعة طويلة والعمرُ قصير ١) ؛ وماذا عسى أن يبلغَ لسانُ التقصير !

قالوا خُذِ العَيْن من كلٍّ فقلتُ لهمْ
فى العَين فضلٌ ولكنْ ناظر العَيْنِ

(١ ــ ١) هذه العبارة من كلام أبقراط . ذكرها فى أول جملة من فصوله . (طبع المقتطف ١٨٩٦م)

فصل

[في علم التفسير]

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، و بيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمدادُ ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ؛ ما بين مختصر ومبسوط ، وكلّهم يقتصر على الفن الذى يغلب عليه ؛ فالزجاج[1] والواحدى[2] فى « البسيط » يغلب عليهما الغريب ، والثعلبي[3] يغلب عليه القصص ، والزمخشرى[4] علم البيان ، والإمام[5] فخر الدين علم الكلام وما فى معناه من العلوم العقلية .

---

(١) هو إبراهيم بن السرى أبو إسحاق الزجاج صاحب كتاب معانى القرآن ؛ قال ياقوت : «قرأت على ظهر كتاب المعانى : ابتدأ أبو اسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعانى القرآن فى صفر سنة خمس وثمانين ومائتين، وأتمه فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة» . وتوفى الزجاج سنة ٣١١ . (وانظر إنباه الرواة وحواشيه ١ : ١٦٣) .

(٢) هو على بن أحمد الواحدى أبو الحسن.الإمام المصنف المفسر النحوى .قال القفطى : « وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط ،وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة،ومن رآه علم مقدار ماعنده من علم العربية. وصنف الوسيط فى التفسير ؛ وهو مختار من البسيط أيضاً ؛ غاية فى بابه ، والوجيز وهو عجيب .مات بنيسابور سنة ٤٦٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ، صاحب التفسير الكبير المسمى الكشف والبيان ، والعرائس فى قصص الأنبياء . توفى سنة ٤٢٧ (إنباه الرواة ١ : ١١٩) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ، صاحب القدم فى الأدب واللغة والنحو والتفسير ؛ وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب . توفى سنة ٥٣٨ . (وانظر ترجمته وأخباره فى إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٢٦٥) .

(٥) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى صاحب التفسير المسمى مفاتيح الغيب ، توفى سنة ٦٠٦ (ابن خلكان ١ : ٤٧٤) .

واعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ؛ وإنما احتيج إلى التفسير لما سنذكر ، بعد تقرير قاعدة ؛ وهى أن كلّ من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة :

أحدها : كمال فضيلة المصنِّف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهمُ مراده ، فقصِد بالشرح ظهورُ تلك المعانى الخفية ؛ ومن هنا كان شرحُ بعض الأئمة تصنيفَه أدلّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : [قد يكون][1] حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطا[2] اعتمادا على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

وثالثها : احتمال اللفظ لمعان ثلاثة ؛ كما فى المجاز والاشتراك[3] ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه . وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشىء ، وحذف المهم ؛ وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

* * *

وإذا علم هذا فنقول : إن القرآن إنما أنزِل بلسانٍ عربىٍّ مبين فى زمنِ أفصح العرب ؛ وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامَها ؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الأكثر ؛ كسؤالهم لمّا نزل : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[4] ، فقالوا : أينا لم يظلم نفسه ! ففسّره النبىّ صلى الله عليه وسلم بالشرك ؛ واستدلّ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا فى ت ، م . وفى ط : « شرطا » وفوقها واو ، وكلمة « لعل » لترجيحها .

(٣) حاشية ط : « ص : المشترك »

(٤) سورة الأنعام ٨٢ .

عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١] . وكسؤال عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن الحساب اليسير فقال : « ذلكِ العرْض ، ومَنْ نوقش الحساب عُذّب » . وكقصة عدىّ ابن حاتم فى الخيط الذى وضعه تحت رأسه[٢] . وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسيرُ القرآن وتأويله بجملته ؛ فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم ؛ فنحن أشدّ الناس احتياجا إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لايستغنى عن قانونِ عام يعوّل فى تفسيره عليه ، ويرجع فى تفسيره إليه ؛ من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها . وسياقه، وظاهره وباطنه ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهْم ، ويدقّ عنه الفهم .

بين أقداحهم حديث قصيرٌ　　هو سحرٌ ، وما سواه كلامُ

وفى هذا تتفاوت الأذهان ، وتتسابق فى النظر إليه مسابقة الرّهان ، فمن سابق بفهمه ، وراشق كبد الرميَّة بسهمه ، وآخر رمى فأشوى[٣] ، وخَبط فى النظر خبط[٤] عشوا ـ كما قيل : وأين الدّقيقُ من الرّكيك ، وأين الزلال من الزعاق !

* * *

---

(١) سورة لقمان ١٣

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم فى كتاب الصوم عن عدى بن حاتم : « لما نزلت : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ قال له عدى: يارسول الله ، إنى أجعل تحت وسادتى عقالين : عقالا أبيض وعقالا أسود ، أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن وسادك لعريض ؛ إنما هو سواد الليل وبياض النهار » .

(٣) أشوى : أصاب شواه ، والشوى هنا : قحف الرأس .

(٤) كلمة « خبط » ساقطة من ط .

وقال القاضى شمس الدين الخُوَيِّى[١] رحمه الله : علم التفسير عسير يسير ؛ أما عُسْره فظاهر من وجوه ؛ أظهرها أنه كلام متكلّم لم يصل الناس إلى مراده بالسّماع منه ، ولا إمكان للوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ؛ فإن الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلّم بأن يَسْمَع منه ، أو يَسْمَعَ ممن سمع منه ، أما القرآن فتفسيره على وجه القَطْع لا يُعْلَم إلا بأن يُسمع من الرسول عليه السلام ، وذلك متعذّر إلّا فى آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأماراتٍ ودلائل ، والحكمة فيه أنّ الله تعالى أراد أن يتفكّرَ عبادُه فى كتابه ؛ فلم يأمر نبيّه بالتنصيص على المراد ؛ وإنما هو عليه السلام صوّب رأى جماعة من المفسّرين ، فصار ذلك دليلا قاطعا على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله[٢] .

قال : واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبتُ هذا وما طالعت شيئا من الكتب ، ويظن أنه فخر ؛ ولا يعلم أن ذلك غايةُ النقص ؛ فإنّه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزيةَ ما قيل على ما قاله فبماذا يفتخر ! ومع هذا ما كتبتُ شيئا إلا خائفا من الله مستعينا به ، معتمدا عليه ؛ فما كان حسناً فمن الله وفضله [٣] بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين[٣] ، وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمّارة بالسوء .

فصل

[فى علوم القرآن]

ذكر القاضى أبو بكر بن العربىّ[٤] فى كتاب « قانون التأويل » : إن علوم القرآن

---

(١) الخويى ، بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء ، هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخويى الشافعى صاحب الإمام فخر الدين الرازى . كان فقيهاً مناظراً و أستاذا فى الطب والحكمة . توفى سنة ٦٣٧ ، ونسبته إلى خوى مدينة بأذربيجان . (شذرات الذهب ٥ : ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٦ ، تاج العروس ـ خوى) .

(٢) نقله السيوطى فى الإتقان فى الباب السابع والسبعين .

(٣ ــ ٣) ساقط من م

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافرى ، المعروف بابن العربى ؛ أحد فقهاء إشبيلية وعلمائها ؛ وفى سبيل العلم رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب وتوفى سنة ٥٤٤ . (الصلة لابن بشكوال ٥٩٩) .

خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كلم القرآن، مضروبة فى أربعة . قال بعض السلف : إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومقطع[١] ؛ وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه وما بينها من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل .

قال : وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد وتذكير وأحكام ؛ فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير ، ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ؛ ومنها التكاليف كلّها وتبيين المنافع والمضارّ ، والأمر والنهى والندب .

فالأول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحدٌ﴾[٢]، فيه التوحيد كلّه فى الذات والصفات والأفعال . والثانى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] . والثالث : ﴿وأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾[٤]؛ ولذلك قيل فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ﴾[٥] تعدل ثلثَ القرآن » . يعنى فى الأجر ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقيل ثلثه فى المعنى ؛ لأنّ القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا . وهذه السورة اشتملت على التوحيد .

ولهذا المعنى صارت فاتحةُ الكتاب أمّ الكتاب ؛ لأن فيها الأقسامَ الثلاثة :

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله : ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾[٦] . وأما الأحكام ف﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٧]، وأما التذكير فمن قوله: ﴿اهْدِنَا﴾[٨] إلى آخرها ؛ فصارت بهذا أمًّا؛ لأنه يتفرع عنها كل بنت .

(١) كذا فى الأصول . وفى الإتقان وحاشية ط : «مطلع» .
(٢) سورة البقرة ١٦٣
(٣) سورة الذاريات ٥٥
(٤) سورة المائدة ٤٩
(٥) سورة الإخلاص ١ .
(٦) سورة الفاتحة ٤
(٧) سورة الفاتحة ٥
(٨) سورة الفاتحة ٦

وقيل : صارت أمًّا لأنها مقدمة على القرآن بالقبْلية، والأم قَبْل البنت .

وقيل : سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة فى مواضعها .

وقال أبو الحكم بن برّجان[١] فى كتاب " الإرشاد "[٢]: وجملة القرآن تشتملُ على ثلاثة علوم : علم أسماء الله تعالى وصفاته ، ثم علم النبوة و براهينها ، ثم علم التكاليف والمحنة . قال: وهو أعسر لإغرابه[٣] وقلة انصراف الهمم إلى تطلبه من مكانه .

وقال غيره: القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم : أمر ، ونهى ، وخبر واستخبار . وقيل : ستة ــ وزادَ الوعد ، والوعيد .

وقال محمد بن جرير الطبرىّ[٤] : يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار والديانات ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن » . وهذه السورة تشمل التوحيدَ كلَّه .

وقال على بن عيسى[٥] : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهى ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة ، والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله، وصفاته[وأفعاله][٦]، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والردّ على الملحدين، والبيان عن الرغبة، والرهبة، والخير، والشر ، والحسن، والقبيح ، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة ،

---

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان اللخمى الإشبيلى ؛ حامل لواء اللغة بالأندلس فى عصره . توفى سنة ٦٢٧. (بغية الوعاة ٣٠٦ ، شذرات الذهب ٥ : ١٢٤).

(٢) كتابه الإرشاد فى تفسير القرآن ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو تفسير كبير فى مجلدات ؛ ذكر فيه من الأسرار والخواص ماهو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن » .

(٣) ت : « لاغترابه » .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ؛ صاحب التفسير والتاريخ ، توفى سنة ٣١٠ . (وانظر ترجمته وأخباره فى إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٨٩) .

(٥) هو على بن عيسى بن على الرمانى ؛ صاحب التصانيف المشهورة فى التفسير والنحو واللغة . توفى سنة ٣٨٤ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤) .

(٦) تكملة من الإتقان فيما نقله عن الرمانى

ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتفريع، والبيان عن ذم الإخلاف ، وشرف الأداء .

قال القاضى أبو المعالى عزيزى[(١)] : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التى قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلّها بل أضعافَها ؛ فإن القرآن لا يُستدرَك ولا تُحصَى غرائبُه وعجائبُه ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[(٢)] .

وقال غيره : علوم ألفاظ القرآن أربعة :

الإعراب ؛ وهو فى الخبر .

والنظم ؛ وهو القصد ؛ نحو ﴿ وَٱللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾[(٣)]، معنًى باطن نُظِم بمعنى ظاهر. وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ﴾[(٤)] ؛ كأنه قيل : قالوا : ومَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ فأَمرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ﴾ ؛لفظ ظاهرٌ نُظِم بمعنى باطن .

والتصريف فى الكلمة ؛ كأقسط : عدل ، وقسط : جار . وبَعُد : ضد قرب ، وبَعِد : هلك .

والاعتبار ؛ وهو معيار الأنحاء الثلاث ؛ وبه يكون الاستنباط والاستدلال ؛ وهو كثير ، منه مايعرف بفحوى الكلام . ومعنى اعتبرت الشىء طلبت بيانه ، عبَّرتُ الرؤيا بينتُها ؛ قال الله تعالى : ﴿ فاعتَبِرُوا ﴾[(٥)] بعد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

---

(١) هو أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك الفقيه الشافعى المعروف بشيذلة ؛ وصاحب كتاب البرهان فى مشكلات القرآن . توفى سنة ٤٩٤ . (وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٤٠١ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) سورة الأنعام ٥٩ .

(٣) سورة الطلاق ٤ .

(٤) سورة يونس ٣٤

(٥) سورة الحشر ٢ .

﴿ٱلْـكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[1] دلّ على أن انتقامه بالخروج من الدار من أعظم الوجوه ، و﴿أَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[1] دلّ[2] على أن لها[3] توابع ؛ لأن «أول» لا يكون إلا مع «آخر» ؛ وكان هذا فى بنى النَّضِير ثم أهل نَجْران . ﴿مَاظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾[1] إلا[4] بنبأ، وأنهم يستقلون عدد مَنْ كان مع النبىّ صلى الله عليـه وسلم[4] . ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عليهِمُ الْجَلَاءَ﴾[5] فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب فى الشدّة ؛ إذ جُعِل بدله .

وقد يتعدد الاعتبار ؛ نحو أتانى غير[6] زيد ، أى أتياه ، أو أتاه غير زيد ، لا هو . لو شئتَ أنتَ لم أفعل ، أى أنت أمرتنى أو نهيتنى ؛ قال الله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَاعَبَدْنا﴾[7] ردّ عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ؛ بدليل قوله : ﴿وَٱللهُ أَمَرَنا بِهَا﴾[8] . ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصْطَادُوا﴾[9] ، فالاعتبار إباحة .

ومن الاعتبار مايظهر بآى أخر ؛ كقوله : ﴿فإذا جاءَ أَجلُهم فإنَّ اللهَ كانَ بعبادهِ بصيراً﴾[10] ، فهذه تعتبر بآخر[11] الواقعة ؛ من أن الناس على ثلاثة منازل ؛ أى أحلّ كلّ فريق فى منزلة له ، والله بصير بمنازلهم .

---

(١) سورة الحشر ٢
(٢) ت : « دال »
(٣) ت : « له » .
(٤ ــ ٤) كذا وردت العبارة فى جميع الأصول ، وفيها غموض .
(٥) سورة الحشر ٣
(٦) ت : « عين » تحريف
(٧) سورة النحل ٣٥
(٨) سورة الأعراف ٢٨
(٩) سورة المائدة ٢
(١٠) سورة فاطر ٤٥
(١١) إشارة إلى قوله تعالى فى آخر سورة الواقعة : ﴿فأَمَّا إنْ كَانَ مِنَ المقرّبينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم . وَأَمَّا إنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . وَأَمَّا إنْ كَانَ من المكَذّبينَ ٱلضَّالّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ .

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾[١] ، بمعنى الحديث[٢] : إن اليهود قالوا : لو جاء به ميكائيل لاتبعناك ، لأنه يأتى بالخير ، وجبريل لم يأت بالخير قط ، وأى خير أجلّ من القرآن !

ومن ضروب النظم قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ﴾[٣] ، إن حمل على أن يعتبر أن العزة له لم ينتظم به ما بعده ، وإن حُمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم .

---

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) روى الطبرى فى تفسير هذه الآية عن ابن أبى ليلى : « قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان الذى ينزل عليكم لتبعناكم ؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، وهو لناعدو ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ . وانظر الجزء الأول ص ٣٧٧ وما بعدها .

(٣) سورة فاطر ١٠ .

النوع الأول
معرفة أسباب النزول

وقد اعتنى بذلك المفسّرون فى كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف [1] ؛ منهم علىّ بن المدينىّ [2] شيخ البخارىّ ، ومن أشهرها تصنيف [3] الواحدىّ فى ذلك . وأخطأ مَنْ زعم أنه لا طائل تحته ، لجريانه مَجْرى التّاريخ ، وليس كذلك ، بل له فوائد :

منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيصُ الحكم به عند مَنْ يرى أنّ العبرة بخصوص السبب .

ومنها الوقوفُ على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشيرىّ : بيان سبب النزول طريقٌ قوىّ فى فهم معانى الكتاب العزيز ؛ وهو أمر تَحصَّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا .

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ، ويقوم الدليل على التخصيص ؛ فإن محلّ السبب لا يجوز

---

(١) حاشية ط : « ص : مصنفات » .

(٢) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر السعدى ، مولاهم . توفى سنة ٢٣٤ . (وانظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٢ : ١٥ ـ ١٦)

(٣) طبع بمصر سنة ١٣١٥ هـ ، وعلى هامشه « كتاب الناسخ والمنسوخ » لأبى القاسم بن هبة الله بن سلامة البغدادى المتوفى سنة ٤١٠ . وذكر السيوطى فى الإتقان ١ : ٢٨ أن الجعبرى اختصره ، فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئا ، ثم قال : « وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا مات عنه مسودا فلم تقف عليه كاملا . وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، سميته : لباب النقول فى أسباب النزول » .

وقد طبع كتاب السيوطى بهامش تفسير الجلالين فى بولاق سنة ١٢٨٠ هـ .

إخراجه بالاجتهاد والإجماع ؛ كما حكاه القاضي[1] أبو بكر في "مختصر التقريب" ؛ لأن دخولَ السبب قطعيّ . ونقل بعضهم الاتفاقَ على أن لتقدم السبب على ورود العموم أثرا .

ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محلّ السبب بالتخصيص لأمرين: أحدهما أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا يجوز . والثاني أن فيه عدولاً عن محلّ السؤال ؛ وذلك لا يجوز في حق الشارع ؛ لئلا يلتبس على السائل . واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛ وتؤثر أيضا فيما وراء محلّ السبب ؛ وهو إبطال الدلالة على قول ، والضعف على قول .

ومن الفوائد أيضا دفع توهمّ الحصْر ؛ قال الشافعي ما معناه في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾[2] الآية : إنَّ الكفّارَ لما حرّموا ما أحلّ الله ، وأحلُّوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة جاءت الآية مناقضةً لغرضهم ؛ فكأنه قال: لا حلالَ إلا ما حرّمتموه ؛ ولا حرام إلاّ ما أحلَلْتموه ؛ نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ؛ فتقول : لا آكل اليوم إلاّ الحلاوة ؛ والغرض المضادّة لا النفي والإثبات على الحقيقة ؛ فكأنه قال : لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به ، ولم يقصد حلّ ما وراءه ؛ إذ القصد إثباتُ التحريم لا إثبات الحل .

قال إمام الحرمين[3] : « وهذا في غاية الحسن ؛ ولولا سبق الشافعيّ إلى ذلك لما كنا

---

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني المتكلم المشهور ؛ وصاحب كتاب إعجاز القرآن وكتاب التقريب والإرشاد في أصول الفقه . وقد عمل مختصرا له ، توفي سنة ٤٠٣ (ابن خلكان ١ : ٤٨١ ، الديباج المذهب ٢٧٦ ، شذرات الذهب ٢ : ٥٧). وانظر مقدمة الأستاذ السيد أحمد صقر لكتاب إعجاز القرآن ص ٥٣ ، ٥٤ — طبعة دار المعارف .

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي العراقي ، شيخ الإمام الغزالي ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، توفي سنة ٤٧٨ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٢٨٧).

نستجيز مخالفةَ مالك فى حصر المحرّمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعى أجراه مجرى التأويل » . ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل .

وقد جاءت [آيات](1) فى مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ؛ كنزول آية(2) الظهار فى سلَمة بن صخر ، وآية اللعان فى شأن هلال بن أميّة(3) ، ونزول حد القذف فى رماة عائشة رضى الله عنها ، ثم تعدى إلى غيرهم ، وإن كان قد قال سبحانه : ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾(4) ، فجمعها مع غيرها ؛ إما تعظيما لها إذ أنها أمُّ المؤمنين —

---

(1) زيادة يقتضيها السياق ، وانظر الإتقان ١ : ٢٩ .

(2) سورة المجادلة ١ — ٤ ، والخبر رواه ابن ماجة بسنده فى كتاب الطلاق باب الظهار عن سلمة بن صخر قال : « كنت امرأ أستكثر من النساء ؛ لاأرى رجلا كان يصيب من ذلك ما أصيب ، فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ؛ فبينما هى تحدثنى ذات ليلة انكشف لى منها شىء ، فوثبت عليها فواقعتها ؛ فلما أصبحت غدوت على قومى فأخبرتهم خبرى وقلت لهم : سلوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما كنا نفعل ؛ إذا ينزل الله فينا كتابا أو يكون فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قول فيبقى علينا عاره ، ولكن سوف نسلمك بجريرتك ، اذهب أنت فاذكر شأنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجت حتى جئته فأخبرته الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بذاك ؟ فقلت : أنا بذاك ؛ وها أنا يارسول الله صابر لحكم الله على . قال : فأعتق رقبة ؛ قال : قلت : والذى بعثك بالحق ، ما أصبحت أملك إلا رقبتى هذه ؛ قال : فصم شهرين متتابعين ، قال : قلت : يارسول الله ؛ وهل دخل على ما دخل من البلاء إلا بالصوم ! قال : فتصدق أو أطعم ستين مسكينا ، قال : قلت : والذى بعثك بالحق ، لقد بتنا ليلتنا هذه مالنا عشاء ؛ قال : فاذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق فقل له : فليدفعها إليك ؛ وأطعم ستين مسكينا وانتفع ببقيتها » .

قال ابن كثير : إن الذى نزلت فيه آية الظهار هو أوس بن الصامت ؛ وأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه سبب النزول ؛ ولكن أمر بما أنزل الله فى هذه السورة من العتق أو الصيام أو الإطعام . (وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨ — ٣٢٢

(3) هو هلال بن أمية الخزاعى ؛ أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ؛ نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ ، [سورة النور ٦] . وانظر تفصيل الخبر فى تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٥ وما بعدها . .

(4) سورة النور ٤

ومن رمى أمَّ قوم فقد رماهم ـ وإما للإشارة إلى التعميم ؛ ولكنَّ الرماة لهـا كانوا معلومين ، فتعدَّى الحكم إلى مَنْ سواهم ؛ فمن يقول بمراعاة حكم اللفظ كان الاتفاق هاهنا هو مقتضى الأصل ، ومن قال بالقصر على الأصل خرج عن الأصل فى هـذه الآية بدليل . ونظير هذا تخصيص الاستعاذة بالإناث فى قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾[(١)] ، لخروجه على السبب ؛ وهو أن بنات لَبيد سَحَرْن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كذا قال أبو عبيد ؛ وفيه نظر ؛ فإن الذى سحر النبىّ صلى الله عليه وسلم هو لبيد[(٢)] ابن الأعصم كما جاء فى الصحيح[(٣)] .

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة ، وتوضع كلٌّ واحـدة منها مع ما يناسبها من الآى رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ؛ فذلك الذى وضعت معه الآية نازلة على سبب خاص للمناسبة ؛ إذا كان مسوقاً لما نزل فى معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام ؛ أو كان من جملة الأفراد الداخلة وضعا تحت اللفظ العام ؛ فدلالة اللفظ عليه : هل هى كالسبب فلا يخرج ويكون مراداً من الآيات قطعا ؟ أو لا ينتهى فى القوة إلى ذلك ؛ لأنه قد يُراد غيره ، وتكون المناسبة مشبهة به ؟ فيه احتمال .

---

(١) سورة الفلق ٣

(٢) حاشية ط : « وجه الجمع ظاهر إذ قد يكون هو الآمر ؛ وهن الفاعلات ، والله أعلم » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٢ : ٢٢٠) ولفظه فيه : « عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله ؛ حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال : أشعرت أن الله أفتانى فيما فيه شفائى ، أتانى رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ؛ فقال أحدهما للآخر : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فيما ذا ؟ قال : فى مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ؛ قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان ؛ فخرج إليها النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال لعائشة حين رجع : نخلها كأنه رءوس الشياطين ، فقالت : استخرجته ؟ قال : لا ، أما أنا فقد شفانى الله ؛ وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ؛ ثم دفنت البئر » .

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق العموم المجرّد ؛ ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[١] ؛ فإن مناسبتها للآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾[٢] أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف ، كان قَدِم إلى مكّة وشاهد قَتلَى بَدْر وحرّض الكفّارَ على الأخذ بثأرهم ، وغَزْوِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم ، فسألوه : مَنْ أَهْدَى سبيلا ؟ النبيّ صلَّى الله عليه وسلم ، أوهم ؟ فقال : أنتم ـ كذبا منه وضلالة ـ لعنه الله ! فتلك الآية في حقه وحق مَن شارَكه في تلك المقالة ؛ وهم أهلُ كتاب يجِدون عندهم في كتابهم بعثَ النبيِّ صلَّى الله عليهوسلم وصفته ، وقد أُخذتْ عليهم المواثيقُ ألا يكتموا ذلك وأن ينصروه ؛ وكان ذلك أمانةً لازمةً لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها ؛ وذلك مناسِب لقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن العربيّ[٣] في تفسيره : وجه النظم أنَّه أخبر عن كتمان أهلِ الكتاب صفةَ محمّد صلَّى الله عليه وسلم ، وقولهم : إن المشركين أَهْدَى سَبِيلًا . فكان ذلك خِيَانَةً منهم ؛ فانجرّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات " . انتهى .

ولا يرِد على هذا أن قصةَ كعب بن الأشرف كانت عَقِبَ بدر ، ونزولَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ في الفتح أو قريبا منها ؛ وبينهما ست سنين ؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ، ولا يشترط في المناسبة ؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها .

---

(١) سورة النساء ٥٨
(٢) سورة النساء ٥١
(٣) حاشية ط : « لعله الإمام أبو بكر المالكي العالم الحبر الجليل » .

ومن فوائد هـذا العلم إزالة الإشكال ؛ ففى الصحيح[1] عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كلّ امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بمـا لم يفعل معذباً لنعذَّبَنَّ أجمعون ! فقال ابن عباس : هـذه الآية نزلت فى أهل الكتاب ؛ ثم تلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾[3]. قال ابن عباس : سألهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره ؛ فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ؛ فاستحمدوا بذلك إليه ؛ وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ماسألهم عنه . انتهى

قال [4] بعضهم : وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفى [4] ؛ لأن اللفظ أعمّ من السبب ؛ ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم : « المتشبِّع بما لم يُعْطَ كلابس ثَوْبَىْ

---

(١) صحيح البخارى فى بابه التفسير ٣ : ١١٥ بسنده عن علقمة بن وقاص : « أن مروان قال لبوابه : اذهب يارافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون ! فقال ابن عباس : ومالكم ولهذه ! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم شيء عن فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، (وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٦ وما بعدها) .

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة آل عمران ١٨٨

(٤ ــ ٤) حاشية ط . « من قوله : قال .. إلى .. لايكفى ، غير ثابت فى النسخة التى بخط المصنف ، وفيها بدله ، وهذا الجواب مشكل » .

زُور[1] »، وإنما الجواب أن الوعيد مرتبٌ على أثر الأمرين المذكورين؛ وهما الفرح وحبُّ الحمد؛ لا عليهما أنفسهما؛ إذهما من الأمور الطبيعيّة التى لا يتعلّق بها التكليف أمراً ولا نهيا.

قلت: لا يخفى عن ابن عباس رضى الله عنه أنّ اللفظ أعمُّ من السبب؛ لكنه بيّنٌ أن المراد باللفظ خاصّ؛ ونظيره تفسير النبى صلى الله عليه وسلم الظلم بالشِّرْك فيما سبق.

ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا.﴾[2] الآية؛ فحُكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معديكربَ أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجّان بهذه الآية، وخفىَ عليهما سببُ نزولها؛ فإنّه يَمنع من ذلك؛ وهو ما قاله الحسن وغيرُه[3]: لما نزل تحريمُ الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهى فى بطونهم، وقد أخبر الله أنّها رِجس! فأنزَل اللهُ تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾.

ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ...﴾[4] الآية، قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمّة؛ وقد بينه سببُ النزول[5]؛ رُوِى

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح (٣ : ٢٦٣) بسنده عن هشام: «حدثتنى فاطمة عن أسماء أن امرأة قالت: يارسول الله، إن لى ضرة فهل على جناح إن تشبعت من زوجى غير الذى يعطينى؟ فقال رسول الله صلى الله وسلم: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور».

(٢) سورة المائدة ٩٣

(٣) نقله ابن كثير فى التفسير (١ : ٩٧) عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قال ناس: يارسول الله، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها! فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى آخر الآية. وانظر أسباب النزول للواحدى ١٩٦.

(٤) سورة الطلاق ٤

(٥) نقله ابن كثير فى التفسير (٤ : ٣٨١) عن ابن جرير بسنده عن عمرو بن سالم قال: «قال أبى ابن كعب: يارسول الله، إن عددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب: الصغار والكبار وأولات الأحمال، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارتبتمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

أن ناساً قالوا : يارسول الله ؛ قد عرَفْنا عدّةَ ذوات الأَقْراء ؛ فما عِدّةُ اللائى لم يَحِضْنَ من الصِّغار والكبار ؟ فنزلتْ ؛ فهذا يبيّن معنى : ﴿ إنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ أى إنْ أشْكَل عليكم حُكْمُهُنّ ، وجهلتم كيف يعتددن ؛ فهذا حُكْمُهُنّ .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ؛ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] ؛ فإنّا لو تَرَكْنا مدلولَ اللفظ لاقتضَى أنّ المصلِّيَ لا يجب عليه استقبالُ القبلة سَفَرا ولا حَضرا ؛ وهو خلاف الإجماع ؛ فلا يُفهَم مراد الآية حتى يُعلَمَ سببُها ؛ وذلك أنها نزلتْ لمّا صلّى النبيّ صلى الله عليه وسلم على راحلته ؛ وهو مستقبل من مكة إلى المدينة ؛ حيث توجهتْ به ؛ فعلم أنّ هذا هو المراد .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾[2] ؛ فإنّ سبب نزولها أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد ؛ فمنَعَهم أزواجُهم وأولادُهم ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ ثم أنزل فى بقيّتِها ما يدلُّ على الرحمة وتركِ المؤاخذة ؛ فقال : ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2] .

فصل

[فيما نزل مكررا]

وقد يُنزَّل الشىء مرّتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيرا به عند حدوثِ سببه خوفَ نسيانه ؛ وهذا كما قيل فى الفاتحة نزلتْ مرتين : مرّة بمكّة ، وأخرى بالمدينة ؛ وكما ثبتَ فى

(١) سورة البقرة ١١٥
(٢) سورة التغابن ١٤

الصحيحين عن أبي عثمان النّهدىّ عن ابن مسعود[١] : أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ[٢] ﴾ ، فقال الرجل : إلىّ هذا ؟ فقال : بل لجميع أمّتى . فهذا كان فى المدينة ؛ والرجل قد ذكر الترمذىُّ أو غيرُه أنه أبو اليسر . وسورة هود مكيّة بالاتفاق ؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا إشكالَ ، لأنها نزلت مرّة بعد مرّة .

ومثلهما فى الصحيحين[٣] عن ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾[٤] أنها نزلتْ لمّا سأله اليهودُ عن الرُّوح وهو فى المدينة ، ومعلومٌ أنّ هذه فى سورة ﴿ سُبْحَانَ ﴾ ؛ وهى مكيّة بالاتفاق ؛ فإن المشركين لمّا سألوه عن ذى القرْنين وعن أهل الكهف قيل ذلك بمكّة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجوابَ كما قد بُسِط فى موضعه .

وكذلك ما ورد فى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ[٥] أَحَدٌ ﴾ أنها جواب للمشركين بمكّة ، وأنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

---

(١) نقله ابن كثير فى التفسير (٢ . ٤٢٦) .

(٢) سورة هود ١١٤ . قال ابن كثير : « طرفا النهار : الصبح فى أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى ، وزلفا من الليل ؛ يعنى المغرب والعشاء » .

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخارى فى كتاب التفسير (٣ : ١٥١ — ١٥٢) عن عبد الله بن مسعود : « بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث ، وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : مارابكم إليه ، وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشىء تكرهونه ، فقالوا : سلوه ؛ فسألوه عن الروح فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامى ، فلما نزل الوحى قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ، ونقله ابن كثير أيضا فى التفسير (٣ : ٦٠) عن أحمد بسنده عن ابن مسعود .

(٤) سورة الإسراء ٨٥ . (٥) الإخلاص !

وكذلك ماوردَ فى الصحيحين من حديث المسيّب [١] لما حضرتْ أبا طالب الوَفاةُ ؛ وتلَــكأَ عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والله لَأَستَغفِرَنَّ لكَ مالم أُنْهَ»، فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [٢] ، وأنزلَ الله فى أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٣] ، وهذه الآية نزلت فى آخِر الأمر بالاتِّفاق ؛ وموت أبى طالب كان بمكّة ؛ فيمكنُ أنّها نزلتْ مرَّةً بعد أخرى ، وجُعلتْ أخيرا فى « براءة » .

* * *

والحــكمة فى هــذا كلِّه أنه قد يحــدث سببٌ من سؤال أو حادثةٍ تقتضى نزول آية ؛ وقد نزل قبل ذلك مايتضمّنُها ، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبى صلى الله عليه وسلم تذكيرا لهم بها ، وبأنهــا تتضمّن هــذه ؛ والعالِم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر أحاديث وآياتٍ تتضمَّن الحــكم فى تلك الواقعة وإن لم تكن خطرتْ له تلك الحادثة قبلُ ؛ مع حفظه لذلك النَّص .

وما يذكره المفسّرون من أسباب متعدِّدة لنزول الآية قد يكون من هــذا الباب ؛ لا سيما وقد عرف من عادة الصّحابة والتابعين أنّ أحــدهم إذا قال : نزلتْ هــذه الآية

---

(١) ونقله ابن كثير فى التفسير (٢ : ٣٩٣) أيضاً عن أحمد بسنده عن المسيب . ولفظ البخارى : «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أى عم ، قل : لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أباطالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ! فقال النبى صــلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك مالم أنه عنك ؛ فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ... ﴾ إلى ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ورواه البخارى أيضاً فى باب التفسير . (٣ : ١٧٣) عن المسيب .

(٢) سورة التوبة ١١٣ .

(٣) سورة القصص ٥٦ .

فى كذا فإنّه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمّن هذا الحكم ؛ لا أنَّ هـذا كان السبب فى نزولها . وجماعةٌ من المحدّثين يجعلون هـذا من المرفوع المسند ؛ كما فى قول ابن عمر فى قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ [١] ﴾ ؛ وأما الإمام أحمد[٢] فلم يُدخِله فى المسند ؛ وكذلك مُسلِم[٣] وغيره ، وجعلوا هـذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ؛ لا من جنس النَّقْل لِما وقع .

فصل

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصًا والصيغة عامة ؛ لينبّه على أن العِبْرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشرىّ فى نفس سورة الهمزة : يجوز أن يكون السبب خاصـا والوعيدُ عـاما ؛ ليتناولَ كلَّ مَن باشر ذلك القبيح ؛ وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه ؛ فإنَّ ذلك أزجر له ، وأنكى فيـه .

[تقدّم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى [٤] ﴾ ؛ فإنه يُسْتدلّ بهـا على زكاة الفطر ؛ رَوَى البيهقى بسنده إلى ابن عمر

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، صاحب كتاب المسند ؛ ولد سنة ١٦٤ وتوفى سنة ٢٤١ . (وانظر ترجمته وأخباره فى تاريخ الإسلام للذهبى — وفيات ٢٤١) .

(٣) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، صاحب الصحيح ، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، توفى سنة ٢٦١ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ٢ : ٩١)

(٤) سورة الأعلى ١٤ .

أنها نزلت فى زكاة رمضان ؛ ثم أسند مرفوعاً نحوَه . وقال بعضهم : لا أدرى ماوجهُ هذا التأويل ! لأن هذه السورةَ مكّيّة ؛ ولم يكن بمكّة عيد ولا زكاة .

وأجاب البغَوِيُّ [١] فى تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزولُ سابقا على الحُكْم ؛ كما قال : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [٢]؛ فالسورة مكية،وظهر أثر الحلّ يوم فتح مكّة ؛ حتّى قال عليه السلام : « أُحِلَّتْ لى ساعةً من نهار » .

وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [٣]،قال عمر بن الخطّاب : كنت لا أدرى أىُّ الجمع يُهزَم ؛ فلمّا كان يوم بدر رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .

فائدة

روى البخارىّ [٤] فى كتاب " الأدب المفرد " ، فى برّ الوالدين عن سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه قال : نزلتْ فىّ أربعُ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ : كانت أمّى حلفتْ ألاّ تأكل ولاتَشربَ،حتّى أفارق [٥] محمداًصلى الله عليهوسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [٦] ، والثانية أنى كنتُ أخذتُ سيفاً فأعجبنى،فقلتُ:يارسول الله ، هب لى هذا؛

(١) هو أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد البغوى الفقيه الشافعى ، صاحب كتاب مصابيح السنة فى الحديث ، ومعالم التنزيل فى التفسير . توفى سنة ٥١٠ . (ابن خلكان ١ : ١٤٦) .

(٢) سورة البلد ١ ، ٢

(٣) سورة القمر ٤٥ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ، الإمام ، عالم الحديث وصاحب الجامع الصحيح، توفى سنة٢٥٦. (ابن خلكان ١ : ٢٥٦ — ٢٥٧) .

(٥) فى الأصول : « تفارق » ، وما أثبته عن كتاب الأدب المفرد .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونك عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾[١] ، والثالثة أنى كنت مرضتُ ، فأتانى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت: يارسول الله ، إنى أريد أن أقسم مالى [أفأوصى][٢] بالنصف ؟ فقال : لا ، فقلت : الثلث ؟ فسكت ؛ فكان الثلث بعدُ جائزاً[٣] . والرابعة أنى شربتُ الخمرَ مع قوم من الأنصار ، فضرَبَ رجلٌ منهم أنفى [بلَحْيِ جَمَل][٢] ؛ فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل اللهُ [عز وجل][٢] تحريمَ الخمر[٤] .

***

واُعلم أنه جرتْ عادةُ المفسّرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ، ووقَع البحث : أيّما أولى البداءةُ به: بتقدُّم السبب على المسبب ؛ أو بالمناسبة ، لأنها المصحِّحة لنظم الكلام ؛ وهى سابقةٌ على النزول ؟

والتحقيق التفصيل؛ بين أن يكون وجهُ المناسبة متوقِّفا على سبب النزول كالآية السابقة فى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[٥] ، فهذا ينبغى فيه تقديمُ ذكر السبب ؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ؛ وإن لم يتوقّف على ذلك فالأولى تقديمُ وجهِ المناسبة .

(٢) [illegible]

(٣) فى الوصية نزل قوله تعالى فى سورة البقرة ١٨٠ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾.

(٤) سورة المائدة ٩٠ ، وانظر ص ٢٦ . (٥) سورة النساء ٥٨

النوع الثانى

معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بنُ الزبير[1] ؛ شيخ الشيخ أبى حيان. وتفسيرُ الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك[2] .

واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزَرُ به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول . والمناسبة فى اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا ، أى يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم [3] ونحوه ؛ وإن كانا متناسبين بمعنى رابطٍ بينهما ، وهو القرابة . ومنه المناسبةُ فى العلة فى باب[3] القياس : الوصفُ المقاربُ للحكم ؛ لأنه إذا حصلتْ مقاربتُه له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ؛ ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول ؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وكذلك المناسبة فى فواتح الآى وخواتمها ؛ ومرجعها ـ والله أعلم ـ إلى معنًى مّا رابطٍ بينهما : عام أو خاص ، عقلىّ أو حسّى أو خيالىّ ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات . أو التلازم الذهنىّ ؛ كالسبب والمسبّب ، والعلّة والمعلول ، والنظيرين ، والضدين ، ونحوه . أو التلازم الخارجىّ ؛ كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع فى باب الخبر.

[illegible]

(1) [illegible] الآى هو " البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن " . توفى سنة ٨٠٧ . [وانظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٣ : ٨٤ ـ ٨٦] .

(٢) وممن ألف فى هذا الموضوع أيضاً الشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه: " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية .

(٣ ـ ٣) ساقط من م .

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليفُ حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النوع لدقته ؛ وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازىّ وقال فى تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعا .

وهذا(١ النوع يهمله بعض المفسّرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة . قال القاضى أبو بكر بن العربى فى : " سراج المريدين " : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض١) حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى ، منتظمة المبانى علم ، عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجلّ لنا فيه ؛ فلمّا (٢) لم نجد له حَمَلة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرابانىّ(٣) : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابورىّ(٤) ؛ وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسىّ إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة . انتهى .

(١ ــ ١) ساقط من ت ، م .

(٢) فى الأصول : « أنا » ، وصوابه من كتاب الإتقان (٢ : ١٠٨) ، فيما نقل عن ابن العربى .

(٣) منسوب إلى شهرابان ؛ قرية شرقى بغداد ينسب إليها كثير من العلماء.

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن محمد زياد النيسابورى الفقيه الشافعى الحافظ ، رحل فى طلب العلم إلى العراق والشام ومصر ، وقرأ على المزنى ، ثم سكن بغداد،وصار إماماالشافعية بالعراق ، وتوفىسنة ٣٢٤ . (اللباب ٣ : ٢٥٢ ، طبقات القراء ١ : ٤٤٩ ، شذرات الذهب٢ : ٣٠٢) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] : المناسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متّحد مرتبطٍ أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباطُ أحدهما بالآخر .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصانُ عنه حَسَن الحديث فضلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل فى نيّف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضِه ببعض ؛ إذ لا يحسنُ أن يرتبط تصرف الإله فى خلقه وأحكامُه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ؛ كتصرّفِ الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة. وليس لأحدٍ أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ،مع اختلافها فى نفسها واختلاف أوقاتها . انتهى .

قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يُطلب للآى الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق مافى الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف . وحافظ القرآن العظيم[2] لو استُفتى فى أحكام متعددة، أو ناظر فيها ،أو أملاها لذكّر آية كل حكم على ماسئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يَتْلُ كما أفتى ، ولا كما نزل مفرقاً ؛ بل كما أُنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ فإنه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]. قال : والذى ينبغى فى كلّ آية أن يبحث أوّلَ كلّ شىء عن كونها مكمّلة لما قبلها ، أو مستقلة . ثم المستقلة ؛ ماوجْهُ مناسبتِها لما قبلها ؟ ففى ذلك علمٌ جمّ ؛ وهكذا فى السُّوَر يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سِيقتْ له .

(١) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز ، ولد سنة ٥٧٧ وتوفى سنة ٦٦٠ .(وانظر ترجمته فى طبقات الشافعية ٥ : ٨٠ — ١٠٧).

(٢) ت : « المجيد » . (٣) سورة هود ١ .

قلت : وهو مبنيّ على أن ترتيبَ السُّوَر توقيفي ؛ وهـذا الراجح كما سيأتي ، وإذا اعتبرت افتتاح كلِّ سُوَرِه وجدتَه في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ؛ ثم هو يَخفَى تارةً ويَظهَر أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] . وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿ الْحَمْدُ ﴾ أيضاً ؛ فإنه مناسب لختام ماقبلها من قوله : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾[٢] ؛ وكما قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣]. وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة ، من الأمر به[٤]. وكافتتاح سورة البقرة بقوله : ﴿ الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٥] إشارةً إلى ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ في قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٦] ؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصِّراطُ الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب .

وهذا معنىً حسَنٌ يَظهر فيه ارتباطُ سورة البقرة بالفاتحة ؛ وهو يردُّ سؤال الزمخشريّ في ذلك .

وتأمّل ارتباط سورة ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾[٧] بسورة الفيل ؛ حتى قال الأخفش : اتصالها بها من باب قوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٨] .

---

(١) سورة الزمر ٧٥ (٢) سورة سبأ ٥٤
(٣) سورة الأنعام ٤٥
(٤) إشارة إلى ختام سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾. وافتتاح سورة الحديد بقوله سبحانه : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .
(٥) سورة البقرة ١ (٦) سورة الفاتحة ٦
(٧) سورة قريش ١ (٨) سورة القصص ٨

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتى قبلها ؛ لأن السابقة قد وصفَ الله فيها المنافقَ بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ؛ فذكر هنا فى مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [1] أى الكثير . وفى مقابلة ترك الصلاة « فَصَلِّ » أى دُمْ عليها ؛ وفى مقابلة الرياء ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ ، أى لرضاه لا للناس ، وفى مقابلة مَنْعِ الماعون : ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ ؛ وأراد به التصدّقَ بلحم الأضاحى ؛ فاعتبر هذه المناسَبةَ العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدَّمٌ على التحميد ؛ يقال : سبحان الله ، والحمد لله .

وذكر الشيخ كمال الدين الزَّمْلكانىّ [2] فى بعض دروسه مناسبةَ استفتاحها بذلك ما ملخَّصُه : إن سورةَ بنى إسرائيل افتُتِحتْ بحديث الإسراء ؛ وهو من الخوارق الدالّةِ على صِدْق رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، وأنّه رسولٌ من عندِ الله ، والمشركون كذَّبوا ذلك وقالوا : كيف يسير فى ليلةٍ من مكّة إلى بيت المقدس ! وعادوا وتعنّتوا وقالوا : صِفْ لنا بيتَ المقدِس ؛ فرُفِع له حتّى وصَفَه لهم . والسبب فى الإسراء أوّلا لبيت المقدس، ليكون ذلك دليلا على صحّة قوله بصعود السموات ؛ فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيّه فيما ادّعاه ؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناد، فنزّه نفسه قبل الإخبار بهذا الّذى كذّبوه . وأمّا الكهف فإنه لما احتبس الوحىُ، وأرجَف الكفّار بسبب ذلك، أنزلها الله ردًّا عليهم، وأنّه لم يقطع نعمه عن نبيّه صلى الله عليه وسلَّم ، بل أتمَّ عليه بإنزال الكتاب ، فناسَبَ افتتاحُها بالحمد على هذه النعمة . وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السُّوَر ، فما ظنُّك بالآيات وتعلّق بعضِها ببعض ! بل عند التأمّل يظهر أنّ القرآن كلَّه كالكلمة الواحدة .

---

(١) سورة الكوثر ١

(٢) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد الزملكانى الشافعى صاحب كتاب البرهان فى إعجاز القرآن ، توفى سنة ٧٢٧ . (وانظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٤ : ٧٤ — ٧٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٦٦) .

[أنواع ارتباط الآى بعضها ببعض]

عُدْنا إلى ذكر ارتباط الآيِ بعضها ببعض ؛ فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى ؛ إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح ، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير ، أو الاعتراض والتشديد ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .

و إما ألاّ يظهر الارتباط ؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به . فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك فى الحكم ، أولا :

القسم الأول أن تكون معطوفة ؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وما ينزِلُ مِن السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[١] . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢] . وفائدةُ العطف جعلُهما كالنظيرين والشريكين .

وقد تكون العلاقة بينهما المضادة ؛ وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ، والرغبة بعد الرهبة . وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ؛ ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق ؛ ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ؛ ليُعلم عظم الآمر والناهى . وتأمّل سورةَ البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك .

وقد تاتى الجملة معطوفة على ماقبلها ويُشكل وجه الارتباط ؛ فتحتاج إلى شرح ؛ ونذكر من ذلك صوراً يلتحق بها ماهو فى معناها :

فمنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ ، وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . . . ﴾[٣] الآية ؛ فقد يقال : أىّ رابط بين أحكام الأهلة و بين حكم إتيان البيوت ؟ والجواب من وجوه :

---

(١) سورة الحديد ٤ (٢) سورة البقرة ٢٤٥ (٣) سورة البقرة ١٨٩.

أحدها كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة فى تمام الأهلّة ونقصانها : معلوم أنّ كلّ مايفعله الله فيه حكمة ظاهرة ، ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم ؛ مما ليس من البرّ فى شئ وأنتم تحسبونها برًّا .

الثانى أنه من باب الاستطراد ؛ لمّا ذكر أنها مواقيت للحج ؛ وكان هذا من أفعالهم فى الحج ؛ ففى الحديث : أنّ ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا داراً ولا فسطاطا من باب ؛ فإن كان من أهل المدر نقَب نقبا فى ظهر بيته ؛ منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلّما يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ فقيل لهم : ليس البرّ بتحرجكم من دخول الباب ؛ لكن البرّ برّ من اتقى ماحرّم الله ؛ وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة . ونظيره فى الزيادة على الجواب قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المتوضّئ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحلّ ميتته »[1] .

الثالث أنه من قبيل التمثيل لماهم عليه ؛ من تعكيسهم فى سؤالهم ؛ وأنّ مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت ؛ فقيل لهم : ليس البرّ ماأنتم عليه من تعكيس الأسئلة ؛ ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، أى باشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا . والمراد أن يصمّم القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه ؛ وأنه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[2] فإن فى السؤال اتهاما .

ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

---

(١) رواه ابن ماجه فى كتاب الطهارة (١ : ١٣٦) بسنده عن أبى هريرة ؛ يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ؛ أفنتوضأ من ماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

(٢) سورة الأنبياء ٢٣ .

ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ... ﴾[1] إلى أن قال : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ ﴾[2]؛ فإنه قد يقال : أىّ رابط بين الإسراء ، و ﴿ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ ﴾ ؟ ووجه اتصالها بما قبلها أن التقدير : أطلعناه على الغيب عَيانا ، وأخبرناه بوقائع مَنْ سلف بيانا ، لتقوم أخباره على معجزته برهانا ؛ أى سبحان الذى أطلعك على بعض آياته لتقصّها ذكراً ، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه فى الكرتين ؛ لتكون قصتهما آية أخرى . أو أنه أسرى بمحمّد إلى ربه كما أسرِىَ بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب . ثم ذكر بعده : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُوراً ﴾[3] ليتذكر بنو إسرائيل نعمةَ الله عليهم قديما ؛ حيث نجاهم من الغرق ؛ إذ لو لم ينجّ أباهم من أبناء نوح لما وجدوا . وأخبرهم أنّ نوحاً كان عبداً شكوراً ؛ وهم ذرّيتُه ، والولد سرّ أبيه ؛ فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم ؛ لأنه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا .

وتأمل كيف أثنى عليه ، وكيف تليق صفته بالفاصلة ، ويتمّ النظم بها ، مع خروجها مخرج المرور من الكلام الأول إلى ذكره ومدحه بشكره ، وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه إياهم من الطوفان بما حملهم عليه ، ونجاهم منه ؛ حين أهلك مَنْ عداهم . وقد عرّفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قتلهم . ثم عاد عليهم بالإحسان والإفضال؛ كى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذى ولَدهم وهم ذريته ؛ فلما صاروا إلى جهالتهم وتمرّدوا عاد عليهم التعذيب .

ثم ذكر تعالى فى ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة ، بكلمات قليلة العدد ، كثيرة الفوائد ؛ لايمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير والكلام الطويل ، مع ما اشتمل عليه من التدريج العجيب، والموعظة العظيمة بقوله : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

---

(١) سورة الإسراء ١ . (٢) سورة الإسراء ٢ .
(٣) سورة الإسراء ٣.

قُفْلَهَا ﴾(١)، ولم ينقطع بذلك نظام الـكلام ، إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾(٢) ،يعنى إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو . ثم خرج خروجا آخر إلى حكمة القرآن ؛ لأنه الآية الـكبرى . وعلى هـذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام ؛ حتى ينقطع الـكلام .

* * *

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمّى بالتخلّص(٣) . وقد أنـكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي(٣) وقال: ليس فى القرآن الكريم منه شئ ، لما فيه من التكلّف . وليس كما قال .

ومن أحسن أمثلته قوله تعـالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ ... ﴾(٤) الآية ، فإن فيها خمس تخلصات : وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلّص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ، ثم رجع إلى ذكر النور والزيتُ يَسْتَمِدّ منه ، ثم تخلّص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلّص من ذكرها إلى صفة الزيت ، ثم تخلّص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ، ثم تخلّص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾(٥) الآية ؛ فإنه سبحانه ذكر أولا عذاب الـكفار وأن لا دافع له من الله ؛ ثم تخلّص إلى قوله : ﴿ تَعرُجُ الملائـكَةُ والرُّوحُ إليه ﴾(٦) بوصف ﴿ الله ذِى المعارج ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهِيمَ . إذْ قَالَ لأبيهِ وقومِهِ ما تَعْبُدُونَ ﴾(٧)،

---

(١) سورة الإسراء ٧ (٢) سورة الإسراء ٨

(٣) ذكره ابن الأثير فى اللباب (٣ : ١٦٦) ، وقال : « كان من فضلاء عصره ، وشعره مشهور ؛ وهو من شعراء نظام الملك » .

(٣) انظر الـكلام عليه فى كتاب المثل السائر لابن الأثير ٢ : ٢٦٦ ومابعدها .

(٤) سورة النور ٣٥ (٥) سورة المعارج ١

(٦) سورة المعارج ٤ (٧) سورة الشعراء ٦٩ ، ٧٠

إلى قوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ، فهذا تخلّص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ؛ وتمنّى الكفار فى الدار الآخرة الرجوعَ إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسل ؛ وهذا تخلُّصٌ عجيب .

وقوله : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قالوا بَلْ وَجَدْنَا آباءنا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أفرأيتمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ . فإنَّهمْ عدوٌّ لِي إلا ربَّ العالمينَ . الَّذى خَلَقَنِي فهو يَهْدِينِ ﴾[٢] . وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال : إن أولئك لى أعداء إلا الله ، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيَتْ من كلِّ شيء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[٣] .

وقوله تعالى فى سورة الصافات[٤] : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ ؛ وهذا من بديع التخلُّص ؛ فإنه سبحانه خلص من وصف المخلصين وما أعدّ لهم ، إلى وصف الظالمين وما أعدّ لهم .

ومنه أنه تعالى فى سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام ، فقال فى آخرها : ﴿ واختارَ مُوسَى قومَه سبعينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فلمَّا أخذتهم الرَّجْفَةُ .. ﴾[٥] إلى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النبيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مكتوباً عِندهم فى التَّوْرَاةِ والإنجيلِ ﴾ ، وهو من بديع التخلُّص .

---

(١) سورة الشعراء ١٠٢ (٢) سورة الشعراء ٧٢ — ٧٨

(٣) سورة النمل ٢٣ — ٢٦

(٤) آية ٦٢

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ .

واعلم أنه حيث قصد التخلُّص فلا بدّ من التوطئة له ؛ ومن بديعه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[1] يشير إلى قصة يوسف عليه السلام . فوطّأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة ؛ يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحى والرّمز . وكقوله سبحانه موطئا للتخلُّص إلى ذكر مبتدأ خَلْق المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً ... ﴾[2] الآية .

* * *

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ والمغرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[3] ؛ فإنه قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِها ﴾[4] الآية ؟ قال الشيخ أبو محمد الجوينىّ فى تفسيره : سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجهُ اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أى فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وإلى السماء كيفَ رُفِعَتْ ... ﴾[5] الآية ؛ فإنه يقال : ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض فى هذه الآية ؟ والجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر ؛ فإنّ كلّ انتفاعهم فى معايشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفةً إليها ؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب ؛ وذلك بنزول المطر ؛ وهو سبب تقلُّب وجوههم فى السماء ؛ ثم لابدّ لهم من مأوًى يؤويهم ، وحصن يتحصنون [به] ؛ ولاشىء فى ذلك كالجبال ؛ ثم لاغنى لهم ـ لتعذّر طول مكثهم فى منزل ـ عن التنقُّل من أرض إلى سواها ؛ فإذا نظر البدوىّ فى خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة[6] فيه على الترتيب المذكور .

---

(١) سورة يوسف ٣ .
(٢) سورة آل عمران ٣٣ .
(٣) سورة البقرة ١١٥ .
(٤) سورة البقرة ١١٤ .
(٥) سورة الغاشية ١٧ ، ١٨
(٦) فى الأصول : « خاس » تحريف .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾[١] ، فيقال : أيّ ارتباط بينهما ؟ وجوابه أن المبتدأ وهو ﴿ مَنْ ﴾ خبره محذوف ، أى أفمن هو قائمٌ على كل نفسٍ تترك عبادته ؟ أو معادل الهمزة تقديره : أفمن هو قائم على كلّ نفس كمن ليس بقائم ؟ ووجه العطف على التقديرين واضح . أما الأول فالمعنى : أتُترك عبادة من هو قائمٌ على كلّ نفس ، ولم يكفِ الترك حتى جعلوا له شركاء ! وأما على الثانى فالمعنى : إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوى حكم المساوى ! .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تر إِلَى الَّذِى حَاجَّ إبراهيمَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾[٢] عطَف قصة على قصة ؛ مع أن شرط العطف المشاكلة ، فلا يحسن فى نظير الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ﴿ أَوْ كَالَّذِى ﴾.

ووجهُ ما بينهمامن المشابهة أنّ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمنزلة : هل رأيت كالذىحاج إبراهيم؟ و إنما كانت بمنزلتها لأن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفىولذلك يجاب ببلى ، والاستفهام يعطى النفى ، إذ حقيقة المستفهَم عنه غير ثابتة عند المستفهِم ؛ ومن ثَمَّ جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفى ، ونفى النفى إيجاب ، فصار بمثابة « رأيت » غير أنه مقصود به الاستفهام ، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده فى اللفظ ؛ فلذلك أعطى معنى : هل رأيت .

فإن قلت : مِنْ أين جا[illegible] إلى ، ورأيت يتعدّى بنفسه ؟ أجيب لتضمنه [illegible]

« تنظر » .

[illegible]

القسم الثانى ألا تكون [illegible]

قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والأول [illegible] ، وهذا [illegible] معنوى ، [illegible] الثانية من الأولى منزلة جزئها الثانى ، وله أسباب .

---

(١) سورة الرعد ٣٣ (٢) سورة البقرة ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

أحدها التنظير ؛ فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء ؛ ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾[1] عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2] فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضى لأمره فى الغنائم على كرهٍ من أصحابه كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون ؛ وذلك أنهم اختلفوا فى القتال يوم بدر فى الأنفال ، وحاجّوا النبىّ صلى الله عليه وسلم وجادَلُوه ؛ فكره كثير منهم ما كان من فعلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النفل ، فأنزل الله هذه الآية ، وأنفذ أمره بها ، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شىء ما ، بعد أن كانوا مؤمنين. ووصف المؤمنين ؛ ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾، يريد أن كراهتهم لما فعلتَه من الغنائم ككراهتهم للخروج معك .

وقيل : معناه أولئك هم المؤمنون حقا ؛ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق؛ كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[3] .

وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر ؛ وتأويله : افعل فى الأنفال كما فعلت فى الخروج إلى بدر ، وإن كره القوم ذلك ؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ ﴾[4] معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتى عليكم ؛ فشبّه كراهتهم [illegible] الأنفال وقسمتها بالكراهة فى مخرجه من بيته .

[illegible] الكلام [illegible] الكلام

[illegible] قوله تعالى [illegible] بعد قوله : ﴿ وقُلْ إِنِّى أَنَا

---

(١) سورة الأنفال ٥ (٢) سورة الأنفال ٤

(٣) سورة الذاريت ٢٣ (٤) سورة البقرة ١٥١

(٥) سورة الحجر ٩٠

النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ [١] فإن فيه محذوفا ؛ كأنه قال : قل أنا النذير المبين ، عقوبة أو عذاباً ، مثل ما أنزلنا على المقتسمين .

وأما قوله تعالى : ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ [٢] وقد اكتنفه من جانبيه قوله : ﴿ بَلِ الإنسانُ عَلَى نفسهِ بصيرةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [٣] . وقوله : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾ [٤] ؛ فهذا من باب قولك للرجل ، وأنت تحدثه بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر : أقبلْ عليّ واسمع ما أقول ، وافهم عنّى ، ونحو هذا الكلام ؛ ثم تصِلُ حديثك ؛ فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول ؛ قاطعا له ؛ وإنما يكون به مشوقاً للكلام . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّيا لا يقرأ ولا يكتب ؛ وكان إذا نزل عليه الوحى وسمع القرآن حرّك لسانه بذكر الله ، فقيل له : تدبَّرْ ما يوحَى إليك ، ولا تتلقفه بلسانك ؛ فإنما نجمعه لك ونحفظه عليك .

ونظيره قوله فى سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ [٥] إلى قوله : ﴿ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [٥] ، فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولا : ﴿ ذَلِكُم فِسْقٌ ﴾ [٥] ، ووسَّط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً فى قبول هذه الأحكام ، والعمل بها ، والحث على مخالفة الكفّار وموت كلمتهم وإكمال الدين . ويدلّ على اتصال ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ [٥] بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ آية الأنعام ﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِيماَ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ [٦] .

---

(١) سورة الحجر ٨٩
(٢) سورة القيامة ١٦
(٣) سورة القيامة ١٤ ، ١٥
(٤) سورة القيامة ٢٠ ، ٢١
(٥) سورة المائدة ٣
(٦) سورة الأنعام ١٤٥ .

الثانى المضادّة ؛ ومن أمثلته قولُه تعالى فى سورة البقرة : ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [(١)] الآية ، فإنه أولَ السورة كان حديثا عن القرآن الكريم ، وأن من شأنه كَيْتَ وكَيْتَ ، وأنه لا يهدى القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت . فرجَع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أكملَهُ عقّب بما هو حديث عن الكفار ؛ فبينهما جامع وهيَ بالتضادّ من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثُّبوت على الأول ، كما قيل :

* وبِضِدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ *

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأنّ كونَه حديثا عن المؤمنين ، بالعَرَض لا بالذّات ، والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن الكتاب ، لأنّه مفتتَح القول .

قلنا : لا يشترط فى الجامع ذلك ، بل يكفى التعلّق على أى وجه كان ، ويكفى فى وجه الرَّبْط ماذكرنا ، لأن القصد تأكيدُ أمرِ القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [(٢)] الآية . فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [(٣)] .

قال الزمخشرى : هذه الآية واردةٌ على سبيل الاستطراد، عقِب ذكر بُدُوّ السَّوْءات وخَصْف الورق عليها ؛ إظهاراً للمنّة فيما خلق الله من اللِّباس ، ولما فى العُرْيِ وكشفِ العَورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى .

وجعل القاضى أبو بكر فى كتاب " إعجاز القرآن " من الاستطراد قولَه تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ

---

(١) سورة البقرة ٦ (٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة الأعراف ٢٦ .

يرَوْا إلَى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شيء يتفيَّأُ ظِلالُه عن اليمين والشمائِل سُجَّداً للهِ وهمْ داخرُون . ولله يسجدُ مافى السمواتِ وما فى الأرضِ من دابةٍ والملائكةُ وهمْ لا يستكْبرُون ﴾ [١] .

وقال : « كأن المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كلّ شيء يسجد لله عزّ وجل ، وإن كان ابتداء الكلام فى أمر خاص » [٢] . انتهى ، وفيه نظر .

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى فى سورة ص بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هذا ذِكْرٌ وإنَّ للمتقِين لَحُسْنَ مآبٍ ﴾ [٣] ، فإن هذا القرآن نوع من الذِّكر ، لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعا آخر ، وهو ذكر الجنَّة وأهلِها ، فقال : ﴿هذا ذكرٌ﴾؛ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة ، تقول : أشير عليك بكذا ، ثم تقول بعده : هذا الذى عندى والأمر إليك . وقال : ﴿ وإنَّ للمتقِين لَحُسْنَ مآبٍ﴾، كما يقول المصنِّف : هذا باب يشرع فى بابٍ آخر . ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال : ﴿ هذا وإنَّ للطاغِين لشرَّ مآبٍ ﴾ [٤] .

فصل

[فى اتصال اللفظ والمعنى على خلافه]

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولئنْ أصابكُمْ فضلٌ منَ اللهِ ليقولَنَّ كأنْ لمْ تكُنْ بينكمْ وبينه مودةٌ ﴾ [٥] ؛ فقوله : ﴿ كأن لمْ تكُنْ بينكمْ وَبينه مودَّة ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَال قد أنعمَ اللهُ علىَّ ﴾ [٦] ؛ لأنه موضع الشماتة .

وقوله : ﴿ كأنما يساقُونَ إلَى الموْت وهمْ ينظرُونَ ﴾ [٧] ؛ فإنه متصل بقوله : ﴿وَإنَّ

---

(١) سورة النحل ٤٨ ، ٤٩
(٢) ص ١٥٩ (طبعة المعارف)
(٣) سورة ص ٤٩
(٤) سورة ص ٥٥
(٥) سورة النساء ٧٣
(٦) سورة النساء ٧٢
(٧) سورة الأنفال ٦

فريقاً منَ المؤمنينَ لكارهونَ . كأنما يُساقونَ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ ولا عَلَى الذينَ إذا ما أتوْكَ لتحملَهُمْ ﴾(٢) جواب الشرط قولُه تعالى : ﴿ تولَّوْا وأعْيُنُهُمْ تفيضُ منَ الدمْعِ ﴾(٢)، وقوله : ﴿ قلتَ لا أجدُ ما أحْمِلُكُمْ عليهِ ﴾(٢) داخل فى الشرط .

وقوله : ﴿ وإذا جاءَهمْ أمرٌ منَ الأمْنِ أوِ الخوفِ أذاعوا به ﴾(٣) إلى قوله : ﴿ إلا قليلًا ﴾(٣) . فقوله : ﴿إلا قليلًا﴾ متصل بقوله : ﴿ لَعلِمهُ الذين يَستنبطونهُ منهمْ ﴾(٣). ومثَّل بقوله : ﴿ولوْلا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ ﴾(٣) . على تأويل : ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته إلا قليلا ممن لم يُدخله فى رحمته ، واتبعوا الشيطان ، لاتبعتم الشيطان .

ومما يحتمل الاتصال والانقطاع قولُه تعالى : ﴿ فى بيوتٍ أذن اللهُ أن تُرْفعَ ويُذكرَ فيهاَ اسمه ﴾(٤)؛ يحتمل أن يكون متصلا بقوله : ﴿ فيهاَمِصباحٌ ﴾(٥)، أى المصباح فى بيوت ، ويكون تمامه على قوله : ﴿ ويُذكرَ فيها اسمُ ﴾(٤) و﴿ يسبح له فيها رجال ﴾صفة للبيوت . ويحتمل أن يكون منقطعا ، واقعاً خبرا لقوله : ﴿ رجالٌ لاَ تُلْهيهمْ ﴾(٦) .

ومما يتعين أن يكون منقطعاً قوله : ﴿ ولا أصغرَ من ذلك ولا أكْبرَ إلا فى كتابٍ مُبينٍ ﴾(٧) مستأنف ، لأنه لو جُعِل متصلا « بيعزب » لاختل المعنى ، إذ يصير على حدِّ قولك : مايعزب عن ذهنى إلا فى كتاب ، أى استدراكه .

وقوله : ﴿ فيه هُدًى للمتَّقين ﴾(٨) ،منهم من قضى باستئنافه على أنه مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل ﴿ فيه ﴾ خبر ﴿ لَا ﴾ ، و ﴿ هدًى ﴾ نصبٌ على الحال فى تقدير « هاديا» .

---

(١) سورة الأنفال ٥ ، ٦ — (٢) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة النساء ٨٣ — (٤) سورة النور ٣٦

(٥) سورة النور ٣٥ — (٦) سورة النور ٣٧

(٧) سورة يونس ٦١ — (٨) سورة البقرة ٢

ولا يخفى انقطاع ﴿ الذينَ يحملُونَ الْعرْشَ ﴾[١] عن قوله : ﴿ أَنَّهُمْ أصْحابُ النار ﴾[٢] .

وكذا ﴿ فَلا يَحْزُنْكَ قولُهم ﴾[٣] عن قوله سبحانه : ﴿ إنَّا نعلَمُ ما يسرُّونَ ومَا يُعْلنُونَ ﴾[٣] .

وكذلك قوله : ﴿ فأَصْبحَ من النَّادِمِين ﴾[٤] عن قوله : ﴿ مِنْ أجْل ذلكَ كَتبْنَا عَلَى بَنى إسْرَائيلَ أنَّهُ منْ قتل نفساً بغير نفس ﴾[٥] .

---

(١) سورة غافر ٧
(٢) سورة غافر ٦
(٣) سورة يس ٧٦
(٤) سورة المائدة ٣١
(٥) سورة المائدة ٣٢

النوع الثالث
معرفة الفواصل ورءوس الآى

وهى كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع .

وقال الدانى [1] : كلمة آخر الجملة .

قال الجَعبرى [2] : وهو خلاف المصطلَح ، ولا دليلَ له فى تمثيل سيبويه [3] بـ﴿ يومَ يأتِ﴾ [4] ، و﴿ مَا كُنَّا نَبغِ ﴾ [5] ،وليسا رأس آيٍ؛لأن مرادَه الفواصل اللغوية لا الصناعية؛ ويلزم أبا عمرو [6] إمالةُ ﴿ مَنْ أعْطى ﴾ [7] لأبى عمرو .

وقال القاضى أبو بكر : الفواصل حروفٌ متشاكلة فى المقاطع ، يَقع بها إفهام المعانى . انتهى .

وفرّق الإمام أبو عمرو الدانى بين الفواصل ورءوسِ الآى ، قال : أما الفاصلةُ فهى الكلام المنفصل ممَّا بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأسَ آية وغيرَ رأس ، وكذلك

(١) هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى ؛ أحد الأئمة فى القرآن الكريم وروايته ، وصاحب كتاب التيسير فى مذاهب القراء السبعة ، والمقنع فى الرسم ، والاكتفاء فى الوقف والابتداء ؛ وغيرها من الكتب التى تتعلق بالقراءة والقرآن . توفى سنة ٤٤٤ . (وانظر ترجمته ومراجعها فى إنباه الرواة ٢ : ٣٤١ ــ ٣٤٢) .

(٢) هو العلامة إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبرى ؛ الملقب ببرهان الدين ؛ صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعانى ، وكتاب عقود الجمان ، وروضة الطرائف فى رسم المصاحف ، وغيرها . توفى سنة ٧٣٢ . (الدرر الكامنة ١ : ٥٠)

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩ (٤) سورة هود ١٠٥

(٥) سورة الكهف ٦٤

(٦) يريد أبا عمرو الدانى المذكور . (٧) سورة الليل ٧ . ويريد أبا عمرو بن العلاء صاحب القراءة المنسوبة إليه .

الفواصل يكُنّ رءوس آيٍ وغيرها . وكلّ رأس آية فاصلة ، وليس كلّ فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تعمّ النوعين ، وتجمع الضربيْن؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى ﴿ يَوْمَ يأتِ ﴾ و ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ ـ وهما غير رأس آيتين بإجماع ـ مع ﴿ إِذَا يَسْرِ ﴾ [١] ؛ وهو رأس آية باتفاق . انتهى .

وتقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام . وتسمّى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فَصَل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسمُّوها أسجاعا .

فأما مناسبةُ فواصل، فلقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه ﴾ [٢] .وأما تجنب أسجاع، فلأن أصلَه من سَجَع الطّيرُ ، فَشُرِّف القرآن الكريم أن يستعار لشىء فيه لفظٌ هو أصلٌ فى [٣] صوت الطائر ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى اسم السَّجْع الواقع فى كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفُه بصفةٍ لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ؛ ثم فرقوا بينهما فقالوا : السَّجْع هو الّذى يُقصَد فى نفسه ثم يحيل المعنى عليه، والفواصل التى تَتْبَع المعانى ، ولا تكون مقصودةً فى نفسها .

قاله الرّمانىّ فى كتاب "إعجاز القرآن" ، [٤] وبنى عليه أنّ الفواصل بلاغة والسجع عيب ،وتبعه القاضى أبو بكر الباقلانىّ فى كتاب "إعجاز القرآن" [٤]، ونقل عن الأشعرية امتناع كون فى القرآن سجْعا . قال : [٥]« ونَصَّ عليه الشيخُ أبو الحسن الأشعرىُّ [٦] فى غير موضع من كُتُبه » .

---

(١) سورة الفجر ٤

(٢) سورة فصلت ٣ . (٣) ت : « لصوت »

(٤ ـ ٤) ساقط من م

(٥) ص ٨٦ وما بعدها (٦) الإعجاز : « وذكره الشيخ أبو الحسن » .

قال : « وذهب كثير من مخالفيهم إلى إثبات السَّجْع فى القرآن ، وزعموا أن ذلك مما تبيَّن فيه فضلُ الكلام ، وأنّه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة ، كالتجنيس ، والالتفات ونحوها »[1] . قال : « وأقوى[2] ما استدلوا به الاتفاق[2] على أنّ موسى أفضلُ من هارون عليهما السلام ، ولما كان[3] السَّجْع قيل فى موضعٍ : ﴿ هَارُونَ وموسَى ﴾[4] ولما كانت الفواصل فى موضعٍ آخر بالواو والنون قيل: ﴿ موسَى وهارون ﴾[5] .

قالوا : وهذا يفارق أمرَ الشعر لأنّه لا يجوز أن يقع فى الخطاب إلّا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصودٍ إليه كان دون القَدْر الذّى نسميه شعراً ، وذلك القَدْر يتفق وجوده من المُفْحَم[6] كما يتفق وجوده فى الشِّعر . وأمّا ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كلّه غيرَ مقصود إليه » .

قال : « وبنوا[7] الأمر فى ذلك على تحديد معنى السجع ؛ قال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن[8] واحد . قال : ابن دريد : « سجعت الحمامة : ردّدت صوتها »[9] .

قال القاضى : وهذا [الذى يزعمونه][10] غيرُ صحيح ؛ ولو كان القرآن سَجْعاً لكان غير خارجٍ عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال[11] : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف ! والسجع مما كانت

---

(١) الإعجاز : « وما أشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بها الفصاحة » .

(٢ ـ ٢) الإعجاز : «وأقوى مايستدلون به عليه اتفاق الكل » .

(٣) فى الإعجاز : « ولكان » (٤) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الشعراء ٤٨

(٦) كذا فى إعجاز القرآن ، وفى الأصول : « العجم » .

(٧) الإعجاز : « ويبنون الأمر » . (٨) م : « على روى » .

(٩) جمهرة اللغة ٢ : ٩٣ (١٠) تكملة من إعجاز القرآن

(١١) الإعجاز : « أن يقولوا »

كُهّان العرب تألفه ؛ ونفيُه من القرآن أجْدَر بأن يكون حجة من نفى الشعر ؛ لأن الكهانة تخالف النبوّات ؛ بخلاف الشعر[١] .

وما توهموا[٢] أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو[٢] ؛ لأن السجع [من الكلام][٣] يتّبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدّى السجع ؛ وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى[٤] السجع من القرآن ؛ لأنّ اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى . وفرْق[٥] بين أن ينتظم الكلامُ فى نفسه بألفاظه التى تؤدّى المعنى المقصود فيه ، و بين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ؛ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى انتظم[٦] المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلَبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى . قال : و[أما][٧] ما ذكروه فى تقديم موسى على هارون فى موضعٍ وتأخيره عنه فى موضعٍ لأجل[٨] السَّجْع ، ولتساوى مقاطع الكلام فمردود[٩] ، بل الفائدة فيه إعادةُ القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفة تؤدِّى معنًى واحداً[١٠] ، وذلك من الأمر الصّعب الذى تَظهر فيه الفصاحة ، وتقوى البلاغة ، ولهذا أعيدت كثير من القصص [فى مواضع كثيرة مختلفة][٧] على ترتيباتٍ متفاوتة ؛ تنبيهاً[١١] بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله ، مبتَدَأً به ومكرراً .

---

(١) الإعجاز : « وليس كذلك الشعر » .

(٢ ـ ٢) الإعجاز : « والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا ؛ لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض » .

(٣) من إعجاز القرآن. (٤) الإعجاز : « فى تقدير السجع » .

(٥) الإعجاز : « وفصل » . (٦) كذا فى الإعجاز وفى الأصول : « ارتبط » .

(٧) تكملة من كتاب إعجاز القرآن.

(٨) الإعجاز : « لمكان »

(٩) الإعجاز : « فليس بصحيح » .

(١٠) ت : « إلى معنى واحد » . (١١) الإعجاز : « ونبهوا بذلك » .

ولو أمكنهم[١] المعارضةُ لقصدوا تلك القصة وعبّروا عنها بألفاظ لهم تؤدى إلى تلك المعانى ونحوها [وجعلوها بإزاء ماجاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه و إلى مساواته فيما حُكى وجاء به . وكيف وقد قال لهم : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٣]] فعلى هـذا يكون المقصدُ ـ بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرِها ـ إظهارَ الإعجاز [على الطريقين جميعا][٢] دون السجع [الذى توهموه][٢] .

إلى أن قال : « فبان [بما قلنا][٢] أن الحروف الواقعة[٤] فى الفواصل مناسبة موقع النَّظائر التى تقع فى الأسجاع ، لا يُخرجها عن حدها ، ولا يدخلها فى باب السجع . وقد بيّنّا أنهم يذمّون كل سجعٍ خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض مصاريعهِ كلمتين ، و بعضها يبلغ[٥] كلمات ، ولا يَرَوْن ذلك فصاحة ، بل يَرَوْنَه عَجْزاً ، [٦] فلو فهموا اشتمال القرآن على السّجع[٦] لقالوا : نحن نعارضُه بسجعٍ معتدلٍ ، فنزيدُ فى الفصاحة على طريق القرآن ، [ونتجاوز حدّهُ فى البراعة والحسن][٧] . انتهى ما ذكره القاضى والرمانىّ .

ردّ عليهما الخفاجىُّ[٨] فى كتاب "سر الفصاحة" فقال : «[٩] وأما قول الرمانىّ إن السَّجْع عَيْب ، والفواصل [على الإطلاق][١٠] بلاغة فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة ، والفواصل مثله . و إن أراد[١١] به ما تقع المعانى تابعةً له ، وهو مقصود متكلَّف ، فذلك عيب ، والفواصل مِثلُه » .

---

(١) الإعجاز : « ولو كان فيهم » .
(٢) ما بين العلامتين تكملة من كتاب إعجاز القرآن .
(٣) سورة الطور ٣٤ . (٤) الإعجاز : « التى وقعت » .
(٥) الإعجاز : « يبلغ أربع كلمات » .
(٦ ـ ٦) الإعجاز : « فلو رأوا أن ماتلى عليهم من القرآن سجعا » ..
(٧) من إعجاز القرآن .
(٨) هو الأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الأديب الشاعر . توفى سنة ٤٦٦ . (وانظر ترجمته فى فوات الوفيات ١ : ٤٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٦) .
(٩) سر الفصاحة ١٦٦ وما بعدها (١٠) من سر الفصاحة.
(١١) سر الفصاحة : « وإن كان يريد بالسجع ... » .

قال : « وأظن أنَّ الذى دعاهم(١) إلى تسمية كلٍّ ما فى القرآن فواصل ، ولم يسمُّوا ما تماثلت حروفُه سَجْعاً رغبتُهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المرويِّ عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ما قلناه(٢) » .

ثم قال : « (٣)والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل(٣) .

فإن قيل(٤) : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلّا ورد القرآن كلُّه مسجوعا ! وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعا و بعضه غير مسجوع ؟ قلنا(٥) : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان(٦) الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا(٦) لما فيه من أمارات التكلّف والاستكراه والتصنُّع ، لا سيما فيما يطُول من الكلام ، فلم يَرِدْ كلُّه مسجوعاً جَرْياً منه على عُرْفهم فى اللطيفة(٧) العَالية من كلامهم ، ولم يخلُ من السجع ؛ لأنه يحسُن فى بعض الكلام على الصّفة السابقة(٨) ، [وعليها ورد فى فصيح كلامهم ، فلم يجز أن يكون عالياً فى الفصاحة وقد أخل فيه بشرط من شروطها](٩) . فهذا هو السبب فى ورود بعضه كذلك و بعضه بخلافه » .

وخصت فواصلُ الشِّعر باسم القوافى لأنّ الشاعر يَقْفُوها أى يتبعها فى شعره ، لا يخرج عنها ، وهى فى الحقيقة فاصلة ، لأنها تفصل آخر الكلام ، فالقافية أخصُّ فى الاصطلاح ، إذ كلُّ قافية فاصلة ، ولا عكس .

ويمتنع استعمال القافية فى كلام الله تعالى ، لأن الشرع لما سَلَب عنه اسم الشِّعر وجَبَ

---

(١) سر الفصاحة : « دعا أصحابنا » . (٢) سر الفصاحة : « وأما الحقيقة فما ذكرناه » .

(٣ ــ ٣) لم ترد هذه العبارة فى النسخة التى بين أيدينا من كتاب سر الفصاحة .

(٤) سر الفصاحة : « فإن قال قائل » . (٥) سر الفصاحة : « قيل » .

(٦ ــ ٦) سر الفصاحة : « وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعا » .

(٧) سر الفصاحة : « الطبقة » .

(٨) سر الفصاحة : « على الصفة التى قدمناها » (٩) من سر الفصاحة .

سلبُ القافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصةً به فى الاصطلاح . وكما يمتنع استعمال القافية فى فى القرآن ، لا تطلق الفاصلة فى الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تتعداه .

قيل : وقد يقع فى القرآن الإيطاء[1] ، وهو ليس بقبيح فيه ، إنما يقبح فى الشِّعر ، كقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] . ثم قال فى آخرين : ﴿لو كانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2] ، ثلاث فواصل متوالية « يعلمون » يعلمون ، [يعلمون] ، فهذا لا يقبح فى القرآن قولا واحداً .

قيل : ويقع فيه التضمين[3] ، وليس بقبيح ، إنما يقبح فى الشعر ، ومنه سورتا الفيل وقريش ، فإنّ اللام فى ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[4] قيل : إنها متعلقةٌ بـ ﴿جَعَلَهُمْ﴾[5] فى آخر الفيل .

وحكى حازم[6] فى " منهاج البلغاء " خلافا غريبا فقال : وللناس فى الكلام المنثور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقاربُ فى الكميّة ، وتتناسبُ مقاطعُها على ضرب منها ، أو بالنُّقْلة من ضَرْبٍ واقع فى ضربين أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، فى كلِّ ضرب

---

(١) الإيطاء فى الشعر أن يقفى بكلمة ، ثم يقفى بها فى بيت آخر ، كتكرار كلمة « لينا » فى قول ابن مقبل :

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تداولَهُ   أيدى التّجار فزادُوا مَتْنَه لِيناَ

ثم قال فى موضع آخر :

نَازَع أَلْبَابَها لُبِّى بمُعْتَصِرٍ   مِن الأحاديث حتى زِدْنَنى لِيناَ

(٢) سورة البقرة ١٠١ — ١٠٣ وانظر الموشح للمرزبانى ١٥

(٣) التضمين فى الشعر هو بيت يبنى على كلام يكون معناه فى بيت يتلوه من بعده مقتضيا له ؛ كقول القائل :

وسعدٌ فسائلهم والرِّباب   وسائل هوازنَ عنَّا إذا ماَ

لَقيناهم كيفَ نَعلوهم   بواترَ يفرين بيضاً وهاماَ

وانظر (الموشح ٢٥)

(٤) سورة قريش ١   (٥) سورة الفيل ٥

(٦) هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى ، الأنصارى القرطبى ، شيخ البلاغة والأدب ، وأوحد زمنه فى النظم والنثر والنحو واللغة والعروض والبيان ، توفى سنة ٦٨٤ (بغية الوعاة ٢١٤)

ضربٌ منها أو يزيد على الازدواج ، ومن جهة ما يكون غير مقطع، إلى مقادير بقصد تناسب أطرافها ، وتقارب ماينها فى كمّيّة الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة فى الطول والقصر لما فيه من التكلّف ، إلا ما يقع به الإلمام فى النادر من الكلام .

والثانى أنّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام فى قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكِيدٌ جدا .

والثالث — وهو الوسط — أن السَّجْع لما كان زينةً للكلام ، فقد يدعو إلى التكلّف ، فرئى ألاّ يستعمل فى جملة الكلام ، وأن لا يُخْلَى الكلام بالجملة منه أيضا ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبَه عفوا ، بخلاف التكلّف ، وهذا رأيُ أبى الفرج قُدامة[1] .

قال حازم : وكيف يعاب السَّجع على الإطلاق ! وإنما نَزَل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصلُ فيه بإزاء ورود الأسجاع فى كلام العرب ، وإنما لم يجىء على أسلوبٍ واحد ، لأنه لا يحسُن فى الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمطٍ واحد ، لما فيه من التكلف ، ولما فى الطبع من المَلَل عليه . ولأنّ الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضربٍ واحد ، فلهذا وردتْ بعضُ آى القرآن متماثلَة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

[إيقاع المناسَبة فى مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسَبة فى مقاطع الفواصل حيث تطّرد متأكِّدٌ جدا ، ومؤثر فى اعتدال نَسَق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نَظْم الكلام لأجلها فى مواضع :

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر ، ذكر ابن الجوزى أنه توفى سنة ٣٣٧ (وانظر ترجمته فى معجم الأدباء ١٧ : ١٢) .

أحدها زيادة حرفٍ لأجلها ، ولهـذا ألحقت الألف بـ « الظنونَ » فى قوله تعالى : ﴿ وتظنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا ﴾ [(١)] ، لأن مقاطعَ فواصِل هذه السورة ألِفاتٌ منقلِبة عن تنوين فى الوقف ، فزيد على النون ألفٌ لتساوِى المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل ، ومثله : ﴿ فأَضَلُّونا السَّبيلاَ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وأطَعنَا الرسُولا ﴾ [(٣)] .

وأنـكر بعض المغَاربة ذلك وقال : لم تُزَد الألفُ لتناسُب رءوس الآى كما قال قوم ، لأن فى سورة الأحزاب : ﴿ واللهُ يقول الحقَّ وهوَ يهدِى السبيل ﴾ [(٤)] وفيها : ﴿ فأَضَلُّونَا السَّبيلاَ ﴾ [(٢)] ، وكلّ واحد منها رأسُ آية ، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك فى الثانى دون الأوّل ، فلو كان لتناسُب رءوس الآى لثبت من الجميع .

قال : وإنما زيدتْ الألف فى مثل ذلك لبيان القِسمين ، واستواء الظاهِر والباطن بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك . وكذلك لحاق هاء السكت فى قوله : ﴿ ماهِيَهْ ﴾ [(٥)] فى سورة القارعة ، هذه الهاء عدلتْ مقاطعَ الفواصل فى هذه السورة ، وكان للحاقها فى هذا الموضع تأثيرٌ عظيم فى الفصاحة .

وعلى هذا ــ والله أعلم ــ ينبغى أن يُحمل لَحاق النون فى المواضع التى قد تكلّم فى لحاق النون إياها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وكلٌّ فى فلكٍ يَسْبحونَ ﴾ [(٦)] ، وقوله تعالى : ﴿ كُونوا قِرَدةً خاسئينَ ﴾ [(٧)] فإنّ من مآخذ الفصاحة ومذاهِبها أن يكون ورودُ هذه النون فى مقاطع هذه الأنحاء للآى راجحَ الأصالة فى الفصاحة ، لتكون فواصلُ السُّوَر الوارد فيها ذلك قد استوثق فيما قبل حروفها المتطرفة ، وقوع حرفى المد واللين .

---

(١) سورة الأحزاب ١٠
(٢) سورة الأحزاب ٦٧
(٣) سورة الأحزاب ٦٦
(٤) سورة الأحزاب ٤
(٥) سورة القارعة ١٠
(٦) سورة يس ٤٠
(٧) سورة البقرة ٦٥.

وقوله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[1] وهو طورُ سَيْنَاء ؛ لقوله : ﴿ وشَجرةً تخرُجَ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ لعلِّي أرْجِعُ إلى الناسِ لعلهمْ يعلمونَ﴾[3] كرر «لعلَّ» مراعاة لفواصل الآى ، إذ لو جاء على الأصل لقال : لعلِّي أرجعُ إلى الناس فيعلمُوا ؛ بحذف النون على الجواب .

الثـانى حذف همزةٍ أو حرفٍ اطراداً ؛ كقوله تعالى : ﴿ والليْلِ إذا يَسْرِ ﴾[4] .

الثالث الجمع بين المجرورات ؛ و بذلك يُجاب عن سؤال فى قوله تعالى : ﴿ ثم لَا تجدُوا لَـكُمْ علينا بِهِ تبيعاً ﴾[5] فإنه قد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة ، وهى اللام فى ﴿ لـكُمْ ﴾ والباء فى ﴿ بِهِ ﴾ و « على » فى ﴿ عَلينَا ﴾ وكان الأحسن الفصل .

وجوابه أنَّ تأخر ﴿ تبيعا ﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط ، وكذلك الآيات التى تتصل بقوله : ﴿ ثمَّ لا تجدُوا لـكُم علينَا بِهِ تَبيعاً ﴾ ، فإن فواصلها كلها منصوبة منوَّنة ، فلم يكن بدٌّ من تأخير قوله : ﴿ تبيعاً ﴾ لتكون نهاية هـذه الآية مناسبةً لنهايات ماقبلها حتى تتناسق على صورة واحدة .

الرابع تأخير ماأصلُه أن يقدَّم ، كقوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فى نفسهِ خِيفةً موسى ﴾[6] ، لأن أصلَ الكلام أن يتصل الفعلُ بفاعله ويؤخرَ المفعول ، لـكن أخّر الفاعل ، وهو « موسى » لأجل رعاية الفاصلة .

قلت : للتأخير حكمةٌ أخرى ، وهى أن النفس تتشوق لفاعل ﴿ أوجَسَ ﴾ ، فإذا جاء بعد أن أُخِّر وقعَ بموقع .

---

(١) سورة التين ٢ (٢) سورة « المؤمنون » ٢٠ (٣) سورة يوسف ٤٦
(٤) سورة الفجر ٤ (٥) سورة الإسراء ٦٩ . (٦) سورة طه ٦٧

وكقوله تعالى : ﴿ ولَوْلَا كلمةٌ سبقت منْ رَبِّك لـكانَ لِزَاماً وأجلٌ مُسَمًّى ﴾[١]
فإن قوله : ﴿ وأجلٌ مُسمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كلمة ﴾ ولهذا رفع . والمعنى : ﴿ ولَوْلَا كلمةٌ سبقتْ منْ رَبكَ ﴾ فى التأخير ﴿ وأجلٌ مسمىً ﴾ لـكان العذاب لزاما . لـكنَّه قدم وأخر لتشتبك رءوسُ الآى . قاله ابن عطية .

وجوز الزمخشريّ عطفَه على الضمير فى ﴿ لـكانَ ﴾ ،أى لـكان الأجل العاجلُ وأجل مسمى لازمَيْن له كما كانا لازمين لعادٍ وثمودَ ، ولم ينفرد الأجل المسمىّ دون الأجل العاجل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولقدْ جاَء آلَ فرْعونَ النذُرُ ﴾[٢] ،فأخر الفاعل لأجل الفاصلة .
وقوله : ﴿ ومما رزَقناَهمْ ينْفقون ﴾[٣] أخّر الفعلَ عن المفعول فيها وقدمه فيما قبلها فى قوله : ﴿ يُؤمنونَ بالغيبِ ويُقيمُونَ الصلاة ﴾[٤] لتوافق [رءوس][٥] الآى . قاله أبو البقاء ، وهو أجودُ من قول الزمخشريّ : قدّم المفعول للاختصاص .

ومنه تأخير الاستعانة عن العبادة فى قوله تعالى : ﴿ إيَّاكَ نعبُدُ و إيَّاكَ نستعِينُ ﴾[٥] وهى قبل العبادة ، وإنما أخرت لأجل فواصل السورة فى أحد الأجوبة .

الخامس إفراد ماأصله أن يجمع كقوله تعالى : ﴿ إنّ المتقينَ فِي جنّاتٍ ونَهَرٍ ﴾[٦] قال الفراء[٧] : الأصل « الأنهار » ؛ وإنمـا وُحـد لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس

---

(١) سورة طه ١٢٩
(٢) سورة القمر ٤١ (٣) سورة البقرة ٣
(٤) تكملة من كتاب ״ املاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن״ لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى . توفى سنة ٦١٦ . (وانظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢٨١) .
(٥) سورة الفاتحة ٥ (٦) سورة القمر ٥٤
(٨) هو يحيى بن زياد الفراء ؛ إمام الكوفة فى النحو واللغة وصاحب كتاب معانى القرآن . توفى سنة ٢٠٧ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ٢ : ٢٢٨)

الآى . ويقال النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب[١] .

وقوله : ﴿ وما كُنْتُ متَّخذَ المُضِلِّينَ عَضُداً ﴾[٢] قال ابن سيده[٣] فى المحكم : أى أعضاداً ، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآى بالإفراد . والعضُد : المعين[٤] .

السادس جمع ماأصلُه أن يفرد ، كقوله تعالى : ﴿ لا بيعٌ فيهِ ولَا خِلالٌ ﴾[٥] فإن المراد « ولا خُلَّة » بدليل الآية الأخرى ، لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآى .

السابع تثنية ماأصلُه أن يُفرد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مقَام رَبِّهِ جَنتَانِ ﴾[٦] .

قال الفراء : هذا باب مذهب العرب فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله : « دِيار لها بالرقمتين »[٧] وقوله : « بطن المكتين »[٨] وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأنِ لها وجهين ، وأنك إذا أوصلتها ونظرت إليها يميناً وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينَك قرة ، وصدرك مسرة » .

---

(١) العبارة فى كتاب معانى القرآن : « وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ معناه أنهار ؛ وهو فى مذهبه كقوله : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، وزعم الكسائى أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلانا، فكنا فى لحمه ونبيذه، فوحد؛ ومعناه الكثير . ويقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ، فى ضياء وسعة » .

(٢) سورة الكهف ٥١ .

(٣) هو على بن إسماعيل أبو الحسن الضرير ، المعروف بابن سيده ، العالم الأندلسى ، صاحب المحكم والمخصص . توفى سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥)

(٤) اللسان (عضد)

(٥) سورة إبراهيم ٣١

(٦) سورة الرحمن ٤٦

(٧) قطعة من بيت زهير ؛ والبيت بتمامه :

دِيارٌ لهَا بالرَّقمتيْن كأنَّها ... مراجيعُ وشمٍ فى نواشِرِ معصَمِ

(٨) البيت بتمامه فى أمالى المرتضى ٢ ، ١٤٨ :

فقولَا لأهلِ المكّتين تحاشَدُوا ... وسِيرُوا إلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخلِ

قال : وإنما ثنّاهما هنا لأجل الفاصلة ؛ رعايةً للتى قبلها والتى بعدها على هذا الوزن . والقوا فى تحتملُ فى الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الـكلام .

وأنـكر ذلك ابنُ قتيبة [1] عليه وأغلظ وقال : إنما يجوز فى رءوس الآى زيادةُ هاء السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أنْ يكون الله وَعَد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذَوَاتا أفْنانٍ ﴾ [2] ، ثم قال فيها : ﴿ فيهمَا ﴾ [3] . ولو أن قائلا قال فى خزنة النار : إنهم عشرون ، و إنما جعلهم الله تسعةَ عشرَ لرأس الآية، [4] ما كان هذا القول إلا كقول الفراء .

قلت : وكأنّ الملجِىءُ للفرّاء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مقام رَبِّه ونهَى النفسَ عن الهوَى. فإنَّ الجنةَ هى المأْوَى ﴾ [5]، وعكس ذلك قوله تعالى: ﴿فلا يُخرِجَنَّـكُمَا من الجنةِ فتَشْقَى﴾ [6] ؛ على أنّ هذا قابلٌ للتأويل؛ فإن الألف واللام للعموم ، خصوصا أنه يرد على الفراء قوله : ﴿ ذَوَاتا أَفْنَانٍ ﴾ [2] .

الثامن : تأنيثُ ما أصله أن يذكّر ، كقوله تعالى : ﴿ كلاَّ إنهُ تذْكِرةٌ ﴾ [7] ؛ و إنما عدل إليها للفاصلة .

التاسع كقوله : ﴿ سبِّح اسمَ ربكَ الأَعْلى ﴾ [8] ، وقال فى العلق : ﴿ أقرأْ باسمِ

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ؛ صاحب عيون الأخبار ومشكل القرآن وغيرها . توفى سنة ٢٧٠ . (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢ : ١٤٣)

(٢) سورة الرحمن ٤٨

(٣) سورة الرحمن ٥٠ ، والآية بتمامها : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المدثر ٢٧ ـ ٣٠ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

(٥) سورة النازعات ٤٠ ، ٤١ (٦) سورة طه ١١٧

(٧) سورة المدثر ٥٤ (٨) سورة الأعلى ١

ربكَ الَّذى خلقَ ﴾ [١] ، فزاد فى الأولى ﴿ الأَعْلى ﴾ ، وزاد فى الثانية : ﴿ خلق ﴾ ، مراعاةً للفواصل فى السورتين ، وهى فى « سبِّح » ﴿ الَّذى خلقَ فسوَّى ﴾ [٢] وفى « العلق » ﴿ خلقَ الإنسانَ منْ عَلَقٍ ﴾ [٣] .

العاشر : صرف ما أصلُه ألاَّ ينصرفَ ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَوارِيرا . قواريرا ﴾ [٤] صرف الأول لأنّه آخر الآية ، وآخر الثانى بالألف ، فَحَسُن جعلُه مُنَوَّنًا ليُقلب تنوينه ألفًا، فيتناسب مع بقية الآى، كقوله تعالى : ﴿ سلاَسِلاً وأغْلالاً ﴾ [٥] فإن ﴿ سلاسلا ﴾ لما نظم إلى ﴿أغلالا وسعيرا ﴾ [٦] صُرِف ونُوِّن للتناسب ،و بقيَ « قواريرا » الثانى؛فإنه و إن لم يكن آخر الآية جاز صرفُه ، لأنه لما نوّن « قواريرا » الأوّل ناسَب ، أن ينوّن « قواريرا » الثانى ليتناسبَا ، ولأجل هذا لم ينوِّن « قواريرا » الثـانى إلّا مَنْ ينوِّن « قواريرا » الأوّل .

وزعم إمام الحَرَمَيْن فى ” البرهان “ أنّ من ذلك صَرْفَ ما كان جمعـا فى القرآن ليناسب رءوس الآى ؛ كقوله تعالى : ﴿ سلاسلاً وأغلالاً ﴾ .

وهذا مردود ، لأن «سلاسلا» ليس رأس آية، ولا « قواريرا » الثانى ، وإنّما صُرِف للتناسب ، واجتماعِه مع غيره من المنصرفات ، فيردّ إلى الأصل ليتناسب معها .

ونظيرُه فى مراعاة المناسبة أنّ الأفصح أن يقال : « بدأ » ثلاثىّ؛ قال الله تعالى : ﴿ كمَا بَدأ كم تعودُونَ ﴾ [٧]. وقال تعـالى : ﴿ كَيفَ بَدأَ الخَلْقَ ﴾ [٨] ثم قال : ﴿ أوَ لم يَروْا كَيفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلقَ ثمَّ يُعِيدُه ﴾ [٩] ، فجاء به رُباعيّا فَصِيحًا لما حسّنه من التناسُب بغيره وهو قوله : ﴿ يُعِيدُهُ ﴾ .

---

(١) سورة العلق ١ (٢) سورة الأعلى ٢
(٣) سورة العلق ٢ (٤) سورة الإنسان ١٥ ، ١٦
(٥) هى قراءة نافع وأبو بكر والكسائى وأبو جعفر، (وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٩) .
(٦) سورة الإنسان ٤ (٧) سورة الأعراف ٢٩
(٨) سورة العنكبوت ٢٠ (٩) سورة العنكبوت ١٩

الحادى عشر : إمالةُ ماأصلُه ألَّا يُمال؛ كإمالة ألف ﴿والضحى. والليل إذا سَجى﴾[1]، ليشاكل التلفظَ بهما التلفّظُ بما بعدهما .

والإمالة أن تنحوَ بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلىّ منها هو التناسُب ، وعبّر عنه بعضُهم بقوله : الإمالة للإمالة . وقد يمال لكونها آخر مُجاوِر ما أميل آخره ؛ كألف« تلا» فى قوله تعالى: ﴿ والقمرِ إذا تلَاهَا ﴾[2]، فأميلت ألف ﴿ تلاهاَ ﴾ ليشاكل اللفظُ بها اللفظَ الذى بعدها ، مِمّا ألفه غيرُ ياء ؛ نحو ﴿ جلاّها ﴾ ، و ﴿غشّاها ﴾ .

فإن قيل : هلّا جعِلت إمالة ﴿تَلاها﴾ لمناسَبة ماقبلها ، أعْنى ﴿ضُحاها﴾ ؟ قيل : لأن ألف ﴿ ضُحاهاَ ﴾ عن واو ، وإنما أُميل لمناسبة مابعده .

الثانى عشر : العدولُ عن صيغة المضىّ إلى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ ففرِيقاً كَذَّبتُمْ وفريقاً تَقْتُلُون ﴾[3] ؛ حيث لم يقل « وفريقاً قتلتم » كما سوّى بينهما فى سورة الأحزاب فقال : ﴿ فرِيقاً تقتلُونَ وتأْسِرُون فريقاً﴾[4] ؛ وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .

---

(١) سورة الضحى ١ ، ٢
(٢) الشمس ٢
(٣) سورة البقرة ٨٧
(٤) سورة الأحزاب ٢٦

تفريعات

[ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين]

ثم هنا تفريعات :

الأول : قد كثر فى القرآن الكريم ختمُ كلمةِ المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللين وإلحاق النون ؛ وحكمتُه وجودُ التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : « أما [1] إذا ترنّموا فإنهم يُلحقون الألفَ والواو والياء ؛ [ما ينوّن وما لا ينوّن] [2] ؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت [3] .

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٨–٢٩٩ ، باب وجوه القوافى فى الإنشاد .

(٢) تكملة من الكتاب .

(٣) بقية الكلام كما فى الكتاب : « وذلك قوله :

* قِفا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ *

وقال فى النصب ليزيد بن الطثرية :

فَبِتْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنّا كأَنَّنَا ... قتيلان لم يعلم لنا الناسُ مصرعَا

وقال فى الرفع للأعشى :

* هُريرةَ وَدِّعْها وإنْ لامَ لائمُو *

هذا ما ينون فيه . وما لم ينون فيه قولهم ، لجرير :

* أقِلِّى اللَّومَ عاذلَ والعِتاباَ *

وقال فى الرفع لجرير :

متى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ ... سُقيتِ الغيثَ أيتُها الخيامُو !

وقال فى الجر لجرير أيضاً :

أيْهاتَ منزلُنا بنَعْفِ سُوَيْقَةٍ ... كانت مباركةً من الأيامى

وإنما ألحقوا هذه المدة فى حروف الروى ، لأن الشعر وضع للغناء والترنم ، فألحقوا كل حرف الذى حركته منه »

(١) وإذا أنشدوا ولم يترنموا :فأهلُ الحجاز يَدعون القوافى على حالها فى الترنّم ؛ وناسٌ من بنى تميم يبدلون مكان المدّة النون »(١) . انتهى .

وجاء القرآن على أعذب مقطع ، وأسهل موقف .

[مبنى الفواصل على الوقف]

الثانى : إن مبنى الفواصل على الوقف؛ ولهذا شاع مقابلةُ المرفوع بالمجرور و بالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنوّن ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خلقْنَاهُمْ مِنْ طين

(١ — ١) النص كما فى الكتاب : « فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه : أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافى — ما نون منها ومالم ينون — على حالها فى الترنم، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذى لم يوضع للغناء . وأما ناس كثير من بنى تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون؛ ومالم ينون لما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونا ولفظوا بتمام البناء وما هو منه . كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد ؛ سمعناهم يقولون :

* ياأبتا عَلَّكَ أوعَسَاكَنْ *

وللعجّاج :

* ياصاح ماهاجَ العيون الذُّرَّفَنْ *

وقال العجاج :

* مِنْ طللٍ كالأتحمىّ أنهجَنْ *

وكذلك الجر والرفع، والمكسور والمفتوح والمضموم فى جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع . وأما الثالث فأن يجروا القوافى مجراها لو كانت فى الكلام ولم تكن قوافى شعر ؛ جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا ، وتركوا المدة لعلمهم أنها فى أصل البناء ؛ سمعناهم يقولون لجرير :

* أقلّى اللّومَ عاذِلَ والعتابْ *

وللأخطل :

* وأسألْ بمصقلةَ البكرىّ مافعَلْ *

وكان هذا أخف عليهم . ويقولون :

* قَدْ رابنِى حَفْصٌ فحرِّكْ حَفْصَا *

يثبتون الألف لأنها كذلك فى الكلام » .

لازبٍ ﴾[١] ؛ مع تقدم قوله : ﴿ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾[٢] ، و ﴿ شهابٌ ثاقبٌ ﴾[٣] . وكذا ﴿ بماء مُنْهمرٍ ﴾[٤] ، و ﴿ قدْ قُدِرَ ﴾[٥] . وكذا : ﴿ وما لَهُمْ مِنْ دُونهِ منْ والٍ ﴾[٦] مع ﴿ ويُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾[٧] ..

وعبارة السكاكىّ[٨] قد تعطى اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة فى الإعراب لما قبله ؛ على تقدير عدم الوقوف عليه ؛ كما يشترط ذلك فى الشعر . وبه صرح ابن الخشاب[٩] معترضاً على قول الحريرى[١٠] فى المقامة التاسعة والعشرين :

ياصـــارفاً عنّى المـــودّة والزمانُ له صُرُوفْ
ومعنِّفِي فى فَضْحِ مَنْ جاوزْتُ تعنيف العسوفْ[١١]
لا تَلْحَنِي فيما أَتَيْـــتُ فإنَّنِي بهمُ عروفْ
ولقد نزلتُ بهم فلمْ أرَهُمْ يراعونَ الضيوفْ
وبلوتُهُمْ فوجـدتُهُمْ لمّا سبكتُهُمُو زيوفْ

ألا ترى أنها إذا أطلِقتْ ظهر الأول والثالث مرفوعيْن ، والرابع والخامس منصوبين،

---

(١) سورة الصافات ١١
(٢) سورة الصافات ٩
(٣) سورة الصافات ١٠
(٤) سورة القمر ١١
(٥) سورة القمر ١٢
(٦) سورة الرعد ١١
(٧) سورة الرعد ١٢

(٨) هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد الخوارزمى المعروف بالسكاكى ، صاحب كتاب مفتاح العلوم، توفى سنة ٦٢٥ (بغية الوعاة ٤٢٥).

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ؛ النحوى البغدادى ؛ وله رسالة نقد فيها مقامات الحريرى ورد عليه ابن برى ؛ طبعت كلتاهما فى ذيل المقامات، توفى سنة ٥٦٧ (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢ : ٩٩).

(١٠) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى ، صاحب المقامات ، وأحد أئمة الأدب واللغة والنحو فى عصره ، توفى سنة ٥١٦ . (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٣ : ٢٣) .

(١١) العسوف : الآخذ بقوة .

والثانى مجرورا ، وكذا باقى القصيدة [١] .

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق ؛ ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفا عليها ؛ لأن الغرض المجانسة [٢] بين القرائن والمزاوجة ؛ ولا يتمّ ذلك إلا بالوقف [٣] ، ولو وصلتَ لم يكن بدٌّ من إجراء كلٍّ القرائن على مايقتضيه حكمُ الإعراب فعطَّلْتَ عمل الساجع وفوّتَّ غرضَهم .

وإذا رأيتَهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها لغرضِ الازدواج ؛ فيقولون : « آتيك بالغدايا والعشايا [٤] » مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم فى ذلك !

---

(١) قال ابن برى فى رده : « الذى ذكره ابن الحريرى صحيح ؛ ولا يلزم أن يكون إعراب المقيد كاعرابه لو أطلق ؛ ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

إذا ذقت فاهاَ قلتُ طعم مُدَامةٍ ... معتّقَةٍ مّما تجيء به التُّجُرْ

ثم قال بعده : « جاءت بريح من القطر » فالقطرفى موضع خفض ، والتجر فى موضع رفع ، وقال طرفة :

* ومن الحبّ جنونٌ مُسْتَعِرْ *

ثم قال :

* ليس هذا منك مأوى بحرّ *

فستعر فى موضع رفع ، و « حر » فى موضع خفض ، وقال الأعشى :

أتنكِر غانيةٌ أم تَلُمْ ... أم الحَبلُ واهٍ بها منجذم

فمنجذم فى موضع رفع ، ثم قال بعده :

ونظرةُ عين على غرّةٍ ... محلّ الخليط بصحراء زمّْ

فزم فى موضع جر ؛ وهى اسم بئر ؛ وهذا النحو كثير جدا فى شعر العرب » . (وانظر ص ٢٤ من رسالة نقد ابن الخشاب ، ورد ابن برى عليها فى ذيل المقامات) .

(٢) م : « المجاوزة » .

(٣) م : « الوقوف » .

(٤) قال الليث : « الغدو : جمع ، مثل الغدوات والغدى . وقالوا : إنى لا آتيه بالغدايا والعشايا ، والغداة لا تجمع على الغدايا ؛ ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا ؛ فإذا أفردوه لم يكسروه . وانظر اللسان — غدا .

[المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتئامه]

الثالث : ذكر الزمخشرىّ فى كشافه القديم أنّه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعانى على سَدادها، على النهج الذى يقتضيه حسنُ النظم والتئامه . كما لا يحسن تخيّر الألفاظ المونِقة فى السمع ، السّلِسة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها منقادةً للمعانى الصحيحة المنتظمة ؛ فأماأن تُهمَل المعانى،ويُهْتَمّ بتحسين اللفظ وحده ، غيرمنظورفيه إلى مؤاده على بال ، فليس من البلاغة فى فَتيل أو نَقير . ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقنونَ ﴾[1] وقوله : ﴿ ومما رزقناهُمْ ينفقونَ ﴾[2] لا يُتأتى فيه تركُ رعاية التناسب فى العطف بين الجمل الفعْليـة إيثاراً للفاصلة ــ لأن ذلك أمرٌ لفظىٌّ لاطائل تحته ــ وإنما عُدِل إلى هـذا لقصد الاختصاص .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب فى الحروف]

الرابع : أن الفواصَل تنقسم إلى ماتماثلتْ حروفُه فى المقاطع ــ وهذا يكون فى السَّجْع ــ وإلى ماتقاربت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل ؛ وهذا لا يكون سجعا . ولا يخلو كلٌّ واحد من هذين القسمين[3] : ــ أعنى المتماثل والمتقارب ــ من أن يأتى طوعا سهلا تابعا للمعانى ، أو متكلّفا يتبعه المعنى .

فالقسم الأول هو المحمود الدالّ على الثقافة وحسن البيان ، والثانى هو المذموم . فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوّه فى الفصاحة .

وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة .

---

(١) سورة البقرة ٤ (٢) سورة البقرة ٣

(٣) ت ، م : « المذهبين » .

مثال المماثلة قوله تعالى : ﴿ والطُّورِ . وكتابٍ مَسْطورٍ . فى رَقٍّ منشور . والبَيْتِ المَعْمور . والسَّقْفِ المرفوعِ ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ طهَ . ما أنزلنا عليكَ القُرآنَ لِتَشْقَى . إلّا تَذْكِرَةً لمنْ يَخْشَى . تنزيلاً ممَّنْ خلَقَ الأرْضَ والسمواتِ العُلَى . الرَّحمنُ على العَرشِ استوى ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ والعادياتِ ضَبْحاً . فالمُورياتِ قَدْحاً . فالمُغيراتِ صُبْحاً . فأثَرْنَ به نَقْعاً . فوَسَطْنَ به جمعاً ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ والفجرِ . ولَيالٍ عَشْرٍ . والشَّفْعِ والوتْرِ . واللَّيلِ إذا يَسْرِ... ﴾[٤] . إلى آخره . وحذفت الياء من ﴿ يَسْرِ ﴾ طلباً للموافقة فى الفواصل .

وقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبتِ الساعَةُ وانشقَّ القمرُ ﴾[٥] ؛ وجميعُ هذه السورة على الازدواج .

وقوله تعالى : ﴿ فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ . الجوارِى الكُنَّسِ . والليلِ إذا عَسْعَس . والصُّبْحِ إذا تَنَفَّس ﴾[٦] .

---

(١) سورة الطور ١ ــ ٥ . طور سينين : جبل بمدين ، سمع فيه موسى كلام الله . مسطور : مكتوب . والرق المنشور : ما يكتب عليه . والبيت المعمور : الكعبة ، والسقف المرفوع هنا : السماء .

(٢) سورة طه ١ ــ ٥

(٣) سورة العاديات ١ ــ ٥ . العاديات : الخيل التى تجرى . والضبح : صوت أنفاسها عند الجرى . الموريات : من الإيراء ؛ وهو إخراج النار بنحو الزناد . والقدح : الضرب لإخراج النار . والمغيرات: الخيل التى تغير على العدو . والنقع : الغبار . ووسطن : توسطن .

(٤) سورة الفجر ١ ــ ٤ .

(٥) سورة القمر ١ .

(٦) سورة التكوير ١٥ ــ ١٨ . الخنس الجوارى الكنس : قيل هى الدرارى الخمسة ؛ وهى عطارد ، والزهرة والمريخ ، والمشترى ، وزحل ؛ وذلك لأنها تجرى مع الشمس ؛ ثم ترى راجعة حتى تختفى فى ضوء الشمس ؛ فرجوعها فى رأى العين هو خنوسها ، واختفاؤها هو كنوسها . وعسعس الليل : أدبر .

وقوله تعالى : ﴿ فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ . والليل وما وَسَقَ . والقَمر إذا اتَّسَقَ . لتركَبُنَّ طَبَقاً عن طبَقٍ ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ فأمَّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ . وأمَّا السَّائِلَ فلا تَنهرْ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ أمَرْنا مُتْرَفيها ، فَفَسَقُوا فيها ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجْنُون . وإنَّ لكَ لأجراً غيرَ مَمْنُونٍ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا هُم مُبْصِرُونَ . وإخوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فى الغَىِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ . وقِيلَ مَنْ راقٍ ... ﴾[٦] الآية

وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والذينَ آمنوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا ، أَوْ لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا ﴾[٧] .

ومثال المتقارب فى الحروف قوله تعالى : ﴿ الرَّحمن الرَّحيم . مالكِ يَوْمِ الدِّين ﴾[٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قٓ . والقرآنِ المجيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ منهم فقال

---

(١) سورة الانشقاق ١٦ ــ ١٩ . الشفق : ما يبقى فى الأفق من الحمرة ؛ وقيل من البياض ، ووسق : ضم وجمع . واتساق القمر : تمامه . ولتركبن طبقا عن طبق ؛ قال الزجاج : لتركبن حالا بعد حال حتى تصيروا إلى الله .

(٢) سورة الضحى ٥ ، ٦

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٤) سورة ن ٣ ، ٤

(٥) سورة الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) سورة القيامة ٢٦ ، ٢٧ . التراقى : جمع ترقوة . والترقوتان : عظمتان تمتدان يميناً وشمالا من ثغرة النحر إلى العاتق . والراق : اسم فاعل ، من رقاه يرقيه ، ؛ إذا أجرى له الرقية .

(٧) سورة الأعراف ٨٨ (٨) سورة الفاتحة ٣ ، ٤

الـكافِرُون هذا شيءٌ عجيبٌ ﴾(١) .

وهذا لا يسمى سجعا قطعا عند القائلين بإطلاق السجع فى القرآن، لأنّ السجع ما تماثلت حروفه .

إذا علمت هذا(٢) ، فاعلم أن فواصل القرآن الـكريم لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر فى المماثلة والمتقاربة ، وبهذا يترجَّحُ مذهب الشافعىّ على مذهب أبى حنيفة فى عدّ الفاتحـة سبعَ آيات مع البسملة ؛ وذلك لأنّ الشافعىّ المثبت لها فى القرآن قال : ﴿ صراط الذين ﴾ ، الخ السورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسْقَطَ البسملة من الفاتحة قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(٣) آية ، و ﴿ غَيْرِ المغضوبِ عَلَيْهِمْ ﴾(٣) آية . ومذهب الشافعىّ أَوْلى ، لأنّ فاصلة قوله : ﴿ صِراطَ الَّذِين أَنْعَمْتَ عليهم﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ، ورعايةُ التشابه فى الفواصل لازم . وقوله : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ ليس من القسمين فامتنع جعلُه من المقاطع ؛ وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات ؛ لـكنّ الخلاف فى كيفية العدد .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازى والمتوازن والمطرف]

الخامس : قسم البديعيون السجع والفواصل أيضا إلى متوازٍ،ومطرّف، [ومتوازن](٤) .

وأشرفها المتوازى ، وهو أن تتفق الـكلمتان فى الوزن وحروف السجع ؛ كقوله تعالى: ﴿ فيهاَ سُرُرٌ مرفوعةٌ . وَأَكوابٌ موْضوعةٌ ﴾(٥) ، وقوله ﴿ والتوراةَ والإنجيلَ . ورسولاً إلى بَنى إسرائيلَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة ق ١ ــ ٢ (٢) ت : « ذلك » .

(٣) سورة الفاتحة ٧ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ؛ وانظر الإتقان (٢ : ١٠٤) .

(٥) سورة الغاشية ١٣ ، ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٤٨ ، ٤٩ .

والمطرّف أن يتفقا فى حروف السجع لا فى الوزن ؛ كقوله تعالى : ﴿ مالَكُم لاَ ترْجون لله وقاراً . وقدْ خلقكم أطْواراً ﴾ (١) .

والمتوازن (٢) أن يُراعى فى مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ﴿ ونَمَارِقُ مصفُوفةٌ . وزرابىُّ مَبْثوثةٌ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وآتيناهُمَا الكتابَ المُسْتَبِينَ . وهدَيناهُمَا الصراطَ المستقيمَ ﴾ (٤) . فلفظ « الكتاب » و « الصراط » متوازنان (٥) . ولفظ « المستبين » و « المستقيم » متوازنان .

وقوله : ﴿ فاصبرْ صبْراً جميلاً . إنهمْ يرَوْنَه بعِيداً . ونراهُ قريباً . يومَ تكُونُ السماءُ كالمُهلِ . وتكُونُ الجبالُ كالعِهْنِ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ كلاَّ إنهَا لَظَى . نزَّاعةً للشَّوى . تدعو مَن أدْبَر وتولَّى . وجمعَ فأوْعَى ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ واللَّيلِ إذا يغشَى . والنهارِ إذا تجلَّى ... ﴾ (٨) إلى آخرها .

وقوله : ﴿ والضُّحَى . والليلِ إذا سَجَى . ما ودَّعَك ربُّكَ وما قَلَى ... ﴾ (٩) إلى آخرها .

وقد تكرر فى سورة « حمعسق » فى قوله : تعالى : ﴿ والذينَ يجادلونَ فى اللهِ منْ بعدِ

---

(١) سورة نوح ١٢ ، ١٣ .

(٢) فى الأصول : « المتوازى » تحريف .

(٣) سورة الغاشية ١٥ ، ١٦ . والنمارق : الوسائد . والزرابى: البسط . والمبثوثة : المبسوطة .

(٤) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) فى الأصول : « متوازيان » تحريف .

(٦) المعارج ٥ — ٩ . والمهل : مائع الزيت ، أو مائع الفلز المذاب كالنحاس والحديد والفضة . والعهن : الصوف المصبوغ ألوانا من أصفر وأحمر وأخضر .

(٧) المعارج ١٥ — ١٨ . اللظى : اسم للنار ذات اللهب . والشوى : كل ما لم يكن مقتلا من الأعضاء كاليدين والرجلين والأطراف .

(٨) سورة الليل ١ ، ٢ (٩) سورة الضحى ١ — ٣ .

مَا اسْتُجِيب له ﴾ [(١)] إلى آخر الآيات السبع ؛ فجمع فى فواصلها بين « شديد » و « قريب » و « بعيد » و « عزيز » و « نصيب » و « أليم » و « كبير » على هذا الترتيب ؛ وهو فى القرآن كثير ، وفى المفصَّل خاصة فى قصاره .

ومنهم من يذكر بدله الترصيع ، وهو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفا من كلمات مختلفة ، والثانى مؤلفا من مثلها فى ثلاثة أشياء : وهى الوزن والتقفية وتقابل القرائن ، قيل : ولم يجىء هذا القسم فى القرآن العظيم لما فيه من التكلّف .

وزعم بعضهم أنّ منه قوله تعالى : ﴿ إنّ الأبْرَارَ لَفِى نعيمٍ . وإنَّ الفُجَّار لَفِى جَحِيمٍ ﴾ .[(٢)] وليس كذلك ، لورود لفظة « إن » و « لفى » فى كل واحد من الشطرين ، وهو مخالف لشرط الترصيع ؛ إذ شرطه اختلاف الكلمات فى الشطرين جميعا .

وقال بعض المغاربة : سورة الواقعة من نوع الترصيع ، وتتبُّع آخر آيها يدلُّ على أن فيها موازنة .

* * *

قالوا : وأحسن السجع ما تساوت قرائنُه ، ليكون شبيها بالشِّعر ، فإن أبياته متساوية ؛ كقوله تعالى : ﴿ فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وطَلْحٍ مَنْضُودٍ . وظلٍّ ممدودٍ ﴾ [(٣)] ؛ وعلتُه أن السمع ألِفَ الانتهاء إلى غاية فى الخفة بالأولى ، فإذا زيد عليها ثقُل عنه الزائد ، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده .

ثم ما طالت قرينته الثانية ، كقوله : ﴿ والنَّجم إذا هَوَى : ما ضلَّ صاحبُكم وما غوَى ﴾ [(٤)] ، أو الثالثة كقوله تعالى : ﴿ خُذُوه فَغُلُّوهُ . ثم الجحيمَ صَلُّوهُ . ثمَّ فى سلسلةٍ

---

(١) سورة الشورى ١٦ ــ ٢٢ (٢) سورة الانفطار ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الواقعة ٢٨ ــ ٣٠ . السدر المخضود : الذى لا شوك فيه . والطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه . والمنضود : المتراكم الثمر .

(٤) سورة النجم ١ ، ٢

ذرعُها سبعون ذِراعا فاسلـكُوهُ ﴾ (١) .

وهو إما قصير كقوله : ﴿ والمرسَلاتِ عُرفاً . فالعاصفاتِ عَصفاً ﴾ (٢) .

أو طويل كقوله : ﴿ إذْ يريكَهُمُ اللهُ فى منامكَ قليلاً وَلَوْ أرَاكَهمْ كثيراً لَفَشِلتمْ وَلَتنَازَعْتم فى الأمرِ ، ولـكنَّ اللهَ سلَّمَ إنهُ عليمٌ بذات الصُّدورِ . وإذْ يرِيكُموهُم إذِ الْتَقيتُمْ فى أعيُنِـكُم قَليلاً ويقَلِّلُـكُم فى أعْينِهِمْ ليَقضِيَ اللهُ أمراً كانَ مفعولاً وَإلى اللهِ تُرجَعُ الأمورُ ﴾ (٣) .

أو متوسط كقوله : ﴿ اقترَبَتِ الساعة وانشقَّ القمرُ . وإنْ يَرَوْا آيةً يعرِضُوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌّ ﴾ (٤) .

[ائتلاف الفواصل مع مايدل عليه الكلام]

السادس : اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاعُ المناسبة مقاطعَ الكلام وأواخرَه ، وإيقاع الشىء فيها بما يشاكله . فلا بدّ أن تكون مناسبةً للمعنى المذكور ؛ أولا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض .

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ؛ لـكنّ منه مايظهر ، ومنه مايُستخرج بالتأمل للبيب .

وهى منحصرة فى أربعة أشياء : التمـكين ، والتوشيح والإيغال والتصدير .

والفرق بينها ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه فى أول الآية سمى تصديرا . وإن كان فى

(١) سورة الحاقة ٣٠ — ٣٢ . وغلوه : صنعوا فى يديه ورجليه الغل . وصلوه : من التصلية ؛ وهى حرق الشىء على النار .

(٢) سورة المرسلات ١ ، ٢ . والمرسلات عرفا : الرياح التى أرسلت متتابعة .

(٣) سورة الأنفال ٤٣ ، ٤٤

(٤) سورة القمر ١ ، ٢

أثناء الصَّدْر سمِّى تَوْشِيحا . وإن أفادَتْ معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمى إيغالا ؛ وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلٍّ منهما صدره يدلُّ على عجُزه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .

* * *

الأول : التمكين ؛ وهو أن يُمهد قبلها ،تمهيداً تأتى به الفاصلة ممكّنة فى مكانها، مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى موضعها ، غير نافذة ولا قلقة ، متعلِّقاً معناها بمعنى الكلام كلِّه تعلُّقاً تاما ؛ بحيث لو طُرِحَتْ اختلَّ المعنى واضطرب الفهم .

وهذا الباب يُطلِعك على سر عظيم من أسرار القرآن ، فاشدد يديك به .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وردَّ اللهُ الَّذِينَ كَفرُوا بغيْظِهِمْ لم ينالُوا خيراً وكَفى اللهُ المؤمنين القِتالَ وكانَ اللهُ قويًّا عزيزاً ﴾[1] ، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : ﴿ وكَفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ ﴾ لأوهم ذلك بعضَ الضعفاء موافقة الكفار فى اعتقادهم أن الريح التى حدثت كانت سببَ رجوعهم ، ولم يبلغوا ماأرادوا ، وأنّ ذلك أمر اتفاقى ، فأخبر سبحانه فى فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلِّمَ المؤمنين ، ويزيدَهم يقينا وإيمانا على أنه الغالب الممتنع ، وأن حزبه كذلك ، وأن تلك الريح التى هبّتْ ليست اتفاقا ؛ بل هى من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته ؛ وأنه ينوِّع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب، وتارة بالرُّعب كبنى النضير، وطوراً ينصر عليهم كيوم أحُد ، تعريفاً لهم أنّ الكثرة لا تغنى شيئاً ، وأنَّ النصر من عنده ، كيوم حُنَيْن .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أوَ لم يَهدِ لهم كم أهلَكْنا منْ قَبلِهِمْ مِنَ القُرون يَمشُون فى

(١) سورة الأحزاب ٢٥ .

مساكنهم إنّ فى ذلك لآياتٍ أفلا يَسْمَعُونَ . أو لَمْ يَرَوْا أنا نسوقُ الماء إلى الأرْض الجُرزِ فنخرجُ به زرعاً تأكلُ منه أنعامُهُمْ وأنفسهم أفلا يُبْصِرون[1] ﴾ . فانظر إلى قوله فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعيّة : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ولم يقل : « أو لم يروا » وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يُسْمَع . وكيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية : ﴿ أو لَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأنّ سوق الماء إلى الأرض الجُرز مرئىّ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا : يا شعيب أَصَلاتُكَ تأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يعبُدُ آباؤنا أوْ أنْ نفعلَ فى أموالِنا ما نشاء إنك لأنتَ الحليم الرَّشيد ﴾[2] ، فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف فى الأموال كان ذلك تمهيداً تاما لذكر الحِلْم والرشد ، لأنّ الحلم الذى يصحّ به التكليف والرشدُ حسن التصرُّف فى الأموال ، فكان آخر الآية مناسباً لأوّلِها مناسبة معنوية ، ويسميه بعضُهم ملاءمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وهوَ اللطِيفُ الخبيرُ ﴾ ؛ فإنّه سبحانه لما قدم نَفْىَ إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ اللطِيفُ ﴾ خطابا للسامع بما يفهم ؛ إذ العادة أنّ كلّ لطيف لا تدركه الأبصار ، ألَا ترى أنّ حاسة البصر إنما تدرِك اللون من كل متلوّن والكونَ من كل متكوّن ، فإدراكها إنما هو للمركّبات دون المفردات ، ولذلك لما قال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ عطف عليه قوله : ﴿ الخبير ﴾ ، مخصّصا لذاته سبحانه بصفة الكمال ؛ لأنّه ليس كلّ من أدرك شيئا كان خبيراً بذلك الشىء ، لأن المدركَ للشىء قد يدركه لِيَخْبُرُه ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى

---

(١) سورة السجدة ٢٦ ، ٢٧   (٢) سورة هود ٨٧ .

أنه يدركِ كلّ شيء مع الخبرة به ؛ وإنما خص الأبصار بإدراكه ليزيد فى الكلام ضرباً من المحاسن يسمى التعطُّف ؛ ولو كان الكلام : لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكنْ لفظتا ﴿ اللطيف الخبير ﴾ مناسبتين لما قبلهما .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ألَمْ ترَ أن اللهَ أنزلَ من السماء ماءً فتصبِحُ الأرضُ مُخْضَرَّةً إنَّ اللهَ لطيفٌ خبيرٌ . لَهُ مافى السموَاتِ ومَا فى الأَرْضِ وإنَّ اللهَ لَهُوَ الغَنىُّ الحميدُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لرءوفٌ رحيم ﴾ (٢) إنما فصل الأولى بـ « لطيف خبير » لأن ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض، ولأنه خبير بنفعهم .وإنما فصَل الثانية بـ « غنى حميد » لأنّه قال : ﴿ لهُ مافى السَّمٰواتِ وما فى الأرض ﴾ ،أى لا لحاجةٍ ؛ بل هو غنىّ عنهما ،جوادٌ بهما ؛ لأنه ليس غنىّ نافعاً غناه إلا إذا جادَ به ، وإذا جادَ وأنعم حمده المنعَم عليه ، واستحقّ عليه الحمد ؛ فذكر « الحمد » على أنه الغنىّ النافع بغناه خلقه . وإنما فصل الثالثة بـ « رءوف رحيم » ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير مافى الأرض لهم ، وإجراء الفُلْك فى البحر لهم ، وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكهِ إياها عن الوقوع ، حسُن ختامه بالرأفة والرحمة . ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها قوله تعالى فى سورة الأنعام (٣) : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ... ﴾ ،الآيات (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ ما فِى السَّمٰوَاتِ وما فِى الأرْضِ وإنَّ اللهَ لَهُوَ الغنىُّ الحميدُ ﴾ (٤) . قال: « الغنى الحميد » ليُنبه على أن ما له ليس لحاجة بل هو غنىٌّ عنه ، جوادٌ به ، وإذا جاد به حمده المنعم عليه . إذْ « حميد » كثير المحامد الموجبةِ تنزيهَه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص ، فيكون « غنياً » مفسَّرًا بالغنى المطلق ، لا يحتاج فيه لتقدير « غنىّ عنه » .

(١ ــ ١) ساقط من م

(٢) سورة الحج ٦٣ ــ ٦٥

(٣) سورة الأنعام ٩٧

(٤) سورة الحج ٦٤

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾(١) . لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جَعْلَ الليل سرمدا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمدٌ بهذا التقدير ، وظَرْفَ الليل ظرْفٌ مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لا سيما وقد أضاف الإتيانَ بالضياء الذى تنفذ فيه الأبصارُ إلى غيره ، وغيرُه ليس بفاعل على الحقيقة ؛ فصار النهارُ كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجودَه إلى غير موجد ؛ والليل كأنه لا موجود سواه ؛ إذ جُعِل سرمدا منسوبا إليه سبحانه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة مابين السماع والظرف الليلىّ الذى يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال فى الآية التى تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٢) ، لأنه لما أضاف جَعْلَ النهارِ سرمدًا إليه صار النهار كأنه سرمد ، وهو ظرف مضىءٌ تنوِّر فيه الأبصار ، وأضاف الإتيانَ بالليل إلى غيره ، وغيرُه ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ؛ إذ نُسِب وجودُه إلى غير موجِد ، والنهار كأنه لا موجودَ سواه ، إذ جَعَل وجودَه سرمداً منسوبا إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول ﴿ : أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ إذ الظرف مضىء صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .

ومنه قوله تعالى فى أول سورة الجاثية : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٣) . فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلةُ الآية الأولى : ﴿ للمؤمنين ﴾ ، لأنه

---

(١) سورة القصص ٧١ (٢) سورة القصص ٧٢
(٣) سورة الجاثية ٣ ــ ٥

سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال : ﴿ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ ﴾ ومعرفةُ الصانع من الآيات الدالة على أنَّ المخترع له قادر عليم حكيم ، وإنْ دلّ على وجود صانع مختار لدلالتها على صفاته مرتبة على دلالتها على ذاته ، فلا بد أولا من التصديق بذاته ؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم الموصوف وجودا واعتقادا على الصفات .

وكذلك قوله فى الآية الثانية : ﴿ لقوم يوقنُونَ ﴾، فإنّ سرّ الإنسان وتدبر خلقة الحيوان أقربُ إليه من الأول ، وتفكّره فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقَده الأوّل .

وكذلك معرفة جزئيات العالم ؛ من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعدموتها ، وتصريف الرياح يقتضى رجاحةَ العقل ورصانته؛ لنعلم أن مَنْ صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلّى التى هى أجرامه وعوارض عنه. ولا يجوز أن يكون بعضُها صنع بعضا ، فقد قام البرهان على أن للعالم الكلّى صانعاً مختارا ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وإن احتيج إلى العقل فى الجميع ؛ إلا أن ذكرَه هاهنا أنسبُ بالمعنى الأول؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إن بعض هذه الآثار يَصنع بعضا ، فلا بد إذًا من التّدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يا بُنىّ إنَّها إنْ تكُ مثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خرْدَلٍ فتكُنْ فى صخرةٍ أو فِى السَّمٰوَاتِ أوْ فى الأرْضِ يَأْتِ بهَا اللهُ إن اللهَ لَطِيفٌ خبيرٌ ﴾[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أتحدّثُونَهُمْ بما فَتَحَ اللهُ عَليكُمْ ليحاجُّوكم به عِنْدَ رَبّكُمْ فلا تعقلُونَ ﴾[2] . والمناسبة فيه قوّية ؛ لأن من دلّ عدوّه على عورة نفسه، وأعطاه سلاحه

---

(١) سورة لقمان ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٧٦

ليقتله به ، فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل؛ فلهذا ختمها بقوله : ﴿ أفلا تعقِلُونَ ﴾ .

وهذه الفاصله لاتقع إلا فى سياق إنكار فعل غير مناسب فى العقل ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ أتأمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وتنسَوْنَ أنفسَكم وأنتُم تَتلُونَ الكتابَ أفلا تَعقلونَ ﴾ [١] ؛ لأنّ فاعل غير المناسب ليس بعاقل .

وقوله تعالى : ﴿ قلْ يَجْمَعُ بيننَا ربُّنا ثم يفتحُ بيننا بالحقِّ وهوالفتَّاح العليمُ ﴾ [٢]، ختم بصفة العلم إشارة الى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم ؛ وما نحن عليه من الحق ، وما أنتم عليه من الباطل و إذا كان عالماً بذلك ، فنسأله القضاءَ علينا وعليكم ، بما يعلم منا ومنكم.

فصل

و قد تجتمع فواصل فى موضع واحد و يخالَف بينها ؛ وذلك فى مواضع :

منها فى أوائل النحل ، وذلك أنه سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [٣]، ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿ مِنْ نطفَةٍ ﴾ [٤]، وأشار إلى عجائب الحيوان فقال : ﴿ والأنْعَام ﴾ [٥] ، ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ الذِي أَنزَلَ منَ السماءِ ماءً لكم منه شَرابٌ ومنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لكمْ به الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ والنَّخِيلَ والأعنابَ ومن كلِّ الثمراتِ إنّ فى ذلكَ لآيةً لقوم يتفكَّرون ﴾ [٦]. فجعل مقطع هذه الآية التفكّر [٦] ، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإِله القادر المختار .

---

(١) سورة البقرة ٤٤ — (٢) سورة سبأ ٢٦

(٣) سورة النحل ٣ — (٤) سورة النحل ٤

(٥) سورة النحل ١٠ ، ١١ — (٦) م « التفكير »

وفيه جواب عن سؤال مقدّر؛ وهو أنه : لِمَ لا يجوز أن يكون المؤثِّر فيه طبائعَ الفصول وحركات الشمس والقمر؟ ولما كان الدليل لا يتمّ إلا بالجواب عن هذا السؤال؛ لا جرمَ كان مجالُ التفكر والنظر والتأمل باقياً . إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين :

أحدهما أن تغيّرات العالم الأسفل مربوطةً بأحوال[1] حركات الأفلاك ، فتلك الحركات حيث حصلت؛ فإن كان حصولُها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإقرارُ بوجود الإله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وسَخَّر لكُمُ اللَّيلَ والنَّهار والشمسَ والقَمَرَ والنجوم مُسَخَّراتٍ بأمرِهِ إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لقوم يعقلُون ﴾[2] ، فجعل مقطع هذه الآية العقل ؛ والتقدير كأنه قيل : إن كنت عاقلا فاعلم أنّ التسلسل باطل ، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدُها غيرَ متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

والثانى أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبَّة الواحدة واحدة . ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحدُ وجهيها فى غاية الحمرة ، والآخر فى غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لا متنع حصول هذا التفاوت فى الآثار ، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وما ذَرَأَ لَكُم فى الأرْضِ مُخْتلِفاً أَلْوانُه إنَّ فى ذلك لآيةً لِقوْمٍ يذَّكَّرُونَ ﴾[3] ، كأنَّه قيل : قد ذكَرنا ما يرسخ فى عقلك أن الموجبَ بالذات والطبع لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرتَ إلى حصول هذا الاختلاف علمتَ أنَّ المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار ، فلهذا جعل مقطع الآية التذكّر .

---

(١) م : « باختلاف أحوال » .

(٢) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ١٣

تنبيه

من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين والمحدَّث عنه واحد لنكتة لطيفة.
وذلك قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعمةَ اللهِ لا تُحْصُوها إنَّ الإنسانَ لظَلُومٌ كفّار ﴾ [(١)] ، ثم قال فى سورة النحل : ﴿ و إنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحصوها إنَّ اللهَ لَغفورٌ رَحيمٌ ﴾ [(٢)] .

قال القاضى ناصر الدين بن المنيّر [(٣)] فى تفسيره الكبير: كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها ؛ فحصل لك عند أخذها وصفان : كونُك ظلوما ، وكونُك كفارا ، ولى عند إعطائها وصفان : وهما : أنى غفور رحيم ، أقابل ظلمَك بغفرانى وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرَك إلا بالتوفير ، ولا أجازى جفاءك إلا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكن بقى سؤال آخر ، وهو : ما الحكمةُ فى تخصيص آية النحل بوصف المنعِم ، وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه ؟ والجواب أن سياق الآية فى سورة إبراهيم، فى وصف الإنسان وما جُبِل عليه ؛ فناسب ذِكرُ ذلك عقيبَ أوصافِه . وأما آية النحل فسيقَتْ فى وصف الله تعالى، و إثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته ، فناسب ذِكرُ وصفِه سبحانه . فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة !

ونظيره قوله تعالى فى سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِل صالحًا فَلِنفْسِهِ ومَنْ أساء فَعلَيْها

---

(١) سورة إبراهيم ٣٤ (٢) سورة النحل ١٨

(٣) هو القاضى ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامى ، المعروف بابن المنير ؛ له تفسير كبير سماه البحر الكبير فى نخب التفسير ، ومنه قطعة تشتمل على الجزء الثالث فى دار الكتب المصرية برقم ٦١ تفسير ؛ وله كتاب الانتصار من الكشاف . توفى سنة ٦٨٣ . (وانظر ترجمته فى الديباج المذهب لابن فرحون ٧١ ــ ٧٤)

ثُمَّ إلى ربكُمْ تُرْجَعون ﴾[1] . وفى فصلت : ﴿ مَن عَمِلَ صالحاً فلنفسهِ ومَن أساء فعليها وما ربُّك بظلَّامٍ للعبيد ﴾[2] .

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿ قُلْ للذينَ آمنوا يَغفِرُوا للذينَ لا يَرْجُونَ أيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كانوا يَكْسِبون ﴾[3] ، فناسب الختامُ بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فالختام بها مناسب ؛ أى لأنه لا يضيّع عملا صالحا ، ولا يزيد على مَنْ عمل شيئا .

ونظيره قوله فى سورة النساء : ﴿ إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهِ ويغفِرُ ما دُونَ ذلك لمن يشاء ﴾ . ختم الآية مرة بقوله : ﴿فقد افترى إثماً عظيماً﴾[4] ، ومرة بقوله: ﴿ضلالاً بعيداً﴾[5] ؛ لأن الأوّل نزل فى اليهود ، وهم الذين افترَوْا على الله ما ليس فى كتابه ، والثانى نزل فى الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، وكان ضلالهم أشدّ .

وقوله فى المائدة : ﴿ ومن لم يَحْكُمْ بِما أنزل اللهُ ﴾[6] ، فذكرها ثلاث مرات ، وختم الأولى بالكافرين ، والثانية بالظالمين ، والثالثة بالفاسقين ؛ فقيل : لأن الأولى نزلت فى أحكام المسلمين ، والثانية نزلت فى أحكام اليهود ، والثالثة نزلت فى أحكام النصارى .

وقيل : ﴿ ومَنْ لم يحكُمْ بما أنزل اللهُ ﴾ إنكاراً له ، فهو كافر ، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وحَكَم بضدّه فهو ظالم ، ومن لم يحكُمْ بالحق جهلا وحَكَم بضدّه فهو فاسق .

وقيل : الكافر والظالم والفاسق كلّها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبّر عنه بألفاظ مختلفة ، لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

(١) سورة الجاثية ١٥ — (٢) سورة فصلت ٤٦ — (٣) سورة الجاثية ١٤

(٤) سورة النساء ٤٨ — (٥) سورة النساء ١١٦

(٦) سورة المائدة ٤٤ ، وبعدها : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ ﴾ ، و ٤٥ وبعدها: ﴿ فأُولئكَ هُمُ الظَّالِمونَ ﴾ ، و ٤٧ وبعدها : ﴿ فأولئك همُ الفاسقون ﴾ .

تنبيه

عكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدَّث عنه مختلف ، كقوله تعالى فى سورة النور : ﴿ يأيها الَّذِينَ آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ كذلكَ يُبَيِّن اللهُ لكم الآياتِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾[2] . ثم قال : ﴿ وإذا بلَغَ الأطفالُ منكمُ الحلمَ فَلْيستأذِنوا كما استأذَنَ الَّذِينَ مِنْ قبلهم كذلك يُبَيِّن اللهُ لكم آياتِهِ واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾[2] .

قال ابن عبد السلام فى تفسيره فى الأولى : « عليم » بمصالح عباده ، « حكيم » فى بيان مراده . وقال فى الثانية : « عليم » بمصالح الأنام ؛ « حكيم » ببيان الأحكام . ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار .

تنبيه

حقّ الفاصلةِ فى هذا القسم تمكين المعنى المسوق إليه كما بيَّنا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَاوابْعَثْ فيهمرَسُولاً منهم يَتْلُو عليهمآياتِكَ ويُزَكّيهمويُعلِّمهمُ الكتابَ والحكمةَ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾[3] . ووجه مناسبته أن بعث الرسول تولية ؛ والتولية لا تكون إلا من عزيزٍ غالبٍ على ما يريد ، وتعليمُ الرسول الحكمة لقومِه إنما يكون مستندا إلى حكمةِ مُرْسِله؛ لأن الرسول واسطة بين المرسِل والمرسَل إليه ، فلا بدّ وأن يكون حكيما ، فلا جرَم كان اقترانهما مناسباً .

---

(١) سورة النور ٥٨

(٢) سورة النور ٥٩

(٣) سورة البقرة ١٢٩ . ويزكيهم: يطهرهم من وضر الشرك . والزكاة : التطهير .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خافَ مِن مُوصٍ جنَفاً أَوْ إثماً فأصلحَ بينهُمْ فلا إثمَ عليْه إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾(١) . وجهُ المناسبة فى الحكم محمول على قول مجاهد : إن من حضر الموصيَ فرأى منه جَنَفاً على الورثة فى وصيته مع فقرهم ، فوعَظه فى ذلك وأصلَح بينه وبينهم حتى رضُوا، فلا إثم عليه، وهو غفور للموصى إذا ارتدع بقول مَنْ وعظه،فرجع عما همّ به وغفرانه لهذا برحمته لاخفاء به ، والإثم المرفوع عن القائل ؛ يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق فى الآية قبلها فى قوله تعالى : ﴿ فمَنْ بدَّلَهُ بَعْدَ ماسَمِعَهُ ﴾(٢) يعنى من الموصِى ، أى لا يكون هذا المبدِّل داخلا تحت وعيد مَنْ بدّل على العموم ؛ لأنّ تبديل هذا تضمَّن مصلحة راجحة فلا يكون كغيره . وقد أشكلَ على ذلك مواضع ؛ منها قوله تعالى : ﴿ إنْ تعذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عبادُكَ ، وَإنْ تَغفِرْ لَهُمْ فإنكَ أَنْتَ ٱلعزيزُ ٱلحكيمُ ﴾(٣).فإنقوله : ﴿ وإن تَغفِرْ لَهُمْ ﴾ يوهم أن الفاصلة « ٱلغَفور الرَّحيمُ » ، وكذا نقلت عن مصحف أبىّ رضى الله عنه ، وبها قرأ ابن شنبوذ . ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ماعليه التلاوة ؛ لأنَّه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردّ عليه حُكمَه ، فهو العزيز ؛ لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب؛ من قولهم : عزّه يعزّه عزا إذا غلبه ؛ ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأن الحكيم من يَضَع الشىء فى محلّه، فالله تعالى كذلك . إلا إنه قد يخفى وجهُ الحكمة فى بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن ؛ أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك ، والحكمة فيا فعلتَه . وقيل: لايجوز « الغفورالرحيم » لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به ﴾(٤). وقيل لأنه

---

(١) سورة البقرة ١٨٢ : والجنف : الميل والعدول عن الحق .

(٢) سورة البقرة ١٨١ (٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة النساء ٤٨ ، ١١٨ .

مقام تبرّ ، فلم يذكر الصفةَ المقتضية استمطارَ العفو لهم ، وذكر صفة العدل فى ذلك بأنه العزيز الغالب . وقوله ﴿ الحكيم ﴾ الذى يضع الأشياء مواضعها فلا يُعترض عليه إن عفا عمّنْ يستحق العقوبة .

وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم ، ولو قيل : «فإنك أنت الغفور الرحيم» لأوهم الدعاء بالمغفرة . ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، لا لنبيّ ولا لغيره . وأما قوله : ﴿ فإنهم عبادُكَ ﴾ وهم عباده ؛ عذّبهم أو لم يعذّبهم ؛ فلأنّ المعنى إنْ تُعذّبْهُم تعذّب مَن العادة أن تحكم عليه . وذكر العبودية التى هى سبب القدرة كقول رؤبة :

يارب إن أخطأتُ أو نسيتُ فأنت لا تَنْسَى ولا تموت [١]

والله لا يَضِلُّ ولا ينسى ولا يموت ، أخطأ رؤبة أو أصاب ، فكأنه قال : إن أخطأت تجاوزتَ لضعفى وقوتك ، ونقصى وكمالك .

ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة براءة : ﴿ أولئكَ سيَرْحَمُهُمُ اللهُ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم ﴾ [٢] ـ والجواب ما ذكرناه .

ومثله قوله تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿ ربَّنا لا تجعلنا فِتْنَةً للذينَ كفرُوا واغفر لنا ربَّنا إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ [٣] .

ومثله فى سورة غافر فى قول السادة الملائكةَ : ﴿ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهمْ وأزواجِهِمْ وذرِّياتِهم إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ [٤] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ والخامِسَةَ أنَّ غضبَ اللهِ عليها إن كان من الصادِقين . ولَوْلَا

---

(١) ديوانه ٢٥ . مطلع أرجوزة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك .

(٢) سورة التوبة ٧١

(٣) سورة الممتحنة ٥ . (٤) سورة غافر ٨ .

فضلُ الله عليكُم ورحمتهُ وأنَّ اللهَ توَّابٌ حَـكيمٌ ﴾[١] ؛ فإنَّ الذى يظهر فى أول النظر أنّ الفاصلة « تواب رحيم » ، لأن الرَّحمةَ مناسبة للتوبة ، وخصوصا من هذا الذنب العظيم ؛ ولـكن هاهنا معنى دقيق من أجله قال : ﴿ حكيم ﴾ ؛ وهو أن يُنبِّه على فائدة مشروعية اللِّعان[٢] ، وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ؛ وذلك من عظيم الحِـكَم ، فلهذا كان ﴿ حكيم ﴾ ، بليغا فى هذا المقام دون « رَحِيم » .

ومن خفىّ هذا الضرب قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ خَلَقَ لـكُمْ ما فى الأرْضِ جميعاً ثمَّ استوَى إلى السماء فسوَّاهُنَّ سَبْعَ سمْواتٍ وهو بكلِّ شىء عَلِيم ﴾[٣] .

وقوله فى آل عمران : ﴿ قُلْ إنْ تُخْفُوا مافِى صُدورِكُمْ أو تُبْدُوه يَعلمْهُ اللهُ ويَعلمُ مافِى السمْواتِ ومافِى الأرضِ واللهُ عَلَى كلِّ شىء قَدِيرٌ ﴾[٤] ، فإن المتبادر إلى الذهن فى آية البقرة الختْمُ بالقدرة ، وفى آية آل عمران الخَتْمُ بالعلم، لـكن إذا أنعِم النظر علم أنه يجب أن يـكون ما عليه التلاوة فى الآيتين ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَإنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذو رَحْمَةٍ وَاسِعةٍ ﴾[٥] ؛ مع أن ظاهر الخطاب « ذو عقوبة شديدة » ، وإنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمة الله تعالى فى الاجتراء على معصيته ؛ وذلك أبلغُ فى التهديد ؛ ومعناه : لا تغترُّوا بسَعة رحمة الله تعالى فى الاجتراء على معصيته ؛ فإنه مع ذلك لا يَرُدّ عذابه عنـكم .

وقريب منـه : ﴿ رَبُّ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ وما بينهما الرحمنِ لا يملـكون منهُ خِطاباً ﴾[٦] .

---

(١) سورة النور ٩ ، ١٠

(٢) اللعان ، من قولهم : لاعن الرجل امرأته لعانا إذا قذفها اورماها برجل أنه زنى بها .

(٣) سورة البقرة ٢٩ (٤) سورة آل عمران ٢٩

(٥) سورة الأنعام ١٤٧ (٦) سورة عم ٣٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يتوكَّلْ عَلَى اللهِ فإنَّ اللهَ عزيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] ؛ فمناسبة الجزاء للشرط أنه لما أقدم المؤمنون وهم ـ ثلاثمائة وبضعة عشر ـ على قتال المشركين ـ وهم زُهاء ألف ـ متوكلين على الله تعالى ، وقال المنافقون : ﴿غرّ هؤلاء دينُهم﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عددا أو أكثر ؛ قال الله تعالى ردا على المنافقين وتثبيتا للمؤمنين : ﴿ ومَنْ يتَوكَّلْ عَلَى اللهِ فإنَّ اللهَ عزيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فى جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِنْ شَىْءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكنْ لا تَفْقَهُونَ تسبِيحَهُمْ إنَّهُ كانَ حَلِيما غَفُوراً ﴾[2] . فإن قيل : ماوجهُ الختام بالحِلْم والمغفرة عقيب تسابيح الأشياء وتنزيهها ؟ أجاب صاحب الفنون[3] بثلاثة أوجه :

أحدها : إن فسّرنا التسبيحَ على ما درَج فى الأشياء من العِبَر ، وأنها مسبِّحات بمعنى مودَعات من دلائل العِبَر ودقائق الإنعامات والحِكَم ما يوجب تسبيحَ المعتبر المتأمل ؛ فكأنه سبحانه يقول : إنه كان من كبير إغفالكم النظرُ فى دلائل العِبَر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ فِى السَّمٰوَاتِ والْأَرضِ يَمُرُّونَ عليها وَهُمْ عَنْهَا مُعرِضون ﴾[4] ؛ كذلك موضع المعتبة قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2] . وقد كان ينبغى أن يعرفوا بالتأمُّل ما يوجبُ القربة لله ؛ مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه ؛ فهذا موضع حِلْم وغُفران عمّا جرى فى ذلك من الإفراطِ والإهمال .

الثانى : إن جعلْنا التسبيح حقيقة فى الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلُّها تسبِّحه

---

(١) سورة الأنفال ٤٩ (٢) سورة الإسراء ٤٤

(٣) فى ا : « العنوان » تحريف . وهو كتاب فنون الأفنان فى علوم القرآن لابن الجوزى ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية برقم ٢٢٢ تفسير .

(٤) سورة يوسف ١٠٥

وتحمَده ، ولا عصيانَ فى حقها وأنتم تعصُون ، فالحلم والغفران للتقدير فى الآية ؛ وهو العصيان . وفى الحديث : « لَوْلَا بَهَائمُ رُتَّع ، وشيوخ ركّع ، وأطفال رُضّع، لَصُبَّ عليكم العذاب صبًّا » .

الثالث : أنه سبحانه قال فى أولها : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ والْأَرْضُ وَمَنْ فيهنَّ وإنْ مِن شىء إلَّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ﴾[1] ؛ أى أنه كان لتسابيح المسبحين حليما عن تفريطهم ؛ غفورًا لذنوبهم ؛ ألا تراه قال فى موضع آخر : ﴿ وَالْمَلائكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ ربِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لمن فِي الأَرْضِ ألا إنَّ اللهَ هُو الغفورُ الرَّحِيم ﴾[2] ؛ وكأنها اشتملت على ثلاثة معان : إما العفو عن ترك البحث المؤدّى إلى الفهم ، لما فى الأشياء من العبر ، وأنتم على العصيان . أو يريد بها الأشياء كلّها تسبّحُه ؛ ومنها مايعصيه ويخالفه، فيغفر عصيانهم بتسابيحهم .

تنبيه

قد تكون الفاصلةُ لا نظير لها فى القرآن ؛ كقوله تعالى عقب الأمر بالغضّ فى سورة النور : ﴿ إنَّ اللهَ خبيرٌ بِمَا يَصْنَعونَ ﴾[3] . وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ لَعَلَّهمْ يَرْشُدُونَ ﴾[4] . وقيل فيه تعريض بليلة القدر ؛ أى لعلهم يرْشدون إلى معرفتها .

---

(١) سورة الإسراء ٤٤ (٢) سورة الشورى ٥ .

(٣) سورة النور ٣٠ . والآية بتمامها : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ١٨٦ . والآية بتمامها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

وإنما يحتاجون للإرشاد إلى ما لا يعلمون ؛ فإن هـذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه . وأنّ أرْجى أوقات الإجابة فيه ليلةُ القدر .

***

الثانى التصدير ، كقوله تعالى : ﴿لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بعذابٍ وقدْ خابَ مَن افْتَرَى﴾[1] .

وقوله : ﴿فَضَّلْنَا بَعضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[2] .

وقوله : ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾[3] .

وقوله : ﴿فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[4] .

وقوله : ﴿فمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمهُمْ ولـكِنْ كانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾[5] .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ النّاسُ إلا أُمَّةً واحـدةً فاختلفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبقتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فيما فيهِ يختلفُون﴾[6] .

وقوله : ﴿وَهُمْ يَحْمِلونَ أوزارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ألاَ ساءَ ما يَزِرُونَ﴾[7] ، فجعل الفاصلة ﴿يَزِرُون﴾ لجناسِ ﴿أوزارهم﴾ ؛ وإنما قال : ﴿عَلَى ظُهُورِهِم﴾ ولم يقل «على رُءوسهم» لأن الظَّهْرَ أقوى للحمْل ؛ فأشار إلى ثِقَل الأوزار .

وقوله : ﴿فَقُلتُ استَغفِرُوا رَبَّكُم إنهُ كانَ غَفَّاراً﴾[8] .

---

(١) سورة طه ٦١ . يسحتكم : يستأصلكم بالإهلاك .
(٢) سورة الإسراء ٢١ (٣) سورة الأنبياء ٣٧ . من عجل : أى ركب على العجلة فكان عجولا .
(٤) سورة المائدة ٣٩
(٥) سورة التوبة ٧٠ (٦) سورة يونس ١٩
(٧) سورة الأنعام ٣١ (٨) سورة نوح ١٠

وقوله : ﴿ وتخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخشاهُ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ أنزلَهُ بعلمِهِ والملائكةُ يشهدُونَ وكفى باللهِ شهيداً ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ رجال يُحِبُّونَ أنْ يتطهَّرُوا واللهُ يحبُّ المُطَّهِّرِين ﴾ (٣) .

* * *

الثالث التوشيح ، ويسمى به لكونِ نفس الكلام يَدُلُّ على آخره ؛ نزّل المعنى منزلة الوشاح، ونزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين يجول عليهما الوشاح؛ ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تُعلَمُ قبل ذكرها .

وسمّاه ابن وكيع (٤) المطمع ؛ لأن صدره مطمع فى عجزه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثمّ أنشأناه خلقاً آخرَ فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ إنَّ اللهَ اصطفَى آدَمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْران عَلَى العالَمين ﴾ (٦) ؛ فإن معنى اصطفاء المذكورين يُعْلَمُ منه الفاصلة ؛ إذ المذكورون نوع من جنس العالمين .

وقوله : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منهُ النَّهارَ فإذا هم مُظْلِمُون ﴾ (٧) فإنه مَنْ كان حافظاً لهذه السورة ، متيقظاً إلى أنّ مقاطع فواصلها النون المردفة ؛ وسمع فى صدر هذه الآية : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منهُ النَّهارَ ﴾ عَلِم أن الفاصلة ﴿ مُظْلِمُون ﴾؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٧ (٢) سورة النساء ١٦٦

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٤) هو القاضى أبو بكر محمد بن خلف القاضى المعروف بوكيع ؛ من أهل القرآن والفقه والنحو والسير ؛ وله مصنفات فى علوم القرآن وأخبار القضاة، توفى سنة ٣٠٦ . (إنباه الرواة ٣ : ١٢٤) .

(٥) سورة « المؤمنون » ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٣٣ (٧) سورة يس ٣٧ . نسلخ منه النهار ؛ أى نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار .

وقوله : ﴿ يَوْمَئذ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتاً لِيُرَوْا أعمالَهُمْ . فمن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . ومَن يعمل مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1] . فإن قوله : ﴿ لِيُرَوْا أعمالَهُمْ ﴾ يدل على التقسيم .

وقوله : ﴿ وأسِرُّوا قَوْلَكُمْ أوِ اجْهَرُوا بِهِ إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُور . ألَا يعلمُ مَن خَلَقَ وهُوَ اللَّطيفُ الخبيرُ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ ولَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بسمعِهِمْ وأبصارِهِم إنَّ اللهَ عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾[3] .

* * *

الرابع الإيغال ؛ وسُمّى به ؛ لأن المتكلّم قد تجاوز المعنى الّذى هو آخذٌ فيه ؛ و بلغ إلى زيادةٍ على الحدّ ؛ يقال : أوغل فى الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهاها ؛ فهكذا المتكلّم إذا تمّ معناه ثم تعدّاه بزيادةٍ فيه ، فقد أوغل ؛ كقوله تعالى : ﴿ أفحكمَ الجاهليةِ يَبْغُونَ . وَمَنْ أحْسنُ من الله حُكْماً لقومٍ يُوقِنون ﴾[4] ، فإنّ الكلام تمّ بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ من اللهِ حُكْماً ﴾ . ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ؛ فلما أتى بها أفاد معنى زائدا .

وكقوله تعالى : ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إذا وَلَّوْا مُدْبرين ﴾[5] ؛ فإن المعنى قد تمّ بقوله : ﴿ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء ﴾ ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال: ﴿ إذا ولَّوْا مُدْبِرين ﴾ .

---

(١) سورة الزلزلة ٦ — ٨ . يصدر الناس أشتاتا : أى يخرج الناس للبعث على اختلافهم ؛ شقيهم وسعيدهم محسنهم ومسيئهم .

(٢) سورة الملك ١٣ ، ١٤ . ذات الصدور : صاحبتها .

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة المائدة ٥٠ (٥) سورة النمل ٨٠

فإن قيل : مامعنى ﴿مدْبِرِين﴾وقد أغنى عنها ﴿ وَلّوْا﴾ ؟ قلت : لايغنى عنها ﴿ وَلّوْا ﴾ ؛ فإن التولّىَ قد يكون بجانبٍ دون جانب ؛ بدليل قوله : ﴿أعْرَضَ وَنَأَى بجَانِبِهِ﴾(١) ؛ و إن كان ذكْرَ الجانب هنا مجازاً . ولا شك أنَّه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صمٌّ لا يسمعون أراد تتميمَ المعنى بذكر توليهم فى حال الخطاب ، لينفىَ عنهم الفهمَ الذى يحصل من الإشارة ؛ فإن الأصَمّ يفهم بالإشارة ، مايفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولىَ قد يكون بجانب ، مع لحَاظه بالجانب الآخر ؛ فيحصل له إدراكُ بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة ﴿مُدْبرين ﴾ ليُعلم أن التولّيَ كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبَرا ، فاحتجب المخاطب عن المخاطب ، أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صُمّ أذناه عن العبارة ؛ فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية . وهذا الكلام و إن بولغ فيه بنفى الإسماع البتة ؛ فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذى أدمجت فيه المبالغة فى نفى الاستماع .

وقد يأتى الاحتياط فى غير المقاطع من مجموع جُمل متفرقة فى ضروبٍ من الكلام شتى ، يجملها معنى واحد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجنُّ عَلَى أنْ يأتُوا بمثلِ هذا القرآن لا يأْتُونَ بمثله . . ﴾ (٢) الآية .

وقوله : ﴿ فَأْتُوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فأتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثلِهِ ﴾(٤) ، كمايقول الرجل لمن يجحد : مايستحقّ علىّ درهما ولا دانقا ولاحبّة ، ولا كثيراً ولا قليلا . ولو قال : «مايستحق علىّ شيئًا» لأغنَى فى الظاهر ؛ لكنّ التفصيل أدلُّ على الاحتياط ، وعلى شدة الاستبعاد فى الإنكار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لا يسألُكُمْ أجراً وَهُمْ مهتَدُون ﴾(٥) فإن المعنى تم

(١) سورة الإسراء ٨٣
(٢) سورة الإسراء ٨٨ (٣) سورة البقرة ٢٣
(٤) سورة هود ١٣ (٥) سورة يس ٢١

بقوله : ﴿أجراً﴾ ،ثم زاد الفاصلة لمناسبة رءوس الآى ؛ فأوغل بها كما ترى ؛ حتى أتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام .

فصل

فى ضابط الفواصل

ذكره الجعبرىّ ؛ ولمعرفتها طريقان : توقيفىّ وقياسىّ :

الأول التوقيفىّ ، روى أبو داود[1] عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : «كان يقطّع قراءته آيةً آية . وقرأت : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إلى ﴿الدين﴾ ، تقف على كل آية» . فمعنى «يقطع قراءته آيةً آيةً» ؛ أى يقف على كلّ آية ؛ وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلِم رءوسَ الآى .

قال : ووهم فيه من سمّاه وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا ، وإن كان لغيره فلا . فما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا أنه فاصلة ، وما وصّله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقفُ أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلَها لتقدّم تعريفها .

الثانى القياسىّ ؛ وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب . ولا محذورَ فى ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محلّ فَصْلٍ أو وصل . والوقف على كلّ كلمة جائز ، ووصل القرآن كلّه جائز ، فاحتاج القياسىّ إلى طريق تعرفه ؛ فأقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر ، وقافية البيت فى النظم ؛ وما يذكر من عيوب القافية من

---

(١) سنن أبى داود: ١ ، ١١٠

اختلاف الحذو[1] والإشباع ، والتوجيه ، فليس بعيب فى الفاصلة ، وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة ؛ من نوع إلى آخر ؛ بخلاف قافية القصيد .

ومن ثم ترى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾[2] ، و ﴿ الميعاد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾[3] ، و ﴿ الطّارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾ .[4]

والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ؛ ومن ثَمّ أجمع العادُّون على ترك عدّ ﴿ وَيأْتِ بآخرين ﴾[5] و ﴿ وَلَا الملائكةُ المقربونَ ﴾[6] بالنساء ، و ﴿ كَذّب بها الأولون ﴾[7] بسبحان ، و ﴿ لتُبَشِّرَ به المتّقِينَ ﴾[8] بمريم ، و ﴿ لعلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[9]

---

(١) فى الإتقان : « اختلاف الحركة » . والحذو والإشباع والتوجيه من عيوب القافية ، التى تندرج تحت ما اصطلحوا على تسميته بالسناد ؛ وهو اختلاف ما قبل الروى ، (وهو الذى تبنى عليه قافية القصيدة من الحروف) . وسناد الإشباع : هو اختلاف حركة الدخيل ، مثل كسرة الهاء وفتحة العين فى قولك : « مجاهد وتباعد » . وسناد الحذو : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق ، مثل فتحة النون وكسرة الكاف فى قولك : « سند ، وكد » . وسناد التوجيه : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المقيد ، كفتحة اللام وضمها فى قولك : « حلم وحلم » . وانظر مفتاح العلوم ٣٠١ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ آمِنوا بالذى أُنزِلَ عَلَى الذينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَه لعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاء واللهُ وَاسِعٌ عَليمٌ ﴾ [سورة آل عمران ٧٢ ، ٧٣]

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يومَ القِيامَةِ إنكَ لا تُخلِفُ الميعَادَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥]

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ ، [سورة الطارق ١ ـ ٣] .

(٥) سورة النساء ١٣٣

(٦) سورة النساء ١٧٢

(٧) سورة الإسراء ٥٩

(٨) سورة مريم ٩٧

(٩) سورة طه ١١٣

بطه ، و ﴿ مِنَ الظُلُمَاتِ إلى النورِ ﴾[١] و ﴿ أنّ الله على كلّ شيء قديرٌ ﴾[٢] بالطلاق حيث لم يُشا كل طرفيه .

وعلى ترك عدّ ﴿ أفغيْرَ دينِ اللهِ يبغونَ[٣] ﴾ بآل عمران ، و ﴿ أفحُكمَ الجاهليةِ يَبْغُون ﴾[٤] بالمـائدة ، وعدوا نظائرها للمناسبة ، نحو ﴿ لأولى الألبَابِ ﴾[٥] بآل عمران ، و ﴿ عَلَى اللهِ كذباً ﴾[٦] بالـكهف ، و ﴿ والسَّلْوَى ﴾[٧] بطه .

وقد يتوجّه الأمران فى كلمة فيختلف فيها ؛ فمنها البسملة وقد نزلت بعض آية فى النمل[٨] ، وبعضها فى أثناء الفاتحة[٩] فى بعض الأحرف السبعة .

فمن قرأ بحرف نزلتْ فيه عدّها آية، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنصّ المتقدم ، خلافاً للدانىّ . ومن قرأ بحرف لم تنزلمعه لم يعدها ؛ ولزمه من الإجماع على أنها سبع آياتأن يعدّ عوضها . وهو بعد ﴿ اهدنا ﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « قسمت الصلاة بينى و بين عبدىنصفين »[١٠] .

---

(١) سورة الطلاق ١١
(٢) سورة الطلاق ١٢
(٣) سورة آل عمران ٨٣
(٤) سورة المائدة ٥٠
(٥) سورة آل عمران ١٩٠
(٦) سورة الكهف ١٥
(٧) سورة طه ٨٠
(٨) آية ٣٠
(٩) آية ٢

(١٠) الصلاة هنا : الفاتحة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها . والحديث كما رواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن أبى هريرة : «سمعترسول الله صلىالله عليهوسلميقول : قال الله تعالى : قسمتالصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ؛ فإذا قال العبد : الحمدلله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثنىعلىعبدى ، وإذا قال: مالكيوم الدينقال: مجدنى عبدى — وقال مرة فوض إلىّ عبدى — فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، قال : هـذا لعبدى ولعبدى ما سأل » . صحيح مسلم (٢ : ١٠١) .

(١ أى قراءة الصلاة، تعد منها، ولا للعبد إلا هاتان، و﴿المستقيم﴾ محقق، فقسمتا بعدها قسمين؛ فـكانت ﴿عليهم﴾ الأولى؛ وهى مماثلة فى الروىّ لما قبلها١) .

ومنها حروف الفواتح ؛ فوجهُ عدِّها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروىّ والردف . ووجه عدمه الاختلاف فى الـكمية والتعلق على الجزء .

ومنها بالبقرة ﴿ عذابٌ أليمٌ ﴾[٢] و ﴿ إنما نحنُ مُصْلِحُون ﴾[٣] فوجه عده مناسبة الروىّ ، ووجهُ عدمِه تعلقه بتاليه .

ومنها ﴿ إلى بنى إسْرَائيلَ ﴾[٤] بآل عمران ؛ حملا على ما فى الأعراف[٥] والشعراء[٦] والسجدة[٧] والزخرف[٨] .

ومنها ﴿ فَبَشِّرْ عباد ﴾[٩] بالزمر ؛ (١٠ لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ١٠) .

ومنها ﴿ والطور ﴾ ، و ﴿ الرحمن ﴾ ، و ﴿ الحاقة ﴾ ، و ﴿ القارعة ﴾ ، و ﴿ والعصر ﴾ حملا على ﴿ والفجر ﴾ و ﴿ والضحى ﴾ للمناسبة ، لـكن تفاوتت فى الـكمية .

(١ـ١) كذا وردت العبارة غامضة فى جميع الأصول ؛ وفى الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٤ ما يأتى ، بعد أن أورد الحديث : « فقوله سبحانه : « قسمت الصلاة » يريد الفاتحة ؛ وسماها صلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بها ، فجعل الثلاث الآيات الأول لنفسه ، واختص بها تبارك اسمه ، ولم يختلف المسلمون فيها ، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده ؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه ، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى ، ثم ثلاث آيات ، تتمة سبع آيات . ومما يدل على أنها ثلاث قوله : « هؤلاء لعبدى » ، أخرجه مالك ، ولم يقل : « هاتان » فهذا يدل على أن أنعمت عليهم آية » .

(٢) سورة البقرة ١٠ والآية : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزادَهُم اللهُ مرضًا ولَهُمْ عذابٌ أليم بما كانوا يكذبونَ ﴾

(٣) سورة البقرة ١١

(٤) آل عمران ٤٩ ﴿ وَرَسولًا إلى بَنِي إسرَائيلَ أنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ ﴾

(٥) آية ١٠٥ ﴿ فَأَرْسِل معِيَ بَنِي إسْرَائيلَ ﴾

(٦) الشعراء ١٧ ﴿ أنْ أرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إسْرَائيلَ ﴾

(٧) السجدة ٢٣ ﴿ وَجعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إسرَائيلَ ﴾

(٨) الزخرف ٥٩ ﴿ وَجعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إسرَائيلَ ﴾

(٩) الزمر ١٧

(١٠) ساقط من ت ، م

النوع الرابع
فى
جمع الوجوه والنظائر

وقد صنف فيه قديماً مُقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابنُ الزاغونى[1] وأبو الفرج[2] بن الجوزى ،والدامغانى[3] الواعظ، وأبو الحسين بن فارس[4] ، وسمى كتابه " الأفراد "[5] .

فالوجوه اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان ؛ كلفظ « الأمة » ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة .

وقيل : النظائر فى اللفظ، والوجوه فى المعانى ؛ وضُعِّف ؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمعُ فى[6] الألفاظ المشتركة ؛ وهم يذكرون فى تلك الكتب اللفظَ الذى معناه واحد فى مواضع كثيرة ؛ فيجعلون الوجوهَ نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعا آخر ، كالأمثال .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقلّ ؛ ولا يوجد ذلك فى كلام البشر .

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن نصر الزاغونى الحنبلى البغدادى . منسوب إلى زاغوانى من أعمال بغداد . كان شيخ الحنابلة وأعظم أعيانهم ، توفى سنة ٥٢٧ . (وانظر ترجمته فى شذرات الذهب ٤ : ٨٠).

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى صاحب كتاب المنتظم فى التاريخ . توفى سنة ٥٩٧ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ٢٧٩) .

(٣) لعله قاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى محمد بن على بن محمد الحنفى : توفى سنة ٤٧٨ . (شذرات الذهب ٣ : ٣٦٢) .

(٤) هو أحمد بن فارس بن زكريا ؛ صاحب المجمل ومقاييس اللغة، وفقه اللغة وغيرها . توفى سنة ٣٩٥ . (وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ١ : ٩٣) .

(٥) زاد السيوطى فى الإتقان (١ : ١٤١) محمد بن عبد الصمد المصرى . (٦) ت ، م : « بين » .

وذكر مُقاتل فى صدر كتابه حديثا مرفوعا[١] : « لايكون الرجل فقيهاً كلَّ الفقه[٢] حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » .

فمنه « الهدى » سبعة عشر حرفا :

بمعنى البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ أولئكَ عَلَى هُدًى من رَبِّهِمْ ﴾ [٣] .

وبمعنى الدين : ﴿ إنَّ الهُدَى هُدَىٰ اللهِ ﴾ [٤] .

وبمعنى الإيمان : ﴿ ويزيد اللهُ الَّذينَ اهتَدَوْا هُدًى ﴾ [٥] .

وبمعنى الداعى : ﴿ ولِكُلِّ قومٍ هادٍ ﴾ [٦] . ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئمَّةً يَهْدُون بأمْرِنا ﴾[٧] .

وبمعنى الرسل والكتب : ﴿ فَإمّا يأتيَنّكُمْ مِنّى هُدًى ﴾ [٨] .

وبمعنى المعرفة : ﴿ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون ﴾ [٩] .

وبمعنى الرشاد : ﴿ اهْدِنا الصِّرَاطَ المُسْتقيمَ ﴾ [١٠] .

وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ ما أنْزَلْنا من البيِّنات والهُدَى ﴾ [١١] . ﴿ مِنْ بَعْدِ ما تبيَّنَ لَهُمُ الهُدَى ﴾ [١٢] .

وبمعنى القرآن : ﴿ ولقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى ﴾ [١٣] .

---

(١) الحديث المرفوع : ما أضيف إلى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، خاصة من فعل أو تقرير ؛ سواء كان متصلا أو منقطعا ؛ لسقوط الصحابى منه أو غيره . (قواعد التحديث ١٠٤) .

(٢) قال السيوطى : أخرجه ابن سعد وغيره عن أبى الدرداء موقوفا ، ولفظه « لا يفقه الرجل كل الفقه » ، وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معانى متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد . وانظر الإتقان (١ : ١٤١).

(٣) سورة البقرة ٥
(٤) سورة آل عمران ٧٣
(٥) سورة مريم ٧٦
(٦) سورة الرعد ٧
(٧) سورة الأنبياء ٧٣
(٨) سورة البقرة ٣٨
(٩) سورة النحل ١٦
(١٠) سورة الفاتحة ٦
(١١) سورة البقرة ١٥٩
(١٢) سورة محمد ٣٢
(١٣) سورة النجم ٢٣ .

وبمعنى التوراة : ﴿ ولقدْ آتينا موسى الهُدَى ﴾ (١) .

وبمعنى الاسترجاع : ﴿ وأُولئك همُ المهتدُونَ ﴾ (٢) ؛ ونظيرها فى التغابن : ﴿ وَمَنْ يؤمنْ باللهِ ﴾ (٣) أى فى المصيبة أنها من عند الله ﴿ يَهْدِ قلبه ﴾ (٣) للاسترجاع .

وبمعنى الحجة : ﴿ والله لا يَهْدِى القوْمَ الظَّالمين ﴾(٤) بعد قوله : ﴿ ألم تَرَ إلى الذِى حَاجَّ إبراهيمَ فى رَبِّهِ ﴾ ، أى لا يهديهم إلى الحجة .

وبمعنى التوحيد : ﴿ إن نَتَّبِـعِ الهُدَى مَعَكَ ﴾ (٥) .

وبمعنى السنّة : ﴿ وإنَّا عَلَى آثارِهمْ مُهْتَدُون ﴾ (٦) .

وبمعنى الإصلاح : ﴿ وأن اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائنينَ ﴾(٧) .

وبمعنى الإلهام : ﴿ أعطَى كلَّ شىء خَلْقَهُ ثم هَدَى ﴾ (٨) ، هدى كُلاًّ فى معيشتهِ .

وبمعنى التوبة : ﴿ إنا هُدْنَا إليكَ ﴾ (٩) أى تُبنا .

وهذا كثير الأنواع .

* * *

---

(١) سورة غافر ٥٣

(٢) سورة البقرة ١٥٧ ؛ وقبلها : ﴿ الذين إذا أصابتْهم مصيبةٌ قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعونَ. أولئكَ عليهمْ صَلَوَاتٌ مِن ربهم ورحمةٌ وأُولئكَ همُ المهتدونَ ﴾ .

(٣) سورة التغابن ١١ والآية بتمامها : ﴿ ما أصابَ من مُصيبَةٍ إلا بإذنِ اللهِ ومَنْ يؤمن باللهِ يَهدِ قلبهُ واللهُ بِكلِّ شىءٍ عليم ﴾ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٨

(٥) سورة القصص ٥٧

(٦) سورة الزخرف ٢٢ ، وزاد السيوطى فى الإتقان : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام ٩٠]

(٧) سورة يوسف ٥٢ (٨) سورة طه ٥٠

(٩) سورة الأعراف ١٥٦

وقال ابن فارس فى كتاب " الأفراد " :

كل ما فى كتاب الله من ذكر « الأسف » فمعناه الحزن ؛ كقوله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام : ﴿ يا أَسَفَا على يوسفَ ﴾ [١] إلا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسفونا ﴾[٢] . فإن معناه « أغضبونا » [٣] ؛ وأما قوله فى قصة موسى عليه السلام: ﴿ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ [٤] فقال ابن عباس : « مغتاظا » .

وكل مافى القرآن من ذكر « البروج » فإنها الكواكب ؛ كقوله تعالى : ﴿ والسماء ذاتِ البروج ﴾ [٥] إلا التى فى سورة النساء : ﴿ ولوْ كُنْتُمْ فى بُرُوج مُشَيَّدَةٍ ﴾[٦] ، فإنها القصور الطوال ، المرتفعة فى السماء ، الحصينة .

وما فى القرآن من ذكر « البر » و « البحر » فإنه يراد بالبحر الماء ، وبالبرّ التراب اليابس ، غير واحد فى سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فى البَرِّ والبَحْرِ ﴾ [٧] فإنه بمعنى البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : ﴿ فى البَرِّ ﴾ قَتَل ابن آدم أخاه ، وفى ﴿ البَحْرِ ﴾ أَخْذُ المَلِكِ كلَّ سفينةٍ غصبا .

والبخس فى القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فلاَ يخافُ بَخْسًا ولا رَهَقاً ﴾ [٨] إلا حرفاً واحداً فى سورة يوسف : ﴿ وَشَرَوْه بثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [٩] ؛ فإن أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما فى القرآن من ذكر البعْل فهو الزوج ؛ كقوله تعالى : ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أحقُّ

---

(١) سورة يوسف ٨٤

(٢) سورة الزخرف ٥٥

(٣) كذا فى ت ، ط ، وفى م : « تغضبونا » .

(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، طه ٨٦

(٥) سورة البروج ١

(٦) سورة النساء ٧٨

(٧) سورة الروم ٤١

(٨) سورة الجن ١٣

(٩) سورة يوسف ٢٠

بِرَدِّهِنَّ ﴾[١] إلا حرفًا واحدا فى الصافات : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ [٢] ، فإنّه أراد صنما .

وما فى القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان ؛ كقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ ﴾ ؛[٣] إنما أراد ﴿ بُكْمٌ ﴾ عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم ؛ إلاّ حرفين : أحدهما فى سورة بنى إسرائل[٤] : ﴿ عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا ﴾ والثانى فى سورة النحل : قوله عزّ وجل: ﴿ أحدُهما أَبْكَمُ ﴾[٥] فإنّهما فى هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

وكلّ شىء فى القرآن : ﴿ جِثِيا ﴾ فمعناه « جميعا » إلا التى فى سورة الشريعة[٦] : ﴿ وتَرى كلَّ أمة جاثية ﴾ فإنه أراد تجثُو على ركبتيها .

وكلّ حرف فى القرآن « حسبان » فهو من العدد ، غير حرف فى سورة الكهف : ﴿ حُسْبَانًا مِن السَّمَاءِ ﴾[٧] فإنه بمعنى العذاب .

وكل ما فى القرآن : « حسرةً » فهو الندامة ؛ كقوله عز وجل: ﴿ ياحَسْرةً عَلَى العِبَادِ ﴾[٨] إلا التى فى سورة آل عمران : ﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[٩] فإنه يعنى به « حزنا » .

وكل شىء فى القرآن : « الدّحض » و « الداحض » فمعناه الباطل ؛ كقوله : ﴿ حُجَّتُهُم دَاحِضَةٌ ﴾[١٠] ، إلا التى فى سورة الصافات : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾[١١] .

وكلّ حرف فى القرآن من « رجز » فهو العذاب ؛ كقوله تعالى فى قصة بنى إسرائيل :

---

(١) سورة البقرة ٢٢٨
(٢) سورة الصافات ١٢٥
(٣) سورة البقرة ١٨
(٤) هى التى تسمى الإسراء ، آية ٩٧
(٥) سورة النحل ٧٦
(٦) هى التى تسمى الجاثية ، آية ٢٨
(٧) سورة الكهف ٤٠
(٨) سورة يس ٣٠
(٩) سورة آل عمران ١٥٦
(١٠) سورة الشورى ١٦
(١١) سورة الصافات ١٤١ . وكان من المدحضين : أى من المغلوبين .

﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾(١) إلا فى سورة المدثر : ﴿ والرُّجْزَ فاهْجُرْ ﴾(٢) فانه يعنى : الصنمَ ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شىء فى القرآن من « ريب » فهو شك ، غير حرف واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾(٣) فإنه يعنى حوادث الدهر .

وكل شىء فى القرآن : « يَرْجُمنكُمْ » وَ « يَرْجُمُوكم » فهو القتل ، غير التى فى سورة مريم عليها السلام : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾(٤) يعنى لأشتمنّك .

قلت : وقوله : ﴿ رَجْمًا بالغيب ﴾(٥) أى ظنا . والرجم أيضاً : الطرد واللعن ؛ ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شىء فى القرآن من « زور » فهو الكذب ؛ ويراد به الشرك ؛ غير التى فى المجادلة : ﴿ مُنكَراً مِن القولِ وزُوراً ﴾(٦) ، فإنه كذب غير شرك .

وكلّ شىء فى القرآن من «زكاة » فهو المال ، غير التى فى سورة مريم : ﴿ وَحَنَانًا مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً ﴾(٧) ؛ فإنه يعنى « تعطفا » .

وكل شىء فى القرآن مِنْ « زاغوا » ولا « تُزِغْ » فإنه من « مالوا » ولا « تمل » غير واحد فى سورة الأحزاب : ﴿ وإذْ زاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾(٨) بمعنى « شَخَصتْ » .

وكل شىء فى القرآن من « يَسْخَرون » و « سخرنا » فإنه يراد به الاستهزاء ، غير التى فى سورة الزخرف : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾(٩) ، فإنه أراد(١٠) أعوانًا وخَدَمًا .

وكل سكينة فى القرآن طمأنينة فى القلب ، غير واحد فى سورة البقرة : ﴿ فيهِ سَكينةٌ

---

(١) سورة الأعراف ١٣٤ — (٢) سورة المدثر ٥

(٣) سورة الطور ٣٠ — (٤) سورة مريم ٤٦

(٥) سورة الكهف ٢٢ — (٦) سورة المجادلة ٢

(٧) آية ١٣ — (٨) آية ١٠ — (٩) آية ٣٢ — (١٠) ط « عونا »

منْ ربِّكُمْ ﴾(١) ، فإنه يعنى شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت فى التابوت .

وكل شىء فى القرآن من ذكر « السعير » فهو النار والوقود إلا قوله عزوجل : ﴿ إنَّ المجْرِمِينَ فى ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾ ،(٢) فإنه العناد .

وكل شىء فى القرآن من ذكر « شيطان » فإنه إبليس وجنودُه وذريّته إلا قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ ﴾(٣) ؛ فإنه يريد كهنتهم ؛ مثل كعب ابن الأشرف وحُيَيّ بن أخطب وأبى ياسر أخيه .

وكلّ «شهيد » فى القرآن غير القتلى فى الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلّا التى فى سورة البقرة قوله عزّ وجل : ﴿ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾(٤) ، فإنّه يريد شركاءكم .

وكل مافى القرآن من «أصحاب النار » فهم أهل النار إلّا قوله : ﴿ وما جَعَلْنا أصْحَابَ النَّار إلَّا ملائِكَةً ﴾(٥) فإنه يريد خَزَنَتها .

وكل «صلاة» فى القرآن فهى عبادة ورحمة إلاّ قوله تعالى : ﴿وَصَلَوَاتٌ ومساجِدُ ﴾(٦) فإنه يريد بيوت عباداتهم .

وكل « صَمم » فى القرآن فهو عن الاستماع للإيمان، غير واحد فى بنى اسرائيل ، قوله عز وجل : ﴿ عُمْياً وبُكْماً وصُمًّا ﴾(٧) ، معناه لا يسمعون شيئا .

وكلّ «عذاب» فى القرآن فهو التعذيب إلّا قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾(٨) فإنه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل فى البقرة : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُون ﴾(٩)

---

(١) آية ٢٤٨

(٢) سورة القمر ٤٧ — (٣) سورة البقرة ١٤

(٤) سورة البقرة ٢٣ — (٥) سورة المدثر ٣١

(٦) سورة الحج ٤٠ — (٧) سورة الإسراء ٩٧

(٨) سورة النور ٢ — (٩) سورة البقرة ١١٦

معناه «مقرّون» ، وكذلك في سورة الروم : ﴿ ولَهُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ والأرضِ كُلٌّ لهُ قَانِتُون ﴾[١] ، يعنى مُقِرّون بالعبوديّة .

وكل « كنز » في القرآن فهو المال إلّا الذى في سورة الكهف : ﴿ وكان تحتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾[٢] فانه أراد صحفا وعلما .

وكل « مصباح » في القرآن فهو الكوكب إلا الذى في سورة النور : ﴿ المصباحُ في زُجاجة ﴾[٣] ، فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن التزوج ؛ إلا قوله جعل ثناؤه : ﴿ حَتَّىٰ إذَ بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾[٤] فإنه يعنى الحُلُم .

النبأ والأنباء في القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عليهِمُ الأنباء ﴾ ؛[٥] فإنه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، إلا في القصص : ﴿ولمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ ،[٦] يعنى هجم عليه ولم يدخله .

وكل شىء في القرآن من ﴿ لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَها ﴾ ؛[٧] يعنى عن العمل إلا التى في سورة النساء[٨] ﴿ إلا ما آتاها ﴾[٩] يعنى النفقة .

وكل شىء في القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التى في الرعد ﴿ أفلم يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[١٠] أى ألم يعلموا . قال ابن فارس : أنشدنى أبى ، فارس بن زكريا :

(١) سورة الروم ٢٦
(٢) سورة الكهف ٨٢
(٣) سورة النور ٣٥
(٤) سورة النساء ٦
(٥) سورة القصص ٦٦
(٦) سورة القصص ٢٣
(٧) سورة البقرة ٢٨٦
(٨) حاشية ط : « يعنى القصرى » ، وهى سورة الطلاق .
(٩) آية ٧ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا مَا آتَاهَا ﴾ .
(١٠) سورة الرعد ٣١ .

أقول لهم بالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرُونني ألم تَيْئَسُوا أنى ابنُ فارس زهدَمِ [١]

قال الصاغانىّ [٢] : البيت لسحيم بن وثيل اليربوعىّ .

وكل شىء فى القرآن من ذكر « الصبر » محمود ، إلا قوله عز وجلّ : ﴿ لولا أن صَبَرْنا عليها ﴾ [٣]، و ﴿ واصْبِرُوا على آلهتكُمْ ﴾ [٤] . انتهى ما ذكره ابن فارس .

* * *

وزاد غيره : كل شىء فى القرآن : « لعلكم » فهو بمعنى « لكى » غير واحد فى الشعراء ﴿ لعلكم تَخْلُدُون ﴾ [٥] فإنه للتشبيه ؛ أى كأنكم .

وكل شىء فى القرآن «أقسطوا» فهو بمعنى العدل ، إلا واحد فى الجن :﴿ وأما القاسِطونَ فكانوا لجهنَّمَ حَطباً ﴾ [٦]. يعنى العادلين الذين يعدلون به غيره ؛ هذا باعتبار صورة اللفظ؛ و إلا فمادة الرباعىّ تخالف مادة الثلاثى .

وكل «كسف» فى القرآن يعنى جانباً من السماء غير ،واحد فى سورة الروم : ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً ﴾ [٧] يعنى السحاب قطعا .

وكل « ماء معين » فالمراد به الماء الجارى ؛ غير الذى فى سورة تبارك [٨] ؛ فإن المراد به الماء الطاهر الذى تناله الدلاء ؛ وهى زمزم .

---

(١) زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل ؛ وقيل إن هذا البيت لابنه جابر وليس له . وانظر اللسان — يأس — زهدم .

(٢) هو الإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغانى — ويقال الصاغانى ؛ صاحب التكملة على الصحاح . توفى سنة ٦٥٠ (بغية الوعاة ٢٢٧)

(٣) سورة الفرقان ٤٢

(٤) سورة ص ٦

(٥) سورة الشعراء ١٢٩

(٦) سورة الجن ١٥

(٧) سورة الروم ٤٨

(٨) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فمَنْ يَأتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ﴾ آية ٣٠.

وكل شيء فى القرآن « لئلاَّ » فهو بمعنى « كيلا » غير واحدٍ فى الحديد : ﴿ لِئَلاَّ يَعلمَ أَهْلُ الكِتابِ ﴾[١] ؛ يعنى لكى يعلم .

وكل شيء فى القرآن «من الظلمات إلى النور» فهو بمعنى الكفر والإيمان ؛ غير واحد فى أول الأنعام : ﴿ وجعَلَ الظُّلُماتِ والنورَ ﴾[٢] يعنى ظلمة الليل ونور النهار .

وكل « صوم » فى القرآن فهو الصيام المعروف ، إلا الذى فى سورة مريم: ﴿ إنِّى نذرْتُ للرحمٰن صوماً ﴾[٣] يعنى صمتاً .

وذكر أبو عمرو الدانىّ فى قوله تعالى : ﴿ واسْأَلْهُمْ عن القرْيَةِ الَّتِى كانت حاضِرَةَ البَحْرِ ﴾[٤] أن المراد بالحضور هنا المشاهدة . قال : وهو بالظاء بمعنى المنع والتحويط ، قال : ولم يأت بهذا المعنى إلا فى موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ ﴾[٥] .

قيل : وكل شيء فى القرآن : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أخبَرَنا به ، وما فيه : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فلم يخبِرْنا به ؛ حكاه البخارى رحمه الله فى تفسيره . واستدرك بعضهم عليه موضعا ، وهو قوله : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيب ﴾[٦] .

وقيل : الإنفاق حيث وقع فى القرآن فهو الصدقة ؛ إلا فى قوله تعالى : ﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثل ما أنفقُوا ﴾[٧] فإن المراد به المهر ؛ وهو صدقةٌ فى الأصل ؛ تصدّق الله بها على النساء .

---

(١) سورة الحديد ٢٩ — (٢) سورة الأنعام ١
(٣) سورة مريم ٢٦
(٤) سورة الأعراف ١٦٣ — (٥) سورة القمر ٣١
(٦) سورة الشورى ١٧ — (٧) سورة الممتحنة ١١

النوع الخامس
علم المتشابه

وقد صنف فيه جماعة ، ونظمه السّخاوى[1] وصنّف فى توجيهه الكرْمانى[2] كتاب " البرهان " ، والرازى[3] كتاب " درة التأويل " وأبو جعفر بن الزبير ، وهو أبسطها فى مجلدين.

وهو إيراد القصة الواحدة فى صُوَرٍ شتّى وفواصلَ مختلفة . ويكثُر فى إيراد القصص والأنباء ، وحكمتُه التصرّف فى الكلام و إتيانه على ضُروب ؛ ليعلِمهم عجزهم عن جميع طُرُق ذلك : مبتدأ به ومتكررا ، وأكثر أحكامه تثبت من وجهين ، فلهذا جاء باعتبارين . وفيه فصول :

الفصل الأول

[المتشابه باعتبار الأفراد]

الأول باعتبار الأفراد ، وهو على أقسام :

(١) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ، صاحب كتاب هداية المرتاب فى المتشابه ؛ وهى منظومة تعرف بالسخاوية : توفى سنة ٦٤٣ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ٣٤٥)

(٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى ؛ الملقب تاج القراء : توفى بعد سنة ٥٠٠ ، وكتابه هو البرهان فى متشابه القرآن ، منه نسخ خطية فى المكتبة التيمورية ، ودار الكتب ، والأزهر . (وانظر ترجمته فى بغية الوعاة ٣٨٧) .

(٣) ت « الدارى » تحريف ، وهو الإمام فخر الدين الرازى ــ تقدمت ترجمته . واسم كتابه فى كشف الظنون : « درة التنزيل وغرة التأويل » . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية .

الأول أن يكون فى موضعٍ على نظمٍ ، وفى آخرَ على عكسه ، وهو يشبه ردَّ العَجُز على الصَّدْر [١] ؛ ووقع فى القرآن منه كثير .

فى البقرة : ﴿ وادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [٢] ، وفى الأعراف : ﴿ وقُولُوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا ﴾ [٣] .

فى البقرة : ﴿ والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ ﴾ [٤] ، وفى الحج : ﴿والصَّابِئِينَ والنَّصَارَى﴾ [٥] .

فى البقرة والأنعام : ﴿ قُلْ إنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى ﴾ [٦] ، وفى آل عمران : ﴿ قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ ﴾ [٧] .

فى البقرة : ﴿ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيداً ﴾ [٨] ، وفى الحج : ﴿شَهِيداً عليكُمْ ﴾ [٩] .

فى البقرة : ﴿ وما أُهِلَّ به لِغَيْرِ اللهِ ﴾ [١٠] ، وباقى القرآن : ﴿ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ﴾ [١١] .

---

(١) رد العجز على الصدر يكون فى النثر ويكون فى النظم ؛ فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين ؛ أى المتفقين فى اللفظ والمعنى ، أو المتجانسين فى اللفظ دون المعنى ، أو الملحقين بالمتجانسين ؛ وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق — فى أول الفقرة والآخر فى آخرها ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ . وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر : إما فى صدر المصراع الأول ، أو حشوه أو آخره ، أو صدر المصراع الثانى ؛ كقوله :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وليس إلى داعِى الندى بسريع

وانظر الصناعتين ٣٨٥ — ٣٨٨

(٢) سورة البقرة ٥٨ . وحطة : مصدر «حط» ، ومعناه عند الحسن وقتادة : « احطط عنا خطايانا » . كذا ذكره الطبرى .

(٣) سورة الأعراف ١٦١

(٤) سورة البقرة ٦٢

(٥) سورة الحج ١٧

(٦) سورة البقرة ١٢٠ ، وسورة الأنعام ٧١

(٧) سورة آل عمران ٧٣

(٨) سورة البقرة ١٤٣

(٩) سورة الحج ٧٨

(١٠) سورة البقرة ١٧٣

(١١) سورة المائدة ٣ ، سورة الأنعام ١٤٥ ، سورة النحل ١١٥

فى البقرة : ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شيء مِمَّا كَسَبُوا ﴾ [١] ، وفى إبراهيم : ﴿ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شيء ﴾ [٢] .

فى آل عمران : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ [٣] ، وفى الأنفال : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ [٤] .

فى النساء : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ [٥] ، وفى المائدة : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ ﴾ [٦] .

فى الأنعام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٧] وفى حم المؤمن : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٨] .

فى الأنعام : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [٩] ، وفى بنى إسرائيل : ﴿ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [١٠] .

فى النحل : ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [١١] ، وفى فاطر : ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ [١٢] .

فى بنى إسرائيل : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا القُرْآنِ ﴾ [١٣] ، وفى الكهف : ﴿ فِى هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾ [١٤] .

فى بنى إسرائيل : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [١٥] ، وفى العنكبوت : ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ [١٦] .

---

(١) سوره البقرة ٢٦٤ — (٢) سورة إبراهيم ١٨
(٣) سورة آل عمران ١٢٦ — (٤) سورة الأنفال ١٠
(٥) سورة النساء ١٣٥ — (٦) سورة المائدة ٨
(٧) سورة الأنعام ١٠٢ — (٨) سورة المؤمن ٦٢
(٩) سورة الأنعام ١٥١ — (١٠) سورة الإسراء ٣١
(١١) سورة النحل ١٤ — (١٢) سورة فاطر ١٢
(١٣) سورة الإسراء ٨٩ — (١٤) سورة الكهف ٥٤
(١٥) سورة الإسراء ٩٦ — (١٦) سورة العنكبوت ٥٢

فى « المؤمنين » : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وآباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ ﴾ [١] ، وفى النمل : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هذا نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ قَبْلُ ﴾ [٢] .

فى القصص : ﴿ وجَاء رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المدينةِ يَسْعَى ﴾ [٣] . وفى يس : ﴿ وجاءَ مِنْ أقْصى المدينةِ رجلٌ يَسْعَى ﴾ [٤] .

فى آل عمران : ﴿ قالَ رَبِّ أنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وقدْ بَلَغَنِىَ الكِبَرُ وامْرأتى عاقِرٌ ﴾ [٥] ، وفى كهيعص : ﴿ وكانَتِ امْرأتِى عاقِراً وقدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتيًّا ﴾ [٦] .

* * *

الثانى ما يشتبه بالزيادة والنقصان ؛ ففى البقرة : ﴿ سَوَاءٌ عليهمْ أأنذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [٧] ، وفى يس : ﴿ وسَوَاءٌ ﴾ [٨] بزيادة « واو » ، لأن مافى البقرة جملةٌ هى خبرٌ عن أسم « إنَّ » ، وما فى يس جملةٌ عُطفتْ بالواو على جملةٍ .

فى البقرة : ﴿ فَأْتُوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [٩] ، وفى غيرها بإسقاط ﴿ مِنْ ﴾ لأنها للتبعيض ؛ ولما كانت سورة البقرة سَنَام القرآن وأوّله بعد الفاتحة حَسُن دخولُ ﴿ مِنْ ﴾ فيها ؛ ليُعلَم أن التحدّىَ واقعٌ على جميع القرآن مِن أوّله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السُّوَر ، فإنه لودخلها ﴿ مِنْ ﴾ لكان التحدّى واقعا على بعض السُّوَرِ دونَ بعض ، ولم يكن ذلك بالسَّهل .

فى البقرة : ﴿ فَمَنِ تَبِعَ هُدَاى ﴾ [١٠] ، وفى طه [١١] : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى ﴾ ، لأجل قوله هناك : ﴿ يَتَّبِعُونَ الداعِىَ ﴾ [١٢] .

---

(١) سورة المؤمنون ٨٣
(٢) سورة النمل ٦٨
(٣) سورة القصص ٢٠
(٤) سورة يس ٢٠
(٥) سورة آل عمران ٤٠
(٦) سورة مريم ٨
(٧) سورة البقرة ٦
(٨) سورة يس ١٠
(٩) سورة البقره ٢٣
(١٠) سورة البقرة ٣٨
(١١) سورة طه ١٢٣
(١٢) سوره طه ١٠٨ .

فى البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾[١] ، بغير « واوٍ » على أنه بدلٌ من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾[٢] ، ومثله فى الأعراف ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾[٣] ، وفى إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾[٤] بالواو ، لأنه من كلام موسى عليه السلام ، يعدّد المحن عليهم .

فى البقرة : ﴿ ولَكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٥] ، وفى آل عمران : ﴿ ولَكِن أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٦] .

فى البقرة : ﴿ فَمَنْ شهِدَ مِنكمُ الشهْرَ فَلْيَصُمْهُ ومَنْ كانَ مرِيضاً ﴾[٧] ، ثم قال : ﴿ فمَنْ كانَ مِنْكمْ مرِيضاً ﴾[٨] .

فى البقرة : ﴿ و يُكَفِّرُ عنكمْ مِنْ سَيِّئَاتِكمْ واللهُ بما تَعمَلُونَ خبِيرٌ ﴾[٩] ، وسائر مافى القرآن بإسقاط ﴿ مِنْ ﴾ .

وفيها : ﴿ وَلَا يكلِّمُهمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهمْ ﴾[١٠] ، وفى آل عمران : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا ينظرُ إليهِم يوْمَ القِيامَةِ ولَا يزَكِّيهمْ ﴾[١١] .

قالوا : وجميع مافى القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء، إلا قوله تعالى فى طه : ﴿ ويَسْأَلُونكَ عن الجبالِ فَقلْ يَنْسِفهَا ربِّى نسفاً ... ﴾[١٢] ، الآية ؛ لأن الأجوبة فى الجميع كانت بعد السؤال ، وفى طه كانت قبل السؤال. وكأنه قيل : إن سئلت عن الجواب فقل .

فى الأعراف : ﴿ لقدْ أرسَلنَا نُوحاً ﴾[١٣] ، بغير « واو » ، وليس فى القرآن غيرُه .

---

(١) سورة البقرة ٤٩
(٢) سورة الأعراف ١٤١
(٣) سورة الأعراف ١٤١
(٤) سورة إبراهيم ٦
(٥) سورة البقرة ٥٧
(٦) سورة آل عمران ١١٧
(٧) سورة البقرة ١٨٥
(٨) سورة البقرة ١٩٦
(٩) سورة البقرة ٢٧١
(١٠) سورة البقرة ١٧٤
(١١) سورة آل عمران ٧٧
(١٢) سورة طه ١٠٥
(١٣) سورة الأعراف ٥٩

فى البقرة : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [١] ، وفى الأنفال : ﴿ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [٢] .

فى آل عمران : ﴿ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٣] ، وفى المائدة : ﴿ بأننا مُسْلِمونَ ﴾ [٤] .

فى آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [٥] بباء واحدة إلا فى قراءة ابن عامر ، وفى فاطر : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [٦] بثلاث باءات .

فى آل عمران : ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [٧] وسائر مافى القرآن : ﴿ هؤلاء ﴾ بإثبات الهاء .

فى النساء : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٨] بالواو ، وفى ﴿ براءة ﴾ [٩] ﴿ ذلك ﴾ بغير واو .

فى النساء : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ [١٠] ، وفى المائدة بزيادة ﴿ منهُ ﴾ [١١] .

فى الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ [١٢] لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ ، فكرر ﴿ لَكُمْ ﴾ ، وقال فى هود : ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [١٣] ؛ لأنه تكرر ﴿ لكم ﴾ فى قصته أربع مرات فاكتفى بذلك .

فى الأنعام : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [١٤] ،

---

(١) سورة البقرة ١٩٣ (٢) سورة الأنفال ٣٩

(٣) سورة آل عمران ٦٤ (٤) سورة المائدة ١١١

(٥) سورة آل عمران ١٨٤ ، قرأها ابن عامر ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ . وانظر اتحاف فضلاء البشر ص ١٨٣

(٦) سورة فاطر ٢٥

(٧) سورة آل عمران ١١٩ (٨) سورة النساء ١٣

(٩) سورة التوبة (١٠) سورة النساء ٤٣

(١١) سورة المائدة ٦ (١٢) سورة الأنعام ٥٠

(١٣) سورة هود ٣١ (١٤) سورة الأنعام ١١٧

وفى القلم : ﴿ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [١] بزيادة الباء ولفظ الماضى ، وفى النجم : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ [٢] .

فى الأنعام : ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [٣] ،وفى سورة المؤمنين [٤] بزيادة ﴿ نَمُوتُ ﴾ ، وفيها أيضاً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٥] ليس فيها غيره .

وفيها : ﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [٦] ، وفى فاطر ؛ ﴿خَلَائِفَ فِى الْأَرْضِ﴾ [٧] ، بإثبات ﴿ فى ﴾ .

فى الأعراف : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [٨] ، وفى ص : ﴿ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [٩] ، وفى الحجر : ﴿ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [١٠] فزاد ﴿ لا ﴾ .

فى الأعراف : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [١١] بالفاء، وكذا حيث وقع، إلا فى يونس [١٢] .

فى الأعراف : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ [١٣] بغيرواو ، وفى المؤمنين وهود : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ بالواو . [١٤] ١ العنكبوت

فى الأعراف : ﴿ كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [١٥] وفى يونس بزيادة ﴿ به ﴾ [١٦] .

فى الأعراف : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [١٧] ، وفى الشعراء بزيادة ﴿ بِسِحْرِهِ ﴾ [١٨] .

---

(١) سورة القلم ٧
(٢) سورة النجم ٣٠
(٣) سورة الأنعام ٢٩
(٤) سورة المؤمنون ٣٧
(٥) سورة الأنعام ١٥٩
(٦) سورة الأنعام ١٦٥
(٧) سورة فاطر ٣٩
(٨) سورة الأعراف ١٢
(٩) سورة ص ٧٥
(١٠) سورة الحجر ٣٢
(١١) سورة الأعراف ٣٤
(١٢) آية ٤٩
(١٣) سورة الأعراف ٥٩
(١٤) سورة هود ٢٥ ، المؤمنون ٢٣
(١٥) سورة الأعراف ١٠١
(١٦) آية ٧٤
(١٧) سورة الأعراف ١١٠
(١٨) سورة الشعراء ٣٥

فى هود : ﴿ وإنَّنَا لَفِى شكٍّ مِمَّا تدعُونا ﴾[١] ، وفى إبراهيم : ﴿ وَإنَّا لفِى شكٍّ مِمَّا تدْعُوننَا ﴾[٢] .

فى يوسف : ﴿ ومَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبلِكَ ﴾[٣] ، وفى الأنبياء : ﴿ ومَا أرْسَلْنَا قَبلَكَ ﴾[٤] .

فى النحل : ﴿ فأحْيَا به الْأَرْضَ بَعْدَ موْتِها ﴾[٥] ، وفى العنكبوت : ﴿ مِنْ بعدِ مَوْتِهَا ﴾[٦] .

وكذلك حذف « من » من قوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ،[٧] وفى الحج : ﴿ منْ بَعدِ علمٍ شيْئاً ﴾[٨] :

فى الحج : ﴿ كلَّما أرادُوا أنْ يخْرُجُوا مِنهَا منْ غَمٍّ أُعيدُوا فِيهَا ﴾[٩] ، وفى السجدة : ﴿ منْهَا أُعيدُوا فِيهَا ﴾[١٠] .

فى النمل : ﴿ وَألْقِ عصَاكَ ﴾[١١] ، وفى القصص : ﴿ وأن ألْقِ عَصَاكَ ﴾ .[١٢]

فى العنكبوت : ﴿ وَلما أنْ جَاءتْ رُسُلنَا لوطًا ﴾[١٣] ، وفى هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ ﴾[١٤] بغير « أن » .

---

(١) سورة هود ٦ (٢) سورة إبراهيم ٩

(٣) سورة يوسف ١٠٩ (٤) سورة الأنبياء ٧

(٥) سورة النحل ٦٥ ، وفى حاشية ط : « تقدم فى كلامه قريبا أنه فى العنكبوت كذلك » .

(٦) سورة العنكبوت ٦٣ (٧) سورة النحل ٧٠

(٨) سورة الحج ٥ (٩) سورة الحج ٢٢

(١٠) سورة السجدة ٢٠ (١١) سورة النمل ١٠

(١٢) سورة القصص ٣١ (١٣) سورة العنكبوت ٣٣

(١٤) سورة هود ٧٧ .

فى العنكبوت : ﴿ فأَحْيا بِهِ الأَرضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها ﴾[١] بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ ليس غيره .

فى سورة المؤمن : ﴿ إنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾[٢] ، وفى طه : ﴿ آتيةٌ ﴾[٣] .

فى النحل : ﴿ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[٤] ، وفى الأعراف : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾[٥] .

فى المؤمنين : ﴿ موسى وأخاهُ هارونَ بآياتِنا وسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إلى فِرْعَوْنَ ﴾[٦] ، وفى المؤمن بإسقاط ذكر « الأخ »[٧] .

فى البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ أبناءَكُمْ ﴾[٨] وفى سورة إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾[٩] بالواو ؛ ووجهه أنه فى سورة إبراهيم تقدم ﴿ وذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾[١٠]، وهى أوقات عقوبات إلى أن قال : ﴿ إنَّ فى ذلكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ، واللائق أن يعدّد امتحانهم تعديدا يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنّة ؛ ولذلك أتى بالعاطف ليؤذن بأن إسامتَهم العذاب مغايرٌ لتذبيح الأبناء وسَبْى النساء ؛ وهو ما كانوا عليه من التسخير ، بخلاف المذكور فى البقرة ، فإن مابعد ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ تفسير له ، فلم يعطف عليه . ولأجل مطابقة السابق جاء فى الأعراف : ﴿ يُقتِّلونَ أبناءَكُمْ ﴾[١١] ، ليطابق : ﴿ سَنُقَتِّلُ أبناءهُمْ ونَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[١٢] .

* * *

الثالث : التقديم والتأخير ، وهو قريب من الأول ، ومنه فى البقرة : ﴿ يَتلُو عليهمْ

---

(١) سورة العنكبوت ٦٣ — (٢) سورة غافر ٥٩
(٣) سورة طه ١٥ — (٤) سورة النحل ٢٠
(٥) سورة الأعراف ١٩٧ — (٦) المؤمنون ٤٥ ، ٤٦
(٧) المؤمن ٢٣ — (٨) سورة البقرة ٤٩
(٩) سورة إبراهيم ٦ — (١٠) سورة إبراهيم ٥
(١١) سورة الأعراف ١٤١ — (١٢) سورة الأعراف ١٢٧

آياتِكَ ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ ﴾[١] مؤخر ، وما سواه : ﴿ يُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ ﴾[٢] .

ومنه تقديم « اللَّعِب » على « اللهو » فى موضعين من سورة الأنعام[٣] ، وكذلك فى القتال[٤] والحديد[٥] .

وقدم « اللهو » على « اللعب » فى الأعراف[٦] والعنكبوت[٧] ، وإنما قدم اللعب فى الأكثر ، لأن اللعب زمان الصبا ، واللهو زمان الشباب ، وزمانُ الصبا متقدم على زمان اللهو .

تنبيه : ما ذكره فى الحديد : ﴿ اعلَمُوا أنما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ﴾ ؛ أى كلعب الصبيان ، ﴿ ولهوٌ ﴾[٣] أى كلهو الشباب ، ﴿ وزينة ﴾ كزينة النساء ، ﴿ وتفاخر ﴾ كتفاخر الإخوان ، ﴿ وتكاثر ﴾ كتكاثر السُّلطان . وقريب منه فى تقديم اللعب على اللهو قوله : ﴿ وما بَيْنَهُما لاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنا أنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾[٨] .

وقدم « اللهو » فى الأعراف ؛ لأن ذلك يوم القيامة ، فذكر على ترتيب ما انقضى ، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين .

وأما العنكبوت فالمراد بذكرها[٩] زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء . ﴿ وأن الدار الآخرة لهى الحيوان ﴾ ؛ أى الحياة التى لا أبدَ لها ولا نهاية لأبدها ؛ فبدأ بذكر اللهو، لأنه فى زمان الشباب ، وهو أكثر من زمان اللعب ؛ وهو زمان الصِّبا .

---

(١) سورة البقرة ١٢٩ (٢) سورة الجمعة ٢ .

(٣) سورة الأنعام ٣٢ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٤) هى سورة القتال ٣٦ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٥) سورة الحديد ٢٠ : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٦) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٦٤ : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .

(٨) سورة الأنبياء ١٦ ، ١٧ (٩) أى اللهو واللعب .

ومنه تقديم لفظ « الضرر » على « النفع » فى الأكثر ، لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولا ، ثم طمعا فى ثوابه .

وحيث تقدم النفع على الضرّ فلتقدم مايتضمن النفع ؛ وذلك فى سبعة مواضع : ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهى فى الأعراف والرعد وسبأ[١] ، وأربعة بلفظ الفعل، وهى فى الأنعام : ﴿ مَالَا يَنفعُنَا وَلَا يضُرُّنَا ﴾[٢] . وفى آخر يونس : ﴿ مَالَا يَنفعُكَ وَلَا يضُرُّكَ ﴾[٣] ، وفى الأنبياء : ﴿ مَالَا يَنفعُكُمْ شيئاً وَلَا يضرُّكُمْ ﴾[٤] ، وفى الفرقان : ﴿ مَالَا يَنفعُهُمْ وَلَا يضُرُّهُمْ ﴾[٥] .

أما فى الأعراف فلتقدُّم قوله : ﴿ مَنْ يهْدِ اللهُ فهُوَ المُهتَدِى ومنْ يُضْلِلْ ﴾[٦] فقدم الهداية على الضلال، و بعد ذلك : ﴿ لَاستَكْثَرْتُ منَ الخيْرِ ومَا مَسَّنِىَ السُّوء ﴾[٧] فقدّم الخير على السوء ، وكذا قدم النفع على الضر .

أما فى الرعد فلتقدم « الطوع » فى قوله : ﴿ طوْعاً أوْ كَرْهاً ﴾[٨] .

وأما فى سبأ فلتقدم «البسط» فى قوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمَنْ يشَاء وَيقدِرُ ﴾[٩] .

وفى يونس قدم الضرّ على الأصل ولموافقة مقبلها فإن فيها : ﴿ مَالَا يضُرُّهُمْ وَلَا

---

(١) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿ قُلْ لَا أملِكُ لِنَفْسِى نفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾ . سورة الرعد ١٦ ﴿ قُلْ أفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نفْعاً وَلَاضَرّاً ﴾ . سورة سبأ ٤٢: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾ .

(٢) سورة الأنعام ٧١

(٣) سورة يونس ١٠٦ — (٤) سورة الأنبياء ٦٦

(٥) سورة الفرقان ٥٥ — (٦) سورة الأعراف ١٧٨

(٧) سورة الأعراف ١٨٨ — (٨) سورة فصلت ١١

(٩) سورة سبأ ٣٦

يَنفعُهُمْ ﴾ (١) وفيها : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾ (٢) فتكون الآية ثلاث مرات .
وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن نفعا .

أما الأنعام ففيها : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ (٣) ، ثم وصله بقوله : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دونِ اللهِ مَالَا يَنفعُنَا وَلَا يضُرُّنا ﴾ (٤) .

وفى يونس تقدَّمَ قوله : ﴿ ثمَّ نُنَجِّى رسلنَا والذِينَ آمَنُوا كَذلكَ حقًّا علينَا نُنْجِي المؤمِنِينَ ﴾ (٥) ، ثم قال : ﴿ ولَا تدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ ينفعُكَ وَلاَ يضُرُّكَ ﴾ (٦) .

وفى الأنبياء ، تقدمقول الكفار لإبراهيم فى المجادلة : ﴿ لقَدْ علِمْتَ مَاهؤُلَاء ينطِقُونَ . قالَ أفتعبُدُونَ منْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنفعُكُمْ شيئًا ولاَ يضُرُّكُمْ ﴾ (٧) .

وفى الفرقان تقدَّم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مدَّ الظِّل ﴾ (٨) نعاجمة فى الآيات ، ثم قال : ﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا ينفعُهُمْ ولَا يضُرُّهُمْ ﴾ (٩) .

فتأمل هذه المواضع المطَّردة التى هى أعظمُ اتساقامن العقود .ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ واتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفس شيْئاً ولَا يُقبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنهاعَدْلٌ ﴾ (١٠) .
ثم قال سبحانه فى السورة : ﴿ وَاتَّقوا يوْماً لَا تَجْزِى نَفسٌ عَنْ نَفْسٍ شيْئًا... ﴾ (١١) الآية .

وفيها سؤالان :

---

(١) سورة يونس ١٨ (٢) سورة يونس ١٢
(٣) سورة الأنعام ٧٠ (٤) سورة الأنعام ٧١
(٥) سورة يونس ١٠٢ (٦) سورة يونس ١٠٦
(٧) سورة الأنبياء ٦٥ ، ٦٦ (٨) سورة الفرقان ٤٥
(٩) سورة الفرقان ٥٥ (١٠) سورةالبقرة ٤٨
(١١) سورة البقرة ١٢٣ .

أحدهما أنه سبحانه فى الأولى قدم نفى قبول الشفاعة على أخذ العدل ، وفى الثانى قدم نفى قبول العدل على الشفاعة .

السؤال الثانى : أنه سبحانه وتعالى قال فى الأولى : ﴿لاَ يُقبَلُ مِنْها شَفَاعَةٌ﴾(١) وفى الثانية : ﴿وَلاَ تنفَعُهَا شفاعَةٌ﴾(٢) فغاير بين اللفظين ، فهل ذلك لمعنى يترتب عليه ، أو من باب التوسع فى الكلام ، والتنقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب ؟

والجواب : أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة ، قال الله تعالى : ﴿كتَابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٣) ولم يقل « من رحمن ولا رحيم » ، للتنصيص على أنه لابدّ من الحكمة ؛ وهاتان الآيتان كلاهما فى حق بنى اسرائيل ، وكانوا يقولون : إنهم أبناء الأنبياء وأبناء أبنائهم ، وسيشفع لنا آباؤنا ، فأعلمهم الله أنه لاتنفعهم الشفاعة ، ولا تجزى نفس عن نفس شيئا .

وتعلّق بهذه الآية المعتزلةُ على نفى الشفاعة ، كما ذكره الزمخشرىّ ؛ وأجاب عنها أهل السنة بأجوبةٍ كثيرة ليس هذا محلَّها .

وذكر الله فى الآيتين « النفس » متكرّرة ، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعَه إلى الأولى أو إلى الثانية ، وإن كانت القاعدة عودَ الضمير إلى الأقرب ؛ ولكن قد يعود إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٤) فالضمير فى التعزير والتوقير راجع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى التسبيح عائد إلى الله تعالى ، وهو متقدم على ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فعاد الضمير على غير الأقرب .

إذا علمت ذلك ، فقوله فى الأولى : ﴿ولا يُقْبَلُ مِنها شَفَاعَةٌ﴾(٥) الضمير راجع إلى

---

(١) سورة البقرة ٤٨ (٢) سورة البقرة ١٢٣
(٣) سورة هود ٢ (٤) سورة الفتح ٩
(٥) سورة البقرة ١٢٣

النفس الأولى وهى الشفاعة لغيرها . فلما كان المراد فى هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له أخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم الاحتفاء به ؛ وهذا الخبر يكون باعثاً للسامع فى ترك الشفاعة إذا علم أن المشفوع عنده لا يقبل شفاعته ، فيكون التقدير على هذا التفسير : ﴿ لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شيئاً ولا يُقبَلُ مِنْها شَفَاعَةٌ ﴾[١] « لو شفعت » ، يعنى : وهم لا يشفعون ، فيكون ذلك مؤيساً لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء ينفعونهم من غير عمل منهم .

وقوله : ﴿ ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ ﴾[١] إن جعلنا الضمير فى ﴿ منها ﴾ راجعاً إلى الشافع أيضاً فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى المشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً لقبول شفاعته فمن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل ؛ وإن جعلنا الضمير راجعاً إلى المشفوع فيه فهو أحرى بالتأخير ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت ، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤنسا لحصول مقصود الشفاعة ، وهو ثمرتها للمشفوع فيه .

وأما الآية الثانية فالضمير فى قوله : ﴿ مِنْها عَدْلٌ ﴾ راجع إلى النفس الثانية ، وهى النفس التى هى صاحبة الجريمة ، فلا يقبل منها عدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدّما على الشفاعة فيه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تحصيل مقصوده ، فناسب ذلك تقديم العدل الذى هو الفدية من المشفوع له على الشفاعة .

ففى هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرْمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ؛ وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ، ولهذا قال فى الأولى : ﴿ ولا يُقْبَلُ مِنْها شَفَاعَةٌ ﴾[٢] وفى الثانيـة : ﴿ ولا تَنفَعُها شَفَاعَةٌ ﴾[٣] ، لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

---

(١) سورة البقرة ٤٨ (٢) سورة البقرة ٤٨
(٣) سورة البقرة ١٢٣

وقال الراغب[١] : إنما كرر ﴿ لا ﴾ فيهما على سبيل الإنذار بالواعظ إذا وعظ لأمر فإنه يكرر اللفظ لأجله تعظيما للأمر . قال : وأما تغييره النظم فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرق فى المعنى .

وقال الإمام فخر الدين : لما كان الناس متفاوتين ، فمنهم من يختار أن يشفع فيه مقدما على العدل الذى يخرجه ؛ ومنهم من يختار العدل مقدما على الشفاعة ، ذكر سبحانه وتعالى القسمين ؛ فقدم الشفاعة باعتبار طائفة ، وقدم العدل باعتبار أخرى .

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى : الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفى قبول الشفاعة لا نفعها، ونفى أصل العدل الذى هو الفداء ، و بدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذى هو الفداء. على ماهو المعروف فى دار الدنيا ؛ وفى الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذى هو الخلاص بالعدل، وثنى بنفع الشفاعة فقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُها شَفَاعَةٌ ﴾[٢] ولم يقل : لا تقبل منها شفاعة، و إن كان نفى الشفاعة يستلزم نفى قبولها ، لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة ، وتنفع لأغراض : من وعد بخير ، وابدال المشفوع بغيره ؛ فنفى النفع أعم، فلم يكن بين نفى القبول ونفى النفع بالشفاعة تلازم، كما ادعاه الراغب . وكان التقدير بالفداء الذى هو نفى قبول العدل ونفى نفع الشفاعة شيئين مؤكدين لاستقرار ذلك فى الآية الثانية .

ومما يدل على أن نفى الشفاعة أمر زائد على نفى قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن المشركين أخبر بنفى النفع لا بنفى القبول فقال : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ ، وقال: ﴿ ولا تَنْفَعُ الشفَاعَةُ عِنْدَه ﴾[٣] الآية . وفى الحديث الصحيح[٤] أنهم قالوا : يارسول الله ، هل نفعت عمك

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر ؛ ومؤلف كتاب المفردات فى غريب القرآن ومحاضرات الأدباء؛ توفى سنة ٣٩٦ (وانظر بغية الوعاة ٣٨٦) .

(٢) سورة البقرة ١٢٣ (٣) سورة سبأ ٢٣

(٤) نقله الزمخشرى فى الفائق ٢ : ٥٥ : «قال له صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ؛ فهل ينفعه ذلك ؟ قال نعم، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح — وروى: أنه فى ضحضاح من النار يغلى منه دماغه . وروى : رأيت أبا طالب فى ضحضاح من النار ؛ ولولا مكانى لكان فى طمطام» . ثم قال: «هو فى الأصل الماء إلى الكعبين، والطمطام : معظم ماء البحر» .

أباطالب ؟ فقال : «وجدته فنقلته إلى ضحضاح من النار ».مع علمهم أنه لا يشفع فيه.فإن قيل: فقد قال فى آخر السورة : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فيه وَلَا خلّةٌ ولا شفَاعةٌ ﴾[١] فنفَى الشفاعة ولم ينف نفعها ؟

قيل : من باب زيادة التأكيد أيضاً ؛ فإنه سبحانه ذكر فى هذه الآية الأسباب المنجية فى الدنيا ونفاها هناك ، وهى إما البيع الذى يتوصل به الإنسان إلى المقاصد ، أو الخلة التى هى كال المحبة . وبدأ بنفى المحبة لأنه أعمّ وقوعا من الصداقة والمخالّة ، وثنّى بنفى الخلّة التى هي سبب لنيل الأغراض فى الدنيا أيضاً ؛ وذكر ثالثا نفى الشفاعة أصلا ، وهى أبلغُ من نفى قبولها ؛ فعاد الأمر إلى تكرار الجمل فى الآيات ليفيد قوّة الدلالة .

***

الرابع : بالتعريف والتنكير ، كقوله فى البقرة : ﴿ وَيَقْتُلونَ النبيِّينَ بِغَيْرِ الحقِّ ﴾[٢] وفى آل عمران : ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[٣] .

وقوله فى البقرة : ﴿ هَذَا بَلَدًا آمِناً ﴾[٤] ، وفى سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا البَلَدَ آمِناً ﴾[٥] ؛ لأنه للإشارة إلى قوله : ﴿ بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ ﴾[٦] ؛ ويكون ﴿ بلدا ﴾ هنا هو المفعول الثانى ، و﴿ آمنا ﴾ صفته ، وفى إبراهيم ﴿ البلد ﴾ مفعول أول ، و ﴿ آمنا ﴾ الثانى .

وقوله فى آل عمران : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾[٧] ، وفى الأنفال : ﴿ إنَّ اللهَ عزيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٨] .

وقوله فى حم السجدة : ﴿ فاستَعِذْ بِاللهِ إنَّهُ هُوَ السميعُ العَليمُ ﴾[٨] وفى الأعراف:

(١) سورة البقرة ٢٥٤
(٢) سورة البقرة ٦١ — (٣) سورة آعمران ١١٢
(٤) سورة البقرة ١٢٦ — (٥) سورة إبراهيم ٣٥
(٦) سورة إبراهيم ٣٧ — (٧) سورة آل عمران ١٢٦
(٨) سورة الأنفال ١٠ — (٩) سورة فصلت ٣٦

﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) ، لأنها فى « حمٓ » مؤكدة بالتكرار بقوله : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾(٢) ؛ فبالغ بالتعريف ، وليس هذا فى سورة الأعراف ، فجاء على الأصل : المخبرُ عنه معرفة والخبر نكرة .

* * *

الخامس : بالجمع والإفراد ، كقوله فى سورة البقرة : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾(٣) وفى آل عمران : ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾(٤) ؛ لأن الأصل فى الجمع إذا كان واحدُه مذكرا أن يُقتصر فى الوصف على التأنيث نحو : ﴿ سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وأَكْوَابٌ موضُوعَةٌ . ونَمَارِقُ مَصْفوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مبثُوثَةٌ ﴾(٥) فجاء فى البقرة على الأصل . وفى آل عمران على الفرع(٦) .

* * *

السادس : إبدال حرف بحرف غيره ، كقوله تعالى فى البقرة : ﴿ اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الْجنةَ وَكُلَا ﴾(٧) بالواو ، وفى الأعراف : ﴿ فكلا ﴾(٨) بالفاء ، وحكمته أن ﴿اسكُن﴾ فى البقرة من السكون الذى هو الإقامة . فلم يصلح إلا بالواو ؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة . والذى فى الأعراف من المسْكن وهو اتخاذ الموضع سكَنا ، فكانت الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعِى زمنا متجددا ، وزاد فى البقرة ﴿ ﴿ رغداً ﴾ لقوله : ﴿ وقُلْنا ﴾ ، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها : ﴿ قال ﴾ وذهب قوم إلى أن ما فى الأعراف خطابٌ لهما قبل الدخول ، وما فى البقرة بعد الدخول .

ومنه قوله تعالى فى البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا ﴾(٩) بالفاء ، وفى الأعراف(١٠) بالواو .

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٠ (٢) سورة فصلت ٣٥
(٣) سورة البقرة ٨٠ (٤) سورة آل عمران ٢٤
(٥) سورة الغاشية ١٣ — ١٦ (٦) ط : « النوع »
(٧) سورة البقرة ٣٥ (٨) سورة الأعراف ١٩
(٩) سورة البقرة ٥٨ (١٠) الأعراف ١٦١ .

في البقرة : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُمْ بعْدَ الَّذِى جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾[١] ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ من بَعدِ ماجاءَكَ ﴾[٢] .

في البقرة : ﴿ فَلَا يُخفَّفُ عنهمُ العذَابُ وَلَا همْ يُنصَرُونَ ﴾[٣] ، وفى غيرها : ﴿ ولَا همْ يُنظرُون ﴾[٤] .

في البقرة : ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[٥] ، وفى آل عمران : ﴿ عَلَيْنَا ﴾[٦] .

في الأنعام : ﴿ قلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثمّ انظُرُوا ﴾[٧]، وفى غيرها : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْض فانظرُوا ﴾[٨] .

في الأعراف :﴿ ومَا كانَ جوَابَ قومِهِ ﴾[٩] بالواو ، وفى غيرها بالفاء .

في الأعراف : ﴿ آمنتُمْ بهِ ﴾[١٠] ، وفى الباقى : ﴿ آمنتُمْ لهُ ﴾[١١] .

في سورة الرعد : ﴿ كلٌّ يَجْرى لأجلٍ مُسمًّى ﴾[١٢] ، وفى لقمان : ﴿ إلى أجلٍ مسمًّى ﴾[١٣] ، لا ثانى له .

في الكهف : ﴿ومَنْ أظلمُ ممَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ ربهِ فأعرضَ عنهَا﴾[١٤] ، وفى السجدة : ﴿ ثمَّ أعْرض عَنهَا ﴾[١٥] .

في طه : ﴿ أفلَمْ يهْدِ لَهُمْ ﴾[١٦] بالفاء ، وفى السجدة : ﴿ أو لَمْ يهْدِ لهمْ ﴾[١٧] .

---

(١) سورة البقرة ١٢٠ (٢) سورة البقرة ١٤٥
(٣) سورة البقرة ٨٦ (٤) سورة آل عمران ٨٨
(٥) سورة البقرة ١٣٦ (٦) سورة آل عمران ٨٤
(٧) سورة الأنعام ١١ (٨) سورة النمل ٦٩
(٩) سورة الأعراف ٨٢ (١٠) سورة الأعراف ١٢٣
(١١) سورة طه ٧١ (١٢) سورة الرعد ٢
(١٣) سورة لقمان ٢٩ (١٤) سورة الكهف ٥٧
(١٥) سورة السجدة ٢٢ (١٦) سورة طه ١٢٨
(١٧) سورة السجدة ٢٦.

في القصص : ﴿ وَمَا أُوتيتُم منْ شيء ﴾[1] ، وفى الشورى : ﴿ فَمَا أُوتيتُم ﴾[2] بالفاء .

فى الطور : ﴿ وأقبَلَ بعضُهُمْ عَلَى بعضٍ ﴾[3] ، و ﴿ واصْبِرْ لِحكْمِ ربكَ ﴾[4] ، بالواو فيهما ؛ وفى الصافات : [﴿فأقبلَ بعضُهُمْ عَلَى بعضٍ ﴾[5] ، وفى القلم : ﴿فاصْبِرْ لحكْمِ ربِّكَ ﴾[6] ، بالفاء فيهما][7] كما أن : ﴿و بئْسَ القرَارُ﴾[8] ، و ﴿ويذَبِّحونَ ﴾[9] بالواو فيهما ، فى إبراهيم .

فى الأعراف : ﴿ سُقْناه لبلدٍ ميِّتٍ ﴾[10] ، [وفى فاطر[11] : ﴿ إلى بلد ﴾][7] .

* * *

السابع : إبدال كلمة بأخرى :

فى البقرة : ﴿ مَا أَلْفَينَا عَليهِ آباءنَا ﴾[12] ، وفى لقمان : ﴿ وَجدْنا ﴾[13] .

فى البقرة : ﴿ فانفَجَرَتْ ﴾[14] ، وفى الأعراف : ﴿ فانبَجَسَتْ ﴾[15] .

فى البقرة : ﴿فأزَلَّهُمَا الشَّيطَانُ ﴾[16] ، وفى الأعراف : ﴿ فوسوسَ لهما الشيطانُ ﴾[17] .

فى آل عمران ﴿قالت : رَبِّ أنّى يَكُونُ لى ولدٌ ﴾[18] ، وفى مَرْيم : ﴿قَالَتْ أَنَّى يكُونُ لى غُلامٌ ﴾[19] ، لأنه تقدم ذكره فى ﴿لِأَهَبَ لكِ غُلاماً زَكِيًّا ﴾[20] .

---

(١) سورة القصص ٦٠
(٢) سورة الشورى ٣٦
(٣) سورة الطور ٢٥
(٤) سورة الطور ٤٨
(٥) سورة الصافات ٥٠
(٦) سورة القلم ٤٨
(٧) ما بين العلامتين ساقط من الأصول ؛ وهى زيادة يقتضيها السياق .
(٨) سورة إبراهيم ٢٩
(٩) سورة إبراهيم ٦
(١٠) سورة الأعراف ٥٧
(١١) آية ٣٥
(١٢) سورة البقرة ١٧٠
(١٣) سورة لقمان ٢١
(١٤) سورة البقرة ٦٠
(١٥) سورة الأعراف ١٦٠
(١٦) سورة البقرة ٣٦
(١٧) سورة الأعراف ٢٠
(١٨) سورة آل عمران ٤٧
(١٩) سورة مريم ٢٠
(٢٠) سورة مريم ١٩

فى النساء : ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوه﴾[١] ، وفى الأحزاب : ﴿شيئاً أو تُخْفُوه﴾[٢] .

فى الأنعـام : ﴿ يُخرِجُ الحىَّ مِنَ الميِّتِ ومُخْرِجُ الميِّتِ من الحَىِّ ﴾[٣] ، والثانى ﴿ يخرج ﴾ بالفعل[٤] .

فى الـكهف : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّى ﴾[٥] ، وفى حم: ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ ﴾[٦] .

فى طه : ﴿ فلمَّا أَتَاهَا ﴾[٧] ، وفى النمل :﴿ فلمَّا جَاءَهَا ﴾[٨] .

فى طه : ﴿ وَسَلَكَ لَـكُمْ فيها سُبُـلاً ﴾[٩] ، وفى الزخرف : ﴿ وجعلَ لـكُمْ فيها سُبُلاً ﴾[١٠] .

فى الأنبيـاء : ﴿ ما يأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[١١] ، وفى الشعراء : ﴿ من الرَّحمن ﴾[١٢] .

فى النمل : ﴿ ويَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ ﴾[١٣]، وفى الزمر : ﴿ فَصَعِقَ ﴾[١٤] .

فىالأحزاب ، فى أولها : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيراً ﴾[١٥]، وفيها: ﴿ بما تعملونَ بصيراً ﴾[١٦] بعد ﴿ وجُنُوداً لم تَرَوْها ﴾[١٦] .

﴿ عذاباً أليمـاً ﴾[١٧] بعد ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ ﴾[١٧] ، و ﴿ عـذاباً مُهيناً ﴾[١٨] بعد ﴿ يُؤْذونَ اللهَ ورسولهُ ﴾[١٨] .

---

(١) سورة النساء ١٤٩
(٢) سورة الأحزاب ٥٤ (٣) سورة الأنعام ٩٥ (٤) سورة يونس ٣١
(٥) سورة الـكهف ٣٦ (٦) سورة فصلت ٥٠
(٧) سورة طه ١١ (٨) سورة النمل ٨
(٩) سورة طه ٥٣ (١٠) سورة الزخرف ١٠
(١١) سورة الأنبياء ٢ (١٢) سورة الشعراء ٥
(١٣) سورة النمل ٨٧ (١٤) سورة الزمر ٧٨
(١٥) سورة الأحزاب ٢ (١٦) سورة الأحزاب ٩
(١٧) سورة الأحزاب ٨ (١٨) سورة الأحزاب ٥٧ .

﴿أجراً كريماً﴾[١][بعد ﴿تحيَّتُهُمْ يَوْمَ يلقَوْنه سلامٌ﴾[١]، و ﴿رِزقاً كَرِيماً﴾[٢].
بعد : ﴿نُؤْتِها أجْرَها مرَّتيْنِ﴾[٢]] .

﴿سُنَّةَ اللهِ فى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾[٣] موضعان فى الأحزاب ، [وفى سورة غافر :
﴿سُنَّةَ اللهِ التِي قد خَلت﴾[٤]] .

وفى البقرة : ﴿وهُدًى وبُشْرَى للمؤمنين﴾[٥] ، وفى النحل : ﴿للمسلمين﴾[٦]
فى موضعين .

فى المائدة : ﴿قُلْ هَلْ أُنبِّئكُمْ﴾[٧] ، وبالنون فى الكهف[٨] .

* * *

الثامن : الإدغام وتركه .

فى النساء والأنفال : ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ﴾[٩] ، وفى الحشر بالإدغام[١٠] .

فى الأنعام : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتضَرَّعُون﴾[١١] وفى الأعراف : ﴿يَضَّرَّعون﴾[١٢] .

---

(١) سورة الأحزاب ٤٤ (٢) سورة الأحزاب ٣١
(٣) سورة الأحزاب ٣٨، ٦٢ (٤) سورة غافر ٨٥
(٥) سورة البقرة ٩٧ (٦) سورة النحل ٨٩ ، ١٠٢
(٧) سورة المائدة ٦٠ (٨) سورة الكهف ١٠٣
(٩) سورة النساء ١١٥ ، والأنفال ١٣ : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾
(١٠) سورة الحشر ٤ (١١) سورة الأنعام ٤٢
(١٢) سورة الأعراف ٩٤ .

الفصل الثانى

ما جاء على حرفين

﴿ لَعَلَّكُمْ تتفكَّرُون ﴾ فى القرآن ، اثنان فى البقرة[١] .

﴿ ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُون ﴾ ، اثنان فى يونس والنمل[٢] .

﴿أنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فى البقرة وفى آل عمران ﴿إنَّ اللهَ غفورٌ حليمٌ ﴾[٣] ؛ وأما ﴿ والله غفورٌ حَليمٌ ﴾[٤] فواحد فى البقرة . وكذلك فيها : ﴿ غنىٌّ حَلِيمٌ ﴾[٥] ، وليس غيره .

﴿ الحكيمُ العليمُ ﴾ ، حرفان ، فى الزخرف وفى الذاريات[٦] .

﴿ فقالَ الملأُ الَّذِينَ كفَرُوا مِنْ قومِهِ : ما هذا إلاَّ بشرٌ مثلُكم ﴾ ، اثنان فى قصة نوح ، فى هود والمؤمنون[٧] ؛ فى السورتين بالفاء .

و ﴿ عذاب يومٍ أليمٍ ﴾ اثنان ، فى هود والزخرف[٨] .

﴿مِنْ عِباده ويَقْدِرُ لَهُ ﴾ اثنان فى العنكبوت[٩] وسبأ ، وأما الذى فى القصص[١٠] فهو ﴿ منْ عِباده ويَقْدِرُ لولا أنْ ﴾ ، وباقى القرآن ﴿ ويَقْدِرُ ﴾[١١] فقط .

---

(١) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٦٦

(٢) سورة يونس ٦٠ ، النمل ٧٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ ، آل عمران ١٥٥

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ (٥) سورة البقرة ٢٦٣

(٦) سورة الزخرف ٨٤ ، الذاريات ٣٠

(٧) سورة هود ٢٧ ، المؤمنون ٢٤

(٨) سورة هود ٢٦ ، الزخرف ٦٥ (٩) سورة العنكبوت ٦٢ ، سبأ ٣٩

(١٠) سورة القصص ٨٢

(١١) سورة الرعد ٢٦ ، الإسراء ٣٠ ، الروم ٣٧ ، سبأ ٣٦ ، الشورى ١٢

﴿ فَلَمَّا أنْ ﴾ ، حرفان : فى يوسف ﴿ فَلَمَّا أنْ جاءَ البشيرُ ﴾[١] ، وفى القصص ﴿ فلمَّا أنْ أرادَ أنْ يَبْطِش ﴾[٢] .

﴿ ومن أظلمُ مِمَّن افتَرَى ﴾ بالواو ، حرفان فى الأنعام[٣] . وفى يونس[٤] ﴿ فَمَنْ أظْلَمُ ﴾ بالفاء .

﴿ أعْرَضَ ﴾ حرفان فى الكهف وفى السجدة ؛ إلا أن الأول ﴿ فأعرض ﴾[٥] والثانى ﴿ ثم أعرض ﴾[٦] .

﴿ أَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ ﴾ من غير تكرار « الطاعة » : حرفان ، وهما فى آل عمران : ﴿ قُلْ أطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ فَإنْ تَوَلَّوْا ﴾[٧] ، و ﴿ وأَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٨] .

﴿ وَجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ﴾ بغير تاء التأنيث، حرفان ، وهما فى آل عمران[٩] .

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، حرفان ، فى آل عمران ، وفى الأنفال[١٠] .

﴿ فَإنْ كَذَّبُوكَ ﴾ بالفاء ، حرفان فى آل عمران ، وفى الأنعام[١١] .

﴿ قُلْ أرَأَيْتَكُمْ إنْ ﴾ حرفان ، وهما فى الأنعام.[١٢] .

﴿ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ حرفان ، فى التوبة وفى المنافقين[١٣] .

---

(١) سورة يوسف ٩٦ (٢) سورة القصص ١٩

(٣) سورة الأنعام ٢١ ، ٩٣ ؛ كذا ذكره المؤلف ؛ وقد ورد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افترى على اللهِ كذباً ﴾ فى هود ١٨ ، والعنكبوت ٦٨ ، والصف ٧ : ﴿ وَمَنْ أظْلَمُ ممن افْتَرَى عَلَى اللهِ الكذبَ ﴾ (٤) يونس ١٧ ؛ وفى الأصول « هود » خطأ .

(٥) سورة الكهف ٥٧ (٦) سورة السجدة ٢٢

(٧) سورة آل عمران ٣٢ (٨) سورة آل عمران ١٣٢

(٩) سورة آل عمران ٨٦ ، ١٠٥

(١٠) سورة آل عمران ٩٢ ، الأنفال ٦٠

(١١) سورة آل عمران ١٨٤ ، الأنعام ١٤٧

(١٢) سورة الأنعام ٤٠ ، ٤٧

(١٣) سورة التوبة ٢٤ ، ٨٠ ، والمنافقون : ٦

﴿ إن اللهَ لقوىٌّ عزيزٌ ﴾ ، بزيادة اللام ، حرفان [فى الحج] .[١] [﴿ فأصبحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثمينَ ﴾ حرفان][١] فى هود[٢] فى قصة صالح وشعيب . قال بعض المشايخ : ما كان فيه « الصيحة » فهو ﴿ دِيارِهِمْ ﴾[٣] على الجمع ، وما كان فيه « الرجفة » فهو ﴿ دارِهِمْ ﴾[٤] بالتوحيد .

﴿ ومَا كانَ مِنْ دونِ اللهِ مِنْ أولِياءَ ﴾[٥] بتكرير « من » حرفان، هما فى هود .

﴿ أَلَيْسَ فِي جهنَّمَ مثْوًى للكافِرين ﴾ ، حرفان ، فى العنكبوت والزمر[٦] .

﴿ إنّ فِي ذلِكَ لآيةً للمؤمنينَ ﴾ ؛ بلفظ التوحيد ، حرفان فى الحجر والعنكبوت[٧] .

﴿ تَبِعَ ﴾ بإسقاط الألف حرفان ، فى البقرة وآل عمران[٨] .

﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والْأَرْض ومَا بَيْنَهمَا فِي ستَّةِ أيَّامٍ ثم استَوَى عَلَى العَرْش ﴾ ، حرفان فى الفرقان ، وفى الٓمٓ السجدة[٩] .

﴿ إلى أجَلٍ مُسمًّى ﴾ حرفان ، فى لقمان وحمٓ عسٓقٓ[١٠] .

---

(١) ما بين العلامتين زيادة يقتضيها السياق ؛ والآيتان فى الحج ٤٠ ، ٧٤

(٢) سورة هود ٦٧ ، ٩٤

(٣) وهى فى آيتى هود السابقتين : ﴿ فأخذتهمُ الصيحةُ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ .

(٤) كما فى الأعراف ٧٨ ، ٩١ والعنكبوت ٣٧ : ﴿ فأخذتهمُ الرَّجْفَةُ فأصبحُوا فى دارِهِمْ جاثمينَ ﴾ .

(٥) سورة هود ٢٠ ، ١١٣

(٦) سورة العنكبوت ٦٨ ، الزمر ٣٢

(٧) سورة الحجر ٧٧ ، العنكبوت ٤٤

(٨) سورة البقرة ٣٨: ﴿ فمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عليهِمْ وَلَا هُمْ يَحزَنُونَ ﴾ .

آل عمران ٧٣ : ﴿ ولا تُؤمِنُوا إلّا لمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

(٩) سورة الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤

(١٠) سورة لقمان ٢٩ ، الشورى ١٤

« اللهو » قبل « اللعب » حرفان ، فى الأعراف والعنكبوت[١] .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بالواو ، حرفان فى الأعراف وا آلم السجدة .[٢]

﴿ثم يَوْمَ القِيَامةِ﴾ حرفان ، فى النحل ، والعنكبوت[٣] .

﴿إلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بعدِ ذَٰلكَ وأَصلَحُوا﴾ بزيادة ﴿مِنْ﴾ حرفان ، فى آل عمران والنور[٤] .

﴿إلَّا الَّذِين تَابُوا وأَصلحُوا﴾ بغير « مِنْ » ، حرفان ، فى البقرة والنساء[٥] .

﴿ولله مِيراثُ السَّمٰواتِ والْأَرْضِ﴾ حرفان، فى آل عمران وفى الحديد[٦] .

﴿لَهُ مقَاليدُ السَّمٰواتِ والْأَرْضِ﴾ فى الزمر وحم عسق[٧] .

﴿هلْ يُجْزَوْن إلَّا ما كانُوا يعمَلُونَ﴾ إخباراً عن الجماعة الغيَّب ، حرفان فى الأعراف وسبأ[٨] .

﴿أَمْوَاتٌ﴾ بالرفع ، فى البقرة ﴿أَمْوَاتٌ بلْ أحيـاءٌ﴾[٩] ، وفى النحل : ﴿أمواتٌ غيرُ أحياءٍ﴾[١٠]

---

(١) سورة الأعراف ٥١ : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دينَهُمْ لهواً ولعباً﴾ ، العنكبوت : ٦٤ ﴿وَمَا هذِهِ الحياةُ الدُّنيَا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾ .

(٢) سورة الأعراف ١٠٠ ، السجدة ٢٦

(٣) سورة النحل ٢٧ ، العنكبوت ٢٥ ؛ وفى الأصول « الأحزاب والفتح » خطأ

(٤) سورة آل عمران ٨٩ ، النور ٥ (٥) سورة البقرة ١٦٠ ، النساء ١٤٦

(٦) سورة آل عمران ١٨٠ ، الحديد ١٠

(٧) سورة الزمر ٦٣ ، الشورى ١٢ . وفى الأصول : « المؤمن » خطأ

(٨) سورة الأعراف ١٤٧ ، سبأ ٣٣

(٩) سورة البقرة ١٥٤ (١٠) سورة النحل ٢١

الفصل الثالث

ماجاء على ثلاثة أحرف

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ﴾ثلاثة فى القرآن ، فى الروم وفاطر والمؤمن(١) .

﴿فنجّيناه﴾ بالفاء ، فى يونس والأنبياء والشعراء (٢) .

﴿قليلاًماتذكّرون﴾ ثلاثة فى الأعراف والنمل والحاقة(٣) .

﴿لعلّهم يتذكّرون﴾ اثنان فى الأعراف ، والثالث فى الأنفال(٤) .

﴿تتذكّرون﴾ بتاءين متكررتين ؛ ثلاثة ، فى الأنعام والۤم السجدة والمؤمن(٥) .

﴿وما يذكّرُ إلا أُولُوا الألباب﴾ فى البقرة وآل عمران و إبراهيم(٦) .

﴿فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ﴾ ، فى النساء والتوبة والصف(٧) .

﴿وبالْيَوْمِ الآخرِ﴾ بزيادة الباءفىأول البقرة؛وفىالنساء والتوبة ولكن هوفيهما بالنفى(٨)

﴿وإذا قالَ مُوسى لِقومِهِ يَاقَوْمِ﴾ ، فى البقرة وفى المائدة وفى الصف(٩) .

﴿فَلَهُمْ أجْرُهُمْ﴾ فى البقرة اثنان ؛ والثالث فى التين والزيتون ؛ إلا أنه بإسقاط الهاء والميم(١٠) .

---

(١) سورة الروم ٩ ، فاطر ٤٤ ، غافر (المؤمن) ٢١

(٢) سورة يونس ٧٣ ، الأنبياء ٧٦ ، الشعراء١٧٠

(٣) سورة الأعراف ٣٠ ، النمل ٦٢ ، الحاقة ٤٢

(٤) سورة الأعراف ٢٦ ، و ١٣٠ ، الأنفال ٥٧

(٥) سورةالأنعام ٨٠ ، السجدة ، ٤ غافر ٥٨

(٦) سورةالبقرة ٢٦٩ ، آل عمران ٧ ، والذى فى إبراهيم٥٢ . ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ .

(٧) سورة النساء٩٥ ، التوبة٢٠ ، والذى فىالصف ١١ : ﴿فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

(٨) سورة البقرة ٨ ، النساء ٣٨ ، التوبة ٢٩ (٩) سورة البقرة ٥٤ ، المائدة ٢٠ ، الصف ٥

(١٠) سورة البقرة ٦٢ ، ٢٧٤ ، التين ١٠

﴿ ولـكنّ أكثرَ النّاسِ لا يُؤْمِنون ﴾ ، فى هود والرعد والمؤمن [١] .

﴿ ولـكنّ أكثر الناسِ لا يشكرُون ﴾ ، فى البقرة ويوسف والمؤمن [٢] .

﴿ وهُمْ بالآخرة هُمْ كافِرُونَ ﴾ فى هود ويوسف والسجدة [٣] .

﴿ كَمْ أَهْلَـكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ بزيادة « من » ، فى الأنعام ، وص ، والٓمٓ السَّجْدة ؛ لـكن بلفظ ﴿ من القرون ﴾ [٤] .

﴿ أجمعون ﴾ بالواو فى الحجر والشعراء وص [٥] .

﴿ إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعملون ﴾ ، فى المائدة والنور والحشر [٦] .

﴿ إن الله عليم بذاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، فى آل عمران والمائدة ولقمان [٧] .

﴿ ولو شِئنا ﴾ ، فى الأعراف والفرقان والٓمٓ السجدة [٨] .

﴿ مِنْ ذنوبِكُمْ ﴾ بزيادة « من » ، فى إبراهيم والأحقاف ونوح [٩] .

﴿ مبيّناتٍ ﴾ فى النور اثنان ، والثالث فى الطلاق [١٠] .

﴿ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ فى الرعد اثنان ، والثالث فى يونس [١١] .

﴿ جناتُ عَدْنٍ يَدخُلُونها ﴾ فى الرعد والنحل وفاطر [١٢] .

﴿ فما كان اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ فى الروم [١٣] والتوبة [١٤] والعنكبوت [١٥] ، [لـكن بالواو]

---

(١) سورة هود ١٧ ، الرعد ١ ، غافر ٥٩ (٢) سورة البقرة ٢٤٣ ، يوسف ٢٨ ، غافر ٦١

(٣) سورة هود ١٩ ، يوسف ٣٧ ، السجدة ٧ (٤) سورة الأنعام ٦ ، ص ٣ ، السجدة ٢٦

(٥) سورة الحجر ٣٠ ، الشعراء ٩٥ ، ص ٧٣ (٦) سورة المائدة ٨ ، النور ٥٣ ، الحشر ١٨

(٧) سورة آل عمران ١١٩ ، المائدة ٧ ، لقمان ٢٣

(٨) سورة الأعراف ١٧٦ ، الفرقان ٥١ ، السجدة ١٣

(٩) سورة إبراهيم ١٠ ، الأحقاف ٣١ ، نوح ٤

(١٠) سورة النور ٣٤ ، ٤٦ ، الطلاق ١١ (١١) سورة الرعد ٧ ، ٢٧ ، يونس ٢٠

(١٢) سورة الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، فاطر ٣٣

(١٣) الروم ٩ ، وفى الأصول : « آل عمران » خطأ ، والآية فيها : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾

(١٤) سورة التوبة ٧٠ (١٥) سورة العنكبوت ٤٠

﴿ لَعَلَى ﴾ فى الحج وسبأ ونون [١] .

﴿ فى السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾ فى سبأ اثنان ، وفى آخر فاطر [٢] .

﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائـكةِ ﴾ بواو ، فى البقرة والحجر وص [٣] .

﴿ ونَزَّلْنا ﴾ ثلاثة أحرف ، فى طه والنحل وقٓ [٤] ، والباقى ﴿وأنزلْنا﴾ .

﴿ فإن تولّيتمْ ﴾ فى المائدة ويونس والتغابن [٥] .

﴿ ألم يَرَوْا ﴾ بغير واو ، فى النحل والنمل ويٓس [٦] .

﴿ أمواتا ﴾ بالنصب ؛ فى البقرة : ﴿ وكـنْتُمْ أمواتاً ﴾ ، وآل عمران ، ﴿ فى سبيلِ الله أمواتا ﴾ ، وفى المرسلات ﴿ أحياء وأمواتا ﴾ [٧] .

﴿ أجلاً ﴾ بالنصب ، فى الأنعام وبنى إسرائيل والمؤمن [٨] .

﴿ أئذا كنّا ترابا ﴾ بغير ذكر « العظام » فى الرعد والنمل وقٓ [٩] .

﴿ ولقد أرْسَلْنَا رسُلاً من قبلِك ﴾ فى الرعد والروم والمؤمن [١٠] .

---

(١) سورة الحج ٦٧ : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، سبأ ٢٤ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، ن (القلم) ٤ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(٢) سورة سبأ ٣ ، ٢٢ ، فاطر ٤٤ (٣) سورة البقرة ٣٠ ، الحجر ٢٨ ، ص ٧١

(٤) سورة طه ٨٠ ، النحل ٨٩ ، ق ٩ (٥) سورة المائدة ٢٩٢ ، يونس ٩٢ ، التغابن ١٢

(٦) سورة النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، يس ٣١

(٧) سورة البقرة ٢٨ ، آل عمران ١٦٩ ، المرسلات ٢٦

(٨) سورة الأنعام ٢ ، الإسراء ٩٩ ، المؤمن ٦٧ (٩) سورة الرعد ٥ ، النمل ٦٧ ، ق ٣٠

(١٠) سورة الرعد ٣٨ ، الروم ٤٧ ، المؤمن ٧٨

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

﴿مَنْ فى السموٰات ومَنْ فى الأرض﴾ ، بتكرير ﴿مَن﴾ فى يونس والحج والنمل والزمر [١] .

﴿مُلكُ السموٰاتِ والأرض ومابينهما﴾ ، فى المائدة اثنان ، فى صٓ وآخر الزخرف [٢]

﴿أرسلنا قبلَك﴾ بإسقاط « من » فى بنى إسرائيل والأنبياء والفرقان وسبأ [٣] .

﴿أهؤلاء﴾ بألف قبل الهاء [٤] ، فى المائدة والأنعام والأعراف وسبأ [٥] .

﴿مِنْ تحتِهِم﴾ فى الأنعام والأعراف ويونس والكهف [٦] ؛ وأما ﴿تجرِى تحتَها الأنهارُ﴾ [٧] فموضع واحد فى براءة .

﴿أَوْ أَنْ﴾ بهمزة قبل الواو . فى هود : ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ ، وفى بنى وإسرائيل ﴿أو إنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ ، وفى طه ﴿أَوْ أن يَطغى﴾ ، وفى المؤمن : ﴿ أو أن يُظْهِرَ فى الأرض الفساد﴾ [٨] .

---

(١) سورة يونس ٦٦ ، الحج ١٨ ، النمل ٨٧ ، الزمر ٦٨

(٢) سورة المائدة ١٧ ، ١٨ ، ص ١٠ ، الزخرف ٧٥

(٣) سورة الإسراء ٧٧ ، الأنبياء ٧ ، الفرقان ٢٠ ، وفى سبأ ٤٤ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ﴾ .

(٤) ت : « بالألف قبل الهاء »

(٥) سورة المائدة ٥٣ ، الأنعام ٥٣ ، الأعراف ٤٩ ، سبأ ٤٠

(٦) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ٤٣ ، يونس ٩ ، الكهف ٣١

(٧) سورة التوبة ١٠٠

(٨) سورة هود ٨٧ ، الإسراء ٥٤ ، طه ٤٥ ، المؤمن ٢٦

﴿ إنَّ اللهَ كان عليماً حكيماً ﴾ فى النساء اثنان ، وفى الأحزاب ،والإنسان(١)

﴿ آباؤهم ﴾ بالرفع ، فى البقرة : ﴿ أَوَ لَوْ كان آباؤهم لا يَعقِلون شيئاً ﴾ .

[وفى المائدة : ﴿ أو لو كان آباؤهم لا يَعلمون شيئاً ﴾ . وفى هود : ﴿ إلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آباؤهم ﴾ ، وفى يس: ﴿ لِتُنْذِرَ قوماً ما أُنذِر آباؤهم ﴾ (٢)] .

﴿ قُلْ يَأَيُّها الناس ﴾ فى الأعراف ، وفى يونس اثنان منها ، وفى الحج (٣) :

﴿ نُصرِّف الآيات ﴾ فى الأنعام ثلاثة،والرابع فى الأعراف (٤) .

﴿ إنَّ اللهَ لا يَهْدِى القوْم الظَّالمينَ ﴾ ، فى المائدة والأنعام والقصص والأحقاف(٥) .

﴿ مبارَكا ﴾ بالنصب ،فى آل عمران ومريم والمؤمنين وقٓ (٦) .

﴿ مباركٌ ﴾ بالرفع ، فى الأنعام اثنان ، وفى الأنبياء وصٓ(٧) .

﴿ ما كسبَتْ ﴾ بحذف الباء من أوله، فى البقرة وآل عمران اثنان ، وفى إبراهيم(٨) .

﴿ منْ ذَكَرٍ أوْ أنثى ﴾ بإثبات الهمزة قبل الواو ،فى آل عمران والنساء والنحل وغافر(٩) .

﴿ ألَمْ يرَوْا ﴾ بغير واو،فى الأنعام والأعراف والنمل ويس(١٠) .

---

(١) سورة النساء ١١ ، ٢٤ ، الأحزاب ١ ، الإنسان ٣٠
(٢) سورة البقرة ١٧١ ، المائدة ١٠٤ ، هود ١٠٩ ، يس ٦
(٣) سورة الأعراف ١٥٨ ، يونس ١٠٤ ، ١٠٨ ، الحج ٤٩
(٤) سورة الأنعام ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، الأعراف ٥٨
(٥) سورة المائدة ٥١ ، الأنعام ١٤٤ ، القصص ٥٠ ، الأحقاف ١٠
(٦) سورة آل عمران ٩٦ ، مريم ٣١ ، المؤمنون ٢٩ ، ق ٩
(٧) سورة الأنعام ٩٢ ، ١٥٥ ، الأنبياء ٥٠ ، ص ٢٩
(٨) سورة البقرة ١٣٤ ، آل عمران ٢٥ ، ٦١ ، إبراهيم ٥١
(٩) سورة آل عمران ١٩٥ ، النساء ١١ ، النحل ٩٧ ، غافر ٤٠
(١٠) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ١٤٨ ، النمل ٨٦ ، يس ٣١

﴿ وَ لَبِئْسَ ﴾ فى البقرة اثنان ، ﴿ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ ﴾ ، و ﴿ و لَبِئْسَ المهاد ﴾ . وفى الحج : ﴿ ولَبِئْس العَشِيرُ ﴾ وفى النور : ﴿ وَ لَبِئْسَ المصيرُ ﴾[١] . وأما ﴿ فَلَبِئْسَ ﴾ بالفاء ، فموضع واحد فى النحل : ﴿ فَلَبِئْسَ مثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٢] .

﴿ إِلا قَلِيلٌ ﴾ بالرفع ، فى النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف[٣] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ فى يوسف ، وفى الحج ، وفى المؤمن ، وفى القتال[٤] .

﴿ قُلْ سِيرُوا فى الأَرْضِ ﴾ فى الأنعام: ﴿ قُلْ سِيرُوا فى الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا ﴾[٥] وليس فى القرآن «ثُمَّ» غيره ، وفى النمل: ﴿ قُلْ سِيرُوا فى الأَرْضِ فَانْظُرُوا ﴾ ، وكذا فى العنكبوت والروم[٦] .

﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ بالفاء بعد الهمزة ، فى مريم ، والشعراء ، والجاثية ، والنجم[٧] . اللَّعب قبل اللَّهو ، فى الأنعام اثنان[٨] ، وفى القتال[٩] ، والحديد[١٠] .

﴿ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ بلفظ الجمع، فى البقرة، والرعد، والروم، والنحل[١١] .

---

(١) سورة البقرة ١٠٢ ، ٢٠٦ ، الحج ١٣ ، النور ٥٧

(٢) سورة النحل ٢٩

(٣) سورة النساء ٦٦ ، التوبة ٣٨ ، هود ٤٠ ، الكهف ٢٢

(٤) سورة يوسف ١٠٩ ، الحج ٤٦ ، المؤمن ٨٢ ، القتال ١٠

(٥) سورة الأنعام ١١

(٦) سورة النمل ٦٩ ، العنكبوت ٢٠ ، الروم ٤٢

(٧) سورة مريم ٧٧ ، الشعراء ٢٠٥ ، الجاثية ٢٣ ، النجم ٣٣

(٨) سورة الأنعام ٣٢ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ ، ٧٠ : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ﴾ .

(٩) القتال ٣٦ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(١٠) الحديد ٢٠ : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(١١) سورة البقرة ١٦٤ ، الرعد ٤ ، الروم ٢٤ ، النحل ١٢

﴿ إِنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ على لفظ الجمع[١] فى يونس[٢] .

﴿ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بالتوحيد فى النحل كذلك[٣] ، وبالجمع فى الروم ، والم السجدة[٤] . ا أفلا يسمعون

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فى مريم ، والعنكبوت ، ويس ، والأحقاف[٥] .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ فى هود ، والنحل اثنان ، وفى الزخرف[٦] .

﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ فى البقرة، و بنى إسرائيل، والكهف ، وطه[٧] .

والأنبياء والنبيين بغير حق : فى آل عمران : ﴿ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[٨] .

وفيها : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الأنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[٩] . وفيها أيضا : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الأنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ وفى النساء[١٠] . فأما الذى فى البقرة : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾[١١] فليس له نظير .

(١) ا : « فى لفظ الجمع » . (٢) سورة يونس : ٦٧ .

(٣) سورة النحل ٦٥ (٤) سورة الروم ٢٣ ، السجدة ٢٦

(٥) سورة مريم ٧٣ ، العنكبوت ١٢ ، يس ٤٧ ، الأحقاف ١١

(٦) سورة هود ١٠١ ، النحل ١١٨ ، الزخرف ٧٦ ، وليس فى القرآن غير ذلك، وأما الموضع الثانى فى النحل فهو ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ ﴾ آية ٣٣

(٧) سورة البقرة ٣٤ ، الإسراء ٦١ ، الكهف ٥٠ ، طه ١١٦

(٨) سورة آل عمران ٢١ (٩) سورة آل عمران ١١٢

(١٠) سورة ال عمران ١٨١ ، النساء ١٥٥ (١١) سورة البقرة ٦١

الفصل الخامس

ما جاء على خمسة حروف

﴿ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ فى الأنعام ثلاثة ، والرابع فى الحجر ، والخامس فى النمل[(١)] .

﴿ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ فى الأنفال اثنان ، وفى الحج ، والنور ، وسبأ[(٢)] .

الأرض قبل السماء ، فى آل عمران[(٣)] ، ويونس[(٤)] ، وإبراهيم ، وطه[(٥)] ، والعنكبوت[(٧)] .

﴿ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ بلفظ الجمع ، فى الرعد ، والروم ، والزمر ، والجاثية[(٨)] ، و بلفظ التوحيد فى النحل[(٩)] .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بتكرير الطاعة ، فى النساء ، والمائدة ، والنور ، والقتال ، والتغابن[(١٠)] .

---

(١) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، الحجر ٢٥ ، النمل ٦

(٢) سورة الأنفال ٤ ، ٧٤ . الحج ٥٠ ، النور ٢٦ . سبأ أربعة . وفى الأصول : « آل عمران والأحقاف والأنعام » وهو خطأ .

(٣) سورة آل عمران ٥ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عليهِ شىءٌ فى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ ﴾ .

(٤) سورة يونس ٦١ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عن رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فى الْأَرْضِ وَلَا فى السَّمَاءِ ﴾ .

(٥) سورة إبراهيم ٣٨ : ﴿ وَمَا يَخْفَى على اللهِ مِنْ شىء فى الْأَرْضِ وَلَا فى السَّمَاءِ ﴾ .

(٦) سورة طه ٤ : ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٢٢ : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فى الْأَرْضِ وَلَا فى السماء ﴾ .

(٨) سورة الرعد ٣ ، الروم ٢١ ، الزمر ٤٢ ، الجاثية ١٣ .

(٩) النحل ١١ ، ٦٩ .

(١٠) سورة النساء ٥٩ ، المائدة ٩٢ ، النور ٥٤ ، القتال ٣٣ ، التغابن ١٢ .

﴿ وذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾ ، منها حرفان بالواو : فى التوبة ، ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾[١] وكذلك فى المؤمن ، والباقى بلا واو[٢] : فى يونس ، والدخان ، والحديد .

الفصل السادس

ما جاء على ستة حروف

﴿ إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقوم يُؤمنون﴾ : فى الأنعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت والروم ، والزمر[٣] .

﴿ وذَلك الفوزُ العظيمُ ﴾ ، منها بواو ، واحدٌ فى النساء : ﴿ خالدين فيها وذلك الفوزُ العظيمُ ﴾[٤] وفى المائدة : ﴿ ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾ ، ومثله فى التوبة (موضعان) ، والصف والتغابن[٥] .

﴿فَمَنْ أظْلَمُ﴾ بالفاء ، فى الأنعام (موضعان) ، والأعراف ، ويونس ، والكهف ، والزمر[٦] .

﴿ ويسألُونك ﴾ بالواو ، (ثلاثة) فى البقرة ، وبنى إسرائيل ، والكهف ، وطه[٧]

﴿ فبئْسَ ﴾ بالفاء : فى ص (اثنان) ، وفى الزمر ، وفى غافر ، والزخرف ، والمجادلة[٨] .

---

(١) سورة التوبة ١١١ ، المؤمن ٩ .

(٢) سورة يونس ٦٤ ، الدخان ٥٧ ، الحديد ١٢ .

(٣) سورة الأنعام ٩٩ ، النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، العنكبوت ٢٤ ، الروم ٣٧ ، الزمر ٥٢ .

(٤) سورة النساء ١٣

(٥) سورة المائدة ١١٩ . التوبة ٨٩ ، ١٠٠ . الصف ١٢ . التغابن ٩ .

(٦) سورة الأنعام ١٤٤ ، ١٥٧ . الأعراف ٣٧ . يونس ١٧ . الكهف ١٥ . الزمر ٣٢ .

(٧) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ . الإسراء ٨٥ . الكهف ٨٣ . طه ١٠٥ .

(٨) سورة ص ٥٦ ، ٦٠ . الزمر ٧٢ . غافر ٧٦ . الزخرف ٣٨ . المجادلة ٨ .

﴿نزّلنا﴾ بغير واو ، فى البقرة ، والنساء ، والأنعام (موضعان) ، والحجر ، والإنسان[١] .

﴿قلْ ياأهل الكتابِ﴾ فى آل عمران ثلاثة ، وفى المائدة ثلاثة[٢] .

الفصل السابع

ماجاء على سبعة حروف

﴿ لَعلَّهمْ يتذكَّرُون ﴾ فى البقرة ، و إبراهيم ، والقصص ، (ثلاثة مواضع) ، والزمر[٣] والدخان[٤] .

﴿ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ ومَابينهماَ ﴾ فى مريم ، والشعراء ، والصافات ، وص (موضعان) والزخرف والدخان[٥] .

« المرأة » مكتوبة بالتاء فى سبعة مواضع ؛ فى آل عمران[٦] ، وفى يوسف (موضعان) ﴿ امرأتُ العزيزِ ﴾[٧] ، وفى القصص ﴿ امرأتُ فِرْعَوْن ﴾[٨] ، وفى التحريم (ثلاثة مواضع)[٩] .

---

(١) سورة البقرة ٢٣ . النساء ٤٧ . الأنعام ٧ ، ١١١ . الحجر ٩ . الإنسان ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ٦٤ ، ٩٨ ، ٩٩ . المائدة ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧ .

(٣) فى الأصول : « المؤمن » تصحيف .

(٤) سورة البقرة ٢٢١ ، إبراهيم ٢٥ ، القصص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، الزمر ٢٧ ، الدخان ٥٨ .

(٥) سورة مريم ٦٥ ، الشعراء ٢٤ ، الصافات ٥ ، ص ١٠ ، ٦٦ ، الزخرف ٨٥ ، الدخان ٧ .

(٦) سورة آل عمران ٣٥ ﴿ اُمْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾ .

(٧) سورة يوسف ٣٠ ، ٥١ .

(٨) سورة القصص ٩ .

(٩) سورة التحريم ١٠ ﴿ اُمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ ، ﴿وَاُمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ ، ١١ ﴿ اُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ .

الفصل الثامن

ما جاء على ثمانية حروف

النفع قبل الضر فى الأنعام[١] ، والأعراف[٢] ، ويونس[٣] ، والرعد[٤] ، والأنبياء[٥] ، والفرقان[٦] ، والشعراء[٧] ، وسبأ[٨] .

﴿ يتَذَكَّر ﴾ بتاء فى الرعد ، وطه ، والملائكة ، وصٓ [والزمر] ، والمؤمن [والنازعات والفجر][٩] .

الفصل التاسع

ما جاء على تسعة حروف

﴿ مَنْ فى السموات والأرضِ ﴾ بغير تكرار « مَنْ » فى آل عمران ، والرعد ، وفى بنى إسرائيل ، ومريم ، والأنبياء ، والنور ، والنمل ، والروم ، والرحمن .[١٠]

---

(١) سورة الأنعام ٧١ : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ .

(٢) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿ قلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نفعاً وَلَا ضرًا إلَّا مَا شَاءَ اللهُ ﴾ .

(٣) سورة يونس ١٠٦ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يضُرُّكَ ﴾ .

(٤) سورة الرعد ١٦ : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لأنفسِهِمْ نفعاً وَلَا ضرًا ﴾ .

(٥) سورة الأنبياء ٦٦ : ﴿ قُلْ أَفتَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنفعُكُمْ شيئاً ولا يَضُرُّكُمْ ﴾ .

(٦) سورة الفرقان ٥٥ : ﴿ وَيعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا ينفعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ .

(٧) سورة الشعراء ٧٣ : ﴿ أَوْ يَنفعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ .

(٨) سورة سبأ ٤٢ : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بعضُكُمْ لِبَعْضٍ نفعاً ولا ضرًا ﴾ .

(٩) سورة الرعد ١٩ . طه ٤٤ . فاطر ٣٧ . ص ٢٩ . الزمر ٩ . المؤمن ١٣ . النازعات ٣٥ . الفجر ٢٣

(١٠) سورة آل عمران ٨٣ . الرعد ١٦ . الإسراء ٥٥ . مريم ٩٣ . الأنبياء ١٩ . النور ٤١ . النمل ٦٥ . الروم ٢٦ . الرحمن ٢٩ .

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم. فى الأنعام، والأعراف، والأنفال، ويونس، والقصص(موضعان)، [والزمر]. والذى فى الدخان والطور[١].

﴿يَكُ﴾ بالياء، من غير نون بعد الكاف: فى الأنفال، والتوبة، والنحل، ومريم، والمؤمن (موضعان). وفى المدثر (موضعان) بالنون فى أوله، وفى القيامة ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾[٢].

الفصل العاشر

ماجاء على عشرة أحرف

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو: فى هود ويوسف[٣]، وفى غيرهما بالفاء: فى هود[٤] أربعة أحرف وفى يوسف[٥] ستة.

﴿أَنْ لَا﴾ تكتب فى المصحف بالنون منفصلة عشرة: فى الأعراف موضعان، والتوبة، وفى هود موضعان، والحج، ويس، والدخان، والممتحنة، والقلم[٦].

---

(١) سورة الأنعام ٣٧، الأعراف ١٣١، الأنفال ٣٤، يونس ٥٥، القصص ١٣، ٥٧، والزمر ٤٩ الدخان ٣٩، الطور ٤٧.

(٢) سورة الأنفال ٥٣، التوبة ٧٤، النحل ١٢٠، مريم ٦٧، المؤمن ٢٨، ٨٥. المدثر ٤٣، ٤٤ القيامة ٣٧.

(٣) ﴿وَلَمَّا﴾ فى هود، فى ثلاث آيات: ٥٨، ٧٧، ٩٤، وفى يوسف: ٢٢، ٥٨، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٩٤.

(٤) الآيات: ٦٦، ٧٠، ٧٤، ٨٢

(٥) الآيات: ١٥، ٢٨، ٣١، ٥٠، ٦٣، ٧٠، ٨٠، ٨٨، ٩٦، تسعة مواضع.

(٦) سورة الأعراف ١٠٥،١٦٩. التوبة١١٨، هود ١٤،٢٦، الحج ٢٦، يس٦٠، الدخان ١٩ الممتحنة ١٢، القلم ٢٤.

الفصل الحادي عشر

ما جاء على أحد عشر حرفا

أحد عشر ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ : فى التوبة ، والرعد ، والنحل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والملائكة ، وص ، والمؤمن ، والصف ، ولم يكن[(١)] .

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : فى البقرة ، والنساء ، والأنعام ، ويونس ، والنحل ، والنور ، والعنكبوت ، ولقمان ، والحديد ، والحشر ، والتغابن[(٢)] .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ فى النساء ثلاثة مواضع ، والمائدة ، والتوبة (موضعان) . والأحزاب ، والتغابن ، والطلاق ، والجن وَالبريّة[(٣)] .

﴿ وَتِلْكَ ﴾ بالواو، فى البقرة، وآل عمران ، والأنعام ، وهود ، والكهف ، والشعراء ، والعنكبوت ، والزخرف ، والمجادلة ، والحشر ، والطلاق[(٤)] .

﴿ نِعْمَتَ اللهِ ﴾ كتبت بالتاء فى أحد عشر موضعا : فى البقرة ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وفى آل عمران ، والمائدة ، وإبراهيم (موضعان) ، والنحل (ثلاثة مواضع) ، ولقمان[(٥)] ، وفاطر ، والطور .

---

(١) سورة التوبة ٧٢ ، الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، الكهف ٣١ ، مريم ٦١ ، طه ٧٦ ، فاطر ٣٣ ، ص ٥٠ ، غافر ٨ ، الصف ١٢ ، البينة ٨ .

(٢) سورة البقرة ١١٦ ، النساء ١٧٠ ، الأنعام ١٢ ، يونس ٥٥ ، النحل ٥٢ ، النور ٦٤ ، العنكبوت ٥٢ ، لقمان ٢٦ ، الحديد ١ ، الحشر ٢٤ ، التغابن ٤ .

(٣) سورة النساء ٥٧، ١٢٢ ، ١٦٩ . المائدة ١١٩، التوبة ٢٢ ، ١٠٠ . الأحزاب ٦٥ ، التغابن ٩ ، الطلاق ١١ ، الجن ٢٣ ، البرية ٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٠ ، آل عمران ١٤٠ ، الأنعام ٨٣ ، هود ٥٩ ، الكهف ٥٩ . الشعراء ٢٢ العنكبوت ٤٣ ، الزخرف ٧٢ ، المجادلة ٤ ، الحشر ٢١ ، الطلاق ١ .

(٥) سورة البقرة ٢٣١ . آل عمران ١٠٣ . المائدة ١١ . إبراهيم ٢٨، ٣٤ . النحل ، ٧٢ ، ٨٣، ١١٤ . لقمان ٣١ . فاطر ٣ . الطور ٢٩ .

﴿فى ما﴾ كتبت منفصلة فى أحدعشر موضعا :

فى البقرة : ﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾[١] .

وفى المائدة : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[٢] .

وفى الأنعام : ﴿ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾[٣] .وفيها أيضاً : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[٤] .

وفى الأنبياء : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[٥] .

وفى النور : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ ﴾[٦] .

وفى الشعراء ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ [٧] .

وفى الروم : ﴿ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [٨] .

وفى الزمر ﴿ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٩] .

وفيها أيضاً : ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا ﴾ [١٠].

وفى الواقعة : ﴿ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١١] .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٤ (٢) سورة المائدة ٤٨

(٣) سورة الأنعام ١٤٥ (٤) سورة الأنعام ١٦٥

(٥) سورة الأنبياء ١٠٢ (٦) سورة النور ١٤

(٧) سورة الشعراء ١٤٦ (٨) سورة الروم ٢٨

(٩) سورة الزمر ٣ (١٠) سورة الزمر ٤٦

(١١) سورة الواقعة ٦٢

الفصل الثاني عشر

ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿ جَنَّاتٍ تجرِى منْ تحتِها الأنْهَارُ﴾ ؛ ليس فيها « خالدين » فى البقرة (موضعان) ، وآل عمران ، والمائدة ، والرعد ، والنحل ، والحج (موضعان) ، والفرقان ، والزمر ، والقتال ، والفتح ، والصف ، والتحريم ، والبرُوج [١] .

﴿ والسَّماَءِ والأرْضِ ﴾ ، بالتوحيد فى البقرة ، والأعراف ، ويونس ، والأنبياء ، (موضعان) ، وفى الحج ، والنمل (موضعان) ، والروم ، وسبأ ، والملائكة ، وص ، والدخان ، والذاريات ، والحديد [٢] .

الفصل الثالث عشر

ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿ أكُ ﴾ ، ﴿ نَكُ ﴾ ، و ﴿ يَكُ ﴾ ، و ﴿ تَكُ ﴾ بحروف المضارعة فى أولها ، و بغير نون فى آخرها .

فى النساء : ﴿ وإنْ تَكُ حسنَةً ﴾ [٣]

---

(١) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦٦ . آل عمران ١٩٥ . المائدة ١٢ . الرعد ٣٥ . النحل ٣١ . الحج ١٤ ، ٢٣ . الفرقان ١٠ . الزمر ٢٠ . القتال ١٢ . الفتح ٥ . الصف ١٢ . التحريم ٨ ، البروج ١١ .

(٢) سورة البقرة ١٦٤ . الأعراف ٩٦ . يونس ٣١ . الأنبياء ٤ ، ١٦ . الحج ٧٠ . النمل ٦٤ ، ٧٥ . الروم ٢٥ . سبأ ٩ . فاطر ٣ . ص ٢٧ . الدخان ٢٩ . الذاريات ٢٣ . الحديد ٢١ .

(٣) سورة النساء ٤٠ .

والأنفال : ﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً ﴾ (١)

وفى التوبة : ﴿ فإِنْ يَتُوبوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ ﴾ (٢)

وفى هود موضعان : ﴿ فلا تَكُ فى مرْيةٍ مِمّا يعبُدُ هَؤُلاء ﴾ ، ﴿ فلا تَكُ فِى مريةٍ مِنْهُ إنّه الحَقُّ ﴾ (٣) .

وفى النحل موضعان : ﴿ ولَمْ يَكُ منَ المشرِكِينَ ﴾ ، ﴿ ولا تَكُ فى ضَيْق ﴾ (٤) .

وفى مريم : ثلاثة مواضع (٥) ، [وفى لقمان ، وغافر ، أربع مواضع] (٦) ، وفى المدثر موضعان (٧) ، وفى القيامة (٨) .

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهاً

﴿ إنَّ فى ذَلِكَ لآيةً ﴾ (٩) على التوحيد : فى البقرة ، وآل عمران ، وهود ، والحجر (١٠) . وفى النحل خمسة أحرف بالتوحيد . وفى الشعراء ثمانية . وفى النمل ، والعنكبوت ، وسبأ .

---

(١) سورة الأنفال ٥٣ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ . (٣) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ .

(٤) سور النحل ١٢٠ ، ١٢٧ .

(٥) سورة مريم ٩ : ﴿ وَلَمْ تَكُ شيئاً ﴾ ، ٢٠ ﴿ ولم أَكُ بغيًّا ﴾ ، ٦٧ ﴿ وَلَمْ يَكُ شيئاً ﴾ .

(٦) لقمان ١٦ ، غافر ، ١٦ ، ٢٨ ، (مرتين) ، ٥٠ ، ٨٥

(٧) سورة المدثر ٤٣ ، ٤٤ : ﴿ قَالُوا لَمْ نكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المسْكِينَ ﴾ .

(٨) سورة القيامة ٣٧ : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ .

(٩) سورة البقرة ٢٤٨ . آل عمران ٤٩ . هود ١٠٣ . الحجر ٧٧ . النحل ١١ ، ١٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ . الشعراء ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ . النمل ٥٢ . العنكبوت ٤٤ . سبأ ٩ .

(١٠) فى الأصول : « الحجرات » ؛ وهو خطأ .

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿ نزّل ﴾ و ﴿ أنزل ﴾ .

فى البقرة : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الكِتَابَ ﴾ (١) .

وفى آل عمران : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ ﴾ (٢) .

وفى النساء موضعان: ﴿ والكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ على رَسُولِهِ ﴾ (٣) . ﴿ وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فى الكِتَابِ ﴾ (٤) .

وفى الأنعام : ﴿ وقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (٥) .

وفى الأعراف موضعان : ﴿ ما نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (٦) . ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الكتابَ ﴾ (٧) .

وفى الحجر : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ (٨) .

وفى النحل : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٩) .

وفى بنى إسرائيل : ﴿ وبالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (١٠) .

وفى الفرقان ثلاثة مواضع : أوّلها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ وَنُزِّلَ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ ، ﴿ لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ ﴾ (١١) .

---

(١) سورة البقرة ١٧٦ (٢) سورة آل عمران ٣
(٣) سورة النساء ١٣٦ (٤) سورة النساء ١٤٠
(٥) سورة الأنعام ٣٧
(٦) سورة الأعراف ٧١
(٧) سورة الأعراف ١٩٦ (٨) سورة الحجر ٦
(٩) سورة النحل ٤٤ (١٠) سورة الإسراء ١٠٥
(١١) سورة الفرقان ١، ٢٥، ٣٢

وفى الشعراء : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾[1] :

وفى العنكبوت : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ من السماء ماءً فأحْيَا به الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ موْتِهَا ﴾[2] ؛ وليس فى القرآن ﴿ مِنْ بعْدِ موتِها ﴾ بزيادة « من » غيره .

وفى الصافات : ﴿ فإذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾[3] .

وفى الزّمر : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾[4] .

وفى الزخرف موضعان : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هذَا الْقرْآنُ ﴾[5] ، ﴿ والَّذِى نزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بقَدَرٍ ﴾[6] .

وفى القتال موضعان : ﴿ وَآمَنُوا بمَا نُزِّلَ عَلَى محمدٍ ﴾ . ﴿ مَا نَزَّلَ اللهُ سنُطِيعكُمْ ﴾[8] .

وفى الحديد : ﴿ مانَزَلَ من الْحَقِّ ﴾[9] .

وفى تبارك : ﴿ مَانَزَّلَ اللهُ مِنْ شىءٍ ﴾[10]

---

(١) سورة الشعراء ١٩٣ (٢) سورة العنكبوت ٦٣
(٣) سورة الصافات ١٧٧ (٤) سورة الزمر ٢٣
(٥) سورة الزخرف ٣١ (٦) سورة الزخرف ١١
(٧) سورة القتال ٢ (٨) سورة القتال ٢٦
(٩) سورة الحديد ١٦ (١٠) سورة الملك ٩ .

النوع السادس
علم المبهمات

وقد صنف فيه أبو القاسم السُّهَيلي[1] كتابه المسمَّى بالتعريف والإعلام[2]، وتلاه تلميذُه ابنُ عساكر[3] فى كتابه المسمَّى بالتكميل والإتمام[4].

وهو المبهمَات المصنفة فى علوم الحديث، وكان فى السَّلف من يُعنَى به. قال عكرمة: طلبتُ الَّذى خرج فى بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدرَكه الموتُ أربع عشرة سنةً. إلا أنه لايبحثُ فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه؛ كقوله: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[5] والعجب ممن تجرأ وقال: قيل إنهم قُرَيظة، وقيل: من الجن.

وله أسباب:

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى؛ صاحب كتاب الروض الأنف على سيرة ابن هشام، ولد بمالقة سنة ٥٠٨، وتوفى بمراكش سنة ٥٨١. (وانظر ترجمته ومراجعها فى إنباه الرواة ٢ : ١٦٢).

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون باسم: «التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام» ومنه نسخ خطية فى دار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية.

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون؛ وقال: اسمه محمد بن على بن الخضر الغسانى المعروف بابن عساكر. ومن كتابه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مكتبة شهيد على؛ ونسختان خطيتان أيضا بدار الكتب المصرية.

(٤) ذكر صاحب كشف الظنون أن شيخ الإسلام القاضى بدر الدين بن جماعة جمع بينهما فى كتاب سماه: التبيان.

(٥) سورة الأنفال ٦٠.

الأول : أن يكون أبهم فى موضع استغناء [١] بيانه فى آخر فى سياق الآية ، كقوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّين ﴾ [٢] بيّنه بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّين ﴾ [٣] الآية .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٤] ، بيّنه بقوله : ﴿ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاء والصَّالِحِينَ ﴾ [٥] .

وقوله : ﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إِنى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٦] ؛ والمراد آدم ، والسياق بيّنه .

وقوله : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا معَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٧] ، والمراد بهم المهاجرون، لقوله فى الحشر: ﴿ لِلفُقَرَاء المُهَاجِرِينَ الذِينَ أُخْرِجوا مِنْ دِيَارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ ﴾ [٨] . وقد احتج بها الصِّدِّيق على الأنصار يوم السَّقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ، أى تبعا لنا — وإنما استحقّها دونهم لأنه الصّديق الأكبر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً ﴾ [٩] يعنى مريم وعيسى ، وقال ﴿ آية ﴾ ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنّها قضية واحدة ، وهى ولادتُها له من غير ذكر .

* * *

والثانى أن يتعيّن لا شتهاره ، كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ [١٠] ولم يقل حوّاء لأنّه ليس غيرُها .

---

(١) كذا فى ت ، وفى م : « أن يكون المبهم فى موضع استغنى ببيانه فى آخر » .
(٢) سورة الفاتحة ٢ (٣) سورة الانفطار ١٧
(٤) سورة الفاتحة ٧ (٥) سورة النساء ٦٩
(٦) سورة البقرة ٣٠ (٧) سورة التوبة ١١٩
(٨) سورة الحشر ٨
(٩) سورة المؤمنون ٥٠ (١٠) سورة البقرة ٣٥

وكقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إبراهيمَ فى رَبِّهِ ﴾ [١] ، والمراد النُّمْرود لأنه المرسل إليه .

وقوله : ﴿ وقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ [٢] ، والمراد العزيز .

وقوله : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بالْحَقِّ ﴾ [٣] ، والمراد قابيل وهابيل .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [٤] .

قالوا : وحيثما جاء فى القرآن : ﴿ أساطيرُ الأوّلين ﴾ فقائلها النَّضْر بنُ الحارث بنِ كلدة ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدِّثكم أحسنَ مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل : ﴿ ومَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ ﴾ [٥] . وقتَلَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم صَبْرا يوم بدر .

وقوله : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ [٦] ، فإنه ترجّحَ كونه مسجد قُباء ، بقوله : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [٦] لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحَدْس هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت ؛ وكلاهما أُسِّس على هذا من أول يوم ، أى من أول عام من الهجرة ، وجاء فى حديث [٧] تفسيره بمسجد المدينة . وجُمع بينهما بأن كليهما مراد الآية .

* * *

الثالث : قصد الستر عليه ، ليكون أبلغ فى استعطافه ، ولهذا كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا

(١) سورة البقرة ٢٥٨ — (٢) سورة يوسف ٢١

(٣) سورة المائدة ٢٧ — (٤) سورة الأنعام ٢٥

(٥) سورة الأنعام ٩٣

(٦) سورة التوبة ١٠٨

(٧) نقله ابن كثير عن أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد الساعدى قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدى هذا » . ورواه أيضا عن أحمد من طريق آخر (وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٣٨٩ — ٣٩٠) .

بلغه عن قوم شيء خطَبَ فقال : « ما بال رجال قالوا كذا » ، وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾[(١)] ؛ قيل : هو مالك بن الصيّف[(٢)] .

وقوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾[(٣)] ، والمراد هو رافع بن حُريملة ووهب بن زيد[(٤)] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[(٥)] .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾[(٦)] .

[وقوله] : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾[(٧)] .

* * *

---

(١) سورة البقرة ١٠٠ .

(٢) عن ابن إسحاق : قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه — : والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله فيه : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا . . . ﴾ (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ٢ : ٤٠)

(٣) سورة البقرة ١٠٨

(٤) في ابن هشام ٢ : ١٧٤ : « وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا . . . ﴾ ، ونقله ابن كثير في التفسير ١ : ١٥٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٠٤ ، قيل نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلا حلو القول والمنظر ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال : الله يعلم أني صادق ؛ ثم هرب بعد ذلك ، فمر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر ، فأحرق الزرع وعقد الحمر . وقيل : نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع : عاصم بن ثابت ، وخبيب وغيرهم ، وقالوا : ويح هؤلاء القوم! لا هم قعدوا في بيوتهم ، ولاهم أدوا رسالة صاحبهم . فنزلت هذه الآية في صفات المنافقين . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١٥) .

(٦) سورة النساء ٤٤ . نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت ، من عظماء اليهود ؛ كان إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ؛ ثم طعن في الإسلام وعابه . (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٩) .

(٧) سورة آل عمران ٧٢ . نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما ، قالوا للسفلة من قومهم : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار . (تفسير القرطبي ٤ : ١١) .

الرابع : ألَّا يكون فى تعيينه كثير فائدة ؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[1] والمراد بها بيتُ المَقْدِس .

﴿ واسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ ﴾[2] والمراد أَيْلة ، وقيل : طبريَّة .

﴿ فَلَوْلاَ كانَتْ قَرْيَةٌ ﴾[3] والمراد نِينَوَى .

﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾[4] قيل بُرْقة .

فإن قيل ما الفائدة فى قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾[5] قيل : آزَر اسم صنم ؛ وفى الكلام ، حذف أى دع آزر ؛ وقيل كلمة زجر ؛ وقيل : بل هو اسم أبيه ؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلَقُ على الجدّ ، فقال « آزر » لرفع المجاز .

* * *

الخامس : التنبيه على التعميم ، وهو غيرُ خاصّ بخلاف ما لو عيَّن كقوله تعالى : ﴿ومن يَخْرُجْ منْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[6] ، قال عِكْرِمة : أقمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته ، هو ضمرة بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتَّنعيم[7] .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾[8] قيل نزلت فى عليّ ، كان معه أربع دوانق ، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سرا وآخر علانيـة .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ (٢) سورة الأعراف ١٦٣

(٣) سورة يونس ٩٨ (٤) سورة الكهف ٧٧

(٥) سورة الأنعام ٧٤

(٦) سورة النساء ١٠٠ (٧) التنعيم : موضع بمكة .

(٨) سورة البقرة ٢٧٤

وقوله : ﴿ ومَا عَلمتُمْ منَ الجوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [(١)] ، قيل نزلت فى عَدِىّ بن حاتم ، كان له كلاب [خمسة] [(٢)] قد سمّاها [بأسماء] [(٢)] أعلام .

* * *

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : ﴿ ولَا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ [(٣)] ، والمراد الصِّديق .

وكذلك ﴿ والَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ [(٤)] يعنى محمدا ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [(٤)] يعنى أبا بكر — ودخل فى الآية كل مصدّق ، ولذلك قال : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [(٤)] .

* * *

السابع : تحقيره بالوصف الناقص، كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [(٥)] ، وقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [(٦)] والمراد فيهما العاصى بن وائل .

وقوله : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ [(٧)] والمراد الوليد بن عقبة بن أبى معيط .

وأما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ [(٨)] فذكره هنالك للتنبيه على أنّ مآله للنار ذات اللّهب .

تنبيهات

الأول : قد يكون للشخص اسمان ، فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكتة، فمنه قوله تعالى فى مخاطبة الكتابيين : ﴿يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ [(٩)] ولم يذكروا فى القرآن إلا

---

(١) سورة المائدة ٤

(٢) تكملة من تفسير القرطبي ٦ : ٦٦

(٣) نزلت فى الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبدا بعد ما قال فى عائشة ما قال فى حديث الإفك . (وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٨ — ٢٧٦) .

(٤) سورة الزمر ٣٣ (٥) سورة النساء ٥٦

(٦) سورة الكوثر ٣ (٧) سورة الحجرات ٦

(٨) سورة اللهب ١١ (٩) سورة البقرة ٤٠ .

بهـذا ، دون «يابنى يعقوب» . وسرُّه أن القوم لما خُوطبوا بعبادة الله ، وذُكِّرُوا بدين أسلافهم؛ موعظةً لهم، وتنبيهاً من غفلتهم ، سُمُّوا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله ، فإن «إسرائيل» اسم مضاف إلى الله سبحانه فى التأويل ، ولهذا لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومًا إلى الإسلام يقال لهم : «بنو عبدالله» ، قال : «يابنى عبدالله ، إن الله قد حسَّن اسم أبيكم» ، يحرضهم بذلك على مايقتضيه[1] اسمه من العبودية . ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيرَه به قال: يعقوب، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة تَعْقُبُ أخرى ، و بشرى عقب بها بشرى[2] فقال : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[3] وإن كان[2] اسم يعقوب عبرانيا؛ لكن لفظه موافق للعربيّ ، من العقِب والتعقيب . فانظر مشاكلةَ الاسمين للمقامين فإنه من العجائب .

وكذلك حيث ذكر الله نوحا سماه به ، واسمه عبد الغفار ، للتنبيه على كثرة نوْحه على نفسه فى طاعة ربه .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن عيسى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[4] ، ولم يقل «محمد» ، لأنه لم يكن محمدا حتى كان أحمدَ ، حمد ربّه ، فنبّأه وشرفه ، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به .

ومنه أنّ مدْين هم أصحابُ الأيكة ، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال : «أخاهم شعيبا»[5] ، وحيث أخبر عن الأيكة[6] لم يقل «أخوهم» . والحكمة فيه أنه لما

---

(١) م : «يقتضى» (٢) ساقطة من م

(٣) سورة هود ٧١ (٤) سورة الصف: ٦

(٥) الأعراف ٨٥ ، هود ٨٤ ، العنكبوت ٣٦ : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ .

(٦) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . الحجر ٧٨ : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ ، ص ١٣ : ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ . ق ١٤ : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

عرّفهم بالنسب ، وهو أخوهم فى ذلك النسب ذكره ، ولما عرّفهم بالأيكة التى أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم ، وأخرجه عنهم .

ومنه ﴿وَذَا النُّونِ﴾(١) ، فأضافه إلى الحوت والمراديونس ، وقال فى سورة القلم : ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾(٢) ، والإضافة « بذى » أشرف من الإضافة « بصاحب » ، ولفظ « النون » أشرف من « الحوت » ، ولذلك وجد فى حروف التهجّى ، كقوله : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾(٣) . وقد قيل : إنه قسم وليس فى الآخر مايشرّفه بذلك .

ومنه قوله(٤) تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ﴾(٥) ، فعدل عن الاسم إلى الكنية ؛ إما لاشتهاره بها ، أو لقبح الاسم ، فقد كان اسمه عبد العُزّى .

واعلم أنه لم يسمّ الله قبيلةً من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشا ؛ سمّاهم بذلك فى القرآن ، ليبقى على مرّ الدّهور ذكرهم ، فقال تعالى : ﴿(٦)لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾(٤) .

* * *

الثانى : أنه قد بالغ فى الصفات للتنبيه على أنه يريد إنسانا بعينه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ...﴾(٧) الآية ؛ قيل : إنه الأخنس بن شُرَيق .

وقوله : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾(٨) ؛ قيل : إنه أميّة بن خَلَف ؛ كان يهمز النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) سورة الأنبياء ٨٧ (٢) سورة القلم ٤٨

(٣) سورة القلم ١

(٤ ـ ٤) هذه العبارة ساقطة من ت ، م ، وهى فى حاشية ط ؛ وأشار الناسخ إلى أنها منقولة من خط المؤلف.

(٥) سورة اللهب ١ (٦) سور قريش ١

(٧) سورة ن ١٠ ، ١١ (٨) سورة الهمزة ١

الثالث : قيل : لم يذكر الله تعالى « امرأة » فى القرآن وسمّاها باسمها إلا مريم بنت عمران ، فإنه ذكر اسمها فى نحو ثلاثين موضعا، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال : إن الملوكَ والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يبتذلون أسماءهم ، يكنُون عن الزوجة بالعُرْس والعيال والأهل ونحوه ، فإذا ذكروا الإماء لم يكْنُوا عنهنّ ، ولم يصُونوا أسماءهنّ عن الذِّكر والتصريح بها ، فلما قالت النصارى فى مريم وفى ابنها ما قالت صرّح الله تعالى باسمها ، ولم يُكَنِّ عنها ؛ تأكيدا لأمرِ العبوديّة التى هى صفةٌ لها ، وإجراء للكلام على عادة العرب فى ذكر أبنائها ؛ ومع هذا فإن عيسى لا أبَ له ، واعتقادُ هذا واجبٌ ، فإذا تكرّر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقادُه من نفى الأب عنه ، وتنزيه الأمِّ الطاهرة عن مقالةِ اليهود لعنهم الله .

* * *

الرابع : وأما الرجال فذكَر منهم كثيرا ؛ وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[1] أنه الوليد بن المغيرة ، وقد سمى الله زيْدًا فى سورة الأحزاب للتصريح بأنه ليس بابن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وأضيف إلى ذلك السِّجلّ ؛ قيل : إنه كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[2] .

---

(١) سورة المدثر ١١ (٢) سورة الأنبياء ١٠٤

النوع السابع
في أسرار الفواتح والسُّوَر

اعلم أن سوَر القرآن العظيم مائة وأربعَ عشرة سورة ؛ وفيها يُلْغَز فيقال : أيُّ شيء إذا عددتَه زاد على المائة ؛ وإذا عددتَ نصفه كان دون العشرين[1] ؟ .

وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ؛ لا يخرج شيء من السُّوَر عنها .

[ـ الاستفتاح بالثناء]

الأول : استفتاحه بالثناء عليه عز وجلّ . والثناء قسمان : إثباتٌ لصفات المدح ؛ ونفي وتنزيه من صفات النقص .

والإثباتُ نحو ﴿ الحمدُ لله ﴾ في خمس سور[2] ، [و ﴿ تبارك ﴾ في سورتين][3] : الفرقان : ﴿ تبَارَكَ الذي نزّل الفُرْقان ﴾ ، [والملك][3] : ﴿ تبارك الذي بيده المُلْك ﴾ .

---

(١) ألف فيه عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع كتابا سماه : الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقل عنه السيوطي في الإتقان .

(٢) سورة الفاتحة : ﴿ الحمدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾. الأنعام : ﴿ الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ . الكهف : ﴿ الحمدُ للهِ ٱلذي أنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ ﴾ . سبأ : ﴿ الحمدُ للهِ الذي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا في ٱلْأَرْضِ ﴾ . فاطر : ﴿ الحمدُ للهِ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

والتنزيه نحو : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعبْدِهِ ﴾[١] ، ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾[٢] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مافِي السَّمٰوَاتِ ﴾[٣] ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾[٤] ، كلاهما[٥] فى سبع[٦] سور ، فهذه أربع عشرةَ سورة استُفتِحَت بالثناء على الله : نصفُها لثبوتِ صفات الكمال ؛ ونصفُها لسلب النقائص .

قلت : وهو سرّ عظيم من أسرار الألوهية . قال صاحب العجائب[٧] :

« سبح لله »[٨] هذه كلمة استأثر اللهُ بها ؛ فبدأ بالمصدر منها فى بنى إسرائيل لأنه الأصل ؛ ثم الماضى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ ، فى الحديد والحشر والصف ؛ لأنه أسبقُ الزمانين ، ثم المستقبل[٩] فى الجمعةوالتغابن ، ثم بالأمر فى سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها ، وهى أربع : المصدر ، والماضى ، والمستقبل ، والأمر المخاطب ، فهذه أعجوبة وبرهان .

[٢ ـ الاستفتاح بحروف التهجّى]

الثانى : استفتاح السُّوَر بحروف التّهجّى[١٠] نحو : الٓمٓ ، الٓمٓصٓ ، الٓمٓر ، كٓهيعٓصٓ ، طٰه ، طسٓ ، طسٓمٓ ، حمٓ ، حمٓعسٓق ، قٓ ، نٓ . وذلك فى تسع وعشرين سورة .

قال الزمخشرىّ : «[١١] وإذا تأملت الحروفَ التى افتتح الله بها السور وجدتَها نصف

---

(١) سورة الإسراء (٢) سورة الأعلى

(٣) سورة الحديد والحشر والصف .

(٤) سورة الجمعة والتغابن .

(٥) أى كل من إثبات صفات المدح والتنزيه عن صفات النقص .

(٦) فى الأصول : « خمس » ؛ وصوابه من الإتقان ٢ : ١٠٥ .

(٧) هو محمود بن حمزة الكرمانى المعروف بتاج القراء ؛ وكتابه العجائب فى تفسير القرآن ؛ ويسمى الغرائب والعجائب أيضا ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٨) الإتقان فيما نقل عن الكرمانى : « التسبيح » .

(٩) فى الإتقان : « المضارع » . (١٠) ت : « الهجاء » .

(١١) الكشاف ١ : ١٣ـ ١٤

أسامى حروف المعجم ، أربعة عشر : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون . فى تسع وعشرين عدد حروف المعجم . ثم تجدها مشتملةً على أصناف أجناس الحروف : المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة. ثم إذا استقريت الكلامَ تجدُ هذه الحروف هى أكثر دورا مما بَقِى ، ودليله أنّ الألفَ واللام لمّا كانت أكثر تداوراً جاءت فى معظم هذه الفواتح ، فسبحان الذى دَقّت فى كل شىء حكمته[1] ! ». انتهى .

قيل : و بقى عليه من الأصناف : الشديدة والمنفتحة[2] ، وقد ذكر تعالى نصفها . أما حروف الصفير فهى ثلاثة ليس لها نصف ؛ فجاء منها السين والصاد ، ولم يبق إلا الزاى . وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء ، أما المكرر وهو الراء، والهاوى وهو الألف ، والمنحرف وهو اللام فذكرها ؛ ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرِّخوة ؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف . وهذا التداخل موجود فى كل قسم قبله ، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها . ووهِم الزمخشرىّ فى عد حروف القلقلة ؛ إنما ذكر نصفها ، فإنها خمسة ذكر منها حرفان : القاف والطاء .

---

(١) كذا نقله المؤلف ؛ وفى الكلام اختصار ؛ وعبارة الكشاف : « ثم إذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتَها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ؛ بيان ذلك : أن فيها من المهموسة نصفها : الصاد والكاف والهاء والسين والحاء . ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون . ومن الشديدة نصفها : الأليف والكاف والطاء والقاف . ومن الرخوة نصفها : اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون . ومن المطبقة نصفها : الصاد والطاء . ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون . ومن المستعلية نصفها : القاف والصاد والطاء . ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون . ومن حروف القلقلة نصفها : القاف والطاء . ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها ؛ فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته ! » .

(٢) كذا ذكره المؤلف ؛ وفيه نظر ؛ فقد أوردها صاحب الكشاف ؛ وانظر الحاشية السابقة .

وقال القاضى أبو بكر : إنما جاءت على نصف حروف المعجم ؛ كأنه قيل : مَنْ زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقى ، ويُرَكب عليه لفظا معارضة للقرآن . وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء المتهجّاة فى أول السور ثمانية وسبعون حرفا ، فالكاف والنون كل واحد فى مكان واحد ، والعين والياء والها والقاف كل واحد فى مكانين ، والصاد فى ثلاثة ، والطاء فى أربعة ، والسين فى خمسة ، والراء فى ستة ، والحاء فى سبعة ، والألف واللام فى ثلاثة عشر ، والميم فى سبعة عشر ، وقد جمع بعضهم ذلك فى بيتين وهما :

كُنْ واحدٌ عَيْهَقُ اثنانِ ثلاثةُ صا ... دُ الطاء أربعةٌ والسينُ خمسٌ علا

والراءسِتٌّ وسبعُ الحاءآلُ وَدَجٍ [1] ... وميمها سبعُ عشرٍ تمّ واكتملا

وهى فى القرآن فى تسعة وعشرين سورة ، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا ؛ يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » ؛ وجمعها السهيلىّ فى قوله : « الم يَسْطع نور حق كره » .

وهذا الضابط فى لفظه ثِقَل ، وهو غير عذب فى السمع ولا فى اللفظ ؛ ، ولو قال : « لم يكرها نصّ حق سطع » لكان أعذب .

ومنهم من ضبط بقوله : «طرق سمعك النّصيحة» ، و«صُنْ سرا يقطعك حمله» ، و«على صراط حق يمسكه» . وقيل: «مَنْ حَرَص على بطّه كاسر» وقيل : «سر حصين قطع كلامه» .

ثم بنيتها [2] ثلاثة حروف موحدة : ص ق ن ، وعشرة مثنى : طه، طس، يس، حم .
واثنا عشر مثلثة الحروف : الم ، الر ، طسم ، واثنان حروفها أربعة : المص ، المر . واثنان حروفها خمسة : كهيعص حمعسق .

وأكثر هذه السور التى ابتدِئت بذكر الحروف ذكر منها: ماهو ثلاثة أحرف ، وما هو أربعة أحرف (سورتان) ، وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان) .

(١) كلمة : « ودج » تعنى العدد ثلاثة عشر بحروف الجمل . (٢) ت : « منها »

وأما ما بدئ بحرف واحد فاختلفوا فيه ، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً و إنما جعله اسماً لشيء خاص . ومنهم مَنْ جعله حرفاً وقال : أراد أن يتحقق الحروفَ مفردَها ومنظومَها .

فأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سرّ ، وذلك أنّ الألفَ إذا بدئ بها أولاً كانت همزةً ، وهى أولُ المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهى أشدّ الحروف اعتمادا على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أعنى الحلق واللسان والشفتين ، وترتبت فى التنزيل من البداية، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة ، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجا ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفا ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين ، مع تضمّنها سرا عجيباً ، وهو أن الألفَ للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية ، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التّوسط بين البداية من الشرائع [(١)] والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وأيضاً فلأن الألف واللام كَثُرت فى الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها فى الكلام .

وأيضاً من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرئة ؛ فهى أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقةً بصدر الغار الأعلى من الفم ؛ فصوتها يملأ ماوراءها من هواء الفم ، والميم مُطْبَقة؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا ، ويُرمز بهنّ إلى باقى الحروف؛ كما رَمَز

---

(١) ت : التشريع .

صلى الله عليه وسلم بقوله : «أمرت أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[١] إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما .

وتأمل اقترانَ الطاء بالسين والهاء فى القرآن ، فإنّ الطاء جمعتْ من صفاتِ الحروف خمسَ صفات لم يجمعْها غيرُها : وهى الجهرُ والشدة والاستعلاء والإطباق [والإصمات]. والسّين مهموس رِخْو مستفل صفير منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرفٌ يقابلها ، كالسين والهاء ؛ فذكَر الحرفين اللذيْن جمعا صفات الحروف .

وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة : كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فمن ذلك : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾[٢] فإن السورة مبنية على الكلمات القافيّة : من ذكْر القرآن ، ومن ذكْر الخلْق ، وتكرار القول ومراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، وتلقِّى الملَكين ، وقول العَتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق ، والقرين ، والإلقاء فى جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقَرْن ، والتنقيب فى البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسى فيها ، وبُسُوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وسرّ آخر وهو أن كلّ معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل مااشتملت عليه سورة « صٓ » من الخصومات المتعددة ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقولهم : ﴿ أَجَعَلَ الآلهةَ

---

(١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١ : ١١٠ عن البخارى ومسلم ؛ ونصه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . عن أبى هريرة

(٢) سورة ق ١ .

إلهاً واحداً... ﴾[١] ، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلم ، وهو الدّرجات، والكفارات ، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسجود ، ثم اختصامه ثانيا فى شأن بَنِيه وحَلِفه لَيُغوينّهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿نٓ والقلم﴾ ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ماتضمنت من الألفاظ النونية .

وتأمل سورةَ الأعراف زاد فيها « ص » لأجل قوله : ﴿فلاَ يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾[٢] وشرح فيها قصص آدم فَمن بعده من الأنبياء ، ولهذا قال بعضهم: معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٣] . وقيل : معناه المصوّر ، وقيل : أشار بالميم لمحمّد، وبالصاد للصّديق ؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصّدّيق لمحمد ومتابعته له .

وجعل السهيلىّ هذا من أسرار الفواتح ، وزاد فى الرعد «راء» لأجل قوله : ﴿اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوَاتِ﴾[٤] ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما .

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[٥] وقد جاء بخلاف ذلك فى العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك .

تنبيهات

ثم لا بدّ من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يعدّوا شيئاً منها آية ؛ وأما الكوفيون فمنها ماعدّوه آية، ومنها

---

(١) سورة ص ٤
(٢) سورة الأعراف ٢ (٣) سورة الانشراح ١
(٤) سورة الرعد ٣
(٥) سورة البقرة ١ ، ٢

مالم يَعدّ وهآية ؛ وهو عِلْم توقيفيّ لا مجال للقياس فيه ؛ كمعرفة السور ؛ أما ﴿الٓمٓ﴾ فآية حيث وقعتْ من السور المفتتَحة بها، وهى ستّ[1] ، وكذلك ﴿الٓمٓصٓ﴾ آية، و﴿الٓمٓرٓ﴾ لم تُعد آية، و﴿الٓرٓ﴾ ليست بآية من سورها الخمس ، و﴿طسٓمٓ﴾ آية فى سورتيْها ، و ﴿طه﴾ و ﴿يسٓ﴾ آيتان ، و ﴿طسٓ﴾ ليست بآية ، و ﴿حمٓ﴾ ، آية فى سورها كلها ، و ﴿حمٓ . عٓسٓقٓ﴾ آيتان ، و ﴿كهيعصٓ﴾ آية واحدة ، و ﴿صٓ﴾ ، و﴿قٓ﴾ ؛ و ﴿نٓ﴾ ، لم تعد واحدةٌ منها آية ؛ وإنما عُدَّ ما هو فى حكم كلمة واحدة آية ، كما عدّ ﴿الرَّحمن﴾ وحده ، و ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2] وحدها آيتين على طريق التوقيف .

وقال الواحدى فى " البسيط " فى أول سورة يوسف : لا يعدّ شيء منها آية إلا فى ﴿طه﴾ ، وسرُّه أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رءوس الآى ، فلهذا لم يُعَدّ آية ؛ بخلاف ﴿طه﴾ ، فإنها تشاكل ما بعدها .

***

الثانى : هذه الفواتح الشريفة على ضربين : أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب ، نحو ﴿كهيعص﴾ و﴿الٓمٓ﴾ . والثانى ما يتأتى فيه ؛ وهو إما أن يكون اسما مفردًا كص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ «حمٓ» ، و «طسٓ» ، و « يسٓ » فإنها موازنة لقابيل وهابيل ، وكذلك « طسٓم » يَتَأَتّى فيها أن تفتح نونُها فتصير (ميم) مضمومةً إلى « طسٓ» فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد .[3] فالنوع الأول محكيّ ليس إلا ، وأمّا النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية[4] .

***

(١) سورة البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٣) دارابجرد : ولاية بفارس (ياقوت) .

(٤) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ١ : ١١ ، ونقله عن سيبويه فى باب أسماء السور (٢ : ٣٠ ــ ٣١)

الثالث : أنّه يوقف على جميعها وقْف التّمام؛ إنْ حُمِلَتْ على معنًى مستقلّ غير محتاج إلى ما بعده، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور، وينعق[١] بها كما ينعق بالأصوات ؛ أو جعلتْ وحدها أخبار ابتداء محذوف ؛ كقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ . ٱللَّهُ ﴾[٢] أى هذه السورة « الٓمٓ » ثم ابتدأ فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

* * *

الرابع : أنها كتبت فى المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها ، لا على صورة أساميها ، وعُلِّل[٣] ذلك بأن الكلمة لما كانت مركّبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تُهجّيت ، ومتى قيل للكاتب : اكتبْ : كَيْتَ وكيتَ ، أن يلفظ بالأسماء ، وتقع فى الكتابة الحروف أنفسها ؛ فحمل على ذلك للمشاكلة[٤] المألوفة فى كتابة هذه الفواتح . وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة ألسنة[٥] الأحمر والأسود لها ؛ وأن اللافظ بها غير متهجّاة لا يجىء بطائل فيها ، وأن بعضها مفردٌ لا يخطر ببال غير ماهو عليه من موردِه أمنتْ وقوع اللبس فيها . وقد اتفقتْ فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى يُبْنَى[٦] عليها علمُ الخطِّ والهجاء ؛ ثم ما عادَ ذلك بنكير[٧] ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ ، وكان اتباعُ خطِّ المصحف سنةً لا تخالَف . أشار إلى هذه الأحكام المذكورة صاحبُ الكشاف .

وقد اختلف الناس فى الحروف المقطعة أوائل السور على قولين :

---

(١) كذا فى ت ، ط . وفى م : « ينطق »
(٢) سورة آل عمران ١ ، ٢
(٣) انظر الكشاف ١ : ١٢
(٤) الكشاف : « عمل على تلك الشاكلة المألوفة »
(٥) الكشاف : « ألسنة »
(٦) الكشاف : « بنى »
(٧) ط : « بتكثر » ، والكشاف : « بضير » .

أحدها أنّ هذا علم مستور، وسر محجوب استأثر الله به ، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سرّ ، وسِرُّه فى القرآن أوائلُ السور . قال الشعبيّ : إنها من المتشابه، نؤمِن بظاهرها ، ونَـكِلُ العلم فيها إلى الله عز وجلّ .

قال الإمام الرازى : وقد أنـكر المتـكلّمون هذا القولَ وقالوا : لا يجوز أن يرِد فى كتاب الله ما لا يفهمه الخَلْق ، لأنَّ الله تعـالى أمر بتدبُّرِه ، والاستنباطِ منه ؛ وذلك لا يمكن إلا معَ الإحاطة بمعناه ، ولأنه كما جاز التعبّد بما لا يعقل معناه فى الأفعـال ، فلم لا يَجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارةً بأن نتـكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون القصدُ منه ظهور الانقياد والتسليم !

القول الثانى أن المراد منها معلوم ، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها ؛ فمنها البعيد ، ومنها القريب :

أحدها : ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كلّ حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه ، فالألف من « الله » ، واللام من « لطيف » ، والميم من « مجيد » ، أو الألف من « آلائه » ، واللام من « لطفه » ، والميم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيّد ، وله فى كلام العرب شاهد : * قلنا لها قفى فقالت قٓ *

فعبَّر عن قولها « وَقفْت» بقٓ .

الثانى: أن الله أقسم بهذه الحروف بأنّ هذا الـكتاب الذى يقرؤه [1] محمد هو الكتاب المنزَّل لاشك فيه ، وذلك يدل على جَلالة قَدْر هذه الحروف إذْ كانت مادّة البيان . وما فى كتب [2] الله المنزلة باللغات المختلفة ، وهى أصول كلام الأمم [3] بها يتعارفون ، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فـكذلك شأن هذه الحروف فى القَسَم بها .

---

(١) م : « يقوله »

(٢) ت : « ومبانى كتب الله المنزلة »

(٣) ت : « الاسم » ؛ وفوقها الحرف « ط » رمز : « طبق الأصل » .

الثالث : أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل، أو آلائه ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم ، فالألف سنة ، واللام ثلاثون سنة، والميم أربعون ؛ روى عن الربيع بن أنس . قال ابن فارس : وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدعْ نَظْماً عجيباً ، ولا عِلْماً نافعا إلا أودعه إياه ، عَلِم ذلك منْ عَلِمه ، وجهلَه من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضاً فى قوله تعالى : ﴿الٓمٓ﴾ .أنا الله أعلم ، وفى ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنا الله أفصِل، و ﴿الٓر﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العامّ ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور ف﴿الٓمٓ﴾ اسم لهذه ، و﴿حٰمٓ﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، ونقله الزمخشرى عن الأكثرين [١] وأن سيبويه نصّ عليه فى كتابه [٢] . وقال الإمام فخر الدين : هو قولُ أكثر المتكلمين . فإن قيل : فقد وجدنا ﴿الٓمٓ﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التميز ؟ قلنا : قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميَّز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميّزان بأنْ يقال : زيد الفقيه ، وزيد النحوىّ ، فكذلك إذا قرأ القارئُ : ﴿الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾ [٣] فقد ميزها عن ﴿الٓمٓ . ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [٤] .

السادس : أنّ لكل كتاب سرّا ، وسرّ القرآن فواتح السور ، قال ابن فارس : وأظن قائل ذلك أراد أنه من السِّر الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم . واختاره جماعة، منهم أبو حاتم بن حبان .

---

(١) الكشاف ١ : ١١ (٢) الكتاب ٢ : ٣٠

(٣) سورة البقرة ١ ، ٢ (٤) سورة آل عمران ١ ، ٢

قلت : وقد استخرج بعضُ أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [(١)] فتوحَ بيت المقدس واستنقاذَه من العدو فى سنة معيّنة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لَغَوْا فيه ، وقال بعضهم : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ﴾ [(٢)] فأنزل اللهُ هذا النظمَ البديع ليعجبوا منه ، ويكونُ تعجُّبُهم سببا لاستماعهم ، واستماعهم له سببا لاستماعِ ما بعده ، فترقّ القلوبُ وتلين الأفئدة .

الثامن : أنّ هذه الحروف ذكرت لتدلّ على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى : ا ، ب ، ت ، ث ... فجاء بعضُها مقطّعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدلّ القومَ الّذين نزل القرآنُ بلغتهم أنه بالحروف التى يعقلونها ، ويبنُون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا ؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادةً منه للدلالة بكل حرف منها على معانٍ كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكونُ هذه الحروفُ جامعة لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كلٌّ واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكونَ اللهُ عز[(٣)] وجل قد وضعها هذا الوضع [(٤)] فسمى بها ، وأن كلّ حرفٍ منها فى آجالِ قوم وأرزاق آخرين ، وهى مع ذلك مأخوذةٌ من صفات الله تعالى فى إنعامه وإفضاله ومجده ، وأنّ الافتتاح بها سبب لأن يَسمع القرآنَ من لم يكن سَمِع ، وأنّ فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدالَّ على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الحروف ، وأن عجزَهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعامَلة بينهم دليلٌ على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كلّ عدد منها إذا وقع أول كلّ سورة فهو اسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

---

(١) سورة الروم ١ ، ٢
(٢) سورة فصلت ٢٦
(٣) ت : « الله تعالى » .
(٤) م : « الموضع »

العاشر : أنها كالمهيّجة لمن سمعها من الفصحاء ، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل،والأخذ فى التّفاضل ، وهى بمنزله زمجرة الرعد قبل الناظر فى الأعلام لتعرف الأرض فضلَ الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام . وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعـد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارسِ الخط، ولم يعان الطريقة ، على ما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] .

الثانى عشر : انحصارُها فى نصف أسماء حروف المعجم ، لأنها أربعة عشر حرفا على ما سبق تفصيلُه ؛ وهذا واضح على[2] من عدّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا ، وقال « لا » مركبة من اللام والألف ؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفا ، والنطق « بلا» فى الهجاء كالنطق فى « لا رجل فى الدار » ، وذلك لأن الواضعَ جعل كلّ حرف من حروف المعجم صدْر اسمه إلاّ الألف ، فإنه لما لم يُمكِن أن يُبتَدَأ به لكونه مطبوعاً على السكون فلا يقبل الحركة أصْلًا تُوصِّل إليه باللام ؛ لأنها شابهتْه فى الاعتداد والانتصاب ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم اسم الألف فى أول حروف الهجاء ؟ قلت : ذلك اسم الهمزة لوجهين : أحدها أنه صدْره ، والثانى أنها صدْر ماتصدّر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثًا ؛ وإنما كانت صدْره لأنّ صورتها كالمتكررة أربع مرات ؛ لأنها تلبسُ صورةَ العين وصورة الألف والواو والياء لما يعرض من الحركة والسكون ، ولذلك أخّروا ما بعد الطاء

---

(١) سورة العنكبوت ٤٨

(٢) ت : « عند من قال : إن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفا » .

والظاء والعين ؛ لأن صورتَها ليست متكررة . وجوابه على هذا المذهب أن الحرفَ لا يمكن تنصيفهُ[١] ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها فى تسع وعشرين سورة بعدد الحروف . فإن قلت : هلا روعى صورتها كما روعى عددها ؟ قلت : عرض لبعضها الثِّقَل لفظا فأهمل .

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضروريةً فى النطق ، واجبةً فى الهجاء ، لازمة التقدم فى الخطِّ والنُّطق — إذ المفرد مقدَّم على المركبِ — فقدّمت هذه المفردات على مركَّباتها فى القرآن ، فليس فى المفرد مافى المركَّب ، بل فى المركَّب مافى المفرد وزيادة . ولما كان نزولُ القرآن فى أزمنةٍ متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقيا إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله ، ولا كتابَ بعده ، جعل اللهُ تعالى حروفَه كالعلائم ، مبيِّنة أن هذه السورةَ هى من قَبيلِ تلك التى أنزلت من عشر سنين مثلا ، حتى كأنها تتمة ، لها وإن كان بينهما مدة .

وأما نزولُ ذلك فى مُدَدٍ وأزمنــة ، أو نزولُ سورٍ خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع . وأمّا ترتيبُ وضعِها فى المصحف — أعنى السور — فله أسباب مذكورة فى النوع الثالث عشر .

وأما زيادةُ بعض الحروف فى بعض السور وتغييرُ بعضها ، فلْيُعلَم أنَّ المراد الإعلامُ بالحروف فقط ؛ وذلك أنه متى فَرَضَ الإنسانُ فى بعضها شيئا ، مثل ﴿الٓمٓ﴾ السجدة ، لزمه فى مثلها مثلُه ، كألف لام ميم البقرة ؛ فلما لم يجد دلَّهُ ذلك الثانى على بطلان الأول ، وتحققَ أن هذه الحروفَ هى علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونُها اختصَّتْ بسورةِ البقرة فيحتملُ أنَّ

(١) ت : « تنصفه »

ذلك تنبيه على السور ، وأنها احتوت على جملةِ المنطوق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصَلت فى تسعةٍ وعشرين سورة بعدد جملة الحروف . ولو كان القصدُ الاحتواء على نصفِ الكتاب لجاءت فى أربعَ عشرة سورة ؛ وهذا الاحتواء ليس من كلٍّ وجه، بل من وجهٍ يرجع إلى إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية ؛ ومايقتضى أن يقعَ فيه التعجيز . ويحتمل أن يكون لمعان أُخر ، يجدها مَنْ يفتح الله عليه بالتأمل والنظر ؛ أو هبةً من لدنه سبحانه .

ولا يمتنع أن يكون فى بقيَّة السور أيضا كما فى ذوات الحروف، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تُعلَم عليها السور ، ليُنَبّه على فضلها ، وهذا من باب الاحتمال. والأولى أن الأحرف إنما جاءت فى تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالّةً لنا على عدة الحروف ، فتكون السُّوَر من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة ؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوضٌ عن تسعةٍ وعشرين .

[٣ ـ الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور : النداء ؛ نحو : ﴿ يٰأَيُّها الَّذين آمنوا ﴾(١) . ﴿ يٰأَيُّهاالنبىّ ﴾(٢) . ﴿ يٰأَيها المدثِّر ﴾(٣) ؛ وذلك فى عشر سور(٤) .

(١) سورة المائدة : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أوفُوا بالعقود ﴾ . الحجرات :﴿ يٰأَيُّهاالذينَ آمنُوا لاتقدّموا بين يدَىِ اللهِ ورسُوله ﴾ . الممتحنة : ﴿ يٰأَيُّها الذينَ آمنُوا لاتتخِذُوا عدوِّى وعدُوَّكُمْ أولياء ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب: ﴿ يٰأَيُّها النبىّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الكافرينَ والمنافِقين ﴾. الطلاق: ﴿ يٰأَيُّها النبىّ إذا طَلَّقتُمُ النِّساء . . . ﴾ التحريم :﴿ يٰأَيُّهَا النبىُّ لِمَ تحرِّم ما أحلّ اللهُ لك ﴾ .

(٣) سورة المدثر

(٤) بقيته : فى سورة النساء : ﴿ يٰأَيُّها النَّاسُ اتقوا ربَّكُمُ الذى خلقكُمْ منْ نفسٍ واحدةٍ ﴾. سورة الحج : ﴿ يٰأَيُّها النَّاسُ اتقُوا ربَّكُمْ إنَّ زلزلةَ السَّاعةِ شىءٌ عظيمٌ ﴾.المزمل: ﴿ يٰأَيُّها المزَّمِّلُ قُمِ الليلَ إلَّا قليلًا ﴾ .

[٤ ـ الاستفتاح بالجمل الخبرية]

الرابع : الجمل الخبرية ؛ نحو ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ . ﴿ براءةٌ من الله ﴾[١] . ﴿ أتى أمرُ الله ﴾[٢] . ﴿اقتربَ للنّاسِ حسابُهُمْ﴾[٣] . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون ﴾. ﴿ سورةٌ أنزلْناها﴾[٤] ﴿ تنزيلُ الكِتاب﴾[٥] . ﴿ الَّذين كفروا﴾[٦] . ﴿ إنّا فتحنا ﴾ . ﴿ اقتربتِ السَّاعَةُ ﴾[٧]. ﴿ الرّحمن عَلَّمَ القرآنَ ﴾ . ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ ﴾[٨]. ﴿ الحاقةُ ﴾ . ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾[٩]. ﴿ إنّا أرْسَلْنَا ﴾[١٠] . ﴿ لَا أُقْسِمُ ﴾ فى موضعين[١١] . ﴿ عَبَسَ ﴾ . ﴿ إنَّا أنزَلْنَاهُ ﴾[١٢] . ﴿ لَمْ يَكُنْ ﴾[١٣]. ﴿ القارعة ﴾ . ﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾[١٤]. ﴿ إنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾؛ فتلك ثلاث وعشرون سورة .

[٥ ـ الاستفتاح بالقسم]

الخامس : القَسَم ؛ نحو : ﴿ والصَّافاتِ﴾. ﴿ والذّاريات ﴾ . ﴿ والطور ﴾ . ﴿ والنجْم﴾ ﴿ والْمُرْسَلَات ﴾ . ﴿ والنّازعات ﴾ . ﴿ والسّماء ذاتِ البُرُوج ﴾ . ﴿ والسّماء والطارق ﴾ . ﴿ والفجر ﴾ . ﴿ والشمس ﴾. ﴿ والليلِ ﴾ . ﴿ والضُّحَى﴾ . ﴿ والتّينِ ﴾ . ﴿ والْعَادياتِ ﴾ . ﴿ والعصر ﴾ ؛ فتلك خمس عشرة سورة .

---

(١) سورة التوبة
(٢) سورة النحل
(٣) سورة الأنبياء
(٤) سورة النور
(٥) سورة الزمر
(٦) سورة القتال
(٧) سورة القمر
(٨) سورة المجادلة
(٩) سورة المعارج
(١٠) سورة نوح
(١١) سورتا القيامة، والبلد
(١٢) سورة القدر
(١٣) سورة البينة
(١٤) سورة التكاثر

[٦ ـ الاستفتاح بالشرط]

السادس : الشرط ؛ نحو ﴿ إذا وقعتِ الواقعةُ ﴾ . ﴿ إذا جاءكَ المنافقُون ﴾ . ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرتْ ﴾ . ﴿ إذَا السماء انفطَرَت ﴾ . ﴿ إذا السَّماء انشقَّتْ ﴾ . ﴿ إذا زُلْزِلَت ﴾. ﴿ إذَا جاءَ نَصْرُ الله ﴾ ؛ فذلك سبع سور .

[٧ ـ الاستفتاح بالأمر]

السابع : الاستفتاح بالأمر ؛ فى ست سور : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ . ﴿ اقرَأْ باسْمِ رَبِّكَ ﴾ . ﴿ قلْ يـٰأَيُّها الـكافِرون ﴾ . ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ﴾ . ﴿ قلْ أعُوذ ﴾ فى سورتين.

[٨ ـ الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن : لفظ الاستفهـام فى : ﴿ هَلْ أَتَى ﴾[١] . ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾ . ﴿ هَلْ أتاكَ ﴾[٢] . ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ . ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ . ﴿ أرأَيْتَ ﴾[٣] ، فتلك ست سور .

[٩ ـ الاستفتاح بالدعاء]

التاسع : الدعاء فى ثلاث سور : ﴿ وَيْلٌ للمطفِّفينَ ﴾ .﴿ وَيْلٌ لِـكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ . ﴿ تَبَّتْ يَدَا أبى لَهَبٍ ﴾ .

[١٠ ـ الاستفتاح بالتعليل]

العاشر : التعليل ، فى موضع واحد ؛ نحو : ﴿ لِإيلَافِ قُرَيش ﴾ .

هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسى[٤] ؛ قال : وما ذكرناه فى قسم

---

(١) سورة الدهر (٢) سورة الغاشية

(٣) سورة الماعون

(٤) هو العلامة عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشافعى المقدسى، المعروف بأبى شامة ؛ شارح الشاطبية ؛ وصاحب كتاب الذيل على الروضتين . توفى سنة ٦٦٥ .(شذرات الذهب ٥ : ٣١٨) .

الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ؛ وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا ﴿ سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فإنه يدخل أيضاً فى قسم الأمر ، و ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بعبْدِهِ ﴾ . يحتمل الأمر والخبر ؛ ونظم ذلك فى بيتين فقال :

أثنَى على نفسِه سُبْحَانه بثبُو تِ المدْح والسَّلْبِ لما استفتَح السُّوَرَا
والأمْرُ شرط الندا التعليلُ والقَسَم الـ ـدّعا حروفُ التَّهجِّى استفهِمِ الخبرا

النوع الثامن
في خواتم السُّوَر

وهى مثل الفواتح فى الحسن ؛ لأنّها آخر مايقرعُ الأسماع ؛ فلهذ جاءت متضمِّنة للمعانى البديعة ؛ مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوّف النَّفْس إلى مايذكر بعد .

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا بلاغٌ للنَّاس ﴾[1] . وخاتمة سورة الأحقاف : ﴿ بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلّا القومُ الفَاسِقُونَ ﴾[2] ؛ ولأنها بين أدعيةٍ ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ، ووعد ووعيد ؛ إلى غير ذلك . كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة فاتحة الكتاب ؛ إذ المطلوبُ الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصى المسبِّبةِ لغَضب الله والضلال ؛ ففصَّل جملةَ ذلك بقوله : ﴿ الَّذِين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[3] ؛ والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعامَ ولم يقيّده ليتناوَل كلَّ إنعام ؛ لأن منْ أنعَم عليه بنعمةِ الإيمان فقد أنعَم عليه بكلِّ نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ ﴾[4] يعنى أنهم جَمعوا بين النِّعم المطلقة وهى نعمة الإيمان ، و بين السَّلامة من غَضَب الله والضلال المسبَّبَيْن عن معاصيه وتعدِّى حدودِه .

---

(١) سورة إبراهيم ٥٢ (٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) فاتحة الكتاب ٧

(٤) سورة الفاتحة ٧

وكالدعاء الّذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة [١] .

وكالوصايا التى خُتِمتْ بها سورة آل عمران [٢] ، بالصَّبر على تـكاليف الدين، والمصابرة لأعداء الله فى الجهاد ومعاقبتهم ، و الصبر على شدائد الحرب والمرابطة فى الغزو المحضوض عليها بقوله : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [٣] ، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق فى المضايق وسهولة الرزق فى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٤]. وبالفلاح لأن ﴿ لعلّ ﴾ من الله واجبة .

وكالوصايا والفرائض التى ختمت بها سورة النساء [٥]، وحسُن الختمُ بها لأنها آخر ما نزل من الأحكام عامَ حجة الوداع.

وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة : ﴿ لِلّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وما فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٦] ، ولإرادة المبالغة فى التعظيم أُختيرت « ما » على « مَن » لإفادة العموم ،فيتناول الأجناس كلها .

وكالوعد والوعيد الذى ختمت به سورة الأنعام بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٧] ولذلك أورِد على وجه المبالغة فى وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالـكلام المفيد لتحقيق الوقوع .

---

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ ربّنا وإليك المصيرُ ﴾ ٢٨٥ ، ﴿ ربّنا لا تؤاخذْنا إن نَسِينا أو أخطأنا . . . ﴾ ٢٨٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ يـٰأيُّها الّذينَ آمَنُوا اصْـبِروا وصَابرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا الله لعلـكمْ تفلِحُون ﴾ ٢٠٠

(٣) سورة الأنفال ٦٠ — (٤) سورة الطلاق ٢ ، ٣

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ يستفتونكَ قُلِ اللهُ يُفتيكُمْ فى الـكَلالَةِ إنِ امرؤٌ هَلَكَ ليس لَهُ وَلَدٌ . . . ﴾ ١٧٦

(٦) سورة المائدة ١٢٠ — (٧) سورة الأنعام ١٦٥

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى خُتِمت به سورة الأعراف [١] .

والحض على الجهاد وصلة الأرحام الذى ختم به الأنفال [٢] .

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذى ختمت به براءة [٣] .

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختم بهاسورة يونس [٤] . ومثلها خاتمة هود [٥] .

ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به سورة يوسف [٦] .

والرّد على مَنْ كذَّب الرسول الذى ختم به الرعد . [٧]

---

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ عِندَ ربكَ لَا يستكبِرُونَ عَنْ عبَادته ويُسبّحُونَهُ ولهُ يسجدُون ﴾ ، آية ٢٠٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وأُولُوا الأرْحَامِ بَعْضُهمْ أوْلَى ببعْضٍ فِي كتابِ اللهِ إنّ اللهَ بِكُلِّ شيْءٍ عليمٌ ﴾ ، آية ٧٥

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ فإِنْ تولَّوْا فَقُلْ حَسبيَ اللهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ عليهِ توكلْتُ وهُو ربُّ العرْشِ العظيمِ ﴾ ،آية١٢٩

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ واصبِر حتّى يَحكُمَ اللهُ وهوَ خيرُ الحاكمينَ ﴾ ، آية ١٠٩

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿فاعبُدْه وتوكّلْ عليه ومَا ربكَ بغافلٍ عما تَعْمَلُونَ ﴾، آية ١٢٣

(٦) وذلك قوله تعالى : ﴿ مَا كانَ حديثاً يُفترَى ولكِنْ تَصدِيقَ الّذِى بينَ يديهِ وتفصيلَ كلِّ شيءٍ وهدًى ورحمةً لقومٍ يؤمنُونَ﴾؛ آية ١١١

(٧) وذلك قوله تعالى : ﴿ ويقولُ الّذينَ كفرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قلْ كفَى باللهِ شهيداً بيني وبينَكُمْ . . ﴾ ، آية ٤٣

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة فى أنّهُ إلهٌ واحد الذى ختمت به إبراهيم [١] .

ووصيته الرسول التى ختم بها الحجر [٢] .

وتسلية الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذى ختمت به النحل [٣] . والتحميد الذى ختمت به سبحان [٤] .

وتحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه ، والأمر بالتوحيد الذى ختمت به الكهف [٥] .

وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر فى بقيته .

فصل

[فى مناسبة فواتح السور وخواتمها]

ومن أسراره مناسبة فواتح السور وخواتمها . وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [٦] وخروجه من وطنه ونصرتُه وإسعافه بالمكالمة ، وختَمَها بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بألّا يكون ظهيرا

---

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ هذا بلاغٌ للنّاس ولِيُنْذَروا به... ﴾ ، آية ٥٢

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ واعبُدْ ربكَ حتّى يأتِيكَ اليَقِينُ ﴾ ، آية ٩٩

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ معَ الّذينَ اتّقَوْا والّذِينَ هُم مُحسنونَ ﴾ ، آية ١٢٨ .

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وقلِ الحمدُ لِلهِ الّذِى لم يتخِذْ ولدا ولم يكُنْ له شريكٌ فى الملكِ ... ﴾ ، آية ١١١

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ قلْ إنّمَا أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلىَّ أنّمَا إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ .... ﴾ آية ١١٠

(٦) سورة القصص ١٧

للكافرين ، وتسليته بخروجه من مكّة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقرآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعَادٍ ﴾ (١) .

قال الزمخشرى : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) وأورد فى خاتمتها : ﴿ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣)، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة !

فصل

[فى مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التى قبلها]

ومن أسراره مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التى قبلها ؛ حتى إن منها ما يظهر تعلّقها به لفظا كما قيل فى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (٤) ، ﴿ لِإِيلاَفِ قُرَيْشٍ ﴾ (٥) .

وفى الكواشى (٦) لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله فى أول سورة المائدة : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة القصص ٨٥ (٢) سورة المؤمنون ٢
(٣) سورة المؤمنون ١١٧ (٤) سورة الفيل ٩
(٥) سورة قريش ١
(٦) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشى الموصلى الشافعى ؛ توفى سنة ٦٨٠ وله كتابان فى التفسير أحدهما التبصرة والثانى التلخيص ؛ ذكرهما صاحب كشف الظنون
(٧) سورة المائدة ١

النوع التاسع
معرفة المكى والمدنى

وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ ، والمكىّ أكثر من المدنىّ .

اعلم أن للناس فى ذلك ثلاثة اصطلاحات :

أحدُها أن المكىّ مانزل بمكة، والمدنىّ مانزل بالمدينة[1] .

والثانى ـ وهو المشهور ـ أن المكىّ مانزل قبل الهجرة ، وإنْ كان بالمدينة ، والمدنىّ مانزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة .

والثالث أن المكىّ ماوقع خِطاباً لأهل مكة ، والمدنىّ ماوقع خطابا لأهل المدينة ؛ وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتى ؛ لأن الغالب على أهلِ مكة الكفر فخوطبوا بـ «يٰأيها الناس » وإن كان غيرهم داخلاً فيهم ، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ« يٰأيها الذين آمنوا » وإن كان غيرهم داخلا فيهم .

وذكر الماوردىّ[2] أن البقرة مدنية فى قول الجميع إلا آية، وهى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[3] فإنها نزلت يوم النحر فى حجة الوداع بمنًى. انتهى .

---

(١) قال السيوطى فى الإتقان (١ : ٩) : « ويدخل فى مكة ضواحيها ؛ كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية؛ وفى المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسلع » .

(٢) هو الإمام أبو الحسن على بن حبيب الشافعى ؛ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ؛ والحاوى ، والتفسير ؛ وكتاب الأحكام السلطانية ؛ توفى سنة ٤٥٠ . (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٣) سورة البقرة ٢٨١

ونزولها هناك لا يُخرجها عن المدنىّ بالاُصطلاح الثانى أن مانزل بعد الهجرة مدنىّ سواء كان بالمدينة أو بغيرها .

وقال الماوردىّ فى سورة النساء : هى مدنية إلا آية واحدة نزلت فى مكة فى عثمان ابن طلحة حين أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة[١] ويسلمها إلى العباس ، فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٢] والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها « ياأيُّها الناسُ » وليس فيها « ياأيها الذين آمنوا » فهى مكية ، وفى الحج اختلاف . وكل سورة فيها « كلَّا » فهى مكية ، وكلّ سورة أولُها حروف المعجم فهى مكّية إلا البقرة وآل عمران ، وفى الرعد خلاف . وكلُّ سورة فيها قصة آدم وإبليس فهى مكية سوى البقرة . وكلُّ سورة فيها ذِكْر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت .

وقال هشام[٣] عن أبيه : كلُّ سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهى مدنيّة ، وكلُّ ما كان فيه ذِكْر القرون الماضية فهى مكّية .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمىّ[٤] بإسناده الى يحيي بن سلّام[٥] قال : مانزلَ بمكة وما نزل فى طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكّىّ

---

(١) ت : « البيت » . (٢) سورة النساء ٥٨

(٣) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي ؛ صاحب السير والنسب توفى سنة ٢٠٤ (معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٧)

(٤) فى م : « الدانى » تحريف ؛ وهو صاحب المسند الكبير ؛ أخذ الفقه عن البويطى والعربية عن ابن الأعرابى والحديث عن ابن المدينى . توفى سنة ٢٨٠ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٦)

(٥) هو أبو زكريا البصري يحيي بن سلام صاحب التفسير ، سمع بمصر ، ثم سكن إفريقية وتوفى سنة ٢٠٠ (طبقات القراء ٣ : ٣٧٣)

وما نزلَ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فى أسفاره بعد ما قدِم المدينة فهو من المدنىّ ، وما كان من القرآن « يأ يها الذين آمنوا » فهو مدنى ، وما كان « يأيها الناس » فهو مكىّ .

وذكر أيضا بإسناده إلى عُرْوة بن الزبير[١] قال : ما كان من حد أو فريضة فإنه أنزلَ بالمدينة ، وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه أنزل بمكة .

وقال الجعبرىّ : لمعرفة المكّىّ والمدنى طريقان : سماعىّ وقياسىّ ، فالسّماعى ما وصل إلينا نزولُه بأحدها،والقياسىّ، قال علقمة[٢] عن عبد الله : كل سورة فيها « يأيها الناس» فقط أو « كلَّا » أو أولها حروف تهجٍّ سوى الزهراوين[٣] والرعد فى وجه ،أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطّولى[٤] فهى مكّيّة ؛ وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكّيّة ، وكلُّ سورة فيها فريضة أو حدّ فهى مدنيَّة. انتهى .

وذكر ابن أبى شيبة[٥] فى مصنفه فى كتاب فضائل القرآن : حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : كلّ شىء نزل فيه « يَـٰأيها الناس » فهو بمكة، وكل شىء نزل فيه « يأيها الذين آمنوا » فهو بالمدينة ؛ وهذا مرسل قد أسنِد عن عبد الله بن مسعود .

---

(١) هو أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام الأسدى أحد فقهاء المدينة السبعة ؛ توفى سنة ٩٤ . (شذرات الذهب ١ : ١٠٣ ، ١٠٤)

(٢) هو علقمة بن قيس النخعى الكوفى ؛ يروى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله بن مسعود وحذيفة ، توفى سنة ٦٢ (الخلاصة ٢٣٩)

(٣) هما سورتا البقرة وآل عمران ؛ واقرأ فى تفسير القرطبى ٤ : ٣ سبب التسمية.

(٤) هى سورة البقرة ؛ أطول سورة فى القرآن .

(٥) هو الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة ؛ صاحب المصنف المعروف باسمه . توفى سنة ٢٣٥ (شذرات الذهب ٢ : ٨٥ ، وتهذيب التهذيب)

ورواه الحاكم[١] فى مستدركه فى آخر كتاب الهجرة عن يحيى بن معين، قال : حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود به .

ورواه البيهقى[٢] فى أواخر دلائل النبوة ، وكذا رواه البزار[٣] فى مسنده ثم قال : وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلا ، ولا نعلم أحدا أسنده إلا قيس . انتهى .

ورواه ابن مردويه[٤] فى تفسيره فى سورة الحج عن علقمة عن أبيه ، وذكر فى آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه . وقد[٥] نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره ، وبه قال كثير من المفسرين ، ونقله عن ابن عباس .

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر ، فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[٦] وفيها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[٧] . وسورة النساء مدنية ، وفيها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾[٨] ، وفيها : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ[٩] أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ . وسورة الحج مكية ، وفيها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾[١٠] : فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكى[١١] : هذا

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف بالحاكم ؛ صاحب المستدرك على الصحيحين ؛ توفى سنة ٤٠٥ .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله البيهقى ؛ صاحب كتاب السنن ودلائل النبوة . وغيرهما . توفى سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية ٣ : ٣ ــ ٥)

(٣) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى ؛ صاحب المسند الكبير ؛ ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٢٩٢ .

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى ؛ صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخارى ، توفى سنة ٤١٠ (شذرات الذهب ٣ : ١٩٠ . وانظر كشف الظنون) .

(٥) ت : «وممن نص »
(٦) سورة البقرة ٢١
(٧) سورة البقرة ١٦٨
(٨) سورة النساء ١
(٩) سورة النساء ١٣٣
(١٠) سورة الحج ٧٧

(١١) هو مكى بن حموش بن محمد بن مختار القيسى المقرى ؛ صاحب كتاب الرعاية فى تجويد القرآن ، وتحقيق لفظ التلاوة ، توفى بقرطبة سنة ٤٣٧ (ابن خلكان ٢ : ١٢٠) .

إنما هو فى الأكثر وليس بعامّ ، وفى كثير من السور المكية: ﴿ يٰأَيها الذين آمنوا ﴾ . انتهى .

والأقرب تنزيل قول مَن قال : مكّىّ ومدنىّ ؛ على أنّه خطابٌ المقصودُ به أو جلّ المقصودِ به أهل مكة « يٰأَيّها الذين آمنوا » كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة .

وفى تفسير الرازى عن علقمة والحسن : أن ما فى القرآن « يٰأَيها الناس » مكىّ ، وما كان « يٰأَيها الذين آمنوا »[1] فبالمدينة، وأن القاضى قال : إن كان الرجوع فى هذا إلى النقل فسلّم ، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين[1] بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم واسمهم وجنسهم ، ويؤمرُ غير المؤمنين[2] بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها انتهى .

فصل

ويقع السؤال : أنه هل نص النبى صلى الله عليه وسلم على بيان ذلك ؟ قال القاضى أبو بكر فى الانتصار : إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم، كما أنه لا بدّ فى العادة من معرفة معظِّمِى العالِم والخطيبِ ، وأهلِ الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ما صنّفه أولا وآخراً ، وحالُ القرآن فى ذلك أمثل، والحرص عليه أشدّ ، غير أنه لم يكن من النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قولٌ ، ولا ورد عنه أنه قال : اعلموا أنّ قَدْر ما نزل بمكّة كذا وبالمدينة كذا ، وفصّلهم . ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر ، وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمَرْ به ، ولم يجعل الله علمَ ذلك من فرائض الأمة، وإن وجبَ فى بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، ليعرَف الحكم الذى تَضَمَّنهما ، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه، وقوله

(١ — ١) ساقط من ت

(٢) حاشية ط : « عبارة الإمام الرازى : « المؤمن » بالإفراد ؛ وخط المصنف يحتمل ؛ لكن الرازى أفرد « المؤمن » أولا فقال : ويؤمر غير المؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمنون. وفى خط الزركشى الجمع أولا » .

هذا هو الأول المكىّ ،وهذا هو الآخر المدنى . وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكى والمدنى مما لا يسوغ الجهل به ، لم تتوفر الدّواعى على إخبارهم به ، ومواصلة ذكره على أسماعهم ، وأخذهم بمعرفته . وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف فى بعض القرآن هل هو مكىّ أو مدنى ، وأن يعملوا فى القول بذلك ضربا من الرأى والاجتهاد ، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكىّ والمدنىّ ، ولم يجب على منْ دخل فى الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه : مكية أو مدنية . فيجوز أن يقف فى ذلك أو يغلبَ على ظنه أحد الأمرين ؛ وإذا كان كذلك بطل ماتوهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته فى الناس ؛ ولزوم العلم به لهم ، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه .

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورىّ فى كتاب "التنبيه على فضل علوم القرآن" : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب مانزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء ، وترتيب مانزل بالمدينة كذلك ، ثم مانزل بمكة وحكمه مدنىّ ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكىّ ، وما نزل بمكة فى أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة فى أهل مكه ، ثم مايشبه نزول المكى فى المدنى ، وما يشبه نزول المدنى فى المكّىّ ، ثم مانزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المَقدِس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، ثم مانزل ليلا ، وما نزل نهارا ، وما نزل مشيَّعاً ، وما نزل مفردا ، ثم الآيات المدنيّات فى السور المكّية ، والآيات المكّية فى السور المدنيّة ، ثم ماحُمِل من مكّة إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى مكة ، وما حُمِل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم مانزل مجملا ، وما نزل مفسّرا ، وما نزل مرموزا ، ثم مااختلفوا فيه ، فقال بعضهم: مدنىّ. هذه خمسة وعشرون وجهاً ؛ مَنْ لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى .

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أولُ ما نزل من القرآن بمكة : ﴿ اقرأ باسْم ربك ﴾ ، ثم ﴿ نٓ والقلم ﴾، ثم ﴿ يَـٰأيها المزّمل ﴾ ، ثم ﴿ يـٰأيهـا المدثر ﴾ ، ثم ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ ، ثم ﴿ إذا الشمسُ كوّرت ﴾ ، ثم ﴿ سَبّح اسمَ ربّك الأعلى ﴾ ، ثم ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ، ثم ﴿ والفجر ﴾ ، ثم ﴿ والضحى ﴾ ، ثم ﴿ ألمْ نشرح ﴾ ، ثم ﴿ والعَصْر ﴾ ، ثم ﴿ والعادِيات ﴾ ، ثم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، ثم ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، ثم ﴿ أرأيتَ الّذى ﴾ ، ثم ﴿ قل يَـٰأيها الكافرون ﴾ ، ثم « سورة الفيل » ثم « الفلق » ، ثم « الناس » ، ثم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ثم ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ، ثم ﴿ عبسَ وتَولّى ﴾ ، ثم ﴿ إنا أنزَلناه ﴾ ، ثم ﴿ والشّمس وضحاها ﴾ ، ثم ﴿ والسّماء ذات البُروج ﴾ ، ثم ﴿ والتينِ والزّيتون ﴾ ، ثم ﴿ لإيلافِ قُريش ﴾ ، ثم ﴿ القارعة ﴾ ، ثم ﴿ لَا أُقسِم بيوم القيامة ﴾ ، ثم ، الهمزَةَ ، ثم المرسلات ، ثم ﴿ قٓ والقرآن ﴾ ، ثم ﴿ لا أُقسِم بهذا البلد ﴾ ، ثم الطارق ، ثم ﴿ اقتربَتِ الساعة ﴾ ، ثم ﴿ صٓ والقرآن ﴾ ، ثم الأعراف ، ثم الجنّ ، ثم ﴿ يسٓ ﴾ ثم الفرقان ، ثم الملائكة ثم مريم ، ثم طهٓ ، ثم الواقعة ، ثم الشعراء ، ثم النمل ، ثم القصص ، ثم بنى إسرائيل ، ثم يونس ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحِجْر ، ثم الأنعام ، ثم الصّافات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزّمر ، ثم حمٓ .المؤمن ، ثم حمٓ . السجدة ، ثم حمٓ .عسٓق ، ثم حمٓ . الزخرف ، ثم حمٓ .الدخان ، ثم حمٓ .الجاثية ، ثم حمٓ . الأحقاف ، ثم ﴿ والذاريات ﴾ ، ثم الغاشية ، ثم ، الكهف ، ثم النحل ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنون ، ثم ﴿ الٓمٓ . تنزيل ﴾ ، ثم ﴿ والطور ﴾ ثم الملك ، ثم ﴿ الحاقة ﴾ ، ثم ﴿ سأل سائل ﴾ ، ثم ﴿ عمّ يتساءلون ﴾ ، ثم ﴿ والنازعات ﴾ ، ثم ﴿ إذا السّماء انفطَرتْ ﴾ ، ثم ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ، ثم الروم .

واختلفوا فى آخر ما نزل بمكة ، فقال ابن عباس : العنكبوت . وقال الضحاك وعطاء:

المؤمنون ، وقال مجاهد : ﴿ ويل للمطففين ﴾ . فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة ، وعليه استقرت الرواية من الثقات ، وهى خمس وثمانون سورة .

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها : سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ، ثم الحديد ، ثم محمد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم ﴿ هل أتى ﴾ ، ثم الطلاق ، ثم ﴿ لم يكن ﴾ ، ثم الحشر ، ثم ﴿ إذا جاء نصرُ الله ﴾ ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم ﴿ يأيُّها النبيُّ لِمَ تحرِّمُ ﴾ ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة .

ومنهم من يقدِّم المائدة على التوبة ، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم المائدة فى خطبة حجة الوداع وقال : « يَـٰأَيها الناس ، إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة ، فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها » .

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة . وأما ما اختلفوا فيه : ففاتحة الكتاب ، قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وَعطاء : إنها مكّية . وقال مجاهد : مدنية ؛ واختلفوا فى ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ فقال ابن عباس : مدنية ؛ وقال عطاء : هى آخر ما نزل بمكة ، فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة ، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة ، على اختلاف الروايات .

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ

منها قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ... ﴾ [١] الآية ، ولها قصة يطول بذكرها الكتاب [٢] ونزولها بمكة يوم فتحها ، وهى مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة .

ومنها قوله فى المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [٣] إلى قوله : ﴿ الخاسرين ﴾ [٤] نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات ، فبركت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم من هيبة القرآن . وهى مدنية لنزولها بعد الهجرة ، وهى عدة آيات يطول ذكرها .

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ

منه الممتحنة إلى آخرها ؛ وهى قصة حاطب بن أبى بَلْتَعة وسارة ، والكتاب الذى دفعه إليها – وقصتها [٥] مشهورة – فخاطب بها أهل مكة .

ومنها قوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ... ﴾ [٦] إلى آخر السورة ، مدنيات يخاطب بها أهلَ مكة .

ومنها سورة الرعد يخاطب أهل مكة ، وهى مدنية .

---

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) انظر تفصيل القصة فى (سيرة ابن هشام ٤ : ٣١ ، ٣٢)

(٣) سورة المائدة ٣ (٤) سورة المائدة ٥

(٥) وذلك حينما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة ؛ وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابه إلى قريش يخبرها بالذى أجمع عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم . وانظر تفصيل الخبر فى (ابن هشام ٤ : ١٦ – ١٧)

(٦) سورة النحل ٤١ .

ومن أول براءة إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (١) خطاب لمشركى مكة ؛ وهى مدنيـة .

فهذا من جملة ما نزل بمكة فى أهل المدينة وحكمه (٢) مدنىّ ، وما أنزل فى أهل مكة (٢) وحكمه مكّىّ .

ما يشبه تنزيل المدينة فى السور المكية

من ذلك قوله تعالى فى النجم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ ﴾ (٣) يعنى كلّ ذنب عاقبته النار ، ﴿ والفواحش ﴾ يعنى كلّ ذنب فيه حَدّ ﴿ إلا اللَّمَم ﴾ ، وهو بينَ الحدَّيْنِ من الذنوب ، نزلت فى نَبهان والمرأة التى راودها عن نفسها فأبت ؛ والقصة مشهورة واستقرت الرواية بما قلنا ؛ والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حدّ ولا غزْو .

ومنها قوله تعالى فى هود : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ... ﴾ (٤) الآية نزلت فى أبى مقبل الحسين بن عمر بن قيس (٥) والمرأة التى اشترت منه التمر ، فراودها .

ما يشبه تنزيل مكة فى السور المدنية

من ذلك قوله تعالى فى الأنبياء : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ، (٦) نزلت فى نصارى نجران [ومنهم] السيد والعاقب .

---

(١) سورة التوبة ٢٨

(٢) كذا فى ط ، م . وفى ت : « أو حكمه » وفى حاشية ط : « فى خط المصنف : إثبات « أو » فى قوله : « أو حكمه » فى الموضعين

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة هود ١١٤

(٥) فى تفسير القرطبى (٩ : ١١٠ ــ ١١١) أنها نزلت فى رجل من الأنصار اسمه أبو اليسر بن عمرو ؛ ثم ذكر تفصيل الخبر والخلاف الوارد فيه ..

(٦) سورة الأنبياء ١٧

ومنها سورة ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾[١] فى رواية الحسين بن واقد ، وقصتها مشهورة .
ومنها قوله تعالى فى الأنفال : ﴿ وإذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ... ﴾[٢] الآية .

ما نزل بالجحفة[٣]

قوله عز وجل فى سورة القصص : ﴿ إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ ﴾[٤] نزلت بالجحفة والنبى صلى الله عليه وسلم مهاجر .

ما نزل ببيت المقدس

قوله تعالى فى الزخرف : ﴿ واسْأَلْ مَنْ أرسَلْنَا من قَبْلِكَ مِن رُسُلنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلهةً يُعْبَدُونَ ﴾[٥] ، نزلت عليه ليلة أُسْرِىَ به .

ما نزل بالطائف

قوله تعالى فى الفرقان : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ... ﴾[٦] الآية ، ولذلك قصة عجيبة .

وقوله فى : ﴿ إذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ : ﴿ بل الَّذِين كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فبشِّرْهُمْ بعذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٧] يعنى كفار مكة .

ما نزل بالحديبية

قوله تعالى فى الرعد : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ ﴾[٨] نزلت بالحديبية حين صالح النبى صلى الله عليه وسلم أهلَ مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : اكتب :

(١) سورة العاديات ١ (٢) سورة الأنفال ٣٢
(٣) الجحفة : قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل .
(٤) سورة القصص ٨٥ (٥) سورة الزخرف ٤٥ (٦) الفرقان ٤٥
(٧) سورة الانشقاق ٢٢–٢٤ (٨) سورة الرعد ٣٠ .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فقال سهيل بن عمرو : مانعرف الرحمن الرحيم ؛ ولو نعلم أنك رسول الله لتابعناك ، فأنزل الله تعالى : ﴿وهمْ يكفرُون بالرَّحْمَٰنِ ﴾ إلى قوله ﴿ متاب ﴾ .

مانزل ليلاً

قوله تعالى فى أول سورة الحج: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ، نزلت ليلا فى غزوة بنى المصطلق ، وهم حىّ من خُزاعة والناس يسيرون .

وقوله تعالى فى المائدة : ﴿ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس ﴾[2] ، نزلت فى بعض غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَس كلَّ ليلة . قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يحرسنا الليلة ؟ » ، فأتاه حُذَيفة وسعد فى آخرين معهم الحَجَف[3] والسيوف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيمة من أَدَم ، فباتوا على باب الخيمة ، فلما أن كان بعد هَزيع من الليل أنزل الله عليه الآية ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسَه من الخيمة فقال : يَٰأيها الناس ، انصرفوا فقد عصمنى الله» .

ومنها قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ . . . . ﴾[4] الآية ، قالت عائشة رضى الله عنها : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فى اللّحاف . ونزل عليه أكثر القرآن نهارا[5] .

---

(١) سورة الحج ١ (٢) سورة المائدة ٦٧

(٣) « ط ، م : «يوم الجحفة والسوق » تحريف صوابه فى ت . والحجف : الترس .

(٤) سورة القصص ٥٦

(٥) حاشية ط : « ترك المؤلف مانزل فى الصيف وما نزل فى الشتاء، وقد ذكر العلماء أن آية الكلالة التى فى أول سورة النساء نزلت فى الشتاء ، وأن الآية التى فى آخرها نزلت فى الصيف » ونقله السيوطى عن الواحدى فى الإتقان .

ما نزل مشيَّعاً

سورة الأنعـام نزلت مرة واحدة ، شيّعها سبعون ألف ملك،طبّقوا ما بين السموات والأرض ، لهم زجَل بالتسبيح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سبحان الله! »، وخرّ ساجداً .

قلت : ذكر أبوعمروبن الصلاح[١] فى "فتاويه" أن الخبرالمذكور جاءمن حديث أبيّ ابن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وفى إسناده ضعف ، ولم نرَ له إسناداً صحيحاً ، وقد رُوِى ما يخالفه ، فرُوِىَ أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالمدينة ؛ اختلفوا فى عددها فقيل : ثلاث:هى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا . . . ﴾[٢] الخ الآيات ، وقيل:ست ، وقيل : غير ذلك ، وسائرها نزل بمكة .

وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف مَلَك .

وآية الكرسىّ نزلت ومعها ثلاثون ألف مَلَك .

وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾[٣] نزلت ومعها عشرون ألف ملك .

وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشييع .

الآيات المدنيات فى السُّوَر المكيّة

منها سورة الأنعام،وهى كلها مكية خلا ست آيات ، واستقرت بذلك الروايات .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[٤] نزلت هذه فى مالك بن الصّيف، إلى آخر الآية، والثانية والثالثة .

---

(١) هو أبو عمرو بن عبدالرحمن الشهرزورى الشافعى، المتوفى سنة ٦٤٣ ؛ وفتاويه جمعها بعض طلبته ؛ وهو الكمال إسحاق المعزى الشافعى ؛ فى مجلد كثير الفوائد (كشف الظنون) .

(٢) سورة الأنعام ١٥١

(٣) سورة الزخرف ٤٥

(٤) سورة الأنعام ٩١ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا ﴾ [١] نزلت فى عبد الله بن أبى سَرْح، أخى عثمان من الرضاعة، حين قال: ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ [١] ، وذلك أنه كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله جل ذكره : ﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ﴾ [٢] ، فأملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [٣] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ ... ﴾ الخ الآية ، فقال : إن كنت نبياً فأنا نبيّ ؛ لأنه خطر ببالى ما أمليت عليّ . فلحق كافرا .

وأما قوله : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ [٤] ، فإنه نزل فى مسيلمة الكذاب ، حين زعم أن الله سبحانه أَوْحَى اليه . وثلاث آيات من آخرها : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [٥] إلى قوله ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ .

سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ﴾ [٦] إلى قوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ [٦] .

سورة إبراهيم مكية ، غير آيتين نزلتا فى قتلى بدر : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ... ﴾ [٧] الخ الآيتين .

سورة النحل ، مكية إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [٨] والباقى مدنىّ .

---

(١) سورة الأنعام ٩٣
(٢) سورة المؤمنون ١٢
(٣) سورة المؤمنون ١٤
(٤) سورة الأنعام ٩٣
(٥) سورة الأنعام ١٥١ ـ ١٥٣
(٦) سورة الأعراف ١٦٣ ـ ١٧١
(٧) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩
(٨) سورة النحل ٤١ .

سورة بنى إسرائيل مكية ، غير قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾(١) يعنى ثقيفا، وله قصة(٢) .

سورة الكهف مكية ، غير قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾(٣) نزلت فى سلمان الفارسى ـة(٤) .

سورة القصص مكية، غير آية : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾(٥) ـيعنى الإنجيل ـ ﴿ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾(٥) يعنى الفرقان . نزلت فى أربعين رجلا من مؤمنى أهل الكتاب

---

(١) سورة الإسراء ٧٣

(٢) فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ : ٢٩٩ : « نزلت فى وفد ثقيف ، أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا : متعنا بآلهتنا حتى نأخذ ما يهدى لها ؛ فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ؛ وحرمنا وادينا كما حرمت مكة ؛ حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ؛ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك؛ فنزلت هذه الآية » .

(٣) سورة الكهف ٢٨ .

(٤) عن سلمان الفارسى قال : جاءت المؤلفة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم ، فقالوا : يارسول الله ؛ إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأباذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله :﴿ واتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ من كتابِ ربِّكَ لا مبدِّل لكلماتِهِ ولَنْ تجِدَ من دونِهِ مُلْتَحَداً . واصْبِرْ نَفْسَكَ مع الَّذين يَدْعون رَبَّهُمْ بالغداةِ والعشيّ . . . . ﴾ : فقام النبى صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى إذا أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى، قال : « الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى، معكم المحيا ومعكم الممات » ، (أسباب النزول للواحدى ٢٢٥)

(٥) سورة القصص ٥٢ .

قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب فأسلموا ، ولهم قصة[1] .

سورة الزمر مكية ، غير قوله : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ... ﴾[2] الآية .

الحواميم كلها مكيات ، غير آية فى الأحقاف نزلت فى عبد الله بن سلام[3] : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾[4] .

الآيات المكية فى السور المدنية

منها قوله تعالى فى الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... ﴾[5] الآية : يعنى أهل مكة حتى يخرجك من بين أظهرهم . استقرت به الرواية .

سورة التوبة مدنية ، غير آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ... ﴾[6] الخ السورة .

سورة الرعد مدنية ، غير قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ إلى قوله : ﴿ جَمِيعًا ﴾[7]

سورة الحج مدنية ، وفيها أربع آيات مكيات : قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

---

(١) فى تفسير ابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، عن ابن إسحاق : « قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلته عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش ؛ فقالوا لهم : خيبكم الله تعالى من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ؟ ما نعلم ركبا أحمق منكم ! فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ؛ لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا » . .

(٢) الزمر ٥٣

(٣) فى هذا خلاف ، ذكره ابن كثير فى التفسير ٤ : ١٥٦ .

(٤) سورة الأحقاف ١٠

(٥) سورة الأنفال ٣٣

(٦) سورة التوبة ١٢٨

(٧) سورة الرعد ٣١ .

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾ إلى قوله : (عَقِيمٍ)[١] وله قصة .

سورة ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ مكية إلا قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾[٢] إلى آخرها فإنها مدنية ؛ كذا قال مقاتل بن سليمان .

ما حُمل من مكّة إلى المدينة

أول سورة حملت من مكة إلى المدينة سورة يوسف ، انطلق بها عوف بن عفراء فى الثمانية الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا؛ وهم أول مَنْ أسلم من الأنصار ، قرأها على أهل المدينة فى بنى زريق، فأسلم يومئذ بيوت من الأنصار . روى ذلك يزيد بن رومان عن عطاء عن ابن يسار عن ابن عباس ؛ ثم حمل بعدها : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... ﴾[٣] إلى آخرها . ثم حمل بعدها الآية التى فى الأعراف: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٤] إلى قوله ﴿ تَهْتَدُونَ ﴾[٤] فأسلم عليها طوائف من أهل المدينة ، وله قصة .

ما حمل من المدينة إلى مكة

من ذلك الأنفال التى فى البقرة. ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .... ﴾[٥] الآية ، وذلك حين أوردَ عبدُالله بن جَحش كتاب مُسْلِمِي مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن المشركين عيّرونا قتلَ ابنِ الحضرميّ وأخذَ الأموال والأُسارَى فى الشهر

---

(١) سورة الحج ٥٢ ـ ٥٥ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ص ٨٠ وما بعدها

(٢) سورة الماعون ٤

(٣) سورة الإخلاص ٣

(٤) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة البقرة ٢١٧ .

الحرام . فكتبَ بذلك عبدُالله بن جَحْش إلى مسلمى مكة : إن عيّروكم فعيّروهم بما صنعوا بكم [١] .

ثم حملت آية الرّبا من المدينة إلى مكة فى حضور ثَقيف و بنى المغيرةِ إلى عتّاب بن أسِيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكةَ ، فقرأ عتّاب عليهم : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [٢] فأقرّوا بتحريمه ، وتابوا وأخذوا رءوس الأموال ، ثم حملت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة ، قرأ هُنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يوم النحر على الناس ، وفى ترتيبها قصة [٣] .

ثم حُمِلَت من المدينة إلى مكة، الآية التى فى النساء : ﴿ إلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ والوِلْدَانِ ﴾ [٤] إلى قوله : ﴿ عَفُوًّا غَفُوراً ﴾ [٥] فلا تعاقبهم على تخلفهم عن الهجرة ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها إلى مسلمى مكة ، قال جُنْدعُ بن ضَمرة الليثىّ ، ثم الجُندُعىّ لبنيه ــ وكان شيخا كبيرا : ألستُ من المستضعفين وأنى لا أهتدى إلى الطريق ! فحمله بنُوه على سريره متوجها إلى المدينة، فمات بالتَّنْعيم [٦] ، فبلغ أصحابَ رسول صلى الله عليه وسلم موتُه فقالوا : لو لحِقَ بنا لكان أكملَ لأَجْره ، فأنزل الله تعالى [٧] : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى اللهِ ورسُولهِ ﴾ [٨] إلى قوله ﴿ غَفُوراً رَحيماً ﴾ [٨] ..

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى : (٤ : ٢٩٩ ــ ٣١٥) ، وتفسير القرطبى: (٣ : ٤٢ ــ ٤٣)

(٢) سورة البقرة ٢٧٨

(٣) انظر تفسير القرطبى ٣ ــ ٣٦٣ ــ ٣٦٤

(٤) سورة النساء ٩٨

(٥) سورة النساء ٩٩

(٦) التنعيم : موضع على طريق المدينة يحرم منه المكيون بالعمرة (ياقوت)

(٧) انظر تفسير القرطبى (٥ : ٣٤٩)

(٨) سورة النساء ١٠٠

ما حُمل من المدينة إلى الحَبَشة

هى ست آيات ، بَعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَعفَر بنِ أبى طالب فى خصومة الرهبان والقسيسين : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [١] ، فقرأها جعفر بن أبى طالب عليهم عند النجاشىّ، فلما بلغ قوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [٢] قال النجاشىّ : صدقوا ، ما كانت اليهودية والنصرانية إلا من بعده ، ثم قرأ جعفر : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾ [٣] الآية . قال النجاشىّ : اللّهم إنّى ولىٌّ لأولياء إبراهيم ، وقال : صدقوا والمسيح ، ثم أسلم النجاشىُّ وأسلموا .

---

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة آل عمران ٦٧

(٣) سورة آل عمران ٦٨ .

النوع العاشر
معرفة أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله ففى صحيح البخارىّ فى حديث بدء الوحى ما يقتضى أن أولَ ما نزّل[1] عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[2] ثم المدثر[3] .

وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث عائشة رضى الله عنها صريحاً وقال : صحيح الإسناد .

ولفظ مسلم : « أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » .

ووقع فى صحيح البخارىّ إلى قوله : ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[2] ؛ وهو مختصر ، وفى الأول زيادة ، وهى من الثقة مقبولة .

وقد جاء ما يعارض هذا ، ففى صحيح مسلم عن جابر : « أوّل ما نزل من القرآن سورة المدثر »[4] .

وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبىّ صلى الله عليه وسلّم يذكر قصة بدء الوحى ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهّم أنها أولُ ما نزلت ؛ وليس كذلك ، نعم هى أول ما نزل بعد سورة ﴿ اقرأ ﴾ وفترة الوحى ؛ لما ثبت فى الصحيحين[5] أيضا عن جابر

---

(١) ت : « أنزل »
(٢) سورة العلق ١ ـ ٥
(٣) صحيح البخارى (١ : ٦ ـ ٧) بسنده عن عائشة .
(٤) صحيح مسلم (١ : ١٤٤) بسنده عن يحيى
(٥) صحيح البخارى (١ : ٢٢٨) ، وصحيح مسلم (١ : ١٤٣) ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله الأنصارى .

رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدّث عن فترة الوحى، قال فى حديثه : « بينا[1] أنا أمشى ، سمعت صوتاً من السماء ؛ فرفعت رأسى ، فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسىّ بين السماء والأرض ، فجُئِثت[2] منه [فَرَقا][3] فرجعت ، فقلت : زمّلونى ، زمّلونى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ » .

فقد أخبرَ فى هذا الحديث عن الملَك الذى جاءه بحراء قبل هذه المرة ، وأخبرَ فى حديث عائشة أن نزول : ﴿ اقرأ ﴾ كان فى غار حراء ، وهو أول وحيٍ ، ثم فتَر بعد ذلك . وأخبر فى حديث جابرٍ أن الوحيَ تتابع بعد نزول ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فعلِمَ بذلك أن ﴿ اقرأ ﴾ أولُ ما نزل مطلقاً ، وأن سورة المدثّر بعده ؛ وكذلك قال ابن حِبّان فى صحيحه : لا تضادَّ بين الحديثين ؛ بل أول ما نزل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ بغار حِراء ، فلما رجعَ إلى خديجة رضى الله عنها وصبّت عليه الماء البارد ، أنزل الله عليه فى بيت خديجة : ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فظهر أنه لما نزل عليه ﴿ اقرأ ﴾ رجع فتدثّر ، فأنزل عليه ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وقيل أول ما نزل سورة الفاتحة ، روى ذلك من طريق أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الصَّوْت انطلق هاربا ،وذكر نزولَ الملك عليه وقولَه قل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] الى آخرها .

وقال: القاضى أبوبكر فى " الانتصار ": وهذا الخبرمنقطع ؛ وأثبتُ الأقاويل﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ، ويليه فى القوة ﴿ يٰأيها المدثر﴾ . وطريق الجمع بين الأقاويل أنّ أوّل ما نزل من الآيات ﴿ اقرأ باسمِ ربّك﴾ ، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿ يٰأيها المدثر ﴾ ، وأول ما نزل

---

(١) صحيح مسلم : « فبينا »

(٢) جئثت : فزعت ، وفى صحيح البخارى : « فرعبت منه » .

(٣) من صحيح مسلم

(٤) فاتحة الكتاب ٢

من السور سورة الفاتحة . وهذا كما ورد فى الحديث « أول ما يحاسب به العبد الصَّلاة »[(١)] ، و « أول ما يقْضَى فيه الدماء »[(٢)] وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من الظلم التى بين العباد الدماء ، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل: أول مانزل للرسالة : ﴿يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ، وللنبوة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ، فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ دالّ على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ النبوة عبارة عن الوحى الى الشخص على لسان المَلك بتكليف خاص ، وقوله تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ دليلٌ على رسالتــه صلى الله عليه وسلّم ؛ لأنها عبارة عن الوحى إلى الشخص على لسان المَلك بتــكليفٍ عام .

وذكر القاضى فى " الانتصار " روايةً : ثم نزل بعد سورة ﴿ اقرأ ﴾ ثلاث آيات من أول نوح ، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أولُ سورة أنزلت « اقرأ » ، ثم نوح .

وذكر الحاكم فى " الإكليل " أن أولَ آية أنزلت فى الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[(٣)] .

وروى فى المستدرك عن ابن عباس : أولُ آية أنزلت فيــه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ . . . ﴾[(٤)] الآية .

* * *

---

(١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١ : ١٩٣ عن الطبرانى ، ولفظه : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الديات (٤ : ١٨٦) ، ولفظه : « أول ما يقضى بين الناس فى الدماء » .

(٣) التوبة : ١١١ (٤) الحج : ٣٩ .

وأما آخره فاختلفوا فيه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾ .[1]
وعن عائشة سورة المائدة . وقيل : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[2] .

وقال السُّدىّ : آخر ما نزل : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[3]. وفى "صحيح البخارى" فى تفسير سورة براءة عن البَراء بن عازب رضى الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[4] ، وآخر سورة نزلت براءة .

وفى رواية غيره : آخر سُورة أنزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية نَزَلَتْ خاتمة النساء.

وذكر[5] ابن الأنبارى عن أبى إسحاق عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ، ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ، ثم ساق سنده من طرق إلى ابن عباس : آخر آية أنزلت : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ ، وكان بينَ نزولها ووفاة النبى صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يوما ، وقيل : تسع ليال . انتهى .

وفى مستدرك الحاكم عن شُعْبة عن علىّ بن زيد عن يوسف بن مِهْران عن ابن عباس عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه ، أنه قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[6] ثم قرأها إلى آخر السورة . ورواه أحمد فى المسند عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه ، قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ جاءكم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ثم قرأ إلى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[5] . قال : هذا آخرُ ما نزل من القرآن ، فخَتم بما فتَحَ به ، بالذى

(١) سورة النصر ١
(٢) سورة البقرة ٢٨١
(٣) سورة التوبة ١٢٩
(٤) سورة النساء ١٧٦
(٥) ت : «وروى» .
(٦) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

لا إله إلا هو، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] .

وقال بعضهم : روى البخارى : آخرُ ما نزل آية الربا .

وروى مسلم : آخر سورة نزلت جميعا : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ .

قال القاضى أبو بكر فى " الانتصار " : وهذه الأقوال ليس فى شىء منها ما رفُع الى النبى صلى الله عليه وسلم . ويجوز أن يكون قالَه قائلُه بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طَعن به الطاعنون من عدم الضّبط .

ويحتمل أن كلاً منهم أخبرَ عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى اليوم الذى مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيرُه سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ، ونزولِ الوحى عليه بقرآن بعده .

ويحتمل أيضا أن تَنزل الآية ، التى هى آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برَسْم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رَسْم ما نزل آخرا وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٥

النوع الحادى عشر
معرفة على كم لغة نزل

ثبت فى الصحيحين[1] من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأنى جبريلُ على حرف فراجعتُه ، ثم لم أزل[2] أستزيده فيزيدُنى ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ». زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام .

وأخرجا أيضا من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ــ وفى رواية : على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ[3] فقلت : يارسول الله ، إنى سمعت هـذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أرسلْه ،اقرأ» ، فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هكذا أنزلت » ، ثم قال لى : «اقرأ» ، فقرأت ، فقال : « هكذا أنزِلَتْ ، إن هذا القرآن أنزلَ على سبعة أحرف ؛ فاقرءوا ما تَيسّر منه » .

وأخرج مسلم نحوه عن أبىّ بن كعب ، وفيه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإنى أرسِل إلىّ أن اقرأ القرآن على حَرْفٍ ، فردَدْتُ إليه: أن هَوّن َعلى أمّتى ، فردَّ إلىّ الثانيةَ :

---

(١) صحيح البخارى (٣:٢٢٦) ، وصحيح مسلم (١:٥٦١) بسندهما عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة .
(٢) اللفظ فى الصحيحين : « ثم لم أزل »
(٣) فى البخارى : « فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ؛ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ... » .

اقرأه على حرفين، فرددت إليه : أنْ هوّن على أمتى ؛ فردَّ ، إلىّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، ولك[1] بكل رَدَّةٍ رَدَدْتُكَها مسألةٌ تسألُنِيها ، فقلت : اللّهُمَّ اغفِرْ لأمّتى . وأخَّرتَ الثالثة ليوم يَرغب إلىّ الخلقُ كُلُّهم، حتى إبراهيم عليه السلام » .

وأخرج قاسم بن أصبغ[2] فى مصنّفه من حديث المَقبُرِىّ عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف ، فاقْرَءوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذِكرَ رحمةٍ بعذاب ، ولا ذِكرَ عذابٍ برحمة » .

وأما ما رواه الحاكم فى المستدرك عن سَمُرة يرفعه : « أنزل القرآن على ثلاثةِ أحرف » فقال أبو عبيد : تواترتِ الأخبار بالسَّبعة إلا هذا الحديث .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكونَ معناه : إن بعضَه أنزِل على ثلاثة أحرف ، كجذَرِه والرهب والصدق ؛ فيقرأ كلُّ واحد على ثلاثة أوجه فى هذه القراءة المشهورة . أو أراد أنزِل ابتداء على ثلاثة ، ثم زيد إلى سبعة . ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يُقْرأ على حرفين ، وعلى ثلاثة ، وأكثر ، إلى سبعةِ أحرُفٍ ، تَوْسِعَةً على العباد ، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ المترادفة وما يقارب معناها .

وقال ابن العربىّ : لم يأت فى معنى هذا السَّبع نصّ ولا أثر ، واختلف الناس فى تعيينها .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبّان[3] البستىّ : اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولا .

وقد وقفت منها على كثير ؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصْر . والأكثر على أنه محصورٌ فى سبعة ؛ ثم اختلفوا : هل هى باقية إلى الآن نقرؤها ؟

---

(١) فى صحيح مسلم (١ : ٥٦٢) : « فلك » .

(٢) هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البيانى الأندلسى ، الحافظ ؛ أحد أئمة الحديث بالأندلس . مات بقرطبة سنة ٣٠٤ . (جذوة المقتبس ٣١١ ـ ٣١٢)

(٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستى صاحب الصحيح ؛ توفى سنة ٣٥٤ . (شذرات الذهب ٣ : ١٦)

أم كان ذلك أولا ؟ ثم استقر الحال بعده على قولين .

وقال القرطبيّ [١] : إن القائلين بالثانى — وهو أن الأمر كان كذلك، ثم استقرّ على ما هو الآن — هم أكثرُ العلماء ، منهم سُفْيان بن عيينة، وابن وهب، والطّبَرِىّ، والطّحاوى . ثم اختلفوا : هل استقرّ فى حياته صلى الله عليه وسلم ، أم بعد وفاته ؟ والأكثرون على الأول ، واختاره القاضى أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر ، وابن العربىّ ، وغيرهم؛ ورأَوْا أن ضرورة اختلاف لغاتِ العرب ومشقةَ نُطقهم بغير لغتهم اقتضتِ التوسعةَ عليهم فى أول الأمر ، فأُذِن لكلٍّ منهم أن يقرأ على حرْفه ، أى على طريقته فى اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمرُ فى آخر العهد وتدرّبت الألسن ، وتمكّن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة؛ فعارض جبريلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن مرّتين فى السّنة الآخرة، واستقرّ على ما هو عليه الآن ، فنَسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة التى تلقّاها الناس . ويشهد لهذا الحديثُ الآتى ، من مراعاةِ التخفيف على العجوز والشيخ الكبير ، ومن التصريح فى بعضها، بأنّ ذلك مثل هلمّ ، وتعال .

[القول فى القراءات السبع]

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال :

أحدُها : أنه من المشكل الذى لا يُدْرَى معناه ؛ لأن العرب تسمّى الكلمة المنظومة حَرْفا ، وتسمى القصيدة بأسرِها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضا المعنى والجهة . قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوىّ [٢] .

* * *

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى ، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن فى التفسير . توفى سنة ٦٧١ . (الديباج المذهب ٣١٧) .

(٢) أحد القراء ؛ كان يقرأ بقراءة حمزة ؛ ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه . توفى سنة ٢٣١ . (إنباه الرواة ٣ : ١٤٠) .

والثانى: ـ وهو أضعفها ـ أن المراد سبعُ قراءات؛ وحكى عن الخليل بن أحمد. والحرف ها هنا القراءة، وقد بيّن الطبرىّ فى كتاب "البيان"[١] وغيره أن اختلاف القراء إنما هو كلُّه حرف واحد من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، وهو الحرف الذى كتب عثمان عليه المصحف.

وحكى ابن عبد البر[٢] عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبّرتُ وجوهَ الاختلاف فى القرآن فوجدتّها سبعة:

منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[٣] و ﴿أَطْهَرَ لَكُمْ﴾[٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾[٤] ﴿وَيَضِيقَ صَدْرِى﴾[٤].

ومنها ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا تتغير صورته كقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[٥] و ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[٥].

ومنها ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا تتغير صورته، كقوله: ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾[٦] و ﴿نُنْشِرُهَا﴾.

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١ : ٥٧ وما بعدها.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى، صاحب كتاب الاستيعاب وغيره. توفى سنة ٤٦٣. (شذرات الذهب ٣: ٣١٤).

(٣) سورة هود ٧٨. وقراءة عامة القراء بالرفع، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر بالنصب على الحال، (القرطبى ٩: ٧٦).

(٤) سورة الشعراء ١٣. قرأ يعقوب بنصب القاف عطفا على ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ قبلها، وقرأ الباقى بالرفع على الاستئناف. (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١).

(٥) سورة سبأ ١٩؛ والأولى قراءة يعقوب، والثانية قراءة الباقين (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩)

(٦) سورة البقرة ٢٥٩. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف بالزاى، من النشز وهو الارتفاع. والباقون بالراء المهملة؛ من أنشر الله الموتى: أحياهم؛ ومنه: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾. وعن الحسن فتح النون وضم الشين، من «نشر» (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢).

ومنها ما تتغير صورته ولا يتغير معناه: ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾[١] و «الصوف المنفوش» .

ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل : ﴿ طَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾[٢] و« طلع » .

ومنها بالتقديم والتأخير ك : ﴿ وجاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بالحقّ ﴾[٣] ، و « سكرة الحق بالموت » .

ومنها الزيادة والنقصان، مثل : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسْطَى ﴾[٤] وصلاة العصر . وقراءة ابن‌مسعود : ﴿ تِسْعٌ وتِسْعون نَعْجَةً ﴾[٥] أنثى . ﴿وأما الغلامُ فكان أبَوَاه مُؤْمِنَيْنِ﴾[٦] ، وكان كافراً . قال أبو عمرو : وهذا وجه حَسَنٌ من وجوه معنى الحديث . وقال بعض المتأخرين : هذا هو المختار . قال : والأئمة على أن مصحف عثمان أحد الحروف السبعة ، والآخر مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء : ﴿ والذكر والأنثى ﴾[٧] كما ثبت في الصحيحين ، ومثل قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ تُعذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الغَفُور الرَّحِيمُ ﴾[٨] . وقراءة عمر : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾[٩] ؛ والكل حق ، والمصحف المنقول بالتواتر مصحف عثمان ، ورسمُ الحروف واحد إلا ماتنوعتْ فيه المصاحف؛ وهو بضعة عشر حرفا ، مثل « الله الغفور » و « إن الله هو الغفور » .

* * *

---

(١) سورة القارعة ٥

(٢) سورة الواقعة ٢٩

(٣) سورة ق ١٩

(٤) سورة البقرة ٢٣٨

(٥) سورة ص ٢٣

(٦) سورة الكهف ٨٠

(٧) سورة الليل ٣ ، وقراءة الجمهور : ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ وانظر تفسير القرطبي ٢٠ : ٨١ ، وأحكام القرآن لابن عربي ٢ : ٣٠٩

(٨) سورة المائدة ١١٨ ، وقراءة الجمهور : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(٩) سورة الجمعة ٩ ؛ وهي قراءة عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وقراءة الباقين ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

والثالث : سبعة أنواع ، كلٌّ نوعٍ منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحائه ، فبعضها أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وقصص ، وحلال وحرام ، ومحكَم ومتشابه ، وأمثال ، وغيره .

قال ابنُ عبد البر : وفى ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعا قال : «كان الكتابُ الأوّلُ نزل من باب واحد على وجهٍ واحد ، ونزل القرآنُ من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحِلُّوا حلاله ، وحرِّموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمتشابهه[١] ، وقولوا : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٢] . قال : وهو حديثٌ عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه .

وذكره القاضى أبو بكر بن الطيب وقال : هذا[٣] التفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التى أجازلهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرفُ[٤] فى هذه بمعنى الجهة والطريقة كقوله : ﴿ومنَ النَّاسِ من يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ﴾[٥] .

وقال ابن عبد البر : قد ردّهُ قوم من أهل النظر ، منهم أحمد بن أبى عمران ، قال : مَنْ أوّله بهذا فهو فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرفُ منها حراماً لا ماسواه [٦] أو يكون حلالا لا ما سواه[٦] ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآنُ يقرأ على أنه حلال كلّهُ ، أو حرام كلُّهُ ، أو أمثالٌ كلّه . حكاه الطّحاوىّ عنه أنه سمعه منه ، وقال : هو كما قاله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفا ، وأيضاً فالإجماع على

---

(١) انظر مقدمة التفسير لابن عطية ٢٦٦ (٢) سورة آل عمران ٧
(٣) ابن عطية فيما نقل عن ابن الطيب « فهذا تفسير »
(٤) ابن عطية : « الحروف » (٥) سورة الحج ١١
(٦ــ٦) ساقط من م

أن التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا فى تغيير شىء من المعانى المذكورة[1] .

وقال الماوردى : هذا القول خطأ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف و إبدال حرف بحرف ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام. .

وقال البَيْهقىُّ فى "المدخل" :وقدرُوِىَ هذا عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا مرسَل جيد ، وأبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود، ثم قال : فإن صحّ هذا فمعنى قوله : « سبعة أحرف » أى سبعة أوجه ، وليس المراد به ما ورد فى الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ ولكن المراد به اللغات التى أبيحت القراءة عليها ، وهذا المراد به الأنواع التى نزل القرآن عليها .

* * *

والرابع: أن المرادَ سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ وليس معناه أن يكونَ فى الحرف الواحد سبعة أوجه ؛ هذا مالم يُسمع قط ، أى نزل على سبع لغات متفرقة فى القرآن ، فبعضُه نزل بلغة قريش ، [2] وبعضُه بلُغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة أزْد وربيعة[2] ، وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر ، وكذلك سائر اللغات؛ ومعانيها فى هذا كلّه واحدة . وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلاّم وأحمد بن يحيى ثعلب؛ وحكاه ابن دريد[3] عن أبى حاتم السجستانى[4] ،وحكاه بعضُهم عن القاضى أبى بكر .

---

(١) مقدمة التفسير ٢٤١ (٢-٢) ساقط من م

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : صاحب كتاب الجمهرة فى اللغة وناظم المقصورة ؛ توفى ببغداد سنة ٣٢١ .(إنباه الرواة ٣ : ٩٢) .

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ؛ صاحب المبرد ؛ مات بالبصرة سنة ٢٥٥ .(إنباه الرواة ٢ : ٥٨) .

وقال الأزهرى[١] فى "التهذيب" : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ؛ فإنه أكثر ما نزل بلسانهم .

وقال البيهقىّ فى "شعب الإيمان" : إنه الصحيح ، أى أن المراد اللغات السبع ، التى هى شائعة فى القرآن . واحتج بقول ابن مسعود : سمعتُ القرّاء فوجدتهم متقاربين ، اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدهم : هلمّ ، وتعال ، وأقبل . قال : وكذلك قال ابن سيرين .[٢] قال : لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التى هى مثبتة فى المصحف الذى هو الإمام بإجماع الصحابة ، وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف ، وإن كانت جائزة فى اللغة ؛ وكأنه يشيرُ إلى أن ذلك كان عند إنزاله ، ثم استقرّ الأمر على ما أجمعوا عليه فى الإمامة .

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[٣] .

قال ابنُ قتيبة : ولا نعرف فى القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه . وغلّطه ابنُ الأنبارىّ بحروفٍ منها : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ﴾[٤] ، وقوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾[٥] . وقوله : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[٦] وقوله : ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾[٧] وغير ذلك .

---

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى ، صاحب كتاب التهذيب فى اللغة ، توفى سنة ٣٧٠ (اللباب ١ : ٣٨)

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى ، أحد فقهاء البصرة . توفى سنة ١١٠ . (ابن خلكان ١ : ٣٥٤)

(٣) سورة إبراهيم ٤

(٤) سورة المائدة ٦٠ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٠١

(٥) سورة يوسف ١٢ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢

(٦) سورة سبأ ١٩ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩

(٧) سورة الأعراف ١٦٥ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٣٢

وقال ابن عبد البر : قد أنكر أهلُ العلم أن يكونَ معنى سبعة أحرف سبعَ لغات ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضُهم على بعض فى أول الأمر ؛ لأنّ ذلك من لغته التى طبع عليها . وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشىّ ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحالٌ أن يُنْكِر عليه عمر لغتَه .

ثم اختلف القائلون بهذا فى تعيين السبع فأكثروا . وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قُرَيش ، ثم بنو سعد بن بكر ؛ لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم استُرْضِع فيهم ، ونشأ وترعرع ، وهو مخالط فى اللسان كنانة ، وهذيلا ، وثقيفا ، وخُزاعة ، وأسدا وضبّة وألفافها ،[١] لقُربهم من مكة وتكرارِهم عليها ، ثم من بعد هذه تميما وقيسا ، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب .

قال قاسم بن ثابت[٢] : إن قُلْنا من الأحرف لقريش ، ومنها لكنانة ولأسد[٣] وهُذَيل وتميم وضبّة وألفافها، وقيس، لكانَ قدأتى على قبائل مضر فى قراءات سبع تستوعب اللغات التى نزل بها القرآن . وهذه الجملة هى التى انتهت إليها الفصاحةُ ، وسَلِمت لغاتُها من الدَّخَل[٤] ، ويسّرَها الله لذلك ؛ ليظهر أنه نبيُّه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه . ويُثبت سلامتَها أنها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتِهامة ، فلم تفرقها الأمم .

وقيل : هذه اللغات السبع كلّها فى مُضَر ، واحتجوا بقول عثمان : نَزَل القرآن بلسان مُضَر . قالوا : وجائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لضبّة ، ولطابخة ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأنكر آخرون كونَ كلِّ لغات مُضَر فى القرآن ؛ لأن

---

(١) ت : « وأكنافها »

(٢) هو قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الأندلسى ؛ صاحب كتاب الدلائل فى شرح غريب الحديث ومعانيه . (جذوة المقتبس ٣١٢ ، وإنباه الرواة ١ : ٣٦٢)

(٣) ت : « وأسد »

(٤) الدخل هنا : الفساد الطارئ على اللغة .

فيها شواذٌّ لا يقرأ بها، مثل كَشْكَشة قيس، وعَنْعَنة تميم: فكشْكَشةُ قَيْس يجعلون كاف المؤنث شينا، فيقولون فى: ﴿ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [1] : «رَبُّشِ تَحْتَشِ». ؛ وعنعنة تميم ويقولون فى «أن» «عن»، فيقرءون ﴿ فَعَسَى اللهُ «عَنْ» يَأْتِىَ بالفَتْحِ ﴾ [2]. وبعضهم يُبْدِلُ السين تاء، فيقول فى «الناس»: «النات». وهذه لغات يُرْغَب بالقرآن عنها. وما نقل عن عثمان معارض بما سبقَ أنه نَزَل بلغة قريش؛ وهذا أثبتُ عنه؛ لأنه من روايةِ ثقات أهل المدينة.

وقد يُشْكِلُ هذا القول على بعضِ الناس فيقول: هل كان جبريل عليه السلام يلفِظ باللَّفظ الواحد سبع مرات؟ فيقال له: إنما يلزم هذا إن قلنا: إن السبعة الأحرف تجتمع فى حرف واحد، ونحن قلنا: كان جبريل يأتى فى كل عَرْضة بحرف إلى أن تمر سبعة.

وقال الكلبىّ: خمسة منها لهوازن، وثنتان لسائر الناس.

* * *

والخامس: المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة، بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل، وهلمّ، وتعالَ، وعجِّل، وأسرع، وأنظِر، وأخِّر، وأمهل ونحوه. وكاللغات التى فى «أفّ» ونحو ذلك.

قال ابن عبد البر: وعلى هذا القول أكثرُ أهل العلم؛ وأنكروا على مَنْ قال: إنها لغات؛ لأنّ العرب لا تركّب [3] لغة بعضها بعضا، ومحال أن يقرئ النبى صلى الله عليه وسلم أحداً بغير لغته. وأسند عن أبىّ بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ [4] ﴾ «سَعَوْا فيه» [5]. قال: فهذا معنى السَّبْعة الأحرف المذكورة فى الأحاديث عند جُمْهور أهل الفقه والحديث؛ منهم سفيان بن عيينة، وابن وهب، ومحمد بن جرير الطبرىّ، والطحاوى وغيرهم. وفى مصحف عثمان الذى بأيدى الناس منها حرف واحد.

---

(١) سورة مريم ٢٤
(٢) سورة المائده ٥٢
(٣) ت: «ترتكب»
(٤) سورة البقرة ٢٠
(٥) فى الإتقان ١ : ٤٧ «مروا فيه سعوا فيه»

وقال الزُّهريّ : إنما هـذه الأحرف فى الأمر الواحـد ؛ وليست تختلف فى حلال ولا حرام .

واحتج ابنُ عبد البر بحديث سلمان بن صُرد عن أبىّ بن كعب قال: قرأ أبىّ آية ، وقرأ ابن مسعود آية خلافَها ، وقرأ رجل آخر خلافهما ، فأتيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ألم تقرأ آية كذا؟ وقال ابن مسعود : ألم تقرأ آية كذا ؟ فقال : « كلـكم محسن مجمل » . وقال: « ياأبىّ ، إنى اقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال لى المَلَك : على حرفين ، فقلت : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال: على ثلاثة ؛ هكذا حتى بلغ سبعة أحرف، ليس فيها إلا شافٍ كافٍ . قلتَ غفوراً رحيماً ، أو قلتَ سميعاً حكيما ، أو قلتَ عليما حكيما ، أو قلت عزيزا حكيما ، أىّ ذلك قلت فإنه كذلك » .

قال أبو عمر : إنما أراد بهذا ضربَ المثل للحروف التى نزل القرآن عليهـا أنَّها معانٍ متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون فى شىء منها معنى وضده ، ولا وجهٌ يخالف معنى وجهٍ خلافا ينفيه ويُضادّه ، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده .

وكذلك حديث أبى بكرة قال : جاء جبريل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف، فقال : اقرأه ، فكلٌّ شاف كاف ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، وآية عذاب بآية رحمة ، نحو هلمّ ، وتعال ، وأقبل ، واذهب ، وأسرع ، وعجل .

وروى ذلك عن ابن مسعود وأبىّ بن كعب ، أنه كان يقرأ : ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾[1] : « أمهلونا أخرونا ، ارقبونا » و﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[2] « مرّوا فيه ، سعوا فيه» .

قال أبو عمر : إلا أن مصحف عثمان الذى بأيدى الناس اليوم هو فيها حرف واحد ، وعلى هذا أهل العلم .

---

(١) سورة الحديد ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٠ .

قال : وذكر ابن وَهْب[1] فى كتاب الترغيب من " جامعه " ، قال : قيل لمالك : أترى أن تقرأ مثل ماقرأ عمر بن الخطاب : ﴿فامْضُوا إلى ذكْر الله﴾[2] ، قال : جائز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » ، ومثل «يعلمون» ، و « تعلمون » ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأسا ، وقد كان الناس ولهم مصاحف .

قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ؛ فقال لى : ذَهَب. وأخبرنى مالك قال : أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا : ﴿ إنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الأَثِيم ﴾[3] ، فجعل الرجل يقول : « طعام اليتيم » ، فقال : « طعام الفاجر » ، فقلت لمالك : أترى أن يقرأ بذلك؟ قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعا .

قال أبو عمر : معناه عندى أن يُقرأ به فى غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءةُ به فى الصلاة ؛ لأنّ ماعدا مصحف عثمان لايقطع عليه ؛ وإنما يجرى مجرى خبر[4] الآحاد ؛ لكنه لا يقدِم أحدٌ على القطع فى ردّه .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ فى صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ مما يخالف المصحف : لم يُصَلَّ وراءه .

قال : وعلماء مكّيّون مجمعون على ذلك إلا شذوذاً لا يعرّج عليه منهم إلا عثمان . وهذا كله يدلُّ على أن السبعة الأحرف التى أشير إليها فى الحديث ليس بأيدى الناس منها إلا حرفُ زيد بن ثابت الذى جَمع عثمان عليه المصاحف .

* * *

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى ، صاحب الامام مالك ، توفى بمصر ١٩٧ (ابن خلكان ١ : ٢٤٩) .

(٢) سورة الجمعة ٩ وانظر ص ٢١٥ حاشية ٩ من هذا الجزء .

(٣) الدخان ٤٣ ، ٤٤ . ونقله الزمخشرى فى الكشاف ٢ : ٣٦٢ — ٣٦٣ عن أبى الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : « طعام اليتيم » فقال : قل : « طعام الفاجر » .

(٤) ت : « أخبار الآحاد » .

السادس : أن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أُفٍّ لَكُمْ ﴾[1] ؛ فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجرّ والرفع ؛ وكلٌّ وجه : التنوين وغيره . وسابعُها الجزم . ومثل قوله : ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ ﴾[2] ؛ ونحوه ، ويحتمل فى القرآن تسعة أوجه ، ولا يوجد ذلك ـة الآيات .

قـ ـن عبد البر : وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز فى حروفه وكلماته وآياته كلّها أن تُقرأ على سبعة أحرف ؛ ولا شىء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد فى القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ؛ مثل ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾[3] و ﴿ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾[4] و ﴿ عَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾[5] ونحوه ، وذلك ليس هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وهذا المجموع فى المصحف : هل هو جميع الأحرف السبعة التى أقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف واحد منها ؟ مَيْلُ القاضى أبى بكر إلى أنه جميعُها ، وصرّح أبو جعفرٍ الطبرىّ والأكثرون من بعده بأنه حرف منها ، ومال الشيخ الشاطبىّ إلى قول القاضى فيما جمعه أبو بكر ، وإلى قول الطبرى فيما جمعه عثمان رضى الله عنه .

* * *

والسابع : اختاره القاضى أبو بكر ، وقال : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وضَبَطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والصحابة فى المصحف ،

---

(١) سورة الأنبياء ٦٧
(٢) سورة مريم ٢٥
(٣) سورة المائدة ٦٠
(٤) سورة البقرة ٧٠
(٥) سورة الأعراف ١٦٥

وأخبروا بصحتها ؛ وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا ، وأنّ هذه الأحرف تختلف معانيها تارة،وألفاظها أخرى ، وليست متضادة ولا منافية .

* * *

والثامن : قول الطحاوى،أن ذلك كان فى وقت خاص لضرورة دعتْ إليه ؛ لأنّ كلّ ذى لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته ، ثم لما كثر الناس والكتّاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة،وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد .

* * *

والتاسع:أن المرادَ عِلْمُ القرآن يشتمل على سبعة أشياء : علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1].

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] . ﴿ وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[3] .

وعلم التنزيه ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[4] . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[5] .

وعلم صفات الذات ، كقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾[6] . ﴿ ٱلْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾[7] .

وعلم صفات الفعل، كقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ ﴾[8].﴿ واتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾[9] . ﴿ وَأَقِيموا الصَّلَاةَ ﴾[10]، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾[11] .

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠
(٢) سورة الإخلاص ١
(٣) سورة البقرة ١٦٣
(٤) سورة النحل ١٧
(٥) سورة الشورى ١١
(٦) سورة المنافقون ٨
(٧) سورة الجمعة ١
(٨) سورة النساء ٣٦
(٩) سورة النساء ١
(١٠) سورة البقرة ٤٣
(١١) آل عمران ١٣٠

وعلم العفو والعذاب، كقوله : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذنُوبَ إِلَّا اللهُ ﴾[١] . ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾[٢] .

وعلم الحشر والحساب ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾[٣] . ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾[٤] .

وعلم النبوات .كقوله : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾[٥] . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[٦] .

والإمامات كقوله : ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٧] . ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾[٨] . ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[٩] .

* * *

والعاشر أن المراد به سبعة أشياء : المطلق والمقيّد ، والعام والخاص ، والنصّ والمؤوّل ، والناسخ ، والمنسوخ ، والمجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه ، حكاه أبو المعالى بسند له عن أئمة الفقهاء .

* * *

والحادى عشر ، حكاه عن أهل اللغة ، أن المراد الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والقلب والاستعارة ، والتكرار ، والكناية والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمفسّر ، والظاهر ، والغريب .

* * *

والثانى عشر ، وحكاه عن النحاة ، أنها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف

(١) آل عمران ١٣٥
(٢) سورة الحجر ٤٩ ، ٥٠
(٣) سورة غافر ٥٩
(٤) سورة الإسراء ١٤
(٥) سورة النساء ١٦٥
(٦) سورة إبراهيم ٤ .
(٧) سورة النساء ٥٩ .
(٨) سورة النساء ١١٥ .
(٩) سورة آل عمران ١١٠ .

والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى ، ومالا يختلف فى الأداء واللفظ جميعا .

* * *

والثالث عشر ، حكاه عن القُرّاء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها : من إظهار ، و إدغام ، وتفخيم ، وترقيق ، و إمالة و إشباع ، ومدّ وقصر ، وتخفيف وتليين ، وتشديد.

* * *

والرابع عشر ، وحكاه عن الصوفية أنّه يشمل على سبعة أنواع من المبادلات ، والمعاملات ، وهى الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوّة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبّة ، والشوق مع المشاهدة .

* * *

وقال ابن حبان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسّر فى إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [1] ، فلو كان تعالى أنزله على حرفٍ واحد لا نعكس المقصود . قال : وهذه السبعة التى تتداولها اليوم غير تلك ، بل هذه حروفٌ من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة ؛ وذكر حديثَ عمر مع هشام بن حكيم ؛ لكن لمّا خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوْا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ؛ ولم يثبت من وجه صحيح تعيّن كل حرف من هذه الأحرف ؛ ولم يكلفنا الله ذلك ؛ غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة.

وقال بعض المتأخرين : الأشبهُ بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ؛ وهو أن يقرأ كلٌّ قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ؛ من الإظهار والإدغام

(١) القمر : ١٧ .

والإمالة والتفخيم والإشمام والهمز والتليين والمد ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها فى الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾[1] ، أى على وجه واحد؛ وهو أن يعبده فى السّراء دون الضّراء ؛ وهذه الوجوه هى القراءات السّبع التى قرأها القراء السبعة ؛ فإنّها كلّها صحّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ؛ فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهَه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ،ولزم طريقةً منها ورواها وقرأ بها ، واشتُهرت عنه ونُسِبت إليه ؛ فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحدٌ منهم حرفَ الآخر ولا أنكرَه ، بل سوّغه وحسّنه ؛ وكلّ واحد من هؤلاء السبعة رُوِى عنه اختياران وأكثر ؛ وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون فى هذه الأعصار على الاعتماد على ما صحّ عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعةً من الله ورحمة على الأمة ؛ إذا لو كُلِّفَ كل فريق منهم تركَ لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتليين ، والمدّ ، وغيره لشَقّ عليهم .

ويشهد لذلك ما رواه الترمذىّ عن أبىّ بن كعب أنه لَقِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جبريلَ فقال : « ياجبريل ، إنِّى بُعِثْتُ إلى أمّةٍ أميين ؛ منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط ؛ فقال : يا محمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وقال : حسن صحيح .

---

(١) سورة الحج ١١ .

النوع الثانى عشر

فى كيفية إنزاله

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[1] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[2] .

واختلف فى كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال :

أحدها أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلةَ القدر جملةً واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجّما فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ،على حسب الاختلاف فى مدة إقامته بمكة بعد النبوّة .

والقول الثانى : أنه نزل إلى سماء الدنيا فى عشرين ليلة قَدْرٍ من عشرين سنة ، وقيل: فى ثلاث وعشرين ليلة قَدْرٍ من ثلاث وعشرين سنة . وقيل: فى خمس وعشرين ليلة قَدْرٍ من خمس وعشرين سنة ، فى كل ليلةٍ ما يقدّر الله سبحانه إنزالَه فى كلّ السنة ، ثم ينزل بعد ذلك مُنَجّما فى جميع السنَة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والقول الثالث : أنه ابتدئ إنزالُه فى ليلة القدْر ، ثم نزل بعد ذلك منجّما فى أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الأول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون ؛ ويؤيد ما رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال : أنزِل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القَدْر ، ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة . قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين .

---

(١) سورة البقرة ١٨٥ . (٢) سورة القدر ١ .

وأخرج النَّسائىّ فى التفسير من جهة حسّان عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : فُصل القرآن من الذِّكْر فوضع فى بيت العزّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم . و إسناده صحيح ، وحسّان هو ابن أبى الأشرس، وثّقه النَّسائىّ وغيرُه .

و بالثانى قال مقاتل والإمام أبو عبدالله الحليمىّ[1] فى " المنهاج " والماوردى فى " تفسيره " .

و بالثالث قال الشعبىّ وغيره .

واعلم أنه اتفق أهلُ السنة على أنَّ كلام الله منزّل ، واختلفوا فى معنى الإنزال ، فقيل : معناه إظهار القرآن ، وقيل : إن الله أفهم كلامَه جبريل وهو فى السماء ، وهو عالٍ من المكان وعلّمه قراءته ، ثم جبريل أدّاه فى الأرض وهو يهبط فى المكان .

والتنزيل له طريقان : أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلعَ من صورة البشرية إلى صورة الملائكة[2] وأخذَه من جبريل . والثانى أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ؛ والأول أصعب الحالين .

ونقل بعضُهم عن السَّمَرْقَنْدىّ حكاية ثلاثة أقوال فى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ما هو :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفِظ القرآن من اللَّوْح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضُهم أن أحرُف القرآن فى اللَّوح المحفوظ؛ كلُّ حرف منها بقدْر جبل قاف ، وأن تحت كلِّ حرفٍ معان لا يحيط بها إلا الله عز وجلّ ، وهذا معنى قول الغزالىّ : إن هذه الأحرف سترة لمعانيه .

---

(١) هو أبو عبد الله حسين بن الحسن الحليمى الجرجانى المتوفى سنة ٤٠٣ ؛ وكتابه المنهاج فيه أحكام كثيرة ؛ ومسائل فقهية مما يتعلق بأصول الإيمان ، رتبه على سبعة وسبعين بابا على أن للإيمان بضعا وسبعين شعبة. (كشف الظنون ١٨٧١) .

(٢) ط، م : «الملكية » .

والثانى أنه إنما نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالمعانى خاصة، وأنه صلى الله عليه وسلم عَلِم تلك المعانى وعبّر عنها بلغةِ العرب؛ وإنما تمسّكوا[1] بقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[2].

والثالث أن جبريل صلى الله عليه وسلم إنما ألقى عليه المعنى، وأنه[3] عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك.

فإن قيل: ما السرُّ فى إنزاله جملة إلى السماء؟ قيل: فيه تفخيم لأمره، وأمرِ مَنْ نزل عليه؛ وذلك بإعلان[5] سكان السموات السبع أن هذا آخرُ الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم؛ ولقد صرفناه إليهم ليُنْزِله عليهم. ولولا أنّ الحكمةَ الإلهية اقتضت نزوله منجّما بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة.

فإن قيل: فى أىّ زمان نزل جملةً إلى سماء الدنيا؛ بعد ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها؟ قلت: قال الشيخ أبو شامة: الظاهر أنه قبلها، وكلاهما محتمل؛ فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ما ذكرناه، وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر.

فإن قلت: فقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[4]، من جملة القرآن الذى نَزَل جملة أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نَزَل جملة؟ وإن كان منه فما وجهُ صحة هذه العبارة؟ قلت: ذَكَر فيه وجهين: أحدُهما أن يكون معنى الكلام: ما حكَمْنا بإنزاله فى القدر وقضائه وقدّرناه فى الأزل ونحو ذلك. والثانى أن لفظه لفظُ الماضى ومعناه الاستقبال؛ أى ينزل جملة فى ليلة مباركة هى ليلة القدر، واختير لفظُ الماضى؛ إمّا لتحققه وكونه لا بُدَّ منه؛ وإما لأنه حال اتصالهِ بالمنزل عليه يكون المضىُّ فى معناه محققاً؛ لأن نزولَه منجّما كان بعد نزولَه جملة.

---

(١) الإتقان ١ : ٤٣ : « وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى :
(٢) سورة الشعراء ١٩٣ .　　(٣) ط ، م : « وإنما »
(٥) ط : « بإعلام »
(٤) سورة القدر ١ .

فإن قلت : ما السرُّ فى نزوله إلى الأرض منجما ؟ وهلاّ نزل جملة كسائر الكتب ؟ قلت : هذا سؤال قد تولّى الله سبحانه جوابه ؛ فقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[1] ، يعنون : كما أنزلَ على مَنْ قبله من الرسل . فأجابهم الله بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ ، أى أنزلناه كذلك مفرقا ﴿لنثبّتَ به فؤادَكَ﴾ ، أى لنقوّىَ به قلبَك ؛ فإن الوحىَ إذا كانَ يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدّ عناية بالمرسل إليه ؛ ويستلزمُ ذلك كثرةَ نزولِ المَلَك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز ، فحدَث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ؛ ولهذا كان أجْوَدَ ما يكونُ فى رمضان لكثرة نزولِ جبريل عليه السلام .

وقيل : معنى ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب ؛ ففُرّق عليه لييسّرَ[2] عليه حفظه ؛ بخلاف غيره من الأنبياء ؛ فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظُ الجميع إذا نزل جملة .

فإن قلت : كان فى القُدْرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبيّ صلى الله عليه وسلم دفعة .

قلت : ليس كلّ ممكن لازم الوقوع ؛ وأيضاً فى القرآن أجوبة عن أسئلة ؛ فهو سبب من أسباب تفرق النزول ؛ ولأن بعضَه منسوخ وبعضه ناسخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا .

وقال ابن فُورك[3] : قيل أنزلتْ التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبيٍّ يقرأ ويكتب ــ وهو موسى ــ وأنزل القرآن مفرّقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبيّ أميّ . وقيل مما لم يَنْزِل لأجله جملة واحدة أنّ منه الناسخَ والمنسوخ ، ومنه ماهو جواب لمن يسأل عن أمور ، ومنه ماهو إنكارٌ لما كان . انتهى .

---

(١) سورة الفرقان ٣٢ . (٢) ط ، م : « ليثبت عليه » .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأديب المتكلم الأصوليّ ؛ رووا أنه بلغت تصانيفه فى أصول الدين وأصول الفقه ومعانى القرآن قريبا من المائة . توفى سنة ٤٠٦ . وفورك بالفاء المضمونة والواو الساكنة والراء المفتوحة والكاف . (إنباه الرواة ٣ : ١١٠ ، تبيين كذب المفترى ٢٣٢ ، التاج ــ فرك) .

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة؛ وهو مبنيٌّ على الخلاف فى مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ؛ فقيل عشر ، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة . ولم يختلف فى مدة إقامته بالمدينة أنها عشر . وكان كلّما أنزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته ويقول : فى مفترقات الآيات . « ضعوا هذه فى سورة كذا » ،وكان يعرضه جبريل فى شهر رمضان كلَّ عام مرّة ، وعامَ مات مرتين .

وفى صحيح البخاريّ : قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضى الله عنهما : أسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وأنه عارَضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضُورَ أجلى » .

وأسنده البخاريّ فى مواضع . وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف فاعتكف عشرين بعد أن كان يعتكف عشرا .

النوع الثالث عشر
في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم

[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

روى البخاريّ في صحيحه[(١)] : عن زيد بن ثابت قال : أرسلَ إلىَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة[(٢)] ، فإذا عمر [بن الخطاب][(٣)] عنده ، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقُرّاء القرآن ؛ وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالمواطن[(٤)] ، فيذهب كثير من القرآن ؛ وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير[(٥)] . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرَح الله صدري لذلك ؛ وقد رأيت[(٦)] في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شابّ عاقل لا أتّهمك[(٧)] ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبّع القرآن واجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفني[(٨)] نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرَح الله صدْري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعُه من العُسب[(٩)] واللِّخاف[(١٠)] وصدور

---

(١) في كتاب فضائل القرآن .

(٢) فيها استشهد من الصحابة نحو أربعمائة وخمسين ، وجملة القتلى من المسلمين نحو ألف ؛ وانظر تاريخ الطبري حوادث سنتي ١١ ، ١٢ . (٣) من صحيح البخاري .

(٤) في الصحيح : « بالقراء في المواطن »

(٥) في الصحيح : «هذا والله خير» . (٦) في الصحيح : « ورأيت» .

(٧) في الصحيح : « لا نتهمك » .

(٨) في الصحيح : « لو كلفوني » . (٩) العسب : جريد النخل إذا نحي عنه خوصه .

(١٠) اللخاف : حجارة بيض عريضة رقاق ، واحدها لخفة .

الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾[1] مع أبى خزيمة الأنصارىّ الذى جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره فألحقتُها فى سورتها ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وفى رواية قال ابن شهاب [2] : وأخبرنى خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول : فَقَدْت آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف ؛ قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [3] فألحقناها فى سورتها . وخزيمة الأنصارى شهادته بشهادتين .

وقول زيد : « لم أجدها إلا مع خزيمة » ليس فيه إثباتُ القرآن بخبر الواحد ؛ لأن زيدا كان قد سمعها وعلِم موضعها فى سورة الأحزاب بتعليم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك غيرُه من الصحابة ثم نسيها ، فلما سمع ذكره . وتتبُّعُه للرجال كان للاستظهار ، لا لاستحداث العلم . وسيأتى أن الّذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ؛ والمراد: أنّ هؤلاء كانوا اشتهروا به، فقد ثبتَ أن غيرَهم حفِظه، وثبت أن القرآن مجموعه محفوظ كلُّه فى صدور الرجال أيام حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، مؤلفا على هذا التأليف ، إلا سورة براءة .

قال ابن عباس : قلت لعثمان : ما حَملكم أن عمَدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ؛ فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟ قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وتنزل عليه السور ، وكان إذا نزل عليه شىء دعا بعضَ مَنْ كان يكتبه فقال : ضَعُوا هذه الآيات فى السورة

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن (٣) سورة الأحزاب ٢٣ .

التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت « الأنفال » من أوائل ما نزلَ من المدينة ، وكانت « براءة » من آخر القرآن ؛ وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ثم كتبت . فثبت أنَّ القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وإنما تركَ جمعُه فى مصحف واحد ؛ لأنّ النسخ كان يَرِدُ على بعض[1] ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوةُ بعض[2] لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله فى القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ، ثمّ وفّق لجمعه الخلفاء الراشدين .

[نسخ القرآن فى المصاحف]

واعلم أنه قد اشتهرَ أن عثمانَ هو أولُ مَنْ جمع المصاحف ؛ وليس كذلك لما بيّناه ، بل أولُ مَنْ جمعها فى مصحف واحد الصدِّيقُ ، ثم أمرَ عثمانُ حين خاف الاختلاف فى القراءة بتحويله منها إلى المصاحف : هكذا نقله البيهقى .

قال : وقد رَوَينَا عن زيد بن ثابت أنّ التأليف كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورويناعنه أن الجمع فى المصحف كان فى زمن أبى بكر والنسخَ فى المصاحف فى زمن عثمان ، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم ، بما كان مثبتاً فى صدور الرجال ، وذلك كلُّه بمشورة مَنْ حضره من الصحابة وارتضاه على بن أبى طالب ، وحمِد أثره فيه .

وذكر غيره أنَّ الذى استبدّ به عثمان جمعُ الناس على قراءة محصورة ، والمنع من غير ذلك ، قال القاضى أبو بكر فى " الانتصار " : لم يقصد عثمان قَصْدَ أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لَوْحين ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلّم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحفٍ لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أُثْبِتَ

---

(١) ت ، ط « عليه » .

(٢) ت ، ط : « بعضه » .

مع تنزيل ، ومنسوخ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد . انتهى .

وقد روى البخاريّ فى صحيحه(١) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قَدِم على عثمان، وكان يغازِى أهلَ الشام فى فتح إرْمِينيَة وأذْرَبِيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم فى القراءة وقال [(٢) حذيفة] لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [فى الكتاب(٢)] اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حَفْصة : أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها إليه ، فأمر زيدَ بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسَعْد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنَسخُوها فى المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيّين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردّ عثمان الصُّحُف إلى حفصة ، وأرسل فى كلّ أفق بمصحف مما نَسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفى هذه إثبات ظاهر أنّ الصحابة جمعوا بين الدّفتين القرآن المنزّل من غير زيادة ولا نقص . والذى حملَهم على جَمْعه ما جاء فى الحديث أنّه كان مفرقا فى العُسُب وَاللِّخاف وصُدور الرجال ، فخافوا ذهابَ بعضه بذهاب حَفَظَته ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدّموا شيئا أو أخّروا . وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم بتوقيف لهم على ذلك ؛ وأن هذه الآية عقب تلك الآية ؛ فثبتَ أن سَعْى الصحابة فى جمعه فى موضع واحد ، لا فى ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذى هو فى مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا،

---

(١) فى كتاب فضائل القرآن . (٢) من صحيح البخارى .

كما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[٢] ، ثم كان ينزل مفرّقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾[٣] فترتيبُ النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هـذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن فى الأمة، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلا وتحقيقاً لوعده بحفظه ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٤] وزال بذلك الاختلاف ، واتفقت الـكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمىّ : كانت قراءة أبى بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهى القراءة التى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين فى العام الذى قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرْضَة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمدَه الصديق فى جمعه ، وولاّه عثمان كتبة المصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس فى " المسائل الخمس " : جَمْع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السُّور، كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين ؛ فهذا الضرب هو الذى تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر — وهو جمع الآيات فى السور — فهو توقيفىّ تولاّه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الحاكم فى المستدرك : وقد روى حديث عبدالرحمن بن شماس عن زيد بن ثابت قال : كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلِّفُ القرآن من الرقاع ... الحديث ، قال : وفيه البيان الواضح أن جمعَ القرآن لم يكن مرة واحـدة ، فقد جُمـع بعضه بحضرة النبى

---

(١) سورة البقرة ١٨٥ .
(٢) سورة القدر ١ .
(٣) سورة الإسراء ١٠٦ .
(٤) سورة الحجر ٩ .

صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة الصدّيق ؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السُّور كان في خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبيّ [١] في كتاب " فهم السنن " : كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرّقا في الرقاع والأكتاف والعُسب ؛ وإنَّما أمَرَ الصِّدِّيقُ بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا يُبْدون عن تأليف مُعْجز ونظم معروف ، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فكان تزويد ماليس منه مأموناً ؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه .

فإن قيل : كيف لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؟ قيل : لأن الله تعالى كان قد أمّنه من النسيان بقوله : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [٢] أن يرفع حكمه بالنسخ ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلْق حدث ما لم يكن ، فأحدِث بضبطه مالم يُحتج إليه قبل ذلك .

وفي قول زيد بن ثابت : « فجمعته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال » ما أوهم بعضَ الناس أن أحداً لم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأنّ مَنْ قال : إنه جمع القرآن أبيّ بن كعب وزيد ليس بمحفوظ . وليس الأمر على ما أوْهَمَ ؛ وإنما طُلِب القرآن متفرقا ليعارَض بالمجتمع عند مَنْ بقي ممّن جمع القرآن ليشترك الجميع في علم ماجمع

---

(١) احد رجال الصوفية ؛ ذكره ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة (٢ : ٢٠٧) ؛ وقال: إنه توفي سنة ٢٤٣ .

(٢) سورة الأعلى ٦ ، ٧ .

فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودَع المصحف ، ولا يشكو فى أنه جُمِع عَنْ ملأٍ منهم .

فأما قوله : « وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت، ولم أجدها مع غيره » ؛ يعنى ممن كانوا فى طبقة خزيمة ممن لم يجمع القرآن .

وأما أبىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومُعاذ بن جبل ؛ فبغير شَكٍّ جمعوا القرآن ، والدلائلُ عليه[1] متظاهرة ، قال : ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن فى كتاب ، إذْ لم يمكنْ ضبطها كما ضبط القرآن . قال : ومن الدليل على ذلك أنّ تلك المصاحف التى كتب منها القرآن كانت عند الصدِّيق لتكون إماما ولم تُفارق الصدِّيقَ فى حياته ،ولا عمر أيامه . ثم كانت عند حفصة لاتُمَكِّن منها ، ولما احتيج إلى جَمْع الناس على قراءة واحدة،وقع الاختيار عليها فى أيام عثمان ؛ فأخذ ذلك الإمام ، ونُسِخ فى المصاحف التى بعث بها إلى الكوفة ، وكان الناسُ متروكين على قراءة ما يحفظون[2] من قراءتهم المختلفة ، حتى خيف الفساد فجمعوا على القراءة التى نحن عليها . قال : والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ، وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناسَ على القراءة بوجه واحدٍ على اختيارٍ وقع بينه و بين مَنْ شهِدَه من المهاجرين والأنصار لما خشِىَ الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات والقرآن. وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن ؛ فأمّا السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق؛ روى عن علىّ أنه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أولُ مَنْ جَمع بين اللوحين ، ولم يحتج الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر إلى جَمْعه على وجه ما جَمعه عثمان ؛ لأنه لم يحدث فى أيامهما من الخلاف فيه ما حدث فى زمن عثمان ؛ ولقد وُفِّق لأمر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة، وأراح الأمة .

---

(١) م : « ذلك » (٢) م : « يحفظونه ».

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرَقَ المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعمًى ، فإنّ هذا من فضائله وعلمه ؛ فإنه أصلحَ ، ولمّ الشَّعث ، وكان ذلك واجباً عليه ، ولو تركه لعَصى ، لما فيه من التضييع ؛ وحاشاه مِنْ ذلك . وقولهم: إنه سَبَق إلى ذلك ممنوع لما بيّنّاه أنه كُتِب فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرِّقاع والأكتاف ؛ وأنه فى زمن الصديق جَمَعه فى حرف واحد .

قال : وأما قولهم : إنه أحرق المصاحف ؛ فإنه غير ثابت ، ولو ثبت لوجب حمله على أنه أحرق مصاحف قد أودعتْ مالا يحل قراءته .

وفى الجملة إنه إمام عَدْل غير معاند ولا طاعِنٍ فى التنزيل ، ولم يحرق إلاّ ما يجب [(١)] إحراقه، ولهذا لم ينكر عليه أحدٌ ذلك، بل رضوه وعدُّوه من مناقبه ، حتى قال علىّ :لو وليت ما ولىَ عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل . انتهى ملّخصا .

فائدة

[فى عدد مصاحف عثمان]

قال أبو عمرو الدانىّ فى " المقنع " : أكثر العلماء على أن عثمان لمّا كتب المصاحف جعلَه على أربع نسخ؛ وبعث إلى كل ناحية واحدا : الكوفة والبصرة والشام، وترك واحدا عنده . وقد قيل : إنه جعله سبع نسخ ، وزاد : إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين . قال : والأول أصحّ وعليه الأئمة .

---

(١) م « وجب » .

فصل

فى بيان من جَمَع القرآن حفظاً

[من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

حفِظه فى حياته جماعة من الصحابة ، وكلٌّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حدّ التواتر ، وجاء فى ذلك أخبار ثابتة فى الترمذى والمستدرك وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأتى عليه الزمانُ وهو ينزِلُ عليه السُّوَرُ ذواتُ العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعضَ مَن كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » ، قال الترمذىّ : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفى البخارىّ عن قتادة قال : سألت أنَس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلُّهم من الأنصار : أُبَىّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد . وفى رواية : مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال الحافظ البيهقىّ فى كتاب " المدخل " : الرواية الأولى أصحّ ، ثم أسندَ عن ابن سيرين قال : جَمَع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم : مُعاذ بن جبل ، وأبىّ بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا فى رجلين من ثلاثة : أبو الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتميم الدارىّ .

وعن الشعبىّ ، جمعه ستة : أبىّ ، وزيد ، ومُعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عُبيد ، وأبو زيد. ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة . قال : ولم يجمعه أحدٌ من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وقد أشبعَ القاضى أبو بكر محمد بن الطيب فى كتاب "الانتصار" الكلام فى حَمَلة القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وأقام الأدلّة على أنّهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك ؛ و يشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة ؛ وذلك فى أول خلافة أبى بكر، وما فى الصحيحين: قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر مَعونة ؛ كانوا يُسَمَّوْن القراء . ثم أوَّل القاضى الأحاديثَ السابقة بوجوه منها : اضطرا بها ، و بيّن وجه الاضطراب فى العَدد وإن خُرِّجَتْ فى الصحيحين ، مع أنه ليس منها شىء مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ومنها بتقرير سلامتها ؛ فالمعنى : لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التى نزل بها إلاّ أولئك النفر . ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمُه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه و بقِىَ فرضُ حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة . ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَخَذه مِنْ فيه تلقيا غير تلك الجماعة ، وغير ذلك .

قال الماوردىّ : وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة ، والصحابة متفرقون فى البلاد ! و إن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون .

قال الشيخ : وقد سمى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القُرّاء من الصحابة فى أول كتاب القراءات له ، فسمى عددا كثيرا .

قلت : وذكر الحافظ شمس الدين الذهبى[1] فى كتاب "معرفة القراء[2]" ما يُبين ذلك ، وأنّ هـذا العدد هم الذين عرضُوه على النبى صلى الله عليه، وسلم ، واتصلت بنا أسانيدهم ، وأمّا مَنْ جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير فقال : ذِكْرُ الذين عرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن وهم سبعة : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب — وقال الشعبى :

---

(١) هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى الذهبي ؛ ولد سنة ٦٧٣ وتوفى سنة ٧٤٨ (الدرر الكامنة ٢ : ٢٩٨) .

(٢) هو كتاب طبقات القراء ؛ ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣٧ تاريخ — عن نسخة كبريلى رقم ١١١٦ ؛ وهذا النص موجود فى أول مقدمة الكتاب ، ونقله الزركشى باختصار وتصرف .

لم يجمع القرآن أحدٌ من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ؛ ثم ردّ على الشعبيّ قوله : بأن عاصما قرأ على أبى عبد الرحمن السلمىّ عن علىّ — وأبىّ بن كعب — وهو أقرأ من أبى بكر وقد قال : يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله وهو مشكل — . وعبد الله بن مسعود ،وأبىّ ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، وأبو الدرداء .

قال : وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ، كمعاذ بن جبل وأبى زيد ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر ؛ ولكن لم تتصل بنا قراءتهم ، قال : وقرأ على أبىّ جماعة من الصحابة ؛ منهم أبو هريرة ،وابن عباس، وعبد الله بن السائب .

النوع الرابع عشر
معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها

[تقسيم القرآن بحسب سوره]

قال العلماء رضى الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام: الطُّوَل، والمئون ، والمثانى، والمفصّل.

وقد جاء ذلك فى حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى المليح ، عن واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أعطيت السبع الطُّوَل مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثانىَ مكان الزّبور، وفُضِّلت بالمفصّل».

وهو حديث غريب ، وسعيد بن بشير فيه لين . وأخرجه أبو داود الطيالسىّ فى مسنده عن عمران عن قتادة به .

فالسبع الطُّوَل أولها البقرة ، وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يعدّون الأنفال و براءة سورة واحدة ، ولذلك لم يَفْصِلوا بينهما ؛ لأنهما نزلتا جميعا فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسميت طُوَلا لطولها . وحكى عن سعيد بن جبير أنه عدّ السبع الطُّوَل: البقرة ، وآل عمران والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

والطُّول ، بضم: الطاء جمع طُولَى ، كالكُبر جمع كُبْرى . قال أبو حيان التوحيدىّ : وكسرُ الطاء مرذول .

والمئون : ما ولى السبعَ الطُّوَل ؛ سميت بذلك لأنّ كلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

والمثانى : ما ولى المئين ؛ وقد تُسَمَّى سور القرآن كلّها مثانىَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِىَ ﴾ [١] ، ﴿ وَلقدْ آتيناكَ سَبعاً مِنَ المثانِى ﴾ [٢] .

وإنما سمى القرآن كله مثانىَ لأنّ الأنباء والقصص تُثَنَّى فيه . ويقال : إن المثانىَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلقدْ آتيناكَ سبعاً مِنَ المثَانِى ﴾ [٢] هى آيات سورة الحمد ، سماها مثانىَ لأنها تُثنى فى كل ركعة .

والمفصل : مايلى المثانى من قصار السور ؛ سُمِّى مفصّلا لكثرة الفصول التى بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم . وقيل : لقلة المنسوخ فيه . وآخره : ﴿ قُلْ أعوذُ بربّ النَّاس ﴾ ، وفى أوله اثنا عشر قولا :

أحدها : الجاثية .

ثانيها ، القتال ؛ وعَزَاه الماوردىّ للأكثرين .

ثالثها : الحجرات .

رابعها : ق ؛ قيل : وهى أوّله فى مصحف عثمان رضى الله عنه . وفيه حديث ذكره الخطّابىّ فى غريبه ، يَرْويه عيسى بن يونس قال : حدّثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفىّ قال : حدّثني عمر بن عبد الله بن أوْس بن حُذَيفة عن جده أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف فسمع [من] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحزّب القرآن . قال : وحزب المفصّل من « ق » . وقيل: إن أحمد رواه فى المسند . وقال الماوردىّ فى تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة ؛ للحديث المذكور .

الخامس : الصافات .

السادس : الصفّ .

---

(١) سورة الزمر ٢٣ . (٢) سورة الحجر ٨٧ .

السابع : تبارك . حكى هـذه الثلاثة ابن أبى الصيف اليمنىّ فى : ,, نُـكت التنبيه ،، [١] .

الثامن : ﴿ إنا فتحنا لك ﴾ ؛ حكاه الدذمارىّ فى شرح ,, التنبيه ،، المسمى : ,, رفع التمويه ،، [٢] .

التاسع : ﴿ الرحمن ﴾ ، حكاه ابن السِّيد فى أماليه على ,, الموطأ ،، وقال : إنه كذلك فى مصحف ابن مسعود . قلت : رواه أحمد فى مسنده كذلك .

العاشر : ﴿ هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهر ﴾ .

الحادى عشر : ﴿ سبّح ﴾ ؛ حكاه ابن الفركاح [٣] فى تعليقه عن المرزوقىّ .

الثانى عشر : ﴿ والضحى ﴾، وعزاه الماوردىّ لابن عباس ؛ حكاه الخطابىّ فى غريبه ؛ ووجّهه بأنّ القارئ يفصل بين هـذه السور بالتـكبير . قال: وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة .

والصحيح عنـد أهلِ الأثر أن أوله « ق » ؛ قال أبو داود فى سننه فى باب تحزيب القرآن : حـدثنا مسدّد ، حدثنا جرار بن تمام . ح . وحدثنا عبـد الله بن سعيد أبوسعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ــ وهـذا لفظه ــ عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يَعلى عن عثمان بن عبدالله بن أوس ، عن جدّه أوس ، قال عبد الله بن سعيد فى حديث أوس بن حذيفة قال : قدمْنا على رسول الله صـلى الله عليه وسلم : [فى] [٤] وفدِ ثقيف ، قال : فنزلتِ الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قُبَّة له ــ قال مسدّد : وكان فى الوفد الذين قدِموا على رسول الله صـلى الله

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٩٣ ؛ وهو نـكت على كتاب التنبيه فى فروع الشافعية لأبى إسحاق الشيرازى .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون : ص ٤٩٠

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٨٩ . (٤) من ابن ماجه .

عليه وسلم من ثقيف ـ قال : كان [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ ليلة بعد العَشاء يحدثنا ـ قال أبو سعيد : قائما على راحلتِه ـ ثم يقول : « لا سواء ، كنا مستضعفين [1] مستذلين ـ قال مسدَّد : بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجالُ الحرب بيننا و بينهم ؛ نُدالُ عليهم و يدالون علينا ، فلما كانت ليلة، أبطأ عن الوقت الذى كان يأتينا فيه ، فقلت : لقد أبطأتَ علينا الليلة ، قال : إنه طرأ علىَّ حزبى من القرآن ، فكرهت أن أجىء حتى أتمه » .

قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تُحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصّل وحده .

رواه ابن ماجه[2] عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر به . ورواه أحمد فى مسنده عن عبد الرحمن بن مهدىّ وأبو يعلى الطائفىّ به .

وحينئذ فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة كانت التى بعدهن سورة « ق » .

بيانه: ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء . وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف، والأنفال، و براءة . وسبع : يونس، وهود ، و يوسف، والرعد ، و إبراهيم، والحجر، والنحل. وتسع: سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان . و إحدى عشر : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وألم السجدة ، والأحزاب، وسبأ ، وفاطر ، و يس. وثلاث عشرة :الصافات،وص ، والزمر، وغافر ، وحم السجدة ، وحم عسق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف، والقتال،

(١ ــ ١) اللفظ فى ابن ماجه : « فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه ، وأكثر ما يحدثنا ما لقى من قومه من قريش ويقول : ولاسواء ، كنا مستضعفين مستذلين » .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الإقامة ١ : ٤٢٧ ــ ٤٢٨ ، باب فى كم يستحب يختم القرآن .

والفتح ، والحجرات ، ثم بعد ذلك حزب المفصَّل ــ وأوّله سورة « قٓ » وأمّا آل حاميم فإنه يقال : إن حمٓ اسم من أسماء الله تعالى ، أضيفت هذه السورة إليه ؛ كما قيل: سور الله لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله ، قال الكميت :

وَجَدْنا لكم فى آل حمٓ آيةً تأوَّلها منّا تقىٌّ وَمُعْرِبُ[1]

وقد يُجعل اسما للسورة ويدخلُ الإعرابُ عليها ويُصرَف. ومن قال هذا قال فى الجمع : الحواميم ؛ كما يقال : طسٓ والطواسين . وكرِه بعضُ السّلف ــ منهم محمد بن سِيرين ــ أن يقال : الحواميم ؛ وإنما يقال : آل حم .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حمٓ ديباج القرآن .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن لكلّ شىء لباباً ولبابُ القرآن حمٓ ــ أو قال : الحواميم .

وقال مِسْعَر بن كِدام : كان يقالُ لهنّ العرائس ؛ ذكر ذلك كلّه أبو عبيد فى فضائل القرآن .

وقال حُميد بن زنجويه : ثنا عبد الله ، ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن أبى عبد الله قال : إن مثلَ القرآن كمثل رجُل انطلَق يرتادُ منزلا ، فمرّ بأثرِ غيْثٍ ؛ فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه إذ هبط على روضاتٍ دمِثاتٍ ؛ فقال : عجبتُ من الغيث الأول ، فهذا أعجب وأعجب ؛ فقيل له : إن مثلَ الغيث الأول مثل عِظَم القرآن ؛ وإن مثلَ هؤلاء الروضات مثل « حم » فى القرآن .

أورده البغوىّ .

---

(١) الهاشميات ٤ ؛ من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطْرَبُ وَلَا لَعِباً منّى وذُو الشّوقِ يَلْعَبُ

فصل

فى عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران المقرئ : عددُ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة . وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قرّاء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصرى ، وأبا العالية ، ونصر بن عاصم ، وعاصماً الجحدرىّ ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم . وقال : عُدّوا حروف القرآن ؛ فبقوا أربعةَ أشهر يَعدُّون بالشعير ، فأجمعوا على أنّ كلماتِه سبعٌ وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدَد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا . انتهى .

وقال غيرُه : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ؛ ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات . وقيل: وأربع عشرة آية . وقيل : مائتان وتسع عشرة آية . وقيل : مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية. وقيل : مائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الدانى فى كتاب " البيان ".

وأما كلماته فقال : الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ، فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد : ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو محمد الحمانىّ : إن الحجاج جمع القراء والحفّاظ والكتاب فقال: أخبرونى عن القرآن كله ، كم مِنْ حرف هو ؟ قال : فحسبناه ، فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفا . قال: فأخبرونى عن نِصفه ؛ فإذا هو إلى الفاء من قوله

فى الـكهف : ﴿ وليَتَلطَّفْ ﴾[1]. وثلثه الأول عند رأس مائة من براءة ، والثانى على رأس مائة أو احدى ومائة من الشعراء . والثالث إلى آخره . وسبعه الأول إلى الدال، فى قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾[2] والسُّبع الثانى إلى التاء من قوله فى الأعراف: ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[3]، والثالث إلى الألف الثانية من قوله فى الرعد : ﴿ أُكُلُهَا ﴾[4] ، والرابع إلى الألف فى الحج من قوله : ﴿ جَعَلْنَا مَنْسَكاً ﴾[5] ، والخامس إلى الهاء من قوله فى الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾[6] ، والسادس إلى الواو من قوله فى الفتح : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾[7] والسابع إلى آخر القرآن .

قال سلام : علمنا ذلك فى أربعة أشهر .

قالوا : وكان الحجّاج يقرأ فى كلّ ليلة ربعَ القرآن ، فالأول الى آخر الأنعام ، والثانى إلى ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ من سورة الـكهف ، والثالث إلى آخر المؤمن ،والرابع إلى آخر القرآن. وحكى الشيخ أبو عمرو الدانى فى كتاب "البيان" خلافا فى هذا كله .

وأما التحْزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها . وقد أخرج أحمد فى مسنَده وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى حياته: كيف تحزّبون القرآن؟قالوا: ثلاث ، وخمس ، وسبع ،وتسع ، وإحدى عشرة،وثلاث عشرة . وحزب المفصّل من « قٓ » حتى يختم .

أسند الزبير فى كتاب الطبقات عن المبرّد . أوّل من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلىّ . وذكر أيضا أن ابن سيرين كان لهُ مصحف نقّطه له يحيى بن يعمر . وذكر أبو الفرج :

---

(١) سورة الـكهف ١٩.
(٢) سورة النساء ٥٥ .
(٣) سورة الأعراف ١٤٧ .
(٤) سورة الرعد ٣٥ .
(٥) سورة الحج ٣٤ ، ٦٧ .
(٦) سورة الأحزاب ٣٦ .
(٧) سورة الفتح ٦ .

أن زياد بن أبى سفيان أمر أباالأسود أن ينقّط المصاحف . وذكر الجاحظ فى كتاب " الأمصار " أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف .

وأما وضعُ الأعشار ؛ فقيل : إن المأمون العباسىّ أمر بذلك . وقيل : إن الحجاج فعل ذلك .

واعلم أن عددَ سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة؛ كما هى فى المصحف العثمانى ، أولها الفاتحة وآخرها الناس . وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجَعْلِ الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويردّه تسميةُ النبى صلى الله عليه وسلم كلاً منهما . وكان فى مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان ؛ لشبهة الرُّقْية ؛ وجوابه رجُوعُه إليهم ، وما كتب الكلّ . وفى مصحف أبىّ ستّ عشرة ؛ وكان دعاء الاستفتاح والقنوت فى آخره كالسورتين . ولا دليلَ فيه لموافقتهم ؛ وهو دعاء كُتِبَ بعد الخَتْمَة .

وعددُ آياته فى قول علىّ رضى الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة . وعطاء: ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون . وحميد :ستة آلاف ومائتان واثنتاعشرة . وراشد: ستة آلاف ومائتان وأربع .

وقال حميد الأعرج[١] : نصفه (مَعِيَ صَبْراً)[٢] فى الكهف ، وقيل : عين ﴿ تَسْتَطِيع ﴾[٢] ، وقيل : ثانى لامىْ ﴿ وليتلطَّفْ ﴾ [٣] .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء فى عدّ الآى والكلم والحروف أن النبى صلى الله عليه

---

(١) هو حميد بن قيس الأعرج ؛ أبو صفوان المكى القارىء ، توفى سنة ١٣٠ . (طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٢٦٥) .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ١٩ .

وسلم ، كان يقف على رءوس الآى للتوقيف ؛ فإذا علم محلّها وصل للتمام ؛ فيحسب السامع أنّها ليست فاصلة .

وأيضا البسملة نزلت مع السورة فى بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ، ومَنْ قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وسبب الاختلاف فى الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ورسم ؛ واعتبار كل منها جائز ؛ وكلٌّ من العلماء اعتبر أحدَ الجوائز .

وأطولُ سورةٍ فى القرآن هى البقرة ، وأقصرُها الكوثر .

وأطول آية فيه آية الدَّيْن[1] ؛ مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وخمسمائة وأربعون حرفا .

وأقصر آية فيه ﴿ والضُّحَى ﴾ ، ثم ﴿ والفَجْرِ ﴾ ؛ كل كلمة خمسة أحرف تقديرا ثم لفظا ، ستة رسما ؛ لا ﴿ مُدْهامَّتانِ ﴾[2] لأنها سبعة أحرفٍ لفظا ورسماً ، وثمانية تقديرا ، ولا ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾[3] لأنهما كلمتان ، خمسة أحرف رسماً وكتابة ، وستة أحرف تقديرا ؛ خلافاً لبعضهم .

وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة بلا زيادة ﴿ فَأَسقيناكُموه ﴾[4] أحد عشر لفظا ، ثم ﴿ اقْتَرَفْتُمُوها ﴾[5] عشرة ، وكذا ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوها ﴾[6] ﴿ والْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾[7] ثم ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾[8] تسعة لفظا ، وعشرة تقديرا .

وأقصرُها نحو باء الجر ، حرفٌ واحد ؛ لا أنَّها حرفان ؛ خلافاً للدانىّ فيهما .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢
(٢) سورة الرحمن ٦٤
(٣) سورة المدثر ٢١
(٤) سورة الحجر ٢٢ .
(٥) سورة التوبة ٢٤
(٦) سورة هود ٢٨ .
(٧) سورة النساء ٧٥
(٨) سورة النور ٥٥ .

فصل

[أنصاف القرآن ثمانية]

قال بعض القراء: إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آيه .

فنصفه بالحروف: «النون» من قوله : ﴿نُكْراً﴾ فى سورة الكهف، والكاف من نصفه الثانى.

ونصفه بالكلمات « الدال » من قوله : ﴿ والجلود ﴾(١) فى سورة الحج، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مقَامِعُ مِنْ حَدِيد ﴾(٢) من نصفه الثانى .

ونصفه بالآيات ﴿يَأْفِكُونَ﴾(٣) من سورة الشعراء ، وقوله تعالى:﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَة﴾(٤) من نصفه الثانى .

ونصفه على عدد السور ، فالأول الحديد ، والثانى من المجادلة .

فائدة

سئل ابن مجاهد : كم فى القرآن من قوله : ﴿ إلاَّ غرُوراً ﴾ ؟(٥) فأجاب فى أربعة مواضع: من النِّساء وسُبْحان والأحزاب وفاطر .

وسئل الكسائىّ : كم فى القرآن آية أولها شين ؟ فأجاب أربع آيات : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾(٦) ، ﴿ شَهِدَ اللهُ ﴾(٧) ، ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ ،(٨) ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

---

(١) سورة الحج ٢٠ (٢) سورة الحج ٢١.

(٣) سورة الشعراء ٤٥ (٤) سورة الشعراء ٤٦ .

(٥) سورة النساء ١٢٠ ، الإسراء ٦٤ ، الأحزاب ١٢ ، فاطر ٤٠ .

(٦) سورة البقرة ١٨٥ (٧) سورة آل عمران ١٨ .

(٨) سورة النحل ١٢١

الدِّين ﴾ (١) . [وسئل] كم آية آخرها شين؟[فأجاب] : اثنان: ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (٢) ، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) .

وسئل آخر : كم ﴿ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) ؟ قال : خمسة ؛ ثلاثة فى الأنعام ، وفى الحجر واحد ، وفى النحل واحد .

* * *

أكثر ما اجتمع فى كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية ؛ وذلك فى موضعين من سورة يوسف : أحدهما : ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾ (٥) ، فبين واو « كوكبا » وياء « رأيت » ثمانية أحرف ، كلهن متحرك، والثانى قوله : ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِيَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ (٦) على قراءة من حرك الياء فى قوله ﴿لِيَ﴾، و﴿أَبِيَ﴾. ومثل هذين الموضعين ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (٧) .

وفى القرآن سورٌ متواليات كل سورة تجمع حروف المعجم ؛ وهو من أول : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٨) إلى آخر القرآن .

وآية واحدة تجمع حروف المعجم ، قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . . . ﴾ (٩) الآية .

وسورةٌ، كل آية منها فيها اسمه تعالى ، وهى سورة المجادلة .

وفى الحج ستة آيات متواليات ، فى آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى، وهى قوله : ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ ﴾ (١٠) .

---

(١) سورة الشورى ١٣. (٢) سورة القارعة ٥.
(٣) سورة قريش ١ .
(٤) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، الحجر ٢٥ ، النمل ٦ .
(٥) سورة يوسف ٥ (٦) سورة يوسف ٨٠.
(٧) سورة القصص ٣٥ (٨) سورة الانشراح ١ .
(٩) سورة الفتح ٢٩ (١٠) سورة الحج ٥٩ .

وفى القرآن آيات أولها : ﴿ قُلْ يَـٰأَيها ﴾ ثلاث :﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى ﴾ [١] ، ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ ﴾ [٢] ، ﴿ قُلْ يَـٰأَيها الـكَافِرُونَ ﴾ [٣] .

وفيـه : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْـكَرِيمِ ﴾ [٤] ﴿ يَـٰأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [٥] .

آية فى القرآن فيهاستةعشر ميما ، وهى : ﴿ قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ... ﴾ [٦] الآية .

وآية فيها ثلاث وثلاثون ميما : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ ﴾ [٧] .

سورة تزيد على مائة آية ليس فيها ذكر جنة ولا نار ، سورة يوسف .

آية فيها ﴿ الجنـة ﴾ مرتان : ﴿ لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّـةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [٨] .

ثلاث آيات متواليات : الأولى ردّ على المشبّهة ، والأخرى ردّ على الجبرة ، والأخرى ردّ على المرجئة : قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّيـكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٩] رد على المشبهة ، ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [٩] رد على الجبرة ، ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ [٩] رد على المرجئة .

ليس فى القرآن « حاء » بعدها « حاء » لا حاجز بينهما إلا فى موضعين فى البقرة ﴿ عُقْدَةَ النِّـكَاحِ حَتَّى ﴾ [١٠] ، وفى الـكهف ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى ﴾ [١١] .

---

(١) سورة يونس ١٠٤

(٢) سورة الجمعة ٦ .

(٣) سورة الـكافرون ١

(٤) سورة الانفطار ٦ .

(٥) سورة الانشقاق ٦ .

(٦) سورة هود ٤٨ .

(٧) سورة البقرة ٢٨٢

(٨) سورة الحشر ٢٠ .

(٩) سورة الشعراء ٩٨ — ١٠٠ .

(١٠) سورة البقرة ٢٣٥

(١١) سورة الـكهف ٦٠.

ليس فيه كافان فى كلمة واحـدة لا حرف بينهما إلا فى موضعين : فى البقرة ﴿ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ [١] ، وفى المدّثر ﴿ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [٢] .

وأما مايتعلق بترتيبه ؛ فأما الآيات فى كلّ سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفى بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوزُ تعكيسها .

قال مكى وغيره : ترتيب الآيات فى السور هو من النبى صلى الله عليـه وسلم ، ولمّا لم يأمر بذلك فى أول براءة تركت بلا بسملة .

وقال القاضى أبو بكر : ترتيب الآيات أمرٌ واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا .

وأسند البيهقى فى كتاب " المدخل والدلائل " عن زيد بن ثابت قال : كنا حولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن إذ قال : « طوبى للشام » ، فقيل له : ولم ؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » . زاد فى الدلائل : « نؤلف القرآن فى الرقاع » .

قال : وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبى صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال : فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جُمع بعضه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة أبى بكر الصديق ، والجمع الثالث – وهو ترتيب السُّوَر – كان بحضرة عثمان ؛ واختلف فى الحرف الذى كتب عثمان عليه المصحف ، فقيل : حرف زيد بن ثابت ، وقيل : حرف أبىّ بن كعب ؛ لأنه العرضة الأخيرة التى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد ، أى قراءته وطريقته .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٠ (٢) سورة المدثر ٤٢ .

وفى كتاب "فضائل القرآن" لأبى عبيد عن أبى وائل ، قيل لابن مسعود : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا ، فقال : ذاك منكوس القلب . ورواه البيهقى .

وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختُلف : هل هو توقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو من فعل الصحابة ، أو يفصّل ؟ فى ذلك ثلاثة أقوال :

مذهب جمهور العلماء ؛ منهم مالك ، والقاضى أبو بكر بن الطيب ـ فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من [أحد] قوليه ـ إلى الثانى ، وأنه صلى الله عليه وسلم فوّض ذلك إلى أمته بعده .

وذهبت طائفة إلى الأول ؛ والخلاف يرجع إلى اللفظ ، لأن القائل بالثانى يقول : إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ؛ ولهذا قال الإمام مالك : إنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم . فآل الخلاف إلى أنه : هل ذلك بتوقيف قولىّ أم بمجرد استنادٍ فعلىّ ، وبحيث بقى لهم فيه مجال للنظر . فإن قيل : فإذا كانوا قد سمعوه منه ، كما استقر عليه ترتيبه ففى ماذا أعملوا الأفكار ؟ وأىّ مجال بقى لهم بعد هذا الاعتبار ؟ قيل: قد روى مسلم فى صحيحه عن حذيفة قال : «صلّيت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح سورة البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت: يصلّى بها فى ركعة ، فمضى ، فقلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران . . . » الحديث . فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم ربما فعل هذا إرادةً للتوسعة على الأمة ، وتبيانا لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف ، حتى استقر النظر على رأىِ ما كان من فعله الأكثر . فهذا محل اجتهادهم فى المسألة .

والقول الثالث ، مال إليه القاضى أبو محمد بن عطية : أنّ كثيرا من السور كان قد عُلِم ترتيبها فى حياته صلى الله عليه وسلم كالسّبع الطُّوَل والحواميم والمفصّل ، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمرَ فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرىَ فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزهراوين:البقرة وآل عمران ». رواه مسلم .ولحديث سعيد بن خالد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسّبع الطوال فى ركعة. رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه . وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصّل فى ركعة .

وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العِتاق الأول، وهنّ من تلادى ؛ فذكرها نَسَقاً كما استقر ترتيبُها .

وفى صحيح البخارىّ أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كلّ ليلة جمع كفّيْه ، ثم نفث فيهما فقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾[1] والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس:المختارأن تأليفَ السورعلى هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى ذلك عن على بن أبى طالب ، ثم ساق بإسناده إلى أبى داود الطيالسىّ : حدثنا عمران القطان عن قَتادة عن أبى المليح الهذلىّ عن واثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت مكان التوراة السّبع الطوال، وأعطيتُ مكان الزّبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثانىَ ، وفُضِّلت بالمفصّل » .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث يدل على أن تأليفَ القرآن مأخوذ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما جُمِع فى المصحف على شىء واحد ؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن . وفيه أيضاً دليل على أن سورةَ الأنفال سورةٌ على حدة،وليست من براءة .

قال أبو الحسين أحمد بن فارس فى كتاب "المسائل الخمس" :جَمْعُ القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور ، كتقديم السبع الطُّوَل وتعقيبها بالمئين ؛ فهذا الضرب هو

---

(١) سورة الأخلاص ١ .

الذى تولّاه الصحابة رضوان الله عليهم . وأما الجمع الآخر فضمُّ الآى بعضها إلى بعض ، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شىء تولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمرِ ربه عز وجلّ . وكذا قال : الكِرْمانىّ فى البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفى اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضُ عليه السلام على جبريل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ ﴾[1] معناه مثل البقرة إلى سورة هود ، وهى العاشرة . ومعلوم أنَّ سورة هود مكية ، وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة مدنيات نزلت بعدها .

وفسر بعضهم قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[2] أى اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير . وجاء النكير على من قرأه معكوسا . ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يُلْزَم إلا على هذا الترتيب . ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب ؛ و إنما تفرقتْ سوره وآياته نزولا ، لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ؛ ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكن ليجتمعا نزولا . وأبلغ الْحِكَم فى تفرقه ما قال سبحانه: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾[3] وهذا أصل بُنِى عليه مسائل كثيرة .

وقال القاضى أبو بكر بن الطيب : فإن قيل : قد اختلف السلف فى ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب فى المصحف السورَ على تاريخ نزولها ، وقدّم المكىّ على المدنى . ومنهم جعل من أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[4] ؛ وهو أول مصحف علىّ ، وأما مصحف ابن مسعود ، فأوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[5] ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف . وفى مصحف أبىّ كان أوله الحمد ، ثم

---

(١) سورة هود ١٣
(٢) سورة المزمل ٤
(٣) سورة الإسراء ١٠٦
(٤) سورة العلق ١ .
(٥) سورة الفاتحة ٤ .

النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، على اختلاف شديد .

فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هى عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم . وذكر ذلك مكىٌّ فى سورة براءة ، وأن وضعَ البسملة فى الأول هو من النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن الأنبارى : أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا ، ثم فُرِّق فى بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ؛ ويقف جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية . فاتّساقُ السور كاتساق الآيات والحروف ، كلُّه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم الآيات .

قال القاضى أبو بكر : ومَنْ نَظَم السور على المكى والمدنى لم يدر أين يضع الفاتحة ، لاختلافهم فى موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية فى رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به .

تنبيه

[ترتيب وضع السور فى المصحف]

لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تُطلِع على أنه توقيفىٌّ صادر عن حكيم :

أحدها بحسب الحروف ، كما فى الحواميم . وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة . وثالثها للوزن فى اللفظ ، كآخر « تبت » وأول الإخلاص . ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل ﴿ والضحى ﴾ و ﴿ ألم نشرح ﴾ .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية ، والالتجاء إليه فى دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكمّلة لمقصودها ؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبُهات الخصوم ؛ ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه من بظهور الحجة والبيان ؛ فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصّارى ، وآخرها يتعلق بيوم أحد . والنصارى تمسكوا بالمتشابه ، فأجيبوا عن شبههم بالبيان . ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال فقوبلوا بالبيان ، وبه يعلم الجواب لمن تتبع المتشابه من القول والفعل . وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بتمامه بعد الشروع فيه، ولهذا ذكر البيت والصفا والمروة . وكان خطاب النصّارى في آل عمران أكثر، كما أنّ خطاب اليهود في البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبيّ صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ؛ ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب بها جميع الناس. والسور المدنية فيها خطاب مَنْ أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا: ياأهل الكتاب، يابني إسرائيل .

وأما سورة النساء فتتضمن جميعَ أحكام الأسباب التي بين الناس ؛ وهي نوعان : مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم ؛ كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1] ثم قال : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ؛ وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم ؛ وما تعلّق بذلك من أحكام الأموال والفروج والمواريث . ومنها العهود التي حصلت بالرسالة ، والتي أخذها الله على الرسل .

وأما المائدة فسورة العقود ، وبهنّ تمام الشرائع ؛ قالوا : وبها تم الدّين ، فهي سورة

---

(١) سورة النساء ١ .

التكميل . بهـا ذكر الوسائل كما فى الأنعـام والأعراف ذكر المقاصد ، كالتحليل والتحريم ؛ كتحريم الدماء والأموال وعقوبة المعتدين . وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين . وتحريم الميتة والدم والمنخنقة ، وتحريم الصيد على المحرم من تمام الإحرام . وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله . ولهذا ذكر فيها مايختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والحكم بالقرآن، فقال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1] وذكر أنه من ارتد عوض الله بخير منه. ولا يزال هذا الدين كاملا ؛ ولهذا قيل : إنها آخر القرآن نزولا فأحلُّوا حلالها ، وحرموا حرامها .

وهـذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب ؛ وهو ترتيب المصحف العثمانى ، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قدمت فيه سورة النساء على آل عمران ؛ وترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمراً أوجبه الله، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ،ولهذا كان لكل مصحف ترتيب، ولكن ترتيب المصحف العثمانى أكمل ؛ وإنما لم يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يُفْضى إلى تغييره كل وقت ، فلهذا تأخرتْ كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التى بعث بها إلى الأمصار .

فائدة

[سبب سقوط البسملة أول براءة]

اختلف فى السبب فى سقوط البسملة أول براءة ؛ فقيل : كان من شأن العرب فى الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهدٌ وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتابا ، ولم يكتبوا فيه

(١) سورة المائدة ٣١١ ، ٣١٢ .

البسملة ؛ فلمّا نزلتْ « براءة » بنقضِ العهد الذى كان للكفّار ، قرأها عليهم علىّ ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم . ولكن فى صحيح الحاكم أن عثمان رضى الله عنه قال : كانت الأنفال من أوائل ما نزل و براءة من آخره ،وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقضَى النبي صلى الله عليه وسلّم ولم يبين لنا أنها منها،وظننا أنها منها ، ثم فرقت بينهما ولم أكتب بينهما البسملة.

وعن مالك: أن أوّلها لما سقط سقطت البسملة .

وقد قيل : إنها كانت تعدل البقرة لطولها .

وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف فى زمن عثمان اختلفوا : هل هما سورتان ، أو الأنفال سورة و براءة سورة تركت البسملة بينهما ؟

وفى مستدرك الحاكم أيضا عن ابن عباس : سألت علياً عن ذلك فقال : لأن البسملة أمانٌ ، و براءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان .

قال القشيرىّ : والصحيح أن البسملة لم تكن فيها ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها .

فائدة

[فى بيان لفظ السورة لغة واصطلاحا]

قال القتيبيّ : السُّورة ، تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من «أسأرتُ» ، أى أفضلت ، من السُّؤر ، وهو ما بَقِيَ من الشراب فى الإناء كأنها قطعة من القرآن ، ومَنْ لم يهمزْها جعلها من المعنى المتقدّم وسهّل همزتَها .

ومنهم مَنْ شبّهَها بسُور البناء ، أى القطعة منه ، أى منزلةً بعد منزلة .

وقيل : من سُورِ المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور ؛ ومنه السِّوَار لإحاطته بالساعد ؛ وعلى هذا فالواو أصلية .

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ؛ لأنّ الآيات مرتّبة فى كل سورة ترتيباً مناسبا ؛ وفى ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جنى فى شرح منهوكة أبى نواس : إنما سميت سورة لارتفاع قدرها ؛ لأنها كلامُ الله تعالى ؛ وفيها معرفة الحلال والحرام ؛ ومنه رجل سوّار، أى معربد ؛ لأنه يعلو بفعله ويشتط . ويقال: أصلها من السَّوْرة وهى الوثْبة ، تقول : سُرْتُ إليه وثرتُ إليه . وجمع سُورة القرآن سُوَر بفتح الواو ، وجمع سوره البناء سُور بسكونها . وقيل : هو بمعنى العلوّ ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[1] نزلوا عليه من عُلو، فسميت القراءة به لتركّب بعضها[2] على بعض. وقيل: لعلوّ شأنه وشأن قارئه. ثم كرِه بعضُهم أن يقال : سُورة كذا ، والصحيح جوازُه . ومنه قول ابن مسعود : هذا مُقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وأما فى الاصطلاح فقال الجعبرىّ : حَدُّ السورة قرآن يشتمل على آيٍ ذوات فاتحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات . فإن قيل : فما الحكمة فى تقطيع القرآن سُوَراً ؟ قلت : هى الحكمة فى تقطيع السور آيات معدودات ؛ لكل آية حدٌّ ومطلع ؛ حتى تكون كلُّ سورة بل كل آية فناً مستقلا وقرآناً معتبرا ، وفى تسويرِ السورة تحقيقٌ لكوْن السورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله تعالى . وسُوِّرت السُّوَر طِوالا وقصارا وأوساطا ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ؛ فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزةٌ إعجازَ سورة البقرة . ثم ظهرت لذلك حكمةٌ فى التعليم ، وتدريج الأطفال من السُّوَر القصار إلى

---

(١) سورة ص ٢١

(٢) ت : « بعضا » .

ما فوقها يسيراً يسيرا ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كِتابه ، فترى الطِّفلَ يفرح بإتمام السورة فَرَحَ مَنْ حصل على حدٍّ معتبر . وكذلك المُطِيل فى التلاوة يرتاحُ عند خَتْم كلِّ سورةٍ ارتياحَ المسافر إلى قطع المراحِل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى ؛ إلى أنّ كلّ سورة نَمَطٌ مستقلّ ، فسورةُ يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامِن أسرارهم، وغير ذلك.

فإن قلت : فهلاّ كانت الكُتُب السالفةُ كذلك ؟ قلت : لوجْهين : أحدها أنّها لم تكنْ معجزاتٍ من ناحية النظم والترتيب ، والآخر أنّها لم تيسّر للحفظ .

وقال الزمخشريّ : الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة ـ وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسوّرة ، وبوّب المصنفون فى كتبهم أبواباً موشّحة الصدور بالتراجم : منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصنافٌ كان أحسنَ وأفخم من أن يكون باباً واحدا . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ فى آخره كان أنشطَ له ، وأبعثَ على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثلُه المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا وانتهى إلى رأس بريّة نفّس ذلك منه ونشطه للسير ؛ ومن ثمة جزِّئ القرآن أجزاء وأخماسا . ومنها أن الحافظَ إذا حذق السُّورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفةً مستقلةفيعظم عنده ماحفظه . ومنه حديث أنس: كان الرَّجُل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلّ فينا . ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة أفضل . ومنها أن التفصيلَ يُسَبِّبُ تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعانى والنظم ؛ إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة

[في بيان معنى الآية لغـة واصطلاحاً]

أما الآية فلها فى اللغة ثلاثة معان :

أحدها ـ جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيبانى : تقول العرب : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم .

ثانيها ـ الآية : العجب، تقول العرب : فلان آية فى العلم وفى الجمال ، قال الشاعر :

آيةٌ فِي الجمالِ ليس له فى الـ ... حسن شِبْهٌ وما له مِنْ نَظِيرِ

فكأنّ كل آية عجب فى نظمها ، والمعانى المودعة فيها .

ثالثها ـ العلامة ، تقول العرب : خربت دار فلان وما بقى فيها آية، أى علامة ؛ فكأنّ كلّ آية فى القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف فى وزنها فقال سيبويه : « فَعَلَة» بفتح العين ، وأصلها « أَيَيَة» تحركت الياء وانفتح ما قبلها فجاءت آية . وقال الكسائى : أصلُها «آيِيَة » على وزن« فاعلة » ، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام مالزم فى دابّة .

وأما فى الاصطلاح فقال الجعبرى فى كتاب ''المفرد فى معرفة العدد'' : حدُّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ، ذو مبدأ ومقطَع مندرج فى سورة ؛ وأصلها العلامة، ومنه:﴿ إنَّ آيَةَ مُلْكِهِ ﴾[1] لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة ، لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شَبَهٌ بما سواها .

---

(١) سورة البقرة ٢٤٨ .

وقيل : هى الواحدة من المعدودات فى السُّوَر ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عجزِ المتحدَّى بها .

وقيل : لأنها علامةُ انقطاع ماقبلها من الكلام وانقطاعها[1] عمّا بعدها . قال الواحدىّ : و بعض أصحابنا يجوّزُ على هذا القول تسمية أقلّ من الآية آيةً ؛ لولا أن التوقيف ورد بما هى عليه الآن .

وقال ابن المنيِّر فى البحر : ليس فى القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[2] .

وقال بعضهم : الصحيحُ أنها إنما تُعلَمُ بتوقيفٍ من الشارع ، لا مجالَ للقياس فيه كمعرفة السورة ، فالآية طائفة حروف من القرآن ، عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها معنًى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها والذى بعدها فى غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشرىّ : الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ، فعدوا ﴿ الٓمٓ ﴾ آية حيث وقعت من السورة المفتتح بها ، وهى ستّ[3] ، وكذلك ﴿ الٓمٓصٓ ﴾[4] آية ، و ﴿ الٓمٓر ﴾[5] لم تعد آية، و ﴿ الٓر ﴾[6] ليست بآية فى سورها الخمس . و ﴿ طٓسٓمٓ ﴾[7] آية فى سورتيها ، و ﴿ طه ﴾ و ﴿ يسٓ ﴾ آيتان ، و ﴿ طسٓ ﴾[8] ليست بآية ، و ﴿ حمٓ ﴾[9] آية فى سورها كلها و ﴿ حمٓ عسٓقٓ ﴾[10] آيتان ، و ﴿ كهيعص ﴾[11] آية واحدة، و ﴿ صٓ ﴾ و ﴿ قٓ ﴾ و ﴿ نٓ ﴾ ثلاثتها لم تعدّ آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومَنْ عداهم لم يعدوا شيئا منها آية .

---

(١) ت : « وانقطاعه » .
(٢) سورة الرحمن ٦٤ .
(٣) البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .
(٤) سورة الأعراف
(٥) سورة الرعد .
(٦) يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .
(٧) الشعراء ، القصص
(٨) سورة النمل .
(٩) غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية، الأحقاف .
(١٠) سورة الشورى .
(١١) سورة مريم .

وقال بعضهم : إنما عدوا ﴿ يسٓ ﴾ آية ولم يعدوا ﴿ طسٓ ﴾ لأن ﴿ طسٓ ﴾ تشبه المفرد ، كقابيل فى الزنة والحروف ، و ﴿ يسٓ ﴾ تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء ، وليس لنا مفرد أوله ياء .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصحّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . قال : وتعديد الآى من مفصلات القرآن ؛ ومن آياته طويل وقصير، ومنه ماينقطع، ومنه ماينتهى إلى تمام الكلام ، ومنه ما يكون فى أثنائه ، كقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[1] على مذهب أهل المدينة ، فإنهم يَعُدُّونها آية . وينبغى أن يعوّل فى ذلك على فعل السلف .

* * *

وأما الكلمة،فهى اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل« ما » و« لى » و «له» و « لك» . وقد تكون أكثر. وأكثرُ ماتكون عشرة أحرف، مثل:﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾[2]، و﴿ أَنُلْزِمُكُمُوها ﴾[3] و ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾[4] : وقد تكون الكلمة آية مثل: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾،﴿وَالضُّحَى﴾ ، ﴿وَالْعَصْرِ ﴾،وكذلك﴿الٓمٓ﴾، و﴿طه ﴾، و﴿ يسٓ﴾، و ﴿حمٓ ﴾ فى قول الكوفيين .و ﴿ حمٓ عسٓقٓ ﴾ عندهم كلمتان ، وغيرهم لايسمى هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور .

وقال أبو عمرو الدانى : لاأعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[5] فى سورة الرّحمن .

---

(١) الفاتحة ٦

(٢) سورة النور ٥٥

(٣) سورة هود ٢٨

(٤) سورة الحجر ٢٢ .

(٥) سورة الرحمن ٦٤ .

خاتمـــة

[فى تعدد أسماء السُّور]

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان ، كسورة البقرة يقال لها : فسطاط القرآن لِعِظَمها وبهائها . وآل عمران يقال اسمها فى التوراة طيبة ، حكاه النقّاش[1] . والنحل تسمى سورة النِّعَم لما عدّد الله فيها من النعم على عباده . وسورة ﴿ حمٓ عٓسٓقٓ ﴾ ، وتسمَّى الشورى . وسورة الجاثية وتسمى الشريعة . وسورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى القتال .

وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة ، والعُقُود ، والمنقذة . وروى ابن عطية فيه حديثا[2] ، وكسورة غافر ، والطول ، والمؤمن ، لقوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾[3] .

وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة براءة ، والتوبة ، والفاضحة ، والحافرة ، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين . قال ابن عباس : ما زال ينزل ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلاّ ذُكِرَ فيها . وقال حذيفة : هى سورة العذاب . وقال ابن عمر : كنا ندعوها المشقشقة . وقال الحرث بن يزيد : كانت تدعى المبعثرة ، ويقال لها : المسوّرة ، ويقال لها : البَحوث[4] .

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسما : الفاتحة ـ وثبت فى الصحيحين ـ وأمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، وثبتا فى صحيح مسلم ؛ وحكى ابن عطية : كراهية تسميتها عن قوم ، والسبع المثانى ، والصلاة ثبتا فى صحيح مسلم ، والحمد ، رواه الدارقطنى .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرئ الموصلى النقاش ، صنف فى التفسير والقراءات ؛ وتوفى سنة ٣٥١ (اللباب ٣ : ٢٣٥) .

(٢) قوله عليه السلام : «سورة المائدة تدعى فى ملكوت الله المنقذة، تنقذ ، صاحبها من أيدى ملائكة العذاب » . نقله القرطبي فى التفسير ٦ : ٣٠ .

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) قال القرطبي : « لأنها تبحث عن أسرار المنافقين ، والبعثرة : البحث » .

وسميت مثانىَ لأنها تثنى فى الصلاة ، أو أنزلت مرتين ، والوافية بالقاء لأن تبعيضها لا يجوز ، ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن ، والكنز لما ذكرنا ، والشافية ، والشفاء ، والكافية ، والأساس .

وينبغى البحث عن تعداد الأسامى : هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثانى فلن يعدم الفَطِن أن يستخرج من كلِّ سورة معانى ـ كثيرة تقتضى اشتقاق أسمائها[1] وهو بعيد .

خاتمة أخرى

[فى اختصاص كل سورة بما سميت[2]]

ينبغى النظر فى وجه اختصاص كلِّ سورة بما سُمِّيت به ، ولا شكّ أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذَ أسمائها من نادر أو مستغرَب يكون فى الشىء من خَلْق أو صفة تخصُّه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمَّى . ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سُور الكتاب العزيز ؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها . وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام فى غيرها ؛ إلا أن التفصيل الوارد فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً... ﴾[3] إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾[4] لم يرد فى غيرها ؛

---

(١) ت : « اشتمالها » تحريف

(٢) هذه الخاتمة ساقطة من ت، ط.

(٣) سورة الأنعام ١٤٢

(٤) سورة الأنعام ١٤٤ .

كما ورد ذكرُ النساء فى سُوَرٍ ؛ إلا أن ماتكرر وبُسِط من أحكامهنّ لم يرد فى غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة فى غيرها فسميت بما يخصّها .

فإن قيل : قد ورد فى سورة هود ذكرُ نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، فلم تختصُّ باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به ؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب . قيل: تكررت هذه القصص فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوْعَب مما وردت فى غيرها ، ولم يتكرر فى واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره فى هذه السورة ؛ فإنه تكرّر فيها عند ذكر قصته فى أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التى ذكرنا .

وإن قيل : فقد تكرر اسم نوح فى هذه السورة فى ستة مواضع فيها،وذلك أكثر من تكرار اسم هود . قيل : لما جُرِّدت لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصتَه وقصة غيره ، وإن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أوْلى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رَعْيِ التسمية ماذكرنا . وانظر سورة ﴿ قٓ ﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف. ومن ذلك السور المفتتحة بالحروف المقطعة ، ووجه اختصاص كلّ واحدة بما وليته، حتى لم تكن لترد ﴿الٓمٓ﴾ فى موضع ﴿ الٓر ﴾، ولا﴿حمٓ﴾ فى موضع ﴿ طسٓ ﴾ ؛ لاسيما إذا قلنا : إنها أعلام لها وأسماء عليها.

وكذا وقع فى كلِّ سورة منها ما كثُر ترداده فيما يتركب من كلمها ؛ ويوضّحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها فى عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتتحَ بها تلك السورة إفرادا وتركيبا أكثرَ عدداً فى كلماتها منها فى نظيرتها ومماثلتها فى عدد كلمها وحروفها ؛ فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها فى عدد كلمها ففى اطراد ذلك فى المماثلات مِمّا

يوجد له النظير ما يشعر بأنّ هـذه لو وجِد ما يماثلها لجرى على ماذكرت لك . وقد اطَّرد هـذا فى أكثرها لحق لـكل سورة منها ألاَّ يناسبها غير الوارد فيها ؛ فلو وضع موضع ﴿قٓ﴾ من سورة ﴿نٓ﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته فى كلام الله تعالى . وقد تـكرر فى سورة يونس من الـكلم الواقع فيها ﴿ الٓر﴾ مائتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلهذا افتتحت بـ ﴿ الٓر﴾. وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتتحة بالحروف المقطعة سورة النحل . وهى أطول منها مما يركب على ﴿ الرَ﴾ . من كلمها مائتا كلمة ، مع زيادتها فى الطول عليها ، فلذلك وردت الحروف المقطعة فى أولها ﴿الر﴾ .

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

[أسماء القرآن]

وقد صنف فى ذلك الحرالىّ جزءا وأنهى أساميَه إلى نَيِّف وتسعين .

وقال القاضى أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسما :

سمّاه كتابا فقال : ﴿ حـم. وَالْكِتَابِ المبينِ ﴾[1] .

وسماه قرآنا فقال : ﴿ إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... ﴾[2] الآية .

وسماه كلاما فقال : ﴿ حَتَّى يَسْمعَ كَلامَ اللهِ ﴾[3]

وسماه نورا فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إليكُمْ نُوراً مُبيناً ﴾[4]

وسماه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحمةً للمُحْسنينَ ﴾[5]

وسماه رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ و بِرَحمتهِ فَبِذَلك فَلْيَفْرَحُوا ﴾[6] .

وسماه فرقانا فقال : ﴿ تبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عبدِهِ ... ﴾ الآية[7] .

وسماه شِفَاء فقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ ﴾[8] .

وسماه موعظة فقال : ﴿ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[9] .

---

(1) سورة الدخان ١ ، ٢
(2) سورة الواقعة ٧٧
(3) سورة التوبة ٦
(4) سورة النساء ١٧٤
(5) سورة لقمان ٣
(6) سورة يونس ٥٨
(7) سورة الفرقان ١
(8) سورة الإسراء ٨٢
(9) سورة يونس ٥٧

وسماه ذكراً فقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾(١) .

وسماه كريماً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾(٢) .

وسماه عليًا فقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٣) .

وسمّاه حكمة فقال : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾(٤) .

وسماه حكيما فقال : ﴿ الر . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾(٥) .

وسماه مهيمناً فقال : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾(٦) .

وسماه مباركا فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... ﴾(٧) الآية .

وسماه حَبْلا فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾(٨) .

وسماه الصراط المستقيم فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾(٩) .

وسماه القيِّم فقال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً ﴾(١٠) .

وسماه فَصْلا فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾(١١) .

وسماه نبأ عظيما فقال : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾(١٢) .

وسماه أحسن الحديث فقال : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾(١٣) الآية .

وسمّاه تنزيلا فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١٤) .

وسماه رُوحاً فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾(١٥) .

---

(١) سورة الأنبياء ٥٠
(٢) سورة الواقعة ٧٧ .
(٣) سورة الزخرف ٤١ .
(٤) سورة القمر ٥
(٥) سورة يونس ١ ، ٢
(٦) سورة المائدة ٤٨
(٧) سورة ص ٢٩ .
(٨) سورة آل عمران ١٠٣
(٩) سورة الأنعام ١٥٣ .
(١٠) سورة الكهف ١ ، ٢
(١١) سورة الطارق ١٣ .
(١٢) سورة النبأ ١ ، ٢
(١٣) سورة الزمر ٢ .
(١٤) سورة الشعراء ١٩٢
(١٥) سورة الشورى ٥٢ .

وسماه وحيا فقال : ﴿ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾[١] .

وسماه المثانى فقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾[٢] .

وسماه عربياً فقال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٣] ، قال ابن عباس : غير مخلوق .

وسماه قولا فقال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾[٤] .

وسماه بصائر فقال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾[٥] .

وسماه بيانا فقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾[٦] .

وسماه علما فقال : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾[٧] .

وسماه حقا فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[٨] .

وسماه الهادى فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾ .[٩]

وسماه عجبا فقال : ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي ﴾[١٠] .

وسماه تذكرة فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ ﴾[١١] .

وسماه بالعروة الوثقى فقال : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[١٢] .

وسماه متشابها فقال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾[١٣] .

وسماه صدقا فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾[١٣] أى بالقرآن .

وسماه عدلا فقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[١٤] .

---

(١) سورة الأنبياء ٤٥
(٢) سورة الحجر ٨٧ .
(٣) سورة الزمر ٢٨
(٤) سورة القصص ٥١ .
(٥) سورة الجاثية ٢٠
(٦) سورة النساء ١٣٨ .
(٧) سورة الرعد ٣٧
(٨) سورة آل عمران ٦٢ .
(٩) سورة الإسراء ٩
(١٠) سورة الجن ٢٩ .
(١١) سورة المدثر ٥٤
(١٢) سورة لقمان ٢٢ .
(١٣) سورة الزمر ٢٣ ، ٣٣
(١٤) سورة الأنعام ١١٥ .

وسماه إيمانا فقال : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾[١] .

وسماه أمراً فقال : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ ﴾[٢] .

وسماه بشرى فقال : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾[٣] .

وسماه مجيدا فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾[٤] .

وسماه زبورا فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ... ﴾[٥] الآية .

وسماه مبينا فقال : ﴿ الر . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[٦] .

وسماه بشيراً ونذيرا فقال : ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ ﴾[٧] .

وسماه عزيزاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾[٨] .

وسماه بلاغا فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾[٩] .

وسماه قصصاً فقال : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[١٠] .

وسماه أربعة أسامى فى آية واحدة فقال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾[١١] . انتهى

تفسير هذه الأسامى

فأما الكتاب ؛ فهو مصدر كتَب يكتُب كتابةً ، وأصلها الجمع ، وسميت الكتابة لجمعها الحروف ؛ فاشتق الكتاب لذلك ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة . ويسمّى المكتوب كتاباً مجازا ، قال الله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ

(١) سورة آل عمران ١٩٣
(٢) سورة الطلاق ٥ .
(٣) سورة النمل ٢
(٤) سورة البروج ٢١ .
(٥) سورة الأنبياء ١٠٥
(٦) سورة يوسف ١ ، ٢ .
(٧) سورة فصلت ٤
(٨) سورة فصلت ٤١
(٩) سورة إبراهيم ٥٢
(١٠) سورة يوسف ٣ .
(١١) سورة عبس ١٣ ، ١٤ .

مَكْنُونٍ﴾[1]، أى اللوح المحفوظ . والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوطٌ موضوعة مجتمعة تدلّ على المعنى المقصود ؛ وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شىء .

وأمّا القرآن فقد اختلفوا فيه ؛ فقيل: هو اسمٌ غير مشتقّ من شىء ؛ بل هو اسمٌ خاصّ بكلام الله ؛ وقيل: مشتقّ من القَرْى، وهو الجمع ؛ ومنه قَرَيْتُ الماء فى الحوض أى جمعته ؛ قاله الجوهرى وغيره[2] .

وقال الراغب : لايقال لكل جمعٍ قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن ؛ ولعلّ مرادَه بذلك فى العرف والاستعمال لا أصل اللغة .

وقال الهروىّ : كل شىء جمعته فقد قرأته .

قال أبو عبيد : سمى القرآن قرآناً ؛ لأنه جَمْع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : سمّى قرآنا لكونه جَمَع ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وقيل : لأنه جَمَع أنواعَ العلوم كلَّها بمعانٍ ؛ كما قال تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3] .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن و « قرأ » مادته بمعنى جَمَع[4] ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[5] فغاير بينهما ؛ وإنما مادته « قرأ » بمعنى أظهر و بيّن، والقارئُ يظهر القرآن و يخرجه ، والقرء : الدم ، لظهوره وخروجه . والقُرْء : الوقت ؛ فإنّ التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل : سمى قرآناً لأن القراءة عنه والتلاوة منه ؛ وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفى تاريخ بغداد للخطيب فى ترجمة الشافعى قال[6] : «وقرأتُ القرآن على إسماعيل

---

(١) سورة الواقعة ٧٨
(٢) اللسان (قرا)
(٣) سورة الأنعام ٣٨
(٤) م : « الجمع »
(٥) سورة القيامة ١٧
(٦) تاريخ بغداد ٢ : ٦٢ .

ابن قسطنطين وكان يقول: القران اسم وليس مهموزا ؛ ولم يؤخذ من «قرأت» ؛ ولو أخذ من « قرأت » لـكان كلُّ ما قرئ [قرآنا][1] ولـكنه اسم للقران ؛ مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ، ولا يهمز القران .

وقال الواحدى : كان ابن كثير يقرأ بغير همز ، وهى قراءة الشافعىّ أيضا . قال البيهقىّ : كان الشافعىّ يهمز «قرأت» ولا يهمز القران ؛ ويقول : هو اسم لـكتاب الله غير مهموز ، قال الواحدىّ : قول الشافعى هو اسم لـكتاب الله، يعنى أنه اسم علم غير مشتق ، كما قاله جماعة من الأئمة .

قال : وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قَرَنْتُ الشئ بالشئ إذا ضممته إليه فسمى بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قِران ، قال : وإلى هذا المعنى ذهب الأشعرىّ .

وقال القرطبىّ : القران بغير همز مأخوذ من القرائن ؛ لأنّ الآيات منه يصدّق بعضها بعضا ؛ ويُشابه بعضها بعضا ، فهى حينئذ قرائن .

قال الزجاج : وهذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ؛ ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ؛ وهذا ما أشار إليه الفارسى[2] فى " الحلبيّات " ؛ وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[3] أى جَمْعه فى قلبك حفظا ، وعلى لسانك تلاوة ، وفى سمعك فهما وعلما . ولهذا قال بعض أصحابنا : إن عند قراءة القارئ تُسْمَع قراءته المخلوقة ، ويفهم منها كلامُ الله القديم ؛ وهذا معنى قوله : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾[4] ، أى

---

(١) تكملة من تاريخ بغداد .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ؛ أبو على الفارسى ؛ توفى سنة ٣٧٧ ببغداد ؛ والحلبيات أحد كتبه التى أسماها المسائل الحلبيات (إنباه الرواة ١ : ٢٧٣)

(٣) سورة القيامة ١٧

(٤) سورة فصلت ٢٦ .

لا تفهموا ولا تعقلوا ، لأن السّمع الطبيعىّ يحصل للسامع شاء أو أبى .

وأما الكلام فمشتق من التأثير ، يقال : كَلَمه إذا أثر فيه بالجرح ، فسمى الكلام كلاما لأنه يؤثر فى ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

* * *

وأما النورَ ؛ فلأنّه يدرَك به غوامضُ الحلال والحرام .

وأما تسميتهُ « هدى » فلأن فيه دلالة بيّنةً إلى الحق ، وتفريقاً بينه و بين الباطل .

وأما تسميته « ذكرا » فلمافيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية ؛ وهو مصدر ذكرت ذكرا ، والذكر : الشرف ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[1] أى شرفكم .

وأما تسميته « تبيانا » فلأنه بيّن فيه أنواع الحق وكشف أدلّته .

وأما تسميته « بلاغا » فلأنه لم يصل إليهم حالُ أخبار النبى صلى الله عليه وسلم و إبلاغه إليهم إلاّ به .

وأما تسميته « مُبينا » فلأنه أبانَ وفرّق بين الحق والباطل .

وأما تسميته « بشيرا ونذيرا » فلأنه بشّر بالجنة وأنذر مِنَ النار .

وأما تسميته « عزيزا » أى يعجز ويعزّ على من يرومُ أن يأتىَ بمثله فيتعذر ذلك عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجتمعَتِ الإِنسُ وَالجنُّ ... [2] ﴾ الآية ، والقديم لا يكون له مثل ؛ إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع . وقيل المراد بالعزيز نفى المهانة عن قارئه إذا عمل به .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠ (٢) سورة الإسراء ٨٨

وأما تسميته «فرقانا» فلأنه فرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، وبه سمي عمر بن الخطاب الفاروق .

وأما تسميته « مثانيَ » فلأن فيه بيان قصص الكتب الماضية ، فيكون البيان ثانيا للأول الذى تقدمه فيبيِّن الأولُ الثانى . وقيل سمى «مثانى» لتكرار الحِكَم والقصص والمواعظ فيه . وقيل : إنه اسم الفاتحة وحدها .

وأما تسميته «وحيا» ومعناه تعريف الشيء خفية ، سواء كان بالكلام؛ كالأنبياء والملائكة، أو بإلهام كالنحل وإشارة النمل ؛ فهو مشتق من الوحَى والعجلة ، لأن فيه إلهاما بسرعة وخفية .

وأما تسميته «حكيما» فلأن آياته أحكمت بذكر الحلال والحرام ، فأحكمت عن الإتيان بمثلها ؛ ومن حكمته أنّ علامته : مَنْ علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش[1] .

وأما تسميته « مصدقا » فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تغيّر وتبدل .

وأما تسميته « مهيمنا » فلأنه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله .

وأما تسميته « بلاغا[2] » فلأنه كان فى الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .

وأما تسميته « شفاء » فلأنه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ، ومن علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .

وأما تسميته « رحمة » فإن مَنْ فهمه وعقله كان رحمة له .

وأما تسميته « قصصا » فلأن فيه قصص الأمم الماضين وأخبارهم .

وأما تسميته « مجيدا » والمجيد الشريف ، فمن شرفه أنه حفظ عن التغيير والتبديل

---

(١) ت : « أن يدع الفواحش »

(٢) سبق تعليل هذه التسمية فى الصفحة السابقة

والزيادة والنقصان ، وجعله معجزا فى نفسه عن أن يؤتى بمثله .

وأما تسميته « تنزيلا » فلأنه مصدر نزّلته ؛ لأنه منزّل من عنـــد الله على لسان جبريل ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهّمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيّه ، فأدّاه هو كما فهمه وعلّمه .

وأما تسميته « بصائر » فلأنه مشتق من البصَر والبصيرة ، وهو جامع لمعانى أغراض المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يابسٍ﴾ [1] وأما تسميته ذكرى فلأنه ذكر للمؤمنين ؛ مافطرهم الله عليه من التوحيد . وأما قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتبنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [2] فالمراد بالزَّبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذى من عند الله تعالى .

وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى "المرشد الوجيز" فى قوله تعالى : ﴿ورزقُ ربِّك خيرٌ وأبقَى﴾ [3] قال : يعنى القرآن . وقال السخاوى : يعنى ما رزقك الله من القرآن خير ممّا رزقهم من الدنيا .

فائدة

ذكر المظفرى [4] فى تاريخه : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سمّوه ، فقال بعضهم :

---

(١) سورة الأنعام ٥٩ (٢) سورة الأنبياء ١٠٥

(٣) سورة إبراهيم ٥٢ (٤) هو القاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبى الدم الحموى ؛ المتوفى سنة ٦٣٢ ؛ وتاريخه اختص بالملة الإسلامية . (كشف الظنون) .

سموه إنجيلا ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سمُّوه السِّفْر ، فكرهوه من يهود . فقال ابن مسعود : رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به .

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السِّلَفِيّ [1] : سمعت أبا الكرم النحوى ببغداد ؛ وسئل : كلٌّ كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ﴾ [2].

---

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ ، توفى سنة ٥٧٦ (ابن خلكان ١ : ٣١) .
(٢) سورة إبراهيم ٥٢ .

النوع السادس عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز

من قبائل العرب

قد تقدم فى النوع الحادى عشر[1] الإشارة إلى الخلاف فى ذلك ، والمعروف أنه بلغة قريش . وحكى عن أبى الأسود الدِّيلىّ أنه نزل بلسان الكعبيْن : كَعْب بن لؤىّ جدّ قريش ، وكَعْب بن عمرو ، جدّ خُزاعة ، فقال له خالد بن سلمة : إنما نزل بلسان قريش ولسان خُزاعة ؛ وذلك أن الدار كانت واحدة .

وقال أبو عبيد فى كتاب " فضائل القرآن " عن ابن عباس رضى الله عنهما : نزل بلغة الكعبيْن : كعب قريش ، وكعب خُزاعة ؛ قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعنى أن خُزَاعة جِيرانُ قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وأما الكَلْبىّ فإنه روى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العَجُز من هَوازن[2] . قال أبو عبيد : العجزُ هم سعد بن بكر ، وجشم [ابن بكر][3] ، ونصر بن معاوية ، وثَقيف ، وهذه القبائل هى التى يقال لها عُلْيا هوازن[4] وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصحُ العرب عليا هوازن وسُفْلى تميم ؛ فهذه عُلْيا هوازن ، وأما سفلى تميم فبنو دارم .

وقال أبو ميسرة : بكل لسان . وقيل : إن فيه من كل لغات العرب ؛ ولهذا قال الشافعى

---

(١) ص ٢١٩ ــ ٢٢١

(٢) نقله ابن فارس فى الصاحبى ص ٢٨

(٣) من كتاب الصاحبى

(٤) ونقل ابن فارس عن أبى عبيد : «وأحسب أفصح هؤلاء بنو سعد بن بكر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر » ، وكان مسترضعا فيهم .

فى " الرسالة " (١) : لا نعلمُه يحيط باللغة إلا نبيّ .

قال الصّيرفى : يريد مَنْ بُعِث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به .

قال : وقد فضَّل الفراء لغةَ قريش على سائر اللغات ؛ وزعم أنهم يسمعون كلامَ العرب فيختارون من كل لغــة أحسَنها ، فصفا كلامُهم . وذكر قبح (٢) عنعنة تميم ، وكشكسَة (٣) ربيعة، وعجرفَة قيس (٤) . وذكر أن عمر رضى الله عنه قال : يا رسول الله ؛ إنّك تأتينـا بـكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحنُ العرب حقًّا ، فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « إنّ ربى علمنى فتعلّمت ، وأدّبنى فتأدبت » .

قال الصّيْرفى : ولست أعرف إسنادَ هذا الحديث ، وإن صحّ فقد دلّ على أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد عرفَ ألسنةَ العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ فى " التمهيد " (٥) : قولُ من قال : نزل بلغة قريش ، معناه عندى : فى الأغلب ، لأن لغة غير قريش موجودة فى جميع القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز . وقد روى الأعمش عن أبى صالح عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرُف صار فى عَجُز هوازن منها خمسة .

وقال أبو حاتم : خصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب ، لقرب جوارهم من مولد

---

(١) هى رسالة الشافعى فى الفقه على مذهبه ؛ رواها جماعة وتنافسوا فى شرحها ؛ ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفى الشافعى ؛ المتوفى سنة ٣٣٠ (وانظر كشف الظنون ٨٧٣ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٢٥)

(٢) عنعنة تميم ، هى قلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عينا ؛ يقولون : سمعت عن فلان قال كذا ، يريدون « أن » . وروى فى حديث قيلة : تحسب « عنى » نائمة ؛ أرادت تحسب « أنى » الصاحبى ٢٤ .

(٣) الكسكسة فى ربيعة : هى أن يصلوا بالكاف سينا ؛ فيقولون : « عليكس » . الصاحبى ٢٤ .

(٤) فى الصاحبى : « عجرفية قيس » وفى اللسان : « والعجرفة والعجرفية : الجفوة فى الـكلام » .

(٥) هو كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزل الوحى ؛ وإنما ربيعة ومضر أخوان . قال : وأحبُّ الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغاتُ قريش ، ثم أدناهم من بطون مُضَر .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك[١] : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا فإنه نزل بلغة التميميين ؛ فمن القليل إدغام : ﴿ وَمَنْ يُشاقِّ اللَّهَ ﴾[٢] فى الحشر ، ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾[٣] فى قراءة غير نافع[٤] وابن عامر[٥] ؛ فإن الإدغام فى المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قلّ ، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾[٦] ، ﴿ وَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾[٧] ، و ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٨] ، ﴿ ويُمْدِدْكُمْ ﴾[٩] ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ ﴾[١٠] فى النساء والأنفال ، ﴿ وَمَنْ يُحَادِدِ اللهَ ﴾[١١] ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾[١٢] ، ﴿ واحْلُلْ عُقْدَةً ﴾[١٣] ، و ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى ﴾[١٤] ، ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾[١٥] .

قال : وأجمع القراء على نَصْب ﴿ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[١٦] لأن لغة الحجازيين

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين الطائى الشافعى ، صاحب الخلاصة ولامية الأفعال ، وإكمال الأعلام لمثلث الكلام ، وغيرها من كتب النحو واللغة . توفى سنة ٦٧٢ . (طبقات الشافعية ٥ : ٢٨)

(٢) سورة الحشر ٤ (٣) سورة البقرة ٢١٧

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم ، أبو عبد الرحمن الليثى ، أحد القراء السبعة . توفى سنة ١٦٩ . (طبقات القراء لابن الجزرى ٢ : ٣٣٣ — ٣٣٤)

(٥) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبى ، إمام أهل الشام فى القراءة ، توفى بدمشق سنة ١١٨ . (طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٣٢٣) .

(٦) سورة البقرة ٢١٧ (٧) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٨) سورة آل عمران ٣١ (٩) سورة نوح ١٢ .

(١٠) سورة النساء ١١٥ ، الأنفال ١٣٠ (١١) سورة التوبة ٦٣ .

(١٢) سورة الحج ١٥ (١٣) سورة طه ٢٧ .

(١٤) سورة طه ٣١ (١٥) سورة طه ٨١ .

(١٦) سورة النساء ١٥٧ .

التزام النصب فى المنقطع ، وإن كان بنو تميم يتبعُونَ ؛ كما أجمعوا على نصب ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾[١] لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين .

وزعم الزمخشرى أن قوله تعالى : ﴿ قل لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾[٢] أنه استثناء منقطع ، جاء على لغة بنى تميم ، ثم نازعه فى ذلك .

---

(١) سورة يوسف ٣١ .

(٢) سورة النمل ٦٥

النوع السابع عشر
معرفة ما فيه من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب ، فلا تجوز قراءته وتلاوته إلا بها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] ،وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا... ﴾[2] الآية.وهذا يدل على أنه ليس فيه غيرُ العربىّ ؛ لأن الله تعالى جعلهُ معجزةً شاهدةً لنبيه عليه الصلاة والسلام ، ودلالةً قاطعةً لصدقه ، وليتحدّى العَرَبَ العرْباء به ، ويحاضرَ البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته ؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ؛ هذا مذهبُ الشافعىّ وهو قول جمهور العلماء ؛ منهم أبو عُبيدة ، ومحمد بن جرير الطبرى ، والقاضى أبو بكر بن الطيّب فى كتاب "التقريب" ، وأبو الحسين بن فارس اللغوىّ وغيرهم .

وقال الشافعىّ فى "الرسالة"[3] فى باب البيان الخامس ما نصّه : « وقد تكلم فى العلم مَنْ لو أمسكَ عن بَعض ماتكلّم فيه لكان الإمساك أولى به ، [وأقرب من السلامة له[4]] ، فقال قائل منهم : إن فى القرآن عربيّا وأعجميّا ، والقرآن يدلّ على أنه ليس فى كتاب الله شىء إلا بلسان العرب ، ووجَد[5] قائل هذا القول مَن قَبِل ذلك منه تقليدا له ، وترْكا للمسألة [له[4]] عن حجته ومسألةِ غيرهممّن خالَفَه ؛ و بالتقليد أغفل مَنْ أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم » . هذا كلامه .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : إنّما أنزل القرآن بلسان عربىّ مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظمَ القول[6] ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول . قال :

---

(1) سورة يوسف ٣ . (2) سورة فصلت ٤٤ .

(3) الرسالة ص ٤١ تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٤٠ .

(4) تكملة من الرسالة (5) فى الأصول «وجدنا» ؛ وما أثبته عن الرسالة .

(6) نقله الجواليقى فى المعرب ٤ « عن أبى عبيد قال : سمعت أبا عبيدة يقول : من زعم أن فى القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول » .

ومعناه أتى بأمر عظيم ؛ وذلك أنّ القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهّم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفى ذلك مافيه. و إن كان كذلك فلا وجهَ لقول من يُجيز القراءة فى الصلاة بالفارسية ؛ لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير، وهذا لايقول به أحد . انتهى .

وممن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة ؛ لكن صح رجوعه عن ذلك . ومذهبُ ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع فى القرآن ماليس من لغتهم .

فمن ذلك « الطور » : جبل بالسريانية . و « طفقا » أى قصدا بالرومية . والقسط والقسطاس : العدل بالرومية . ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [1] : تبنا بالعبرانية . والسجلّ [الكتاب] [2] بالفارسية . والرقيم : اللوح بالرومية . والمُهْل : عكر الزيت بلسان أهل المغرب . والسّندس : الرقيق من الستر بالهندية . والإستبرق : الغليظ بالفارسية بحذف القاف [3] . السرىّ : النهر الصغير باليونانية . طَهَ : أى طأ يا رجل بالعبرانية . يُصْهَر : أى ينضج بلسان أهل المغرب . سينين [4] : الحَسَن بالنبطية . المشكاة : الكوّة بالحبشية وقيل الزجاجة تسرج . الدرىّ : المضىء بالحبشية . الأليم : المؤلم بالعبرانية . ﴿ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ [5] : أى نضجه بلسان أهل المغرب . ﴿ المِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾ [6] : أى الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة . ﴿ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ [7] : أى أمامهم

---

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٢) من كتاب الإتقان ١ : ١٣٨ ، وفى المعرب ١٩٤ : « قوله تعالى: ﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾ ؛ قيل : السجل بلغة الحبشة الرجل ؛ وقيل كاتب للنبى عليه السلام ... قال أبو بكر سجل : كتاب ، والله أعلم » .

(٣) فى المعرب ١٥ : « الإستبرق : غليظ الديباج ، فارسى معرب ، وأصله : (استفره) » .

(٤) الكلمة محرفة فى الأصول ، والتصويب من الإتقان ١ : ١٣٩ ، والمعرب ١٩٨ ؛ وفيه : وقيل : مبارك ؛ وقيل: هو الجبل الذى نادى الله منه موسى » .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣ (٦) سورة ص ٧ .

(٧) سورة الكهف ٧٩ .

بالقبطية . اليمّ : البحر،بالقبطية . بطائنها [١] :، ظواهرها بالقبطية . الأبّ : الحشيش ، بلغة أهل المغرب . ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [٢] قال ابن عباس:نشأ بلغة الحبشة: قام من الليل. ﴿ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [٣] قال أبو موسى الأشعرىّ رضى الله عنه : « ضِعفَيْن » بلغة الحبشة . القسورة : الأسد بلغة الحبشة .

واختار الزمخشرىّ أن التوراة والإنجيل أعجميّان ، ورجح ذلك بقراءة « الأنجيل » بالفتح ، ثم اختلفوا،فقال الطبرى : هذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر اللغات إنّما اتفق فيها أن تتوارد اللغات،فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد . وحكاه ابن فارس عن أبي عبيد .

وقال ابن عطية[٤] : «بل كان للعرب[٥] العاربة التى نزل القرآن بلغتهم[٦] بعض مخالطة[٧] لسائر الألسن بتجارات ، و برحلتى قريش ، و بسفر مسافرين ، كسفر أبى عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة،وصحبته [لنصاراها][٨] مع كونه حجة فى اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية،غيّرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت فى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرتْ مجرى العربىّ الفصيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربىّ فكجهله الصريح بما فى لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر »،إلى غير ذلك . قال : فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهى عربية بهذا الوجه».

---

(١) من قوله تعالى فى سورة الرحمن ٥٤ . ﴿ بَطَائِنُهَا من إِسْتَبْرَقٍ ﴾ .
(٢) سورة المزمل ٦ .
(٣) سورة الحديد ٢٨ .
(٤) من مقدمة كتابه فى التفسير ص ٢٧٧
(٥) المقدمة : « فإنه قد كان. »
(٦) المقدمة : « بلسانها » .
(٧) فى المقدمة : « مخالفة » تصحيف .
(٨) من المقدمة .

قال: « وما ذهب إليه الطبرى من أنّ اللغتين اتفقتا فى لفظه[1] فذلك بعيد؛ بل إحداهما أصل والأخرى فرع فى الأكثر، لأنّا لا ندفع أيضا جواز الاتفاقات[2] إلا قليلا شاذا ».

وقال القاضى أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك : إنما وجدتْ هذه فى كلام العرب ؛ لأنها أوسعُ اللغات وأكثرُها ألفاظا ، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ ، وقد ثبت أنّ النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[3] .

وحكى ابن فارس عن أبى عبيد القاسم بن سلاّم أنه حكى الخلاف فى ذلك ، ونسب القولَ بوقوعه إلى الفقهاء ، والمنعَ إلى أهل العربية. ثم قال أبو عبيد[4] : « والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولُها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن، وقد اختلطتْ هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق ». قال : « وإنما فسر هذا لئلا يُقدِم أحد على الفقهاء فينسبَهم إلى الجهل، ويتوهّم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أراده [الله جلّ وعز][5] ، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيما للقرآن » .

قال ابن فارس[6] : « وليس كلّ من خالف قائلا فى مقالته ينسبه[7] إلى الجهل ، فقد[8] اختلف الصدر الأول فى تأويل [آى من][5] القرآن »[9] .

قال : « فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره » .

---

(١) المقدمة : « لفظة لفظة » .
(٢) المقدمة : « الاتفاق » .
(٣) سورة إبراهيم ٤
(٤) نقله ابن فارس فى الصاحبى ٢٩
(٥) من كتاب الصاحبى
(٦) المصدر نفسه
(٧) الصاحبى : « فقد نسبه » .
(٨) الصاحبى : « وذلك أن الصدر »
(٩) تتمة الكلام : « فخالف بعضهم بعضا ، ثم خلف من بعدهم خلف ، فأخذ بعضهم بقول ، وأخذ بعض بقول ، حسب اجتهادهم وما دلتهم الدلالة عليه » .

النوع الثامن عشر
معرفة غريبه

وهو معرفةُ المدلول ؛ وقد صنّف فيه جماعة ؛ منهم أبو عبيد كتاب " المجاز "، وأبو عمر غلام ثعلب [1] : " ياقوتة الصراط" . ومن أشهرها كتاب ابن عُزَيْز [2] ، و " الغريبين " [3] للهروى . ومن أحسنها كتاب " المفردات " للراغب .

وهو يتصيّد المعانى من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة . قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح : وحيث رأيت فى كتب التفسير : «قال أهل المعانى » فالمراد به مصنفو الكتب فى معانى القرآن ، كالزجّاج ومن قبله .. وفى بعض كلام الواحدىّ : «أكثر أهل المعانى : الفراء والزجاج وابن الأنبارىّ قالوا كذا» . انتهى .

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : اسما وفعلا وحرفا ؛ فالحروف لقلّتها تكلم النحاة على معانيها ؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة . وأكثر الموضوعات فى علم اللغة كتاب ابن سيّد [4] ؛ فإن الحافظ أبا محمد على بن أحمد الفارسىّ ذكر أنه فى مائة سِفْر ؛ بدأ

---

(١) هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ، توفى سنة ٣٤٥ .(إنباه الرواة ٣ : ١٧١)

(٢) هو محمد بن عزيز العزيزى السجستانى ، صاحب كتاب غريب القرآن ؛ قال السيوطى فى الإتقان ١ : ١١٣ : « أقام فى تأليفه يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنبارى) ؛ وتوفى سنة ٣٣٠ .(بغية الوعاة ٧٢)

(٣) يعنى غريب القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروى المتوفى سنة ٤٠١ (وانظر كشف الظنون ١٢٠٩).

(٤) فى الأصل : « ابن السيد » تصحيف ؛ وهو أحمد بن أبان بن سيد القرطبي ، توفى سنة ٣٨٢ ؛ وكتابه هو : « العالم فى اللغة » مرتب على الأجناس ؛ ذكره القفطى وياقوت ،(وانظر معجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ ، وإنباه الرواة ١ : ٣٠) .

بالفلك وختم بالذرّة . ومن الكتب المطوّلة كتاب الأزهرى و" الموعب "[١] لابن التيّانىّ و" المحكم " لابن سِيده[٢] ، وكتاب " الجامع " للقزاز[٣] " ، والصحاح " للجوهرى[٤] ، و" البارع " لأبى على القالى[٥] ، ومجمع " البحرين " للصاغانى[٦] .

ومن الموضوعات فى الأفعال كتاب ابن القوطية[٧] ، وكتاب ابن طريف[٨] ، وكتاب السَّرقُسطى المنبوز بالحمار[٩] ، ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع[١٠] .

ومعرفة هذا الفن للمفسّر ضرورىّ ، و إلا فلا يحلّ له الإقدام على كتاب الله تعالى . قال يحيى بن نضلة المدينى : سمعتُ مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل يفسّر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نَكالا .

وقال مجاهد : لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب .

---

(١) فى الأصول « المستوعب » ؛ وصوابه من التاج (تين) ، جاء فيه : « هو أبو غالب تمام بن غالب بن عمرو المرسى التيانى ، صاحب الموعب وشارح الفصيح » .

(٢) هو على بن إسماعيل بن سيده الضرير ، صاحب المخصص والمحكم ؛ توفى سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القيروانى القزاز ؛ من شيوخ المغرب ؛ توفى سنة ٤١٢ . (بغية الوعاة)

(٤) هو إسماعيل بن حماد أبو نصر ؛ إمام اللغة والأدب فى عصره ، توفى سنة ٣٩٣ (بغية الوعاة ١٩٥) .

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادى المعروف بالقالى ؛ صاحب الأمالى والنوادر والبارع ، توفى سنة ٣٥٦ (بغية الوعاه ١٩٨) .

(٦) هو الإمام حسن بن محمد الصغانى ، المتوفى سنة ٦٥٠ ؛ جمع فى كتابه بين كتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ، وبين كتاب التكملة والذيل والصلة من تأليفه (كشف الظنون ١٥٩٩) .

(٧) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي المعروف بابن القوطية ؛ صاحب كتاب تصاريف الأفعال وغيرها . توفى سنة ٣٦٧ (بغية الوعاة ٨٤) .

(٨) هو عبد الملك بن طريف الأندلسى ؛ أخذ عن أبى بكر بن القوطية ؛ وتوفى فى حدود سنة ٤٠٠ ، (بغية الوعاة ٣١٣) .

(٩) هو أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطى المنبوز بالحمار ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٣٣ .

(١٠) هو على بن جعفر بن على السعدىّ الصقلى المعروف بابن القطاع ؛ صاحب كتاب الدرة الخطيرة فى شعر أهل الجزيرة ؛ وكتاب تهذيب الأفعال . توفى بمصر سنة ٥١٥ (إنباه الرواة ٢ : ٢٣٨) .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتمونى عن غريب اللغة فالتمسوه فى الشعر ؛ فإنّ الشعر ديوان العرب .

وعنه فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾[1] قال : « ما جمع » وأنشد :

إنّ لنـا قلا ئصاً حقائقا   مستوثقات لو يجدن سائقا[2]

وقال : ما كنت أدرى ماقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[3]، حتى سمعت ابنة ذى يزن الحميرىّ وهى تقول : أفاتحك ، يعنى أقاضيك . وفى سورة السجدة : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4] يعنى متى هذا القضاء وقوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[5] وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾[6] .

وقال أيضاً : ما كنت أدرى مافاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيّان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما ؛ أنا فطرتها ، يعنى ابتدأتها .

وجاءه رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس : مافعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء ، فقال ابن عباس : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[7] . قال : ولد الولد .

ومسائل نافع[8] له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس فى كل جواب

---

(١) سورة الانشقاق ١٧

(٢) اللسان (وسق) ونسبه إلى العجاج .

(٣) سورة الأعراف ٨٩

(٤) سورة السجدة ٢٨

(٥) سورة سبأ ٢٦

(٦) سورة الفتح ١

(٧) سورة هود ٧١

(٨) نقلها السيوطى فى الإتقان ١ : ١٢٠ ــ ١٣٣ ، وجاء فى صدرها : « بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ؛ فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عمابدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ ، فقال : العزون : حلق الرفاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرَعون إليه حتّى   يكونوا حول منبره عِزِينَا

ثم ساق بقية المسائل ...

بيت ذكرها الأنبارى فى كتاب «الوقف والابتداء» بإسناده ، وقال : فيه دلالة على بطلان قول مَنْ أنكر على النحويين احتجاجَهم على القرآن بالشعر ، وأنّهم جعلوا الشِّعْر أصلا للقرآن ، وليس كذلك ، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرْف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ إنَّا أنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبيًّا ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2] .

وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى عليهم الحرفُ من القرآن الذى أنزله اللهُ بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم ، فالتمسوا معرفة ذلك . ثم إن كان ماتضمّنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان مايوجب العلم لم يكف ذلك ، بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ ، وتكثر شواهده من الشعر .

وينبغى العناية بتدبّر الألفاظ كى لا يقع الخطأ ، كما وقع لجماعة من الكبار ، فروَى الخطابى عن أبى العالية أنه سئل عن معنى قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[3] فقال : هو الذى ينصرف عن صلاته ولايدرى عن شفع أو وتر ، قال الحسن : مَهْ ياأبا العالية ! ليس هكذا ، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم ، ألا ترى قوله : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾ ! فلمّا لم يتدبر أبو العالية حرف « فى » و « عن » تنبه له الحسن ؛ إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال : « فى صلاتهم » ، فلما قال : « عن صلاتهم » دلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت ، ولذلك قال ابن قتيبة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾[4] أنه من عَشَوْت أعشو عشوا إذا نظرت ؛ وغلّطوه فى ذلك ، وإنما معناه يعرِض ؛ وإنما غلِط لأنه لم يفرق بين عشوتُ إلى الشىء وعشوت عنه .

---

(١) سورة يوسف ٢

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٣) سورة الماعون ٥

(٤) سورة الزخرف ٣٦

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾[1] قال : فارغا من الحزن ، لعلمها أنه لم يغرق ؛ ومنه « دم فراغ »، أى لا قَوَدَ فيه ولا ديةَ .

وقال بعض الأدباء : أخطأ أبو عبيدة فى المعنى ؛ لو كان قلبُها فارغا من الحزن عليه لما قال: ﴿ لوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾[1] لأنها كادت تبدى به .

وهـذا الباب عظيمُ الخطر ؛ ومن هنا تهيَّبَ كثيرٌ من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذرا أن يزِلّوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء فى الدين . وكان الأصمعىُّ وهو إمام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ، وحكى عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[2] فسكت وقال : هذا فى القرآن ، ثم ذكر قولا لبعض العرب فى جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهى لـكم شغاف ! ولم يزد على هذا . ولهذا حثَّ النبى صلى الله عليه وسلم على تعلّم إعراب القرآن وطلب معانى العربية .

واعلم أنَّه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شىء من كلام الله ، ولا يكفى فى حقه تعلُّم اليسير منها ؛ فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر؛ وهذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من أفصح قريش ؛ سئل أبو بكر عن « الأبّ » فقال أبو بكر : أىّ سماء تظلّنى، وأى أرض تقلّنى إذا قلت فى كلام الله ما لا أعلم ! وقرأ عمر سورةَ «عَبَس»، فلما بلغ «الأبّ[3]» قال : الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبّ ؟ ثم قال : لعمرك يا ابن الخطّاب إن هذا لهو التـكلّف . وروى عنه أيضا أنه قال : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾[4] : وفى رواية قال : فما الأبّ ؟ ثم قال : ما كلّفنا ، أو ما أمرنا بهذا .

وما ذاك بجهل منهما لمعنى «الأبّ» ؛ وإنما يحتمل والله أعلم أن «الأبّ» من الألفاظ المشتركة فى لغتهما أو فى لغات، فخشيا إنْ فسراه بمعنًى من معانيه أن يكون المراد غيره ؛ ولهذا اختلف

---

(١) سورة القصص ١٠
(٢) سورة يوسف ٣٠ .
(٣) سورة عبس ٣١
(٤) سورة آل عمران ٧

المفسرون في معنى «الأبّ» على سبعة أقوال ؛ فقيل : ما ترعاه البهائم ، وأما ما يأكله الآدميّ فالحصيد . والثاني: التبن خاصة . والثالث: كلّ ما نبت على وجه الأرض . والرابع: ما سوى الفاكهة . والخامس : الثمار الرطبة ، وفيه بُعد ، لأنّ الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة ؛ ولا يقال أفردت للتفضيل ، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو : ﴿ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾. والسادس : أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأبّ . والسابع أنه للأنعام كالفاكهة للناس.

ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين : أحدهما أن يكون خفيَ عليه معناه وإن شهر ، كما خفي على ابن عباس معنى « فاطر السموات » . والثاني تخويفَ غيرِه من التعرّض للتفسير بما لا يعلم ؛ كما كان يقول : أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم ، يريد الاحتراز ؛ فإن من احترز قلَّتْ روايته .

النوع التاسع عشر
معرفة التصريف

وهو ما يلحق الكلمة ببنيتها[1] ، وينقسم قسمين:

أحدها جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعانى . وينحصرُ فى التصغير ، والتكبير[2] ، والمصدر ، واسمَىِ الزمان والمكان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والمقصور ، والممدود .

والثانى تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها . وينحصر فى الزيادة ، والحذف ، والإبدال ، والقلب ، والنقل ، والإدغام .

وفائدة التصريف حصولُ المعانى المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ؛ فالعلم به أهمّ من معرفة النحو فى تعرّف اللغة ؛ لأن التصريف نظرٌ فى ذات الكلمة، والنحو نظر فى عوارضها[3] .

وهو من العلوم التى يحتاج إليه المفسّر .

قال ابن فارس[4] : من فاته علمه فاته المعظم ؛ لأنا نقول « وجد » كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت[5] ، فقلنا فى المال « وُجْدا » وفى الضالة : « وجدانا » وفى الغضب « مَوْجِدة » وفى الحزن « وَجْدا » وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ

---

(١) ت : « بنفسها »
(٢) م : « التكسير » .
(٣) ت : « معارضها » .
(٤) الصاحبي ١٦٢
(٥) فى الصاحبي: « أفصحت ».

حَطَبًا ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢] ؛ فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل[٣] .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ؛ فيقولون للطريق في الرمل : « خِبَّة » ، وللأرض المخصبة والمجدبة « خُبَّة »[٤] ، وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهريّ أن مادة « د كر » بالدال المهملة مهملةٌ غير مستعملة ، فكتب التاج الكندى[٥] على الطُّرة ما ذكرَ أنه مهمل : مستعمل ، قال الله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٦] ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[٧] . وهذا الذى قاله سهو أوجبه الغفلة عن قاعدة التصريف ؛ فإن الدال في الموضعين بدل من الذال ؛ لأن ادّكر أصله « اذتكر » افتعل من الذكر ، وكذلك مدّكر أصله « مذتكر » مفتعل من الذكر أيضا ، فأبدلت التاء دالا والذال كذلك ، وأدغمت إحداهما في الأخرى فصار اللفظ بهما كما ترى .

وقال الزمخشرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾[٨] سهل لهم ركوبَ[٩] المعاصي[١٠] ، من السَّوَل وهو الاسترخاء ، وقد اشتقه من السُّؤْل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا ـ يعرِّض بابن السِّكِّيت .

وقال أيضا :[١١] من بدع التفاسير أن « الإمام » في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[١٢] جمع « أم » وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بأمّهاتهم دون

---

(١) سورة الجن ٤

(٢) سورة الحجرات ٩

(٣) في الصاحبي : « من العدل إلى الجور »

(٤) كذا في الأصول والصاحبي ، وفي اللسان : « الخبة : أرض بين أرضين ، لا مخصبة ولا مجدبة »

(٥) هو أبو اليمن زيد بن الحسن المعروف بالتاج الكندى ، البغدادى مولدا ، الدمشقى دارا ووفاة من علماء النحو واللغة والقراءات ؛ توفى سنة ٦١٣ (إنباه الرواة ٢ : ١٢) .

(٦) سورة يوسف ٤٥

(٧) سورة القمر ١٥

(٨) القتال ٢٥

(٩) الكشاف ٢ : ٣٨٠

(١٠) في الكشاف : « العظائم »

(١١) الكشاف ١ : ٥٥٣

(١٢) سورة الإسراء ٧١

آبائهم [١] ، لئلا يفتضح أولاد الزنا . قال : وليت شعرى أيهما أبدع ، أصحة لفظة أمه أمْ [بهاء] [٢] حكمته .

يعنى أن « أمّا » لا يجمع على « إمام » ، هـذا كلام من لا يعرف الصناعة ، ولا لغة العرب .

وقال الراغبَ فى قوله تعالى : ﴿ فادّارأْتُمْ فِيها ﴾ [٣] : هو « تفاعلتم » [٤] ، [أصله : « تدارأتم »] [٥] ، فأريد منه الإدغام تخفيفا ، وأبدل من التاء دال ، [فسكن للإدغام] [٢] فاجتُلِبتْ لها ألف الوصل ، فحصَل على « افّاعلتم » [٦] .

وقال بعض الأدباء : ﴿ ادّارأْتُمْ ﴾ « افتعلتم » ؛ وغلِط من أوجه :

أولا : أن ﴿ ادّارَأْتُمْ ﴾ على ثمانية أحرف ، و« افتعلتم » على سبعة أحرف .

والثانى : أن الذى يلِى ألف الوصل تاء فجعلها دالا .

والثالث : أن الذى يلِى الثانى دال ، فجعلها تاء .

والرابع : أن الفعلَ الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال [منه] [٢] إلاّ متحركا ، وقد جعله هذا ساكنا .

والخامس : أن ها هنا قد دخل بين التاء والدال زائد ، وفى « افتعلت » لا يدخل ذلك .

والسادس : أنه أنزل الألف منزلة العين ، وليست بعين .

---

(١) كذا فى الأصول ، وعبارة الكشاف : « وأن الحكمة فى الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وألا يفتضح أولاد الزنا . . . » .

(٢) من الكشاف

(٣) سورة البقرة ٧٢

(٤) مفردات الراغب ١٦٨ — ١٦٩

(٥) تكملة من المفردات

(٦) فى الأصول : « تفاعلتم » ؛ صوابه من المفردات .

والسابع : أن تاء « افتعل » قبله حرفان، وبعـــده حرفان و ﴿ ادَّارَأتم ﴾ بعدها ثلاثة أحرف .

وقال ابن جنى [1] : من قال : « اتخذت » « افتعلت » من الأخذ ؛ فهو مخطئٌ . قال : وقد ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج ، وأنكره عليه أبو علىّ ؛ وأقام الدلالة على فساده ، وهو أنّ ذلك يؤدى إلى إبدال الهمزة تاء ، وذلك غير معروف .

---

(١) هو أبوالفتح عثمان بن جنى ؛ صاحب الخصائص وسر الصناعة والتصريف وغيرها من كتب النحو واللغة . توفى سنة ٣٩٢ ، نزهةالألباء ٤٠٦ .

النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها

ويؤخذ ذلك من علم النحو ، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضحها كتاب " الحوفى "[1] ومن أحسنها كتاب " المشكل "[2] ، وكتاب أبى البقاء العكبرى[3] ، وكتاب المنتجب الهمذانى[4] وكتاب الزمخشرى[5] ، وابن عطية[6] ، وتلاهم الشيخ أبو حيان[7] .

قالوا : والإعراب يبين المعنى ؛ وهو الذى يميّز المعانى ، ويوقِف على أغراض المتكلمين ؛ بدليل قولك : ما أحسن زيدا ، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن ، وكذلك

---

(١) هو أبو الحسن على بن إبراهيم الحوفى المصرى ؛ توفى سنة ٤٣٠ وهو صاحب كتاب البرهان فى تفسير القرآن ؛ قال صاحب كشف الظنون : « ذكر فيه الغريب والأعراب والتفسير » ، وقال القفطى : «صنف تصنيفا كبيرا فى إعراب القرآن أبدع فيه ، تنافس العلماء فى تحصيله ، وسمعت أن أحد المشتهرين بهذا النوع ابتاع منه نسخة بمصر فى عشر مجلدات ، وأحضرها إلى مدينته بالشام ، وهو غير عالم بقدرها ولا عارف بمصنفها ، ولما تنبه على جلالتها اشتد حفظه لها ، وضنه بها تقليدا ، وادخرها لولده إن طلع من أهل هذا الشأن » وفى دار الكتب المصرية أجزاء قيمة من هذا الكتاب برقم ٥٩ تفسير (وانظر إنباه الرواة ٢ : ٢١٩ ، وحسن المحاضرة ٢ : ٢٢٨ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) هو كتاب مشكل اعراب القرآن ألفه مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧ ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة مدينة باستانبول .

(٣) هو كتابه المسمى : إملاء ما من به الرحمن ، من وجوه الإعراب والقراءات فى القرآن ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢١ .

(٤) قال ابن الجزرى : كان رأسا فى القراءات والعربية . . . وأعرب القرآن العظيم إعرابا متوسطا . . . توفى سنة ٦٤٣ (طبقات القراء ٢ : ٣١١)

(٥) فى كتابه الكشاف ، معروف متداول .

(٦) هو الإمام عبد الحق بن غالب ، المتوفى سنة ٥٤٦ ؛ صاحب كتاب المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠ تفسير .

(٧) هو أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين ، المعروف بأبى حيان النحوى ، صاحب كتاب البحر المحيط فى التفسير ، طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

فرقوا بالحركات وغيرها بين المعانى، فقالوا: مِفتح للآلة التى يفتح بها، ومَفتَح لموضع الفتح، ومِقَصّ للآلة، ومَقَصّ للموضع الذى يكون فيه القصّ . ويقولون : امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل يشاركها فى الطهارة .

وعلى الناظر فى كتاب الله ،الكاشف عن أسراره النظر فى هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها ، ككونها مبتدأ أو خبرا،أو فاعلة أو مفعولة ، أوفى مبادئ الكلام أو فى جواب ، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير ،أوجمع قلّة أو كثرة ، إلى غير ذلك .

* * *

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدها —وهو أول واجب عليه— أن يفهم معنى ما يريد أن يعرَبه مفردا كان أو مركبا قبل الإعراب ؛ فإنه فرع المعنى ؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابَه الذى استأثره الله بعلمه ؛ ولهذا قالوا فى توجيه النصب فى « كلالة » فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ [1] أنه يتوقف على المراد بالكلالة ؛ هل هو اسم للميت أو للورثة أو للمال ؛ فإن كان اسما للميت فهى منصوبة على الحال ؛ وإنّ كان تامة لا خبر لها بمعنى وُجِد . ويجوز أن تكون ناقصة والكلالة خبرها ، وجاز أن يخبر عن النكرة لأنها قد وصفت بقوله: « يُورث » والأول أوجه . وإن كانت اسماً للورثة فهى منصوبة على الحال من ضمير ﴿ يورث ﴾ لكن على حذف مضاف ، أى ذا كلالة ، وعلى هذا فكان ناقصة «ويورث» خبر . ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة . ويجوز أن يكون خبرا فتكون صفته . وإن كانت اسما للمال فهى مفعول ثان ليورث ، كما تقول: ورثت زيدا مالا وقيل تمييز ، وليس بشىء . ومَنْ جعل الكلالة الوراثة فهى نعت لمصدر

---

(١) سورة النساء ١٢ .

محذوف ، أى وارثة كلالة ، أى يورّث بالوراثة التى يقال لها : الكلالة ، هذا كله على قراءة ﴿يورَث﴾ بفتح الراء ، فأما من قرأ ﴿ يُورِث﴾ بكسرها مخففة أو مشدّدة ، فالكلالة هى الورثة أو المال .

ومن ذلك « تقاة » فى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [١]، فى نصبها ثلاثة أوجه مبنيّة على تفسيرها . فإن كانت بمعنى الاتقاء فهى مصدر كقوله تعالى : ﴿ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ [٢] ، و إن كانت بمعنى المفعول أى أمرا يجب اتقاؤه ، فهى نصب على المفعول به ، و إن كانت جمعا كرام ورماة ، فهى نصب على الحال .

ومن ذلك إعراب « أحْوَى » من قوله : ﴿ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ [٣]،وفيه قولان متضادان : أحدهما أنه الأسود من الجفاف واليبس ، والثانى أنه الأسود من شدة الخضرة ، كما فسّر ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ [٤] فعلى الأول هو صفة لغُثاء ، وعلى الثانى هو حال من المرعى ، وأخّر لتناسب الفواصل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ﴾ [٥] ؛ فإنه قيل : الكفات : الأوعية ، ومفردها « كِفْت » والأحياء والأموات كناية عما نبت وما لا ينبت، وقيل : الكِفات مصدر كَفَتَه إذا ضمّه وجَمَعَه ؛ فعلى الأول ﴿ أحياء وأمواتاً ﴾ صفة لكفاتا ؛ كأنه قيل : أوعية حيّة وميّتة، أو حالان ؛ وعلى الثانى فهما مفعولان لمحذوف ، ودلّ عليه ﴿ كفَاتا ﴾ أى يجمع أحياء وأمواتا .

ومنه قوله : ﴿ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [٦] فإنه إن كان المراد به القرآن ، فمن للتبعيض ، والقرآن حينئذ من عطف العام على الخاص ؛ و إن كانت الفاتحة فمن لبيان الجنس ، أى سبعا هى المثانى .

---

(١) سورة آل عمران ٢٨
(٢) سورة نوح ١٧
(٣) سورة الأعلى ٥
(٤) سورة الرحمن ٦٤
(٥) سورة المرسلات ٢٥
(٦) سورة الحجر ٨٧ .

تنبيه : قد يقع فى كلامهم : هذا تفسير معنى ، وهذا تفسير إعراب . والفرق بينهما أن تفسيرَ الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك ، وقد قال سيبويه فى قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ ﴾(١) : « تقديره(٢) مثلك يا محمد(٣) ، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به » .

واختلف الشارحون فى فهم كلام سيبويه ، فقيل : هو تفسير معنى ، وقيل : تفسير إعراب ؛ فيكون فى الكلام حذفان : حذفٌ من الأول وهو حذف داعيهم، وقد أثبت نظيره فى الثانى ، وحذفٌ من الثانى وهو حذف المنعوق ، وقد أثبت نظيره فى الأول ؛ فعلى هذا يجوز مثل ذلك فى الكلام .

* * *

والثانى : تجنُّب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة ، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ؛ قال الزمخشرى فى كشّافه القديم : القرآن لا يُعمل فيه إلّا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دونَ الشاذّ النادر الذى لا يُعثر عليه إلا فى موضع أو موضعين . وبهذا يتبيَّنُ غلط جماعة من الفقهاء والمعربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾(٤) فى قراءة الجر ؛ وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ؛ ولأنه إنما يُصار إليه إذا أُمِن اللَّبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يجىء مع عدم حرف العطف، وهو ها هنا موجود . وأيضا فنحن فى غُنية عن ذلك كما قاله سيبويه : إنّ العرب يقرُب عندها المسحُ من الغسل ؛ لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا فى المعنى حصل العطف كقوله :

* متقلّداً سَيْفاً ورُمحا *(٥)

---

(١) سورة البقرة ١٧١ (٢) الكتاب ١ : ١٠٨

(٣) الكتاب : « وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفرو . . . »

(٤) سورة المائدة ٦ .

(٥) صدره : * يَالَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا *

وهو لعبدالله بن الزبعرى ؛ كما فى حوشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ ليبسك . وأنظر أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٠ .

ومهما أمكن المشاركةُ فى المعنى حَسُن العطف وإلا امتنع ؛ فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر ،وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف فى قوله تعالى: ﴿ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا ﴾[١] ؛ فإنما أجيز فى الكلام ، لأنه رُدَّ إلى الأصل ، والعطفُ على الجِوار خروج عن الأصل ، فافترقا .

* * *

الثالث : تجنّب لفظ الزائد فى كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلامَ لا يختل معناه بحذفها ؛ لا أنه لا فائدة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يحتمل من متكلّم ، فضلا عن كلام الحكيم .

وقال ابن الخشاب "فى المعتمد" : اختلف فى هذه المسألة ، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد فى القرآن نظرا إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارَفهم،وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لا يرى الزيادة فى شىء من الكلام ويقول:هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصّها، فلا أقضى عليها بالزيادة ، ونقله عن ابن درستويه . قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنًى لا حاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث ، فتعين أنَّ إلينا به حاجة ، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ، فليست الحاجةُ إلى اللفظ الذى زِيد عندها ولا زيادة ، كالحاجة إلى الألفاظ التى رأوها[٢] مزيدة عليه ، وبه يرتفع الخلاف .

وكثير من القدماء يسمّون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه مقحَما ، ويقع ذلك فى عبارة مستوية .

* * *

---

(١) سورة الإنسان ٤ . (٢) ت : « إلى اللفظ الذى رأوه زائدة عليه » .

الرابع : تجنب الأعاريب التي هى خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجويز الزمخشرى فى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ [١] فى سورة الحشر ، أن يكون بدلا من قوله : ﴿ وَلِذِى الْقُرْبَى ﴾ [٢] ، وهذا فَصْلٌ كبير ، وانما حمله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لا يستحق القريب بقرابته بل لكونه فقيرا ، والشافعى يخالفه . ونظيره إعراب بعضهم : ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [٣] بدلا من المجرور فى قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [٤] .

* * *

الخامس: تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ،ولا يجوّز فيه جميعُ ما يجوّزه النحاة فى شعر امرئ القيس وغيره ، وأن نقول فى نحو : ﴿ اغفر لنا ﴾ و ﴿ اهدنا ﴾ فِعلَ دعاء أو سؤال، ولا نقول : فعلَ أمر ، تأدّبا ، من جهة أن الأمر يستلزمُ العلوّ والاستعلاء ، على الخلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدى[٥] فى " البصائر " : سألت السّيرافى عن قوله تعالى : ﴿ قائما بالقسط ﴾ [٦] بما انتصب ؟ قال: بالحال ، قلت : لمن الحال ؟ قال: لله تعالى ، قلت : فيقال لله حال ؟ قال : إن الحالَ فى اللفظ لا لمن يُلْفَظ بالحال عنه ؛ ولكنّ الترجمة لا تستوفى حقيقة المعنى فى النفس إلا بعد أن يصوغ الوهمُ هذه الأشياء صياغةً تسكُن إليها النفس ، وينتفع بها القلب ، ثم تكون حقائق الألفاظ فى مُفادها غير معلومة ولا منقوضة باعتقاد ، وكما أن المعنى على بعد من اللفظ ، كذلك الحقيقة على بعد من الوهم .

* * *

---

(١) سورة الحشر ٨ — (٢) سوه الحشر ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣ — (٤) سورة الأنبياء ١ .

(٥) هو على بن محمد بن العباس المعروف بأبى حيان التوحيدى ؛ التوفى سنة ٣٨٠ ، وكتابه البصائر من أمتع ماألف من الكتب ، طبع الجزء الأول منه فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ، بتحقيق الأستاذين : أحمد أمين والسيد احمد صقر .

(٦) سوة آل عمران ١٨

السادس : البحث على الأصلى والزائد ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾(١) فإنه قد تتوهم «الواو» فى الأولى ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون مع « أن » ، وليس كذلك ؛ بل الواو هنا لام الكلمة ، والنون ضمير جمع المؤنث ، فبنى الفعل معها على السكون ؛ فإذا وُصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ؛ ومثله : « النساء يرجون» ، بخلاف : «الرجال يرجون» ، فإن الواو فيه ضمير الجمع ، والنون حرفٌ علامة للرفع ؛ وأصله « يَرْجُوون » أعلّت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف ، فإذا دخل الجازم حذف النون ؛ وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف فى التقدير .

* * *

وكذلك يُبحث عما تقتضيه الصناعة فى التقدير ، ولا يؤخذ بالظاهر ، ففى نحو قوله تعالى : ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾(٢) يتبادر إلى الذهن أن ﴿مرحباً﴾ نصب ، اسم لا ، وهو فاسد ، لأن شرط عملها فى الاسم ألّا يكون معمولاً لغيرها ؛ وإنما نصب بفعل مضمر يجب إضماره، و ﴿لا﴾ دعاء ، و ﴿بهم﴾ بيان للمدعو عليهم . وأجاز أبو البقاء أن ينصب(٣) على المفعول به ، أى لا يسمعون مرحبا ، وأجاز فى جملة ﴿لا مرحبا﴾ أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالا ، أى هذا فوجٌ مقولاً له : ﴿لا مرحباً﴾ .

وفيه نظر ؛ لأنه قدّر « مقولا » فمقولا هو الحال ، و ﴿لا مرحبا﴾ محكية بالقول فى موضع نصب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ﴾(٤) يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خبر «أنّ» على التقديم ، وهو فاسد لأنه ليس المراد الإخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧
(٢) سورة ص ٥٩
(٣) إملاء مامن به الرحمن ٢ : ١١٤
(٤) سورة الحجرات ٧

فيهم ، وإنما الغرض أنه لو أطاعكم فى كثير من الأمر لعنتم ، وإنما ﴿ فيكم ﴾ حال ، والمعنى : واعلموا أن رسول الله فى حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[2] فإن الجواب وقع فيهما بعد النفى مقرونا بالفاء ، وفى الأولى حذفت النون وفى الثانية أثبتها ، فما الفرق بينهما ؟ وجوابه أن حذف النون جوابا للنفى هو على أحد معنى نصب « ما تأتينا فتحدثنا » أى ما يكون إتيان ولا حديث ، والمعنى الثانى إثبات الإتيان ونفى الحديث ، أى ماتأتينا محدثا ، أى تأتينا غير محدّث ، وهذا لا يجوز فى الآية . وأما إثبات النون فعلى العطف .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾[4] حيث انتصب « بشرا » فى الأول وارتفع فى الثانى ، فيقال : ما الفرق بينهما ؟ والجواب أن نصب « بشرا » على الاشتغال ، والشاغل للعامل منصوب ، فصحّ لعامله أن يفسّر ناصبا ، وأما فى الثانية فالشاغل مرفوع مفسِّر رافعا ؛ وهذا كما تقول : أزيد قام ؟ فزيد مرفوع على الفاعلية لطلب أداة الفعل ؛ فهذا فى الاشتغال والشاغل مرفوع ، وتقول فيما الشاغل فيه منصوب : أزيدا ضربته؟

وقريب منه إجماع القراء على نصب « قليل » فى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.[5] واختلفوا فى : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[6]؛ وإنما كان كذلك لأن ﴿ قليلا ﴾ الأول استثناء من موجب ، والثانى استثناء من منفى .

---

(١) سورة فاطر ٣٦
(٢) سورة المرسلات ٣٦
(٣) سورة القمر ٢٤
(٤) سورة التغابن ٦
(٥) سورة البقرة ٢٤٩
(٦) سورة النساء ٦٦

فإن قيل : فلم أجمعوا على النصب فى ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١) مع أنه استثناء من غير موجب ؟ قيل : لأن هـذا استثناء مُفرّغ ، وهو نعت لمصدر محذوف ، فالتقدير : فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا .

ومثله ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾(٢) فى سورة الحديد ، قرأها ابن عامر برفع ﴿ كلّ ﴾ ووافق الجماعة على النصب فى النساء . والفرق أن الذى فى سورة الحديد شغل الخبر بهاء مضمرة ، وليس قبل هـذه الجملة جملة فعلية ، فيختار لأجلها النصب ، فرفع بالابتداء ، وأما التى فى سورة النساء فإنما اختير فيها النصب ؛ لأن قبله جملة فعلية، وهى قوله : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِين ﴾ .

تنبيه

قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشىء الواحـد ، وكان أبو على الفارسى يُلمّ به كثيرا ، وذلك أنه يوجد فى الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، قالوا : والتمسك بصحة المعنى يؤول لصحة الإعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾(٣) فالظرف الذى هو ﴿يوم﴾ يقتضى المعنى أن يتعلق بالمصدر الذى هو « رجع » ، أى أنه على رجعه فى ذلك اليوم لقادر ؛ لـكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبىّ ، فحينئذ يجعل العامل فيه فعلا مقدرا دلّ عليه المصدر .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾(٤) ، فالمعنى يقتضى تعلق «إذ» بالمقت ، والإعراب يمنعه للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ، فيقدر له فعل يدل عليه المقت .

---

(١) سورة النساء ... (٢) سورة الحديد ١٠ ، والنساء ٩٥، وانظر القرطبى ١٧ : ٢٤١ .
(٣) سورة الطلاق ٨ ، ٩ (٤) سورة المؤمن ١٠

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾[1] فالمعنى أن العامل فى إذا « خبير »، والإعراب يمنعه ؛ لأن مابعد « إنّ » لا يعمل فيما قبلها ، فاقتضى أن يقدر له العامل .

تنبيه

على النحوىّ بيان مراتب الكلام ؛ فإن مرتبةَ العمدة قبل مرتبة الفضلة ، ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر ، ومرتبة مايصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة مايصلُ إليه بحرف الجر— وإن كانا فضلتين— ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثانى . وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير ، فلا يجوز أن يتقدّم، لأنّه يكونُ متقدما لفظا ومرتبة، وإذا اتصل الضميرُ بما مرتبته التأخير وهو يعود على مامرتبته التقديم فلايجوزأن يتقدم ؛لأنه يكون مقدّما لفظا مؤخرا رتبةً ، فعلى هذا يجوز : « فى داره زيد » لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ، ولا يجوز : «صاحبها فى الدار»، لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم .

---

(١) سورة العاديات ٩ — ١٠

النوع الحادي والعشرون
معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس فى ذلك تصانيفَ كثيرة ، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب مجلّدين قدمهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم [1] الأندلسى المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . وهذا العلم أعظم أركان المفسّر ، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يُواخَى بين الموارد ، و يَعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك . وأملأُ الناس بهذا صاحب الكشاف . قال السكاكى : واعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن تُدْرَك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ، ولا طريقَ إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقانُ على المعانى والبيان والتمرّن فيهما .

وقال الزمخشرىّ : من حقّ مفسّر كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كالها ، وما وقع به التحدِّى سليما من القادح ، و إذا لم يتعاهد أوضاعَ اللغة فهو مِنْ تَعَاهد النظم والبلاغة على مراحل .

وادعى القاضى أبو الطيب فى كتاب " إعجاز القرآن " أن كثيرا من محاسين هذا العلم لا يُعدّ من البلاغة القرآنية ؛ بناء على اختياره فى أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم ، وسيأتى الكلام فى ذلك .

فإن قلت : كيف عددت هذا من أنواع علومه ؛ مع أن سلَف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضُوا فيه ولم ينقل عنهم شىء من ذلك ، و إنما هذا أحدثه المتأخرون ؟

---

(١) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين القرطاجنى ، توفى سنة ٦٨٤ ، ومن كتابه منهاج البلغاء نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بتونس (وانظر شذرات الذهب ٥ : ٣٨٨) .

قلت : إنّما سكت الأولون عنه لأن القَصد من إنزال القرآن تعليمُ الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ، ولم يُقصَدْ منه تعليمُ طرق الفصاحة ؛ وإنما جاءت لتكون معجزةً ، وما قُصِدَ به الإعجاز لاسبيلَ إلى معرفة طريقه ،فلم يكُن الخوض فيه مَسُوغاً ؛ إذ البلاغة ليست مقصودةً فيه أصلا ؛ لأنه موجود فى الصحف الأولى ؛ لا مع هذه البلاغة المعينة ؛وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم ؛ فلهذا لم يتكلم السَّلَف فى ذلك، وكان معرفتُهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان ،بخلاف أستنباط الأحكام ، فلهذا تكلموا فى الثانى دون الأول .

وأعلم أن معرفةَ هذه الصناعَة بأوْضاعها هى عمدةُ التفسير،المطْلِع على عجائب كلام الله، وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يحبّب الفصاحة إلا قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ البيَانَ ﴾ (١) ، [لكفى]، والمعلومات كثيرة ، ومِنَنُ الله تعالى جَمّة ، ولم يخصِّص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣) .

ولحذف الواو فى قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ البيَانَ ﴾ (٤) نكته علمية ، فإنه جعل تعليمَ البيان فى وِزان خَلْقه ، وكالبدل من قوله : ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ (٤) لأنه حىٌّ ناطق ؛ وكأنَّه إلى نحوه أشار أهلُ المنطق بقولهم فى حدّ الإنسان : حيوان ناطق .

ولا شَكّ أنّ هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه،ليتمكّن بها من اتباع التصديق به ، وإذعان النفس له .

***

وينبغى الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعانى التى تكلّم فيها البليغ مُثْبِتا ونافيا .

---

(١) سورة الرحمن ١ — ٤
(٢) سورة آل عمران ١٣٨ (٣) سورة النحل ٨٩
(٤) سورة الرحمن ٣ ، ٤ (٥) سورة القيامة ٤٠

فمنها تحقيق العقائد الإلهية ، كقوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [(١)] بعد ذكره النطفة ومتعلقها فى مراتب الوجود . وكقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[(٢)] فَمَنْ يقرعُ سمعه هذا الكلامُ المعجز استشعر من روعة النفس ،واقشعرار الجلد ما يُمكِّنُ خشيةَ الله وعظمتَه من قلبه .

ومنها بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[(٣)] ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : « فمن أين يكون الشَّبَه » ؟ فانظر كيف أعطى فى هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام المرأة فلا أبين من هذا البيان ، ولا أشفى للمرتاب من هذا القول! فإنه يرى إحدى المقدمتين عيانا ، وهو شبه الولد بأمّه ، ويعلم قطعا أنه ليس هناك سبب يُحال الشبه عليه غير الذى أنكر.

ومنها تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض ، والإرضاء والإغضاب ، والتشجيع والتخويف . ويكون فى مدح وذم ، وشكاية واعتذار ، وإذن ومنع . وينضم إلى قوة القول البلاغى معنى متصل إعانة لها ؛ مثل فضيلة القائل وحمية النازع ، وقوة البليغ على اطراء نفسه ، وتحسين رأيه .

ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل ، وزيادة تفهم ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾[(٤)] ، وكذلك قوله : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[(٥)] ؛ وسرُّ هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المُثنَى عليهم ، فيسارع إلى التصديق ، ويُلْقَى فى نفسه نورٌ من التوفيق .

ويكون هذا القول البلاغىّ مايسمى الضمير ، ويسمى التمثيل ؛ وأعنى بالضمير

---

(١) سورة القيامة ٤٠
(٢) سورة الزمر ٦٧
(٣) سورة الأنفال ٦١
(٤) سورة سبأ ٤٦
(٥) سورة العنكبوت ٤٣

أن يُضمر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مُسكر فهو حرام ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾(١) .

وقد يكون هذا الإضمار فى القياس الاستثنائى أيضاً ؛ كقولك : لو كان فلانٌ عزيزا لمنع بأعنّة الخيل جاره ، أو جوادا لشبَّ لسارى الليل ناره ، معوّلا على أنه قد علم أنه مامَنع ولا شبّ ، فيثبت بذلك مقابله وهو البخل والذّلة ؛ ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٢) ؛ وقد شهد الحسّ والعيان أنهم ما انفضُّوا من حولِه وهى المضمرة ، فانتفى عنه صلوات الله عليه أنه فظٌّ غليظ القلب .

ومن أحسن ماأبرز فيه هذا المضمر قول الشاعر(٣) :

ولو كان عبدُ الله مولًى هجوتُه ... ولكنّ عبدَ الله مولَى مَوَاليَا

ومثال الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤) . وحَسْبك إمامُ المتّقين حين سمع شعرَ القائلة(٥) :

ما كان ضرّكَ لو مننتَ وربَّما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنَقُ

قال : « لو بلغنى شعرُها قبل أن أقتله لما قتلتُه » ، وقال الآخر :

ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا ... فهبْنا للكرام الكاتبينا

(١) سورة الإسراء ٢٧

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) هو الفرزدق ، والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ٥٨

(٤) سورة الأعراف ٢٣

(٥) هى قتيلة بنت النضر بن الحارث ، وكان النبى عليه السلام قتل أباها صبرا ، مرجعه من بدر ؛ فقالت كلمة مطلعها :

يارا كباً إن الأثيلَ مظنةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ موفّقُ

والأبيات فى الحماسة ـ بشرح المرزوقى ٩٦٣

ومن الاستمالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أنفذ منه إلى القلوب ، وأوقع على المطلوب ، قولُه صلى الله عليه وسلم للأنصار وقد وَجدوا فى نفوسهم قسمةَ الغنائم[1] فى غيرهم : يا معشر الأنصار ، ألم أجِدْكُمْ كذا ! ألم أجدكم كذا ! ثم قال : أجيبونى ، فما زادوا على قولهم : اللهُ ورسوله أَمَنّ ، فقال عليه الصلاة والسلام : أمَا إنــكم إنْ شئتم لقلتم ـ[فلصَدقتُمْ][2] ، ولصُدِّقتُمْ :ـ : جئتنا بحال كذا وكذا . فانظر ما أعجب هذا ! استشعر منهم عليه السلام أنّ إمساكهم عن الجواب أدبٌ معه لا عجز عنه ، فأعلمهم بأنهم لو قالوا صَدقوا ، ولم يــكن هو بالذى يغضب من سماعه ، ثم زادهم تــكريما بقوله : «أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم » ، ثم زاد يمينه المباركة[3] البرّة على فضل ما ينصرفون به ؛ اللهم انفعنا بمحبته ، وتفضل علينا بشفاعته !

ومما تجد من هذا الطراز قولُ بعضهم :

أناسٌ أعرَضوا عنّا بلا جُــرْمٍ ولا مَعْنَى
أساءوا ظَنّهمْ فينـــا فهلّا أحسنـــوا الظّنّا!
فإنْ عادوا لنا عُــدْنا وإن خانوا فمـا خُنّا
وإن كانوا قد استغْنَوْا فإنّا عنهمُ أغْــــنى
وإن قالوا : ادْنُ مِنّا بَعــدُ باعَدْنا مَنْ استَدْنَى

ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

---

(١) بعد غزوة الطائف ؛ وذلك حينما أعطى رسول الله عليه السلام ما أعطى من العطاء لقريش وبعض قبائل العرب ولم يكن للأنصار منها شىء ، فوجدوا لذلك ، فى خبر طويل (وانظر سيرة ابن هشام ٤ : ١٤٦).

(٢) من سيرة ابن هشام

(٣) وذلك قوله: فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » .

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[2] ، وقوله: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[3] ولله در القائل :

إذا والى صديقُك مَنْ تُعادِي   فقد عاداكَ وانقطع الكلامُ

ومن قسم التشجيع قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[4] وكَفَى بحبِّ الله مشجعا على منازلة الأقران ومباشرة الطعان! وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[5] ، وكيف لايكون والقوم صبروا والملك الحق جلّ جلاله وَعَدهم بالمدد الكثير! ثم قال : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[6] .

وقوله: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[7] وفى مقابلة هذا القسم ما يراد به الأخذ بالحزم والثانى بالحرب والاستظهار عليها بالعدة ، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[8] ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[9] .

ومنه الإبانة بالمدح ، وربما مُدِح الكريم بالتغافلِ عن الزلة والتهاون بالذنب ؛ كما أشار إليه القرآن فيما أسرّ سيِّد البشر لبعض نسائه ممن أظهره الله على إفشائه ، فأخبر سبحانه أنه عرّف بعضَه وأعرض عن بعض ؛ ولذلك قيل :

ليس الغبيُّ بسيّدٍ فى قومِه   لكنّ سيّد قومه المتغابى

---

(١) سورة الممتحنة ٩
(٢) سورة الممتحنة ١
(٣) سورة الكهف ٥٠
(٤) سورة الصف ٤
(٥) سورة آل عمران ١٢٥
(٦) سورة آل عمران ١٢٦
(٧) سورة البقرة ١٩٥
(٨) سورة النساء ١٠٤
(٩) سورة الأنفال ٦٠

ومنه التمثيل ؛ و إنما يكون بأمر ظاهرٍ يُسلِّمه السامع، ويقوِّيه مافى القرآن من قصص الأشقياء تحذيرا لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء ، ترغيبا لما صاروا إليه من الثواب . وفى الحديث : « أرأيت لو مضمضتَ ، أرأيت لوكان على أبيك دين » ، كيف ظهر إمكان نقل الحكم من شبَه إلى شبه .

ومنه أنْ يذكر الترغيب مع الترهيب ويُشفع البشارة بالإنذار ، قال الزمخشرى : وسِرُّه إرادة التسليطِ لاكتساب ما يزلف،والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ؛فلما ذكر الكفارَ وأعمالهم وأوعدهم بالعذاب ، ثنّاه ببشارة عباده المؤمنين .

تنبيه

ليكن محطّ نظر المفسِّر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له ، و إن خالف أصل الوضع اللغوىّ لثبوت التجوّز ؛ ولهذا ترى صاحب "الكشاف" يجعل الذى سيق له الكلام معتمدا ، حتى كأنه غيره مطروح .

النوع الثانى والعشرون
معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير
حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وذلك متواتر وآحاد ، ويوجد هذا الوجه من علم القراءة .وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب " التيسير " لأبى عمرو الدانى ، وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبى[1] فى لاميته التى عمّ النفع بها ، وكتاب " الإقناع " لأبى جعفر بن الباذش[2] ، وفى القراءات العشر كتاب المصباح[3] لأبى الكرم الشهرزورى .

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتبة الحروف أو كيفيتها ؛ من تخفيف وتثقيل وغيرها ، ثم هاهنا أمور :

* * *

أحدها أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل بل مشهورة ، ولا عبرة بإنكار المبرد قراءة حمزة : ﴿ والأرحامِ ﴾[4] و ﴿ مُصْرِخىِّ ﴾[5]، ولا بإنكار مغاربة النحاة

---

(١) هو الإمام القاسم بن فيره الشاطبى الضرير ؛ صاحب القصيدة المعروفة بحرز الأمانى ووجه التهانى ؛ توفى سنة ٥٩٠ (وانظر كشف الظنون ٤ : ٦٤٦) .

(٢) هو أحمد بن على بن أحمد بن خلف أبو جعفر بن الباذش الأنصارى ؛ قال ابن الجزرى : « ألف كتاب الإقناع فى السبع من أحسن الكتب ، ولكنه لايخلو من أوهام نبهت عليها فى كتابى الإعلام » . توفى سنة ٥٤٠ . (طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٨٣)

(٣) سماه صاحب كشف الظنون : « المصباح الزاهر فى القراءات العشر الزواهر » لأبى الكرم مبارك ابن الحسن الشهرزورى المتوفى سنة ٥٥٠ ؛ (كشف الظنون ١٧٠٦) .

(٤) النساء ١ ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾ بخفض الميم عطفا على الضمير المجرور فى « به » على مذهب الكوفيين ، (اتحاف فضلاء البشر ١٨٥) .

(٥) سورة إبراهيم ٢٢ ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِىِّ ﴾ بكسر الياء ؛ ووجهت بأن الكسر على أصل التقاء الساكنين ، وأصله « مصرخين » ، (اتحاف فضلاء البشر ٢٧٢) .

كابن عصفور قراءة ابن عامر ﴿ قَتْلُ أولادَهم شركائِهم ﴾ [١] والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمَّا تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ؛ فإنّ إسنَاد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات ، وهى نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر فى استواء الطرفين والواسطة ، وهذا شيء موجود فى كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى كتابه " المرشد الوجيز " إلى شيء من ذلك .

***

الثانى : استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب [٢] قولنا : إن القراءاتِ السبعَ متواترة ما ليس من قبيل الأداء ، ومثَّله بالمدّ والإمالة وتخفيف الهمزة ؛ يعنى فإنها ليست متواترة .

وهذا ضعيف ؛ والحقُّ أن المدّ والإمالة لا شك فى تَواتر المشترك بينهما ، وهو المدّ من حيث هو مدّ ، والإمالة من حيث إنهـا إمالة ، ولكن اختلف القراء فى تقدير المدّ ؛ فمنهم مَنْ رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيرا ؛ ومنهم من بالغ فى القِصَر ، ومنهم من تزايد ، فحمزة وورش بمقدار ستّ ألفات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع ، وعن عاصم : ثلاث ، وعن الكسائى : ألِفان ونصف ، وقالون : ألِفان ، والسُّوسِى ألف ، ونصف .

قال الدانى فى التيسير : أطولهم مدًّا فى الضربين جميعا ـ يعنى المتصل والمنفصل ـ ورش وحمزة ، ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائى ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبى نشيط بخلافٍ عنه . وهذا كلُّه على التقريب من غير إفراط ، وإنما هو على مقدارِ مذاهبهم من التحقيق والحذف . انتهى كلامه .

فعُلِم بهذا أن أصلَ المدّ متواتر والاختلاف والطرق إنما هو فى كيفيةِ التلفُّظ به .

---

(١) سورة الأنعام ١٣٧ ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ . « زين » بضم الزاى وكسر الياء بالبناء للمفعول . و« قتل » برفع اللام على النيابة عن الفاعل . و « أولادهم » بالنصب على المفعول بالمصدر و« شركائهم » بالخفض على إضافة المصدر إليه فاعلا . (إتحاف فضلاء البشر ٢١٧)

(٢) هو عثمان بن عمر بن يونس ابو عمرو الكردى المعروف بابن الحاجب ، توفى سنة ٦٤٦ (بغية الوعاة ٣٢٣)

وكان الإمام أبو القاسم الشاطبيّ يقرأ بمدتين : طُولى لورش وحمزة ، ووُسطى لمن بقى .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كرِه قراءةَ حمزة لما فيها من طول المدّ وغيره ، فقال : لا تعجبنى ، ولو كانت متواترة لما كرهها . وكذلك ذكر القرّاء أنّ الإمالة قسمان : إمالةٌ محضة ، وهى أنْ يُنحى بالألف إلى الياء وتكون الياء أقرب ، و بالفتحة إلى الكسرة وتكون الكسرة أقرب . و إمالةٌ تسمّى بَيْن بَيْن؛ وهى كذلك ؛ إلّا أن الألفَ والفتحة أقرب ، وهذه أصعب الإمالتين وهى المختارة عند الأئمة . ولا شكَّ فى تواتر الإمالة أيضا ، و إنما اختلافهم فى كيفيتها مبالغةً وحضورا .

أما تخفيفُ الهمزة ــ وهو الذى يطلق عليه تخفيف ، وتليين ، وتسهيل ، أسماء مترادفة ــ فإنه يشمل أر بعة أنواع من التخفيف ، وكلٌّ منها متواتر بلا شك :

أحدها النقل ، وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، نحو ﴿ قَدَ افْلَحَ ﴾ (١) بنقل حركة الهمزة ، وهى الفتحة إلى دال « قد » ، وتسقط الهمز فيبقى اللفظ بدالٍ مفتوحة بعدها فاء ، وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش فى حال الوصل والوقف ، وقراءة حمزة فى حال الوقف .

الثانى: أن تبدل الهمزة حرف مدّ من جنس حركة ماقبلها إن كان قبلها فتحة أبدلت ألفها ، نحو « باس » ، وهذا البدل قراءة أبى عمرو بن العلاء ، ونافع من طريق ورش فى فاء الفعل ، وحمزة إذا وقف على ذلك .

الثالث تخفيف الهمز بين بيْن ، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها و بين الحرف الذى منه حركتها ، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو ، أو مفتوحة فبيْن الهمزة والألف ، أو مكسورة فبين الهمزة والياء ، وهذا يسمى إشماما ، وقرأ به كثيرٌ من القراء وأجمعوا عليه فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ آلذَّ كَرَين ﴾ (٢) ونحوه ، وذكره النحاة عن لغات العرب .

---

(١) سورة المؤمنون ١

(٢) سورة الأنعام ١٤٣

قال ابن الحاجب فى تصريفه : واغتفر[1] التقاء الساكنين فى نحو آلْحَسَنُ عندك؟ وآيْمُنُ الله يمينُك ؟ وهو فى كل كلمة أولها همزة وَصْلٍ مفتوحة ودخلت همزة الاستفهام عليها ؛ وذلك ما فيه لام التعريف مطلقا ، وفى ايمُن الله وايمُ الله خاصة ، إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها ؛ وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخبار ، ألَا ترى أنهم لو قالوا : أَلْحَسَنُ عندك ؟ وحذفوا همزة الوصل على القياس فى مثلها لم يعلم استخبار هو أم خبر ؟ فأتوا بهذه عوضا عن همزة الوصل قبل الساكن ، فصار قبل الساكن مدة فقالوا : آلحَسَنُ عندك ؟ وكذلك آيمنُ الله يمينك ؟ فيما ذكره . وبعض العرب يجعل همزة الوصل فيما ذكرنا بيْنَ بيْنَ ، ويقول آلحسن عندك وآيمن الله يمينك ؟ فيما ذكرنا ، وقد جاء عن القراء بالوجهين فى مثل ذلك ، والمشهور الأول . وقد أشار الصحابة رضى الله عنهم إلى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى رسم المصاحف العثمانية ، فكتبوا صورة الهمزة الثانية فى قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ قُلْ أَؤُ نَبِّئُكُمْ ﴾[2] واوا على إرادة التسهيل بَيْنَ بَيْنَ . قاله الدانى وغيره .

الرابع تخفيفُ الإسقاط ، وهو أن تُسقط الهمزة رأسا . وقد قرأ به أبو عمرو فى الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا فى الحركة فأسقط الأولى منهما على رأى الشاطبى ، وقيل الثانية فى نحو ﴿ جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾[3] ، ووافقه على ذلك فى المفتوحتين نافع من طريق قالون ، وابن كثير من طريق البزىّ ، وجاء هذا الإسقاط فى كلمة واحدة فى قراءة قُنبل عن ابن كثير فى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَاىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾[4] بإسقاط همزة ﴿ شركائى ﴾ .

* * *

الثالث : أن القراءاتِ توقيفية وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الزمخشرىّ ، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء . ورُدَّ على حمزة قراءة

(١) الشافية ٢ : ٢١٠
(٢) سورة آل عمران ١٥
(٣) سورة النحل : ٦١
(٤) سورة النحل ٢٧ .

﴿ والأَرْحَامِ ﴾[1] بالخفض ؛ ومثل ما حكى عن أبى زيد والأصمعى ويعقوب الحضرمىّ أن خطّئوا حمزة فى قراءته : ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ ﴾[2] بكسر الياءالمشددة ، وكذا أنكروا على أبى عمرو إدغامَه الراء عند اللام فى : ﴿ يَغْفِلَّكُمْ [3]﴾ .

وقال الزجاج : إنه خطأ فاحش ؛ ولا تدغم الراء فى اللام إذا قلتَ :« مُرْ لِى» بكذا ، لأن الراء حرف مكرر ، ولا يدغم الزائد فى الناقص للإخلال به ؛ فأما اللّام فيجوز إدغامه فى الراء ، ولو أُدغِمت اللام فى الراء[4] لزم التكريرُ من الراء . وهذا إجماعُ النحويين . انتهى .

وهذا تحامُل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنّة متبعة ؛ ولا مجالَ للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه فى كتابه فى قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَراً ﴾[5] « و بنو تميم[6] يرفعونه إلا من دَرَى[7] كيف هى فى المصحف » .

و إنما كان كذلك ، لأن القراءة سنّة مرويّة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه . انتهى .

***

---

(١) سورة النساء : ١ ؛ وانظر الحاشية ٤ فى ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٢ ، وانظر الحاشية ٥ فى ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٣) سورة نوح : ٤

(٤) ت: « ولو أدغمت الراء فى اللام » .

(٥) سورة يوسف : ٣١

(٦) الكتاب ١ : ٢٨ .

(٧) الكتاب « يرفعونها إلا من عرف هى » .

الرابع ما تضمنه التَّيْسِير[١] والشاطبية[٢] ، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : لم يحويا جميع القراءات السبع ، وإنما هى نَزْرٌ يسير منها ، ومَنْ عُنِيَ بفنّ القراءات ، وطالع ماصنّفه علماء الإسلام فى ذلك ، عَلِم ذلك العلمَ اليقين ، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلادَ إقراء السبع ، لبُعدها عن بلاد الإسلام ، واجتازُوا عند الحج بديار مصر ، وتحفَّظوا ممّن كان بها من المصريين شيئاً يسيرا من حروف السبع ـ وكان المصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات متسعة ، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التى اتسعت فيها الروايات ـ كأبى الطيب بن غلبون[٣] وابنه أبى الحسن[٤] طاهر ، وأبى الفتح فارس بن أحمد [٥] ، وابن عبد الباق[٦] ، وأبى العباس بن نفيس[٧] ، وكان بها أبو أحمد السامرى، وهو[٨] أعلاهم إسنادا .

---

(١) كتاب التيسير مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار ، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين ؛ فذكر عن كل واحد من القراء روايتين ؛ وعليه جملة شروح ؛ وأضاف اليه ابن الجزرى القراءات الثلاث ؛ فى كتاب سماه تحبير التيسير . وطبع التيسير فى إستانبول سنة ١٩٣٠ بتحقيق الأستاذ أوتو برتزل .

(٢) هى المعروفة بكتاب حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع المثانى ؛ للعلامة أبى محمد القاسم الشاطبي ؛ نظم فيها كتاب التيسير ، فى ١١٧٣ بيتاً وعليها جملة شروح ؛ وطبعت بمصر مرارا (وانظر كشف الظنون) .

(٣) هو عبد المنعم بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي مؤلف كتاب الإرشاد فى القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٨٩ (حسن المحاضرة ١ : ٢٠٩) .

(٤) أبو الحسن طاهر ؛ أحد الحذاق المحققين ، ومصنف التذكرة فى القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٩٩ (حسن المحاضرة : ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

(٥) هو فارس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصى المقرئ الضرير ؛ مؤلف كتاب المنشأ فى القراءات الثمان ، مات بمصر سنة ٤٠١ (حسن المحاضرة ١ : ٢١٠) .

(٦) جود القراءات على والده ؛ وجلس للاقراء وعمر دهراً . مات فى حدود سنة ٤٥٠ ،(حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .

(٧) هو أحمد بن سعد بن أحمد بن نفيس أبو العباس المصرى ؛ مات فى رجب سنة ٤٥٣ ، (حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .

(٨) هو عبد الله بن الحسين بن حسنون ، أبو أحمد السامرى البغدادى ، نزيل مصر ، مات بها سنة ٣٨٦ ، (حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٩) .

وسبب قلّة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلّب الإسماعيلية عليها، وقتل ملوكهم العلماء.

فكان من قدماء علمائنا ممن حجّ يأخذ بمصر شيئا يسيرا، كأبى عمرو الطلمنكى[1] صاحب الروضة، وأبى محمد مكىّ بن أبى طالب[2]. ثم رحل أبو عمرو الدانى[3] لطول إقامته بدانية[4] فأخذ عن أبى خاقان، وفارس، وابن غلبون؛ وصنف كتاب "التيسير". وقرأ على هؤلاء. ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسى[5]، فأبعد فى الشقّة، وجمع بين طريق المشرق والمغرب، وصنف كتاب الكامل، يحتوى على القراءات السبع وغيرها، ولم أرَ ولم أسمع أوسعَ رحلةً منه، ولا أكثر شيوخا.

وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبرى[6]، وأبو عبد الله الكارزينى[7] وكانا متسعى الرواية.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب، أبو عمر الطلمنكى، نزيل قرطبة، رحل إلى المشرق؛ ولقى كثيرا من العلماء بمصر، منهم ابن غلبون؛ وعاد إلى الأندلس، وألف كتاب الروضة. توفى سنة ٤٢٩ (طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ١٢٠).

(٢) ولد بالقيروان، وحج فسمع بمكة، ورحل إلى مصر فقرأ على ابن غلبون وابنه، ثم عاد إلى القيروان، ورحل إلى الأندلس، ومات سنة ٣٩٤ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠).

(٣) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى القرطبى، شيخ مشايخ المقرئين فى عصره؛ توفى سنة ٤٤٤ (وانظر ترجمته فى طبقات القراء ١ : ٥٠٣ — ٥٠٥).

(٤) دانية : مدينة بالأندلس، من أعمال بلنسية؛ كانت قاعدة ملك أبى الحسن مجاهد العامرى؛ وأهلها أقرأ أهل الأندلس؛ لأن مجاهدا كان يستجلب القراء ويفضل عليهم، وينفق لهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده؛ فكثروا فى بلاده (ياقوت). (٥) هو أبو القاسم يوسف بن على بن جبارة أبو القاسم الهذلى اليشكرى؛ قال : فى كتابه الكامل : « لقيت فى هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا؛ ولو علمت أحدا تقدم علىّ فى هذه الطبقة فى جميع بلاد الإسلام لقصدته... » توفى سنة ٤٦٥ (طبقات القراء ٢ : ٣٩٧).

(٦) هو عبد الكريم بن عبد الصمد أبو معشر الطبرى، صاحب كتاب التلخيص فى القراءات الثمان توفى سنة ٤٧٨، (طبقات القراء ١ : ٤٠١).

(٧) فى الأصول . « الكارزونى » تصحيف؛ وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزينى الفارسى؛ تنقل فى البلاد وعاش بمكة. قال الذهبى : كان حيا سنة ٤٤٠، (طبقات القراء ٢ : ١٣٢).

وكان بمصر أبو على المالكى[١] مؤلف الروضة ، وكان قد قرأ بالعراق ، وأقرأ بمصر .

و بعدهم التاج الكندى[٢] فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا .

وكان أيضاً ابن ماموية[٣] بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر .

و بمصر النظام الكوفى[٤] يُقرِئ بالعشر و بغيرها ، كقراءة ابن محيصن والحسن .

وكان بمكة أيضا زاهر بن رستم[٥] وأبو بكر الزنجانى[٦] ، وكانا قد أخذا عن أبى الكرم الشّهْرزورى كتاب المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر ؛ وأقرأه الزنجانى لبعض شيوخنا .

وكان عز الدين الفاروثى[٧] بدمشق ، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة ، حتى قيل إنه أقرأ بقراءة أبى حنيفة .

والحاصل اتساع روايات غير بلادنا ، وأن الذى تضمنه التيسير[٨] ، والتبصرة ، والكافى[٩] وغيرها من تآليفهم ؛ إنما هو قُلٌّ من كُثْر ، ونَزْر من بحر .

و بيانه أن فى هذه الكتب مثلا قراءة نافع من رواية ورش وقالون ، وقد روَى الناس عن نافع غيرها ؛ منهم إسماعيل بن أبى جعفر المدنى وأبو خلف وابن حبان ، والأصمعى

---

(١) هو الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى . توفى سنة ٤٣٨ (طبقات القراء ١ : ١٢٣٠ .

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندى البغدادى نزيل بغداد توفى بدمشق سنة ٦١٣ ، (طبقات القراء ١ : ٢٩٨) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن ماموية أبو الحسن الدمشقى ، ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء ١ : ١٢٨ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

(٤) لعله محمد بن عبد الكريم الملقب بنظام الدين ؛ وانظر طبقات القراء ٢ : ١٧٤ .

(٥) زاهر بن رستم أبو شجاع الأصبهانى الشافعى ؛ مات بمكة سنة ٦٠٩ ، (طبقات القراء ١ : ٢٨٨) .

(٦) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الزنجانى المجاور بمكة ؛ ذكره ابن الجزرى فى الطبقات ٢ : ٤٨ .

(٧) خطيب دمشق أصله من واسط ؛ ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى موطنه ؛ وتوفى سنة ٦٩٤ ، (طبقات القراء ١ : ٣٥) .

(٨) التبصرة فى القراءات السبع ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى) .

(٩) الكافى فى القراءات السبع ، لمحمد ابن شريح الإشبيلى .

والسَّبْتى وغيرهم ، ومن هؤلاء مَنْ هو أعلم وأوثق من ورش وقالون ، وكذا العمل فى كل راوٍ وقارئ .

* * *

الخامس : أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام ؛ ولهذا بَنَى الفقهاء نقضَ وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات فى ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ و ﴿ لَا مَسْتُمْ ﴾.(١) وكذلك جوازُ وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم فى ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾.(٢) .

وكذلك [آية] السجدة(٣) فى سورة النَّمْل مبنية على القراءتين . قال الفراء : من خَفَّف﴿ ألَا ﴾ كان الأمر بالسجود، ومن شدّد لم يكن فيها(٤) أمرٌ به . وقد نوزع فى ذلك .

إذا علمت ذلك فاختلفوا فى الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين : أحدهما أنَّ اللهَ تعالى قال بهما جميعا . والثانى أنّ الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذِن أن يُقرأ بقراءتين .

وهذا الخلاف غريب رأيته فى كتاب " البستان "(٥) لأبى الليث السَّمَرْقَنْدِيِّ . ثم اختاروا فى المسألة توسطا ، وهو أنّه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعا

---

(١) سورة النساء ٤٣ ؛ وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ ، وهى قراءة نافع وأبو عمرو ؛ وقرأ حمزة والكسائى ﴿ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ ﴾ ، (وانظر تفسير القرطبي ٣ : ٨٨) .

(٣) سورة النمل ٢٥ ، ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٤) التخفيف قراءة الكسائى ورويس وأبو جعفر ، ووجه بأن « ألا » للاستفتاح ، والباقون بتشديد اللام ، (اتحاف فضلاء البشر ٣٣٦) .

(٥) هو كتاب بستان العارفين ، لأبى الليث نصر بن محمد السمرقندى الحنفى ، المتوفى سنة ٣٧٥ . قال صاحب كشف الظنون : « وهو مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا فى الأحاديث والآثار الواردة فى الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

وتصير القراءات بمنزلة آيتين ، مثل قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾[(١)] . وإن كان تفسيرهما واحدا كالبِيوت والبُيوت[(٢)] والمحصِنات والمحصَنات[(٣)] بالنصب والجرّ ، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعوّد لسانهم .

فإن قيل : إذا صحّ أنه قال بأحدهما فبأىّ القراءتين قال ؟ قيل : بلغة قريش . انتهى .

* * *

السادس: أنّ القراءات لم تكن متميّزة عن غيرها إلا فى قرن الأربعمائة ، جمعها أبو بكر ابن[(٤)] مجاهد ؛ ولم يكن متّسع الرواية والرحلة كغيره . والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة :

أحدهم عبد الله بن كثير المكىّ القرشى مولاهم ؛ أبو سعيد وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل أبو الصلت ، ويقال له الدارىّ[(٥)] . وهو من التابعين ، سمع عبد الله بن الزبير وغيره. توفى بمكة سنة عشرين ومائة ، وقيل اثنتين وعشرين[(٦)] .

الثانى نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم ؛ مولى جَعْونة بن شعوب[(٧)] الليثى ، هو مدنىّ ؛ أصله من أصبهان ، كنيته أبو رُوَيْم ؛ وقيل أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الرحمن وقيل

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ وهى قراءة نافع وأبى عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم ؛ وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر والمفضل ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ ؛ وانظر ما يترتب على القراءتين من الحكم فى تفسير القرطبى ٣ : ٨٩ .

(٢) البيوت ، بكسر الباء قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائى وخلف ، (إتحاف فضلاء البشر ٢٥٣) .

(٣) عن الحسن بالكسر والباقون بالفتح (إتحاف فضلاء البشر ١٨٨) .

(٤) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ القراء فى بغداد ؛ ولا يعلم أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ؛ توفى سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ١ : ١٣٩) .

(٥) فى الأصول : «الدارنى» تصحيف ؛ منسوب إلى عبد الدار ؛ وانظر ترجمته فى طبقات القراء ١ : ٤٤٣) .

(٦) انظر ترجمته فى (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ — ٣٣٤) .

(٧) ت : « جعونة بن شعيب » ، وما أثبته عن ط وطبقات القراء .

أبو عبدالله . توفى بالمدينة سنة تسع وستين ومائة [١] .

الثالث عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصُبيّ الدمشقيّ قاضي دمشق ، وهو من كبار التّابعين ، ولد فى أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتوفى بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل ولد سنة ثمان من الهجرة ، ومات وهو ابن مائة وعشر سنين . وفى كنيته سبعة أقوال : أصحها أبو عمرو . وقيل أبو محمد ، ، وأبو عبد الله ، وأبو موسى ،وأبو نعيم، وأبو عثمان ، وأبو مغيث [٢] .

الرابع أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصرى . قيل اسمه زَبّان ، وقيل يحيى ، وقيل عثمان ، وقيل محبوب ، وقيل اسمه كنيته . توفى بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقرأ على ابن كثير وغيره [٣] .

الخامس عاصم بن أبى النَّجود (بفتح النون) أبو بكر الأسدىّ الكوفى ، توفِّى بالكوفة سنة سبع ، وقيل ثمان وعشرين ومائة . قال سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما : بَهْدَلَة هو أبو النَّجود [٤] . وقال عمرو بن على: بَهْدَلَة أُمُّه . قال أبو بكر بن داود: هذا خطأ . وقال عبد الله بن أحمد: قال أبى : أنا أختار قراءة عاصم .

السادس حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيات التيمىّ ، مولاهم ، الكوفى أبو عمارة . توفى بحلوان سنة ثمان ، وقيل ست وخمسين ومائة [٥] .

---

(١) انظر ترجمته فى (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ ــ ٣٣٤) .
(٢) انظر ترجمته فى(طبقات القراء ١ : ٤٢٣ ــ ٤٢٥) .
(٣) انظر ترجمته فى(طبقات القراء ١ : ٢٨٨ ــ ٢٩٢) .
(٤) انظر ترجمته فى(طبقات القراء ١ : ٣٤٦ ــ ٣٤٩) .
(٥) انظر ترجمته فى(طبقات القراء ١ : ٢٦١ ــ ٢٦٣) .

السابع الكسائىّ أبو علىّ بن حمزة الأسدىّ مولاهم ، الكوفىّ . توفى سنة تسع وثمانين ومائة ؛ كان قرأ على حمزة [1] . قال مكىّ : وإنما ألحق بالسبعة فى أيام المأمون ؛ وإنما كان السابعَ يعقوب الحضرمىّ ، فأثبت ابن مجاهد فى سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائىّ فى ... م يعقوب .

، فى هؤلاء السَّبْعة من العرب إلا ابن عامر وأبو عمرو .

قال مكىّ : وإنما كانوا سبعة لوجهين : أحدهما أن عثمان رضى الله عنه كتب سَبْعة مصاحف ووجَّه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف . الثانى أنّه جعل عددهم على عدد الحروف التى نزل بها القرآن وهى سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقلّ لم يمتنع ذلك . إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يُحصى .

وقد ألف ابن جُبَيْر المقرىُ ـ وكان قبل ابن مجاهد ـ كتابا فى القراءات وسمّاه كتاب الخمسة ، ذكر فيه خمسة من القراء لا غير . وألف غيرُه كتابا وسماه الثمانية ، وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمى . انتهى .

قلت : ومنهم من زاد ثلاثة وسماه كتاب العشرة .

قال مكى : والسَّبب فى اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم أنّ عثمان رضى الله عنه لما كتب المصاحف ، ووجّهها إلى الأمصار ، وكان القُرّاء فى العصر الثانى والثالث كثيرِى العدد ، فأراد الناس أن يقتصروا فى العصر الرابع على ما وافق المصحف ، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة فى النقل ، وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال عمرُهُ ، واشتهر أمرُهُ ، وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا مِن كلّ مصرٍ وجَّه إليه عثمان مصحفا إماماً هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المِصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائىّ من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ،

---

(١) انظر ترجمته فى (طبقات القراء ١ : ٥٣٥ ـ ٥٤٠) .

وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ؛ كلهم ممن اشتهرت إمامتهم ، وطال عمرهم فى الإقراء ، وارتحل الناس إليهم من البلدان .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة ، وتابعه الناس ه وألحق المحققون ، منهم البغوىّ فى تفسيره بهؤلاء السبعة [قراءةَ] ثلاثة ، وهم يعقوب الحضرمىّ ، (١) وخلف (٢) ، وأبو جعفر بن (٣) قعقاع المدنىّ شيخ نافع ؛ لأنها لا تخالف رسم السبع .

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهَرَوِىّ فى كتاب الكافى له : فإن قال قائل : فلِمَ أدخلتم قراءة أبى حفص المدنىّ و يعقوب الحضرمى فى جملتهم ، وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا السبعة ؛ لأنا وجدنا قراءتهما على الشرط الذى وجدنا فى قراءة غيرهما ممّن بعدهما فى العلم والثقة بهما ، و اتصال اسنادهما ، وانتفاء الطعن عن روايتهما . ثم إن التمسُّكَ بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ؛ و إنّما السنّة أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت رواتها نقلا وقراءة و لفظا ولم يوجد طعن على أحدٍ من رواتها ؛ ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك نقدم أبا جعفر ويعقوب على غيرهما .

ولا يتوهم أن قولَه صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » انصرافه إلى قراءة سبعة من القراء يولَدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ؛ لأنه يؤدّى إلى أن يكونَ الخبر متعريا عن فائدة إلى أن يحدثوا ؛ ، ويؤدى إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرءوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه . قال : وإنما ذكرناه لأن قوما من العامة يتعلّقون به .

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمى ؛ إمام أهل البصرة ؛ توفى سنة ٢٠٥ . وانظر ترجمته فى طبقات القراء ٢ : ٣٨٦ — ٣٨٩) .

(٢) هو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد الأسدى ، توفى سنة ٢٢٩ ببغداد (طبقات القراء ١ : ٢٧٢) .

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أحد التابعين . توفى سنة ١٣٠ (طبقات القراء ٢ : ٣٨٢) .

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي [١] : كلُّ ما صح سندُه واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خطَّ المصحف الإمام فهو من السَّبع المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفا مجتمعين أو متفرقين . فعلى هذا الأصل يبنى من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ؛ ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة فى القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشىء من الشواذّ ؛ وإنما يُذكَر ما يذكر من الشواذ ؛ ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحا .

وقال مكىّ : وقد اختار النــاسُ بعد ذلك ، وأكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقته للمصحف ،واجتماع العامة عليه.والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهلُ المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار . وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرَمين ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم ؛ فقراءة هذين الإمامين أوْلَى القراءات ، وأصحُّها سندا وأفصحها فى العربية ، ويتلوها فى الفصاحة خاصَّة قراءة أبى عمرو والكسائى .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : كلُّ قراءة ساعدها خَط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهى قراءة صحيحة معتبرة ؛ فإن اختل أحدُ هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذَّة وضعيفة ؛ أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ، ونَصَّ عليه الشيخ أبو محمد مكى بن أبى طالب القيروانى فى كتاب مفرد صنَّفه فى معانى القراءات السبع ، وأمر بإلحاقه بكتاب الكشف [٢] ، وذكره شيخنا أبو الحسن فى كتابه جمال [٣] القراء .

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن ، موفق الدين الكواشى الموصلى ، صاحب التفسير المسمى كشف الحقائق ، توفى سنة ٦٨٠ (طبقات القراء ١ : ١٥١) .

(٢) كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعللها ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء ؛ لأبى الحسن علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ؛ جمع فيه أنواعا من الكتب المشتملة على ما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ والوقف والابتداء . (كشف الظنون) .

قال أبو شامة رحمه الله : وقد ورد إلى دمشق استفتاء من بلاد العجم عن القراءة الشاذة : هل تجوز القراءة بها ؟ وعن قراءة القارئ عشرًا ، كلّ آية بقراءةِ قارئ ، فأجاب عن ذلك جماعةٌ من مشايخ عصرنا ؛ منهم شيخا الشافعية والمالكية حينئذ ، وكلاهما أبو عمرو وعثمان — يعنى ابن الصلاح وابن الحاجب .

قال شيخ الشافعية : يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا ، واستفاض نقله بذلك ، وتلقته الأمةُ بالقبول كهذه القراءات السّبع ؛ لأنّ المعتبر فى ذلك اليقين والقطع على ماتقرر وتمهّد فى الأصول ؛ فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فممنوع من القراءة به منع تحريم ، لا منعَ كراهة ، فى الصلاة وخارج الصلاة ، وممنوع منه ممن عرف المصادرَ والمعانى ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على مَنْ قَدَر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يقومَ بواجب ذلك ، و إنما نقلها مَنْ نَقلها من العلماء لفوائد منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها ؛ هذا طريق من استقام سبيله . ثم قال : والقراءةُ الشّاذة مانقل قرآنًا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة ، كما يشتمل عليه " المحتسب "[1] لابن جنى وغيره . وأما القراءةُ بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآنا فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلا ؛ والمتجرئ على ذلك متجرئ على عظيم ، وضالّ ضلالا بعيدا ، فيعزّر ويمنع بالحبس ونحوه : ويجب منعُ القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه، وإن لم يمتنع فعليه التعزير بشرطه . وأما إذا شرع القارئ فى قراءة فينبغى ألّا يزال يقرأ بها مابقى للكلام متعلق بما ابتدأ به ، وما خالف هذا فمنه جائز وممتنع وعذره مانع من قيامه بحقه ، والعلم عند الله تعالى .

وقال شيخ المالكية رحمه الله : لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة فى صلاة ولا غيرها ،

---

(١) المحتسب لابن جنى فى توجيه القراءات الشاذة ؛ ومنه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

عالماً بالعربية كان أو جاهلا ؛ و إذا قرأها قارئ ، فإن كان جاهلا بالتحريم عُرِّف به وأمر بتركها ، و إن كان عالماً أُدِّب بشرطه ، و إن أصرّ على ذلك أُدِّب على إصراره ، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك . وأما تبديل « آتينا » «بأعطينا» و «سوّلت» «بزيّنت» ونحوه ؛ فليس هذا من الشواذ ، وهو أشد تحريما ، والتأديب عليه أبلغ ، والمنع منه أوجب .

وأما القراءة بالقراءات المختلفة فى آى العشر الواحد فالأولى ألّا يفعل . نعم إن قرأ بقراءتين فى موضع إحداهما مبنية على الأخرى مثل أن يقرأ « نغفر لكم » بالنون و« خطيئاتكم» بالجمع ومثل : ﴿إنْ تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فتذكِّرَ﴾[١] بالنصب ، فهذا أيضاً ممتنع وحكم المنع كما تقدم .

قال الشيخ شهاب الدين : والمنع من هذا ظاهر ، وأمّا ما ليس كذلك فلا يمنع منه ؛ فإن الجمع جائز ، والتخيير فيه بأكثر من ذلك كان حاصلاً بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة حروف ، توسعة على القراء ؛ فلا ينبغى أن يضيَّق بالمنع من هذا ولا ضررَ فيه ، نعم أكره ترداد الآية بقراءات مختلفة كما يفعله أهلُ زماننا فى جمع القرآن لما فيه من الابتداع ، ولم يرد فيه شىء من المتقدمين ، وقد بلغنى كراهته عن بعض متصدّرى المغاربة المتأخرين .

قلت : وما أفتى به الشيخان نقله النووىّ فى شرح المهذب[٢] عن أصحاب الشافعى فقال : قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوزُ القراءة فى الصّلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآنا ، لأن القرآنَ لا يثبتُ إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ؛ ومن قال غيره فغالطٌ أو جاهل ، فلو خالَف وقرأ بالشاذِّ أنكر عليه قراءتها فى الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة مَنْ قرأ بالشواذ . ونَقَل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنّه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يُصَلَّى خَلْف من يقرأ بها .

***

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . مع كسر همزة إن ، وهى قراءة حمزة .

(٢) المهذب فى الفروع للامام إبراهيم بن محمد الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ ، وشرحه للامام محي الدين أبو زكريا محي الدين بن شرف النورى المتوفى سنة ٦٧٦ . (كشف الظنون) .

الأمر السابع : أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه :

الأول الاختلاف فى إعراب الكلمة أو فى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ، ولا يغير معناها ؛ نحو ﴿ البُخْل ﴾ و ﴿ البَخَل ﴾[1]. و ﴿ ميسَرَة ﴾ و ﴿ ميسُرة ﴾[2]. ﴿ وماهُنَّ أمَّهاتِهِمْ ﴾[3]. ﴿ وهُنَّ أطْهَرُ لكُمْ ﴾[4] و ﴿ أطْهَرَ لكُمْ ﴾. ﴿ وهل نُجازِى إلاَّ الكفورَ ﴾ ، ﴿ وَهَلْ يُجازَى إلاَّ الكَفُورُ ﴾[5] .

الثانى الاختلافُ فى إعراب الكلمة فى حركات بما يغيِّر معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الخط ؛ نحو ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أسْفَارِنَا ﴾[6] و ﴿ رَبُّنَا باعَدَ بَيْنَ أسْفَارِنا ﴾[6]. وَ ﴿ إذْ تَلَقَّوْنَه ﴾[7] و ﴿ تَلْقَوْنه ﴾. ﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[8] و ﴿ بعدأَمَةٍ ﴾ ؛وهو كثير يقرأ به ، لما صحت روايته ووافق العربية .

الثالث الاختلاف فى تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يغيِّر

---

(١) من قوله تعالى فى سورة النساء ٣٧ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيأمُرُونَ النَّاسَ بالْبُخْلِ ﴾ ،قرأ حمزة والكسائى وخلف بفتح الباء والخاء ، والباقون بالضم والسكون . (إتحاف فضلاء البشر ١٩٠) .

(٢) من قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨٠ : ﴿ فنظِرةٌ إلَى مَيْسرةٍ ﴾ ، نافع، بضم السين ووافقه ابن محيصن، والباقون بالفتح (إتحاف فضلاء البشر ١٦٦) .

(٣) سورة المجادلة ٢ . قال فى الكشاف ٢ : ٤٣٩ : « وقرىء بالرفع أيضاً ، على اللغتين : الحجازية والتميمة » .

(٤) سورة هود ٧٨ . قرأ الحسن وعيسى بن عمر بفتح الراء ، والعامة بضمها (تفسير القرطبي ٩ : ٧٦).

(٥) سورة سبأ ١٧ . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر ﴿ يُجَازَى إلَّا الكَفُورُ ﴾ والباقون بنون العظمة وكسر الزاى ونصب الكفور ، (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩) .

(٦) سورة سبأ ١٩ ، الثانية قراءة يعقوب ، والأولى قراءة الباقين . (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١).

(٧) سورة النور ١٥ ، والثانية قراءة محمد بن السميقع ، والأولى قراءة الباقين . (تفسير القرطبي ١٢ : ٢٠٤) .

(٨) سورة يوسف ٤٥ والثانية عن ابن عباس (تفسير القرطبي ٩ : ٢٠١) .

صورة الخط بها فى رأى العين ؛ نحو ﴿ كيف نُنشِزُهَا ﴾ [١] و﴿ نُنشِرُهَا ﴾ ، و ﴿ فزِّعَ عَنْ قُلوبِهِمْ ﴾ [٢] و ﴿ فَزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِم ﴾ و ﴿ يَقُصُّ الحق ﴾ و ﴿ يَقْضِى الحَقَّ ﴾ [٣] ، وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط فى رأى العين .

الرابع الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتابة ولا يُغَيِّر معناها نحو ؛ ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [٤] و ﴿ إلا زقية واحدة ﴾ و ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [٥] و ﴿ كالصُّوف المنفوش ﴾ فهذا يقبل إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ، ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس الاختلاف فى الكلمة بما يُزِيل صورتها فى الخط ويُزِيل معناها ، نحو ﴿ الٓمٓ . تَنزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ [٦] فى موضع ﴿ الٓمٓ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . و ﴿ طَلْحٍ مَنضُودٍ ﴾ [٧] و ﴿ طلع منضود ﴾ فهذا لا يُقرَأ به أيضا ؛ لمخالفته الخط ، ويُقْبَل منه مالم يكن فيه تضادّ لما عليه المصحف .

السادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قرأ عند الموت : ﴿ وجاءت سكرة الحقّ بالموتِ ﴾ [٨] ، وبهذا قرأ ابن

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ ؛ الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى والثانية قراءة الباقين. (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٢) سورة سبأ ٢٣ ؛ والثانية قراءة الحسن والأولى قراءة الباقين (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٠) .

(٣) سورة الأنعام ٥٧ ، والأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد والأعرج وابن عباس ، والثانية قراءة الباقين (القرطبي ٦ : ٤٣٩) .

(٤) سورة يس ٢٩ ؛ والثانية قراءة ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٢٥١) .

(٥) سورة القارعة ٥ ؛ والثانية عن ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٥٥٨) .

(٦) سورة السجدة ١ ، ٢ .

(٧) سورة الواقعة ٢٩ .

(٨) سورة ق ١٩ ؛ وروايتها عند حفص ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحقِّ ﴾ .

مسعود ؛ فهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به لمخالفته المصحف ، ولأنه غير واحد .

السابع الاختلاف بالزيادة والنقص فى الحروف والكلم نحو ﴿ ... أيديهم ﴾[1] ﴿ وما عملت ﴾ ، و ﴿ نعجة أنثى ﴾[2] ونظائره ، فهذا يقبل منه مالم يُحْدِ حكما لم يَقلْه أحد، ويُقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف فى إثباته وحذفه ، نحو : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ﴾[3] فى براءة عند رأس المائة ، و ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ ، و ﴿ فإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴾[4] ، فى الحديد، و ﴿ فإِنَّ اللّهَ الْغَنِىُّ ﴾ ؛ ونحو ذلك مما اختلف فيه المصاحف التى وجّه بها عثمان إلى الأمصار فيقرأ به إذ لم يُخرجه عن خَطِّ المصحف ، ولا يقرأ منه ما لم تختلف فيه المصاحف ، لا يُزاد شىء لم يُزَدْ فيها ، ولا يُنقص شىء لم ينقص منها .

***

الأمر الثامن، قال أبو عبيد فى كتاب " فضائل القرآن " إن القصد من القراءة الشاذة تفسيرُ القراءة المشهورة وتبيين معانيها ؛ وذلك كقراءة عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى صلاة العصر »[5] .

وكقراءة ابن مسعود : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا »[6] .

---

(١) سورة يس ٣٥ . قال الزمخشرى « وقرئ » : ﴿وَمَا عَمِلَتْ ﴾ من غير راجع ؛ وهى فى مصاحف أهل الكوفة ، وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الكشاف ٢ : ٢٥٢) .

(٢) سورة ص ٢٣ ؛ حكيت عن ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٢٨١) .

(٣) سورة التوبة ١٠٠ ، والثانية قراءة ابن كثير ووافقه ابن محيصن(إتحاف فضلاء البشر ٢٤٤).

(٤) سورة الحديد ٢٤ ؛ والثانية عن نافع ، وهو فى مصاحف أهل المدينة والشام ، (الكشاف ٢ : ٤٣٧) .

(٥) سورة البقرة ٢٣٨ .

(٦) سورة المائدة ٣٨ ؛ وقراءة حفص : ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ .

ومثل قراءة أبيّ : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فِيهِنَّ[1] » .

وكقراءة سعد بن أبي وقاص : « وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ فَلِكُلٍّ ...»[2] .

وكما قرأ ابن عباس : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مواسم الحج »[3] .

— قلت : وكذا قراءته : « وَأَيْقَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ »[4] وقال : ذهب الظن . قال أبو الفتح: يريد أنّهُ ذهبَ اللفظ الذي يصلُح للشك ؛ وجاء اللَّفظُ الذي هو مُصَرِّحٌ باليقين. انتهى —

وكقراءة جابر : « فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ له غَفُورٌ رَحِيمٌ »[5] .

فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسِّرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا رُوِي عن كبار الصحابة ، ثم صارَ في نفس القراءة ! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفةُ صحة التأويل ؛ على أنَّها من العلم الذي لا يَعرف العامة فضلَه ؛ إنما يعرفُ ذلك

---

(١) سورة البقرة ٢٢٦ . وقراءة حفص بحذف « فِيهِنَّ » .

(٢) سورة النساء ١٢ ، وقراءة حفص :﴿ وله أخٌ أوأختٌ فَلِكُلٍّ ...﴾ بحذف «من أم» .

(٣) سورة البقرة ١٩٨ ، وقراءة حفص : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تبتغوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فإذا أَفَضْتُمْ . . . ﴾ بحذف « في مواسم الحج » .

(٤) سورة القيامة ٢٨ ، وقراءة حفص : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ .

(٥) سورة النور ٣٣ ؛ وقراءة حفص بدون « لَهُ » .

العلماء ، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ يَقْضِ الْحَقَّ ﴾[1] فلما وجدتها في قراءة عبد الله : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ علمت أنها إنما هي ﴿ يقض ﴾ فقرأتها على ما في المصحف ؛ واعتبرت صحتها بتلك القراءة ، وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[2] ، ثم لمّا وجدتها في قراءة أُبيّ «تنبئهم» علمت أن وجه القراءة ﴿ تُكَلِّمهم ﴾ في أشباه من هذا كثيرة .

فائدة

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أُبيّ ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وعلي وابن مسعود .

فائدة

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شكّ في حرف هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأوّلَ غير لَحن في بعض المواضع .

---

(١) سورة الأنعام ٥٧ ، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن محيصن ﴿ يَقُصُّ ﴾ بالصاد المشددة المرفوعة ، وقرأ الباقون بقاف ساكنة وضاد مكسورة ؛ عدا ابن مسعود فإنه يثبت الياء (وانظر النشر ٢ : ٢٤٩ ، والإتحاف ٢٠٩ ، والقرطبي ٦ : ٤٣٩) .

(٢) سورة النمل ٨٢ ، وهي قراءة الجمهور ، (وانظر البحر المحيط ٧ : ٩٧) .

النوع الرابع والعشرون
معرفة الوقف والابتداء

وهو فنّ جليل، و به يعرَف كيف أداء القرآن . ويترتب على ذلك فوائدُ كثيرة ؛ واستنباطات غزيرة . و به تتبيَّن معانى الآيات ، ويؤمَن الاحترازُ عن الوقوع فى المشكلات.

وقد صنف فيه الزّجّاج [١] قديما كتاب "القطع والاستئناف" ، وابن الأنبارى، وابن عباد [٢] ، والدّانىّ [٣] ، والعُمانى [٤] ، وغيرهم .

وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلَّمون ما ينبغى أن يوقَف عنده ، كما يتعلَّمون القرآن [٥] .

وروى عن ابن عباس: ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ [٦] قال : فانقطع الكلام .

---

(١) كذا ذكره المؤلف ؛ وفى الإتقان : « النحاس » وفى دار الكتب المصرية نسخة مصورة من تأليف أبى جعفر النحاس بهذا الاسم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباد المقرئ النحوى ؛ المتوفى سنة ٣٣٤ ، (ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١) .

(٣) فى كتاب الاكتفا فى الوقف والابتداء ؛ ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤١٧ تفسير تيمور .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن على بن سعيد العمانى المقرئ ، قال ابن الجزرى : له فى الوقوف كتابان ، أحدهما كتاب المرشد . وقد لخصه زكريا الأنصارى فى كتاب أسماه : المقصد لتلخيص مافى المرشد ، طبع فى مصر سنة ١٩٣٤ م

(٥) الخبر بتمامه كما نقله أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى : « قال عبد الله بن عمر : لقد عشنا برهة من دهرنا ، و إن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدرى ما آمره ولازاجره ، ولا ما ينبغى أن يوقف عنده، وكل حرف منه ينادى : أنا رسول الله إليك لتعمل بى ، وتتعظ بمواعظى » .

(٦) سورة النساء ٨٣ .

مأخوذةَ إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : « أنزِل القرآنُ على سبعة أحرف » ، فهما قراءتان حسنتان ، لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى . انتهى .

وقال فى سورة المزّمل : السَّلامة عند أهل الدِّين أنه إذا صحّت القراءتان عن الجماعة ألاَّ يقال : أحدهما أجودُ ؛ لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأثَم من قال ذلك ؛ وكان رؤساء[1] الصحابة رضى الله عنهم يُنكرون مثل هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله : قد أكثر المصنِّفون فى القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة ﴿ مَلِكِ ﴾[2] و ﴿ مَالِكِ ﴾[2] حتى إنَّ بعضَهم يُبَالغ إلى حدٍّ يكاد يُسْقِط وجهَ القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمودٍ بعد ثبوت القراءتين ؛ واتّصاف الربّ تعالى بهما ؛ ثم قال : حتى إنى أصلّى بهذه فى ركعة ، وبهذه فى ركعة .

وقال صاحب " التحرير "[3] وقد ذكر التوجيه فى قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾[4] و ﴿واعدنا﴾ : لا وجهَ للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض فى مشهور كتبِ الأئمة من المفسرين والقرّاء والنحويين ؛ وليس ذلك راجعا إلى الطريق حتى يأتىَ هذا القول ؛ بل مرجِعُه ما يتعلق بكثرة الاستعمال فى اللغة والقرآن ، أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام .

وحاصلُه أن القارئ يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها ، أو نحو ذلك ؛ وقد تجرأ بعضُهم على قراءة الجمهور فى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ ﴾[5] فقال : أكره التأنيثَ لما فيه من موافقة دعوى الجاهلية فى زعمها أن الملائكة إناث ؛ وكذلك كَرِه بعضُهم قراءة من قرأ بغير تاء ؛ لأن الملائكة جمع .

---

(١) م : « رءوس » (٢) سورة الفاتحة ٣، وعاصم والكسائى ويعقوب وخلف بالألف ، والباقون بغير ألف . (إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .

(٣) هو محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب ، صاحب كتاب التحرير والتحبير ، لأقوال أئمة التفسير ، فى معانى كلام السميع البصير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٤) سورة البقرة ٥١ . أبو عمر وأبو جعفر ويعقوب بغير ألف ، ووافقهم ابن محيصن ، والباقون بغير ألف (الإتحاف ١٣٦) .

(٥) سورة آل عمران ٣٩ ، وانظر الإتحاف ١٧٣ .

وهذا كلُّه ليس بجيّدٍ ، والقراءتان متواترتان ؛ فلا ينبغي أن تردّ إحداهما البتَّة ؛ وفى قراءة عبد الله ﴿ فنَادَاه جبريل ﴾ ما يؤيد أن الملائكة مرادٌ به الواحد .

فصل

[فى توجيه القراءة الشاذّة]

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة ،ومن أحسن ماوضع فيه كتاب " المحتسب " لأبى الفتح؛ إلا أنه لم يُسْتَوْفَ ، وأوسع منه كتابُ أبى البقاء العكبرى؛ وقديُستبشَع ظاهر الشاذّ بادِىَ الرأى فيدفعه التأويل، كقراءة : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعِمُ ﴾ [1] ؛ على بناء الفعل الأول للمفعول دون الثانى ؛ وتأويل الضمير فى ﴿ وَهُوَ ﴾ راجع إلى الولىّ .

وكذلك قوله : ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ البارِئُ المصوَّرَ ﴾ بفتح الواو والراء ؛ على أنَّه اسم مفعول ؛ وتأويله أنه مفعول لاسم الفاعل ، الذى هو البارئ ، فإنه يَعملُ عَمل الفعل؛ كأنه قال : الذى برأ المصوَّرَ .

وكقراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ ﴾ [2] ، وتأويله أن الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم ؛ لا الخوف .

وكقراءة: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ [3] بضم التاء على التكلم لله تعالى ؛ وتأويله على معنى : فإذا أرشدتُك إليه وجعلتك تقصده . وجاء قوله : ﴿ عَلَى اللهِ ﴾ على الالتفات ؛ وإلّا لقال : ﴿ فتوكّل علىّ ﴾، وقد نُسِب العزم إليه فى قول أم سلمة « ثم عزم الله لى » ، وذلك على سبيل المجاز. وقوله : ﴿ شَهِدَ اللهُ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الأنعام ١٤ (٢) سورة فاطر ٢٨ . قرأ بها عمر بن عبد العزيز ، وتحكى عن أبى حنيفة (وانظر تفسير القرطبى ١٤ : ٣٤٤) (٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة آل عمران ١٨ بكسر الهمزة أى على إجراء « شهد » مجرى القول، (الإتحاف ١٧٢).

النوع الثالث والعشرون
معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ

وهو فن جليل ، و به تُعرف جلالة المعانى وجزالتُها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً، منها كتاب " الحجّة " لأبى علىّ الفارسىّ ، وكتاب " الكشف " لمكّى[1] وكتاب " الهداية " للمهدوى[2] . وكلٌّ منها قد اشتمل على فوائد . وقد صنَّفوا أيضا فى توجيه القراءات الشواذّ ، ومن أحسنِها كتاب " المحتسِب " لابن جِنِّى ، وكتاب أبى البقاء ، وغيرهما .

وفائدته ـ كما قال الكواشىّ : أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه ، أو مرجّحا ؛ إلّا أنَّه ينبغى التنبيه على شىء ؛ وهو أنه قد تَرجّح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يُسْقِط القراءة الأخرى ؛ وهذا غير مرضىّ ؛ لأن كلتيهما متواترة ، وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب " اليواقيت " عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب فى القرآن عن السبعة لم أفضِّل إعرابا على إعرابٍ فى القرآن ؛ فإذا خرجتُ إلى الكلام (كلامِ الناس) فَضَّلتُ الأقوى ؛ وهو حسن .

وقال أبو جعفر النحاس ـ وقد حكى اختلافهم فى ترجيح ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[3] بالمصدرية والفعلية فقال : والديانة تحظُر الطعنَ على القراءة التى قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها . (٢) الهداية لأبى العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى سنة ٤٣٠ (كشف الظنون) (٣) سورة البلد ١٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ﴿فَكَّ رَقَبَةً﴾ على الفعل الماضى والمفعول المنصوب ، وقرأ الباقون ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ على أنه مصدر مضاف لما بعده . (وانظر تفسير القرطبى ٢٠ : ٧٠، والإتحاف ٤٣٩ ، وإعراب القرآن للعكبرى ٢ : ١٥٥).

واستأنس له ابنُ النحاس بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم للخطيب : « بئس الخطيبُ أنت » حين قال : [مَنْ يُطِـعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد][1] ومن يَعْصِهما ـ ووقف ـ قال : فقد كان ينبغِي أن يصلَ كلامَه فيقول : ومَنْ يعصهما فقد غوَى ، أو يقف على : « ورسوله فقد رَشَد ؛ » فإذا كان [مثلُ هذا][1] مكروها فى الخُطَب ففى كلام الله أشدُّ .

وفيما ذكره نِزاع ليس هذا موضعه ، وقد سبق حديث : « أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافٍ ؛ مالم تختم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب » .

وهذا تعليم للتمام ؛ فإنه يَنْبَغى أن يوقفَ على الآية التى فيها ذكر العذاب والنار وتُفْصَل عمّا بعدها ؛ نحو : ﴿ أُولئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيها خَالِدُون ﴾[2] ولا توصل بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحَاتِ ﴾[3] ، وكذا قوله : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[4] ولا توصل بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُون العَرْشَ ﴾[5] وكذا : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ ﴾[6] ؛ ولا يجوز أن يوصل بقوله : ﴿ والظَّالمون ﴾[6] وقس على هذا نظائرَه .

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهـذا الفنُّ معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة ؛ قال أبو بكر بن مجاهد : لا يقوم بالتَّمام [فى الوقف][7] إلا نحوىّ عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالمٌ باللغة التى نزل بها القرآن . وقال غيره : وكذا علم الفقه ؛ ولهذا مَنْ لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف[8] عند قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ﴾[9] .

***

(١) تكملة من كتاب منار الهدى للأشمونى ص ٤ .
(٢) سورة البقرة ٨١ (٣) سورة البقرة ٨٢ .
(٤) سورة غافر ٦ (٥) سورة غافر ٧
(٦) سورة الشورى ٨ .
(٧) تكملة من الإتقان ٢ : ٨٧ فيما نقل عن ابن مجاهد .
(٨) فى الإتقان : « يقف » . (٩) سورة النور ٤ .

فأما احتياجُه إلى معرفة النحو وتقديراتِه ، فلأنّ مَنْ قال فى قوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] : إنه منصوب بمعنى « كَمِلَّةِ »[2] أو أعمل فيهـا ماقبلها ، لم يقف على ماقبلها .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ﴾[3] ، ثم يبتدئ ﴿ قَيِّماً ﴾[4] ، لئلا يتخيل كونه صفة له ؛ إذ العِوَجُ لا يكون قَيِّمًا ؛ وقد حكاه ابنُ النحاس عن قتادة .

* وهكذا الوقفُ على مافى آخره هاء ؛ فإنك فى غير القرآن تثبت الهاء إذا وقفت ، وتحذفها إذا وصلت ؛ فتقول : قِهْ وعِهْ ، وتقول : قِ زيدا ، وعِ كلامى ؛ فأمّا فى القرآن من قوله تعالى : ﴿ كِتَابِيَهْ ﴾[5] و﴿ حِسَابِيَهْ ﴾[6] و ﴿ سُلْطَانِيَهْ ﴾[7] و﴿ مَاهِيَهْ ﴾[8] و﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾[9] و﴿ اقْتَدِهْ ﴾[10] ؛ وغير ذلك ، فالواجب أن يوقَف عليه بالهـاء ؛ لأنه مكتوبٌ فى المصحف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم فى حكم العربية إسقاط الهاء فى الوصل ؛ فإن أثبتَها خالف العربية ، ، وإن حذفها خالف مراد المصحف ، ووافق كلام العرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، واتّبع المصحف وكلام العرب * .

فإن قيل : فقد جوزوا الوصل فى ذلك .

قلنا : أتَوْا به على نية الوقف ؛ غيرَ أنّهم قَصّروا زمن الفصل بين النطقين ، فظن مَنْ لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضا ، وليس كذلك .

---

(١) سورة الحج ٧٨ .

(٢) فى الأصول : «كلمة» تحريف ، وفى تفسير القرطبى ١٢ : ١٠١ : «انتصب على تقدير حذف الكاف ؛ كأنه قال : « كملة » .

(٣) سورة الكهف ١ (٤) سورة الكهف ٢

(٥) سورة الحاقة ١٩ (٦) سورة الحاقة ٢٠

(٧) سور الحاقه ٢٩ . (٨) سورة القارعة ١٠

(٩) سورة البقرة ٢٥٩ (١٠) سورة الأنعام ٩٠ .

(* — *) مابين النجمتين ساقط من ت .

ومثلُه قراءة ابن عامر ﴿ لَـكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾[١] ، بإثبات الألف فى حال الوصل ؛ اتبعُوا فى إثباتها خط المصحف ؛ لأنهم أثبتوها فيه على نية الوقف، فلهذا أثبتوها فى حال الوصل ، وهم على نية الوقف .

* * *

وأما احتياجُه إلى معرفة التفسير فلأنه إذا وقف على ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[٢] كان المعنى محرَّمةٌ عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ كان المعنى محرَّمة عليهم أبدا ؛ وأنَّ التِّيه أربعين ؛ فرجع فى هذا إلى التفسير ، فيكون بحسب ذلك .

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾[٣] ، ثم يبتدئ ؛ فيقول: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ لأنه قيل إنه من كلام الملائكة .

* * *

وأما احتياجه إلى المعنى فكقوله : ﴿ قَالَ، اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[٤] فيقف على ﴿قال﴾ وقفةً لطيفة ؛ لئلا يُتوهم كون الاسم الكريم فاعل : ﴿ قال ﴾ وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام .

وكذا يجب الوقف على قوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾[٥] ثم يبتدئ : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾[٥]

وقوله : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾[٦] ، قال الشيخ عز الدين : الأحسنُ

---

(١) سورة الكهف ٣٧.
(٢) سورة المائدة ٢٦
(٣) سورة يس ٥٢
(٤) سورة يوسف ٦٦
(٥) سورة يونس ٦٥
(٦) سورة القصص ٣٥ .

الوقفُ على ﴿ إليكما ﴾؛ لأن إضافة الغلبة[1] إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأنَّ المراد بالآيات العَصاَ وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم فـ .

وكذا يستَحبُّ الوقفُ على قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ ... داء بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾[2] ؛ فإنَّ ذلك يبين أنَّهُ رَدٌّ لقول الـ ... : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[3] . وقال الدانى : إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله: ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[4] والابتداء بما بعده[5] ؛ أى لأن يرحمهم، فإن ابن عباس قال فى تفسير الآية : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[4] يعنى اليهود والنصارى ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾[4] ، يعنى أهلَ الإسلام ، ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[4] أى لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾[6] فإنَّ بذلك يَتَبيَّن الفصل بين الأمرين ؛ لأن يوسفَ عليه السلام أُمِر بالإعراض؛ وهو الصفحُ عن جهلِ مَنْ جهل قدره ، وأراد ضُرّه ، والمرأة أُمِرت بالاستغفار لذنبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ؛ ولذلك أُمِرَتْ به؛ ولم يَهُمّ بذلك يوسف عليه السلام، ولذلك لم يُؤْمَر بالاستغفار منه ؛ وإنَّما همّ بدفعها عن نفسه لعصمته ؛ ولذلك أكَّد أيضاً بعضُ العلماء الوقفَ على قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾[7] ، والابتداء بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[7] وذلك للفصل بين الخبرين . وقد قال الدانى : إنه كافٍ ، وقيل : تام ، وذكر بعضهم أنه على

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى آخر الآية ﴿ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾

(٢) سورة الأعراف ١٨٤ (٣) سورة الحجر ٦

(٤) سورة هود ١١٩ (٥) وبعدها : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ .

(٦) سورة يوسف ٢٩ (٧) سورة يوسف ٢٤

حذف مضاف ، أى همّ بدفعها ، وعلى هـذا فالوقف على ﴿ همّتْ به ﴾ كالوقف على قوله تعالى : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[١] والابتداء بقوله : ﴿ وهمّ بها ﴾ كالابتداء بقوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ ﴾[١] .

ومثلُه الوقف مراعاة للتنزيه على قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾[٢]،وقد ذكر * صاحب الاكتفا[٣] أنه تام[٤] ، وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : وهو الله يعلم سرّكم وجهركم فى السموات والأرض .

* وكذلك حكى الزمخشرىّ فى كشافه القديم عن أبى حاتم السجستانى فى قوله : ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[٥] قال : ليس ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ بوقف صالح ، لا أحِبّ استئناف ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ولا استئناف ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٦] حتى أصلَه بما قبله ، قال : و إنما لم يستحبّ ذلك لأنّه إنما جاز إسنادُ الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزاوجة ، فإذا استأنفت وقطعت الثانىَ من الأول أوهم أنك تُسنده إلى الله مطلقا والحكم فى صفاته سبحانه أن تصان عن * الوهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[٧] قال صاحب الاكتفا[٨] : إنه

---

(١) سورة الحج ٥

(٢) سورة الأنعام ٣ ﴿وهو الله فى السَّمَوَاتِ وفى الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ .

(٣) هو أبو عمرو الدانى وانظر ص ٣٤٢ الحاشية ٣

(٤) ص ٧٢ وقد ذكر الأشمونى فى منار الهدى ص ١٠٧ أنه وقف حسن ، وانظر توجيهه هناك ، وتفسير أبى حيان ٤ : ٧٢ . (* ـ *) ما بين النجمين ساقط من ت (٥) سورة البقرة ١٤ ، ١٥

(٦) سورة آل عمران ٥٤ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ واللهُ خيرُ الماكرين ﴾ .

(٧) سورة آل عمران ٧ (٨) ص ٤٠

تامّ على قولِ مَنْ زَعَم أن الراسخين لم يعلموا تأويله ، وهو قول الأكثرين ، ويُصدّقه قراءة عبد الله : « وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ » .

وكذلك الوقف على : ﴿ وقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ﴾[1] ، والابتداء بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، فى كتابه الذى تعقب فيه على صاحب الاكتفا ، واستدرك عليه فيه مواقفَ كثيرة ، وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم : ﴿ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا ﴾ ، ثم ردّ قولهم ونزّه نفسه بقوله : ﴿ سبحانه ﴾ ، فينبغى أن يفصَل بين القولين .

ومثله الوقفُ على قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾[2] ، والابتداء بقوله : ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾[3] . قال صاحب الكافى : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ كافٍ ، سواء قرئ ﴿ وَأُمْلِيَ لَهُمْ ﴾ على مالم يسم فاعله ، أو ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ ، على الإخبار ؛ لأن الإملاء فى كلتا القراءتين مُسْنَد إلى الله تعالى ، لقوله : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾[4] ، فيحسن قطعُه من التسويل الذى هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال ، وإنما يحسن قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين . ولقد نبّه بعضُ مَنْ وصَلَه على حسن هذا الوقف ، فاعتذر بأن الوصل هو الأصل .

ومثله الوقفُ على قوله : ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[5] ، والابتداء بقوله : ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[6] ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرّهبانية فى قلوبهم ، أى خَلَق ، كما جعل الرأفة والرحمة فى قلوبهم وإن كانوا قد ابتدعوها فالله تعالى خلقها ؛ بدليل قوله سبحانه : ﴿ واللهُ خلقكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[6] ؛ هذا مذهبُ أهل السنة ،

---

(١) سورة البقرة ١١٦ (٢) سورة القتال ٢٥

(٣) فى القراءات السبع ، لأبى محمد اسماعيل بن أحمد السرخسى (كشف الظنون)

(٤) سورة الحج ٤٤ . (٥) سورة الحديد ٢٧ (٦) سورة الصافات ٩٦ .

وقد نُسِب أبو علىّ الفارسىّ إلى مذهب الاعتزال بقوله فى الإيضاح[١] حين تكلم على هذه الآية فقال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملُها على ﴿ جَعَلْنَا ﴾ مع وصفها بقوله : ﴿ابْتَدَعُوها﴾ ، لأن مايجعله الله لا يبتدعونه، فكذلك ينبغى أن يفصل بالوقف بين المذهبين .

ومثله الوَقف على قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾[٢]، والابتداء بقوله : ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ والْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، أى مُعِينُون له صلى الله عليه وسلم ؛ فتكون هذه الجملة مستأنفة .

***

وأما احتياجُه إلى المعرفة بالقراءات فلأنه إذا قرأ : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْراً مَحْجُورًا ﴾[٣] بفتح الحاء ، كان هذا التَّمام ، وإن ضَمّ الحاء ــ وهى قراءة الحسن ــ فالوقف عند ﴿ حُجْراً ﴾ لأنَّ العرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدّة قال : « حُجْرا » فقيل له : « محجورا » أى لا تُعاذُون كما كنتم تُعاذون فى الدنيا ؛ حَجَر الله ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[٤] إلى قوله : ﴿ قِصَاص﴾ فهو التام إذا نَصَب ﴿ والْعَيْنَ بالْعَيْنِ ﴾ ،ومَنْ رفع فالوقف عند : ﴿ أنّ النفس بالنفس﴾ ، وتكون ﴿ والعَيْنُ بالْعيْنِ ﴾ ابتداء حكم فى المسلمين وما قبله فى التوراة[٥].

***

(١) كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى فى النحو ؛ ألفه لعضد الدولة ، اشتمل على ١٩٦ بابا ، منها ١٦٦ فى النحو والباقى فى التصريف (كشف الظنون) .

(٢) سورة التحريم ٤ .

(٣) سورة الفرقان ٢٢ .

(٤) سورة المائدة ٤٥ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذلك كتبْنا على بنى إسرائيل أنه من قتلَ نفساً بِغيرِ نفْسٍ﴾ .

واعلم أنَّ أكثرَ القُرَّاء يبتغون فى الوقف المعنى و إن لم يكن رأسَ آية ، ونازعهم فيه بعضُ المتأخرين فى ذلك ؛ وقال : هـذا خلاف السنَّة ، فإن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] و يقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1] وهكذا ، روتْ أمُّ سلمة أنّ النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم كان يقطِّع قراءته آية آية ، ومعنى هـذا الوقفُ على رءوس الآى ، وأكثر أواخر الآى فى القرآن تامّ أو كاف ، وأكثرُ ذلك فى السور القصار الآى ، نحو الواقعة ، قال : وهـذا هو الأفضل ؛ أعنى الوقفَ[2] على رءوس الآى و إن تَعَلَّقَتْ بما بعدها ، وذهب بعضُ القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد ، والوقف[2] عند رءوس انتهائها ؛ واتباع السنَّة أولى . وممن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتاب (شُعَب الإيمان) وغيره ، ورجح الوقف[2] على رءوس الآى و إن تعلقت بما بعدها .

قلت : وحكى النحاس عن الأخفش علىّ بن سليمان أنه يستحب الوقوف على قوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] لأنه رأس آية، و إن كان متعلّقا بما بعده .

[أقسام الوقف]

والوقفُ عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تامّ مختار ، وكافٍ جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

وقسمه بعضُهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن . وقسَّمه آخرون إلى اثنين، وأسقط الكافىَ والحسن.

* * *

فالتامُّ هو الذى لا يتعلّق بشىء مما بعده ، فيحسن الوقفُ عليه والابتداء بما بعـده ؛

---

(١) سورة الفاتحة ٢ ، ٣ .
(٢) ت : « الوقوف
(٣) سورة البقرة ٢ .

كقوله تعالى : ﴿ وأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1]؛وأ كثرُ ما يوجد عند رءوس الآى كقوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] ، ثم يبتدئ بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [2] وكذا : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ ﴾ [3] ثم يبتدئ بقوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [4] .

،قد يوجد قبل انقضاء الفاصلة ، كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [5] هنا التمام لأنه ، كلام بلقيس ، ثم قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [5] ، وهو رأس الآية .

وكذلك : ﴿عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [6] هوالتمام ، لأنه انقضاء كلام الظالم الذى هو أبىّ بن خلف ، ثم قال الله تعالى:﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ [6] وهو رأس آية .

وقد يوجد بعدها كقوله تعالى :﴿مُصْبِحِينَ وبِاللَّيْلِ ﴾ [7] ﴿ مصبحين﴾ رأس الآية ، ﴿ وَبِاللَّيْلِ ﴾ [7] التمام ؛ لأنه معطوف على المعنى،أى والصبح و بالليل .

وكذلك : ﴿يَتَّكِئُون ﴾ ﴿وَزُخْرُفًا ﴾ [8] . رأس الآية : ﴿ يتكئون ﴾ ، ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ هو التمام ، لأنه معطوف على ما قبله من قوله : ﴿ سُقُفًا ﴾ [9] .

وآخرُ كل قصّة وما قبل أوّلها وآخر كلّ سورة تام ، والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع ، والأثمان ، والأسباع ، والأتساع ، والأعشار ، والأخماس . وقبل ياء النداء ، وفعل الأمر ، والقَسم ولامه دون القول ، و«الله» بعد رأس كل آية ، والشرط مالم يتقدم جوابُه و « كَانَ اللهُ » ، و«ما كان» ، و «ذلك» ،و « لولا » غالبهنّ تام مالم يتقدمهن قَسم أو قول أو ما فى معناه [10] .

* * *

والكافى منقطع فى اللفظ متعلق فى المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما

---

(١) سورة البقرة ٥ (٢) سورة البقرة ٦ . (٣) سورة البقرة ٤٦ .
(٤) سورة البقرة ٤٧ (٥) سورة النمل ٣٤ (٦) سورة الفرقان ٢٩
(٧) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ (٨) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥ (٩) سورة الزخرف ٣٣.
(١٠) انظر توضيح ذلك مفصلا فى منار الهدى للأشمونى : ١٤ ، ١٥ .

بعده ، نحو : ﴿حُرِمَّتْ عَلَيْكُمْ أُمهاتُكُمْ﴾ [(١)] هنا الوقفُ ، ثم يبتدئ بما بعد ذلك ، وهكذا باقى المعطوفات ، وكل رأس آية بعدها « لام كى » و « إلا » بمعنى « لكن » و « إنّ » المكسورة المشددة ، والاستفهام ، و « بل » و « ألاَ » المخففة ، و « السين » و « سوف » على التهدّد ، و« نعم » ، و« بئس » ، و « كيلا » ، وغالبهن كافٍ ، مالم يتقدمهن قول أو قسم ، وقيل «أن» المفتوحة المخففة فى خمسة لا غير . البقرة: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ [(٢)] ، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ [(٣)] ، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ [(٤)] ، والنساء : ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ [(٥)] ، والنور : ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ [(٦)] .

* * *

والحسن [(٧)] هو الذى يحسن الوقوف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى ؛ نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [(٨)] و﴿الرَّحْمٰنِ الرحِيمِ﴾ [(٨)] ، والوقف عليه حسنٌ ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [(٨)] و ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [(٨)] ، و ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [(٨)] لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرورٌ ، والابتداء بالمجرور قبيح ؛ لأنه تابع .

* * *

والقبيح هو الذى لا يفهم منه المرادنحو ﴿ الْحَمْدُ ﴾ فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة ، ولا على البدل دون المبدل منه ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، نحو ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعَادٌ﴾ [(٩)] ، ولا على المجرور دون الجار .

---

(١) سورة النساء ٢٣ — (٢) سورة البقرة ١٨٤
(٣) سورة البقرة ٢٣٧ — (٤) سورة البقرة ٢٨٠
(٥) سورة النساء ٢٥ — (٦) سورة النور ٦٠
(٧) انظر صفحة ٩ من كتاب « منار الهدى فى الوقف والابتدا » .
(٨) سورة الحمد ٢ ــ ٤ — (٩) سورة الحاقة ٤ .

وأقبح من هذا الوقفُ على قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذين قَالُوا﴾[١] ، ﴿وَمَنْ يَقلْ مِنْهُمْ﴾[٢] والابتداء بقوله : ﴿ إنَّ اللهَ هُوَ الْمسِيحُ بْنُ مريَمَ ﴾[٣] ، ﴿إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[٤] ، ﴿ إنِّى إلٰهٌ ﴾[٥] ؛ لأن المعنى يستحيل بهــذا فى الابتداء ، ومَنْ تعمَّده وقصد معناه فقد كفر . ومثله فى القبح الوقف على : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللهُ ﴾[٦] ، و ﴿مَثلُ السَّوْءِ وَلِلهِ ﴾[٧] ، وشبهه ، ومثله : ﴿ وَإن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبوَيْهِ ﴾[٨] ، و ﴿ إنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ والْمَوْتَى ﴾[٩] .

وأقبحُ من هــذا وأشنع الوقفُ على النفى دون حروف الإيجاب ، نحو : ﴿ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ ﴾[١٠] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيراً ﴾[١١] ، وكذا ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[١٢] ، و ﴿ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[١٣] ، فإن اضْطُرَّ لأجل التنفس جاز ذلك ، ثم يرجع إلى ماقبله حتى يصلَه بما بعده ولا حرج .

***

وقال بعضهم : إن تعلقت الآية بما قبلها تعلُّقًا لفظيا كان الوقف كافيا ، نحو ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾[١٤] ، وإن كان معنويًا فالوقفُ على ماقبلها حسن كاف ، نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١٥] ؛ وإن لم يكن لا لفظيا ولا معنويا فتامٌ ،

---

(١) سورة المائدة ١٧ ، ٧٣
(٢) سورة الأنبياء ٢٩ .
(٣) سورة المائدة ١٧ .
(٤) سورة المائدة ٧٣
(٥) سورة الأنبياء ٢٩
(٦) سورة البقرة ٢٥٨
(٧) سورة النحل ٦٠
(٨) سورة النساء ١١
(٩) سورة الأنعام ٣٦
(١٠) سورة محمد ١٩
(١١) سورة الإسراء ١٠٥
(١٢) سورة المائدة ٩ ، ١٠
(١٣) سورة محمد ١ ، ٢
(١٤) سورة الفاتحة ٦ ، ٧
(١٥) سورة الفاتحة ٢

كقوله : ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] ، بعده ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾[2] ، وإن كانت الآية مضادةً لما قبلها كقوله : ﴿ أَنَّهُم أَصْحَابُ النَّارِ . الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾[3] ، فالوقف عليه قبيح .

***

واعلم أن وقف الواجب إذا وقفت قبل «والله» ثم ابتدأت بو الله ، وهو الوقف الواجب كقوله تعالى : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[4] .

وقال بعض النحويين : الجملةُ التأليفية إذا عرفَتْ أجزاؤها[5] ، وتكررت أركانها كان ما أدركه الحسّ في حكم المذكور ؛ فله أن يقف كيف شاء . وسواء[6] التام وغيره ؛ إلا أن الأحسن أن يوقف على الأتم وما يقدر به .

وذهب الجمهور إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب : تام ، وشبيه [به][7] ، وناقص ، وشبيه به ، [وحسنٌ وشبيه به][7] وقبيحٌ ، وشبيه به ، وصنفوا فيه تصانيف ، فمنها ماأثروه عن النحاة ، ومنها ما أثروه عن القراء ، ومنها ما استنبطوه ، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط ، كالوقف على أواخر الآي ؛ وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم .

وذهب أبو يوسف القاضي صاحبُ أبي حنيفة إلى أنَّ تقديرَ الموقوف عليه من القرآن: التام ، والناقص ، والحسن ، والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومتعمِّدُ الوقفِ على نحوه مبتدع ، قال : لأنَّ القرآن معجز ، وهو كالقطعة الواحدة ، فكلّه قرآن وبعضه قرآن ، وكلُّه تام حسن ، وبعضه تام ، حكى ذلك أبو القاسم بن بَرْهان النحويّ عنه .

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٢) سورة البقرة ٢٧٤

(٣) سورة غافر ٦ ، ٧

(٤) سورة البقرة ١٩

(٥) ت : « عرفنا أجزاءها » .

(٦) ت : « ويستوى » .

(٧) تكملة من كتاب الإتقان ١ : ٨٥ .

وقال ابن الأنباريّ : لا يتمّ الوقف على المضاف [دون المضاف إليه] ، ولا على الرافع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الرافع ، ولا على الناصب دون المنصوب ، ولا عكسه ، ولا على المؤكّد دون التأكيد ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، وكذا ظننت، ولا على المستثنَى منه دون الاستثناء، ولا على المفسَّر عنه دون التفسير، ولا على المترجَم عنه دون المترجِم ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهِم به عنه ، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذى بينهما ، ولا على الذى يليه دون الجواب . وجوّز أبو على الوقفَ على ما قبل « إلا » إذا كانت بمعنى « لكن » كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١) ، وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ (٢) ، و﴿ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (٣) ونحوه .

وقال أبو عبيد : يجوز الوقف دون ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ (٤) ، ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (٥) ، ﴿ إِلَّا سَلَامًا ﴾ (٦) ، لأن المعنى : لكن يقع خطأ ، ولكن قد يلمّ ، ولكن يسلّمون سلامًا ، وجميعه استثناء منقطع .

وقال غيره : لا يجوز الوقف على المبدَل دون البدل إذا كان منصوبا ، وإن كان مرفوعا جاز الوقف عليه .

والحاصل أنّ كلّ شىء كان تعلقه بما قبله كتعلّق البدل بالمبدَل منه أوْ أقوَى لا يجوز الوقفُ عليه .

---

(١) سورة الأنعام ١١٩
(٢) سورة الليل ٢٠
(٣) سورة النساء ١٥٧
(٤) سورة النساء ٩٢
(٥) سورة النجم ٣٢
(٦) سورة مريم ٦٢

مسألة (١)

فصل بعضهم فى الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها ، و بين أن تكون للمدح فيجوز ، وجرى عليه الرُّمانى فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ؛ قال : و يجوز الوقفُ عليه خلافا لبعضهم ، وعاملُ الصفة فى المدح غير عامل الموصوف ، فلهذا جاز قطعُها عما قبلها ، بخلاف الاختصاص فإنَّ عاملها عامل الموصوف ، وسيأتى فى كلام (٣) الزمخشرى ما يؤيده .

مسألة (٤)

لا خلافَ فى التسامح بالوقف على المستثنى منه دون المستثنى إذا كان متصلا ، واختُلف فى الاستثناء المنقطع ، فمنهم مَنْ يجوِّزُه مطلقا ، ومنهم مَنْ يمنعه مطلقا . وفصَّل ابن الحاجب فى أماليه (٥) فقال : يجوز إن صُرِّح بالخبر ، ولا يجوز إن لم يصرّح به ؛ لأنه إذا صرح بالخبر استقلّت الجملة واستغنت عمّا قبلها ، و إذا لم يصرَّح به كانت مفتقرة إلى ما قبلها . قال : ووجه مَنْ جوّز مطلقا أنه فى معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه ، فكان مثل قولنا : زيد ، لمن قال : مَنْ أبوك ! ألا تَرى أن تقدير المنقطع فى قولك : مافى الدار أحد إلا الحارث : لكن الحارث فى الدار ، ولو قلت : « لكن الحارث » مبتدئا به بعد الوقوف على ما قبله لكان حسناً ، ألا ترى إلى جواز الوقف بالإجماع على مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ

---

(١) لم تذكر فى ت
(٢) سورة البقرة ١٥٥
(٣) ص ٣٥٨ من هذا الجزء
(٤) لم تذكر فى ت
(٥) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٠٧ نحو .

لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾[١] والابتداء بقوله : ﴿ وَلَـٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١] ، فـكذلك هذا . ووجه من قال بالمنع ما رأى من احتياج الاستثناء المنقطع إلى ما قبله لفظا ومعنى ؛ أما اللفظُ فلأنه لم يعهد استعمال « إلّا » وما فى معناها إلا متصلا بما قبلها لفظاً ، ألا ترى أنك إذا قلت: ما فى الدار أحد غير حمار ، فوقفت على ما قبل « غير » وابتدأت به كان قبيحا ! فـكذلك هذا ، وأما المعنى فلأن ما قبله مُشعر بتمام الـكلام فى المعنى ؛ فإن: ما فى الدار أحد إلا الحمار ، هو الذى صحّح قولك : « إلا الحمار » ألا ترى أنك لو قلت: « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ !

مسألة[٢]

اختلف فى الوقف على الجملة الندائيـة ، والمحققون كما قاله ابن الحاجب على الجواز ؛ لأنها مستقلة ، وما بعدها جملة أخرى ؛ وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت هى فى المعنى .

قاعدة

[فى الذى والذين فى القرآن]

جميع ما فى القرآن من « الذين » و« الذى » يجوز فيه الوصل بما قبله نَعتاً له ، والقطع على أنه خبر مبتدأ ، إلا فى سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو المعين .

---

(١) سورة يونس ٤٤ .
(٢) لم تذكر فى ت .

الأول قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [١] .
الثانى قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [٢] فى البقرة .

الثالث فى الأنعام كذلك [٣] .

الرابع قوله : ﴿ الذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ [٤] .

الخامس فى سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ﴾ [٥] .

السادس قوله فى سورة الفرقان : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ [٦] .

السابع قوله فى سورة حم المؤمن : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ [٧] .

وقال الزمخشرىّ فى تفسير سورة الناس : يجوز أن يقف القارئ على الموصوف ويبتدئ ﴿ الذى يُوَسْوِس ﴾ إن جعله على القطع بالرفع والنصب ، بخلاف ما إذا جعله صفة [٨] . وهذا يرجع لما سبق عن الرّمانى من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .

وجميع ما فى القرآن من القول لا يجوز الوقفُ عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول ، قاله الجوينى فى تفسيره .

وهذا الإطلاق مردودٌ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فإنه يجب الوقف

---

(١) سورة البقرة ١٢١
(٢) سورة البقرة ١٤٦
(٣) سورة الأنعام ٢٠ كما فى آية البقرة .
(٤) سورة البقرة ٢٧٥
(٥) سورة التوبة ٢٠
(٦) سورة الفرقان ٣٤
(٧) سورة غافر ٧

(٨) عبارة الزمخشرى فى الكشاف ٢ : ٥٦٩ عند تفسير قوله : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ ﴾ : « يجوز فى محله الحركات الثلاث ، فالجر على الصفة ، والرفع والنصب على الشتم ، ويحسن أن يقف القارئ على ﴿ الْخَنَّاس ﴾، ويبتدئ ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ ﴾ على أحد هذين الوجهين » .

هنا ، لأن قوله : ﴿ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ [1] ليس من مقولهم .

قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حَسن الوقف ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ ﴾ [2] ، فيحسن الوقوف هاهنا ، لأن فيه إضماراً تقديره : فضرب فانفلق .

فصل

[ملخص فى تقسيمات الوقف]

فصل جامع لخصته من كلام صاحب المستوفى [3] فى العربية

قال : تقسيمُهم الوقفَ إلى الجودة والحسن والقبح والكفاية وغير ذلك وإن كان يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعمَلها ، وقد حصل لقائلها من التشويش ما إذا شئت وجدته فى كتبهم المصنفة فى الوقوف .

فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطرارى واختيارىّ .

فالاضطرارى ما يدعو إليه انقطاع النَّفَس فقط ؛ وذلك لا يخصُّ موضعا دون موضع ؛ حتى إنَّ حمزة كان يقف فى حرفه [على] كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطةً أو متطرفة إذا أراد تسهيلَها ؛ وحتى إنه روى عنه الوقفُ على المضاف دون المضاف إليه ، فى نحو قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ ﴾ [4] قالوا : وقف هنا بالتاء على نحو جاءنى «طلحت» إشعارا بأنّ الكلام لم يتم عند ذاك ، وكوقفه على ﴿ إلى ﴾

---

(١) سورة يونس ٦٥ (٢) سورة الشعراء ٦٣

(٣) هو جمال الدين أبو سعد علىّ بن مسعود بن محمود بن أحمد بن الحكيم الفرغانى ؛ وكتاب المستوفى منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٦١ نحو .

(٤) سورة البقرة ٢٠٧

من قوله : ﴿ وَإذا خَلَوْا إلَى ﴾ [1] بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ، كهـذه الصورة « خَلَوْ لىَ » ، وعلى هـذا يجوز أن يقف فى المنظوم من القول حيث شئت ؛ وهـذا هو أحسن الوقفين .

والاختيارىّ وهو أفضلهما ؛ هو الذى لا يكون باعتبار انفصال مابين جزأى القول ؛ وينقسم بانقسام الانفصال أقساماً :

الأول التام ؛ وهو الذى يكون بحيث يستغنى كلُّ واحـد من جزأى القولين اللَّذين يكتنفانه عن الآخر ؛ كالوقف على ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ [2] من قوله : ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نستعِينُ ﴾ [2] ، والآخر : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [3] مُستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظىّ .

الثانى الناقص ؛ وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ؛ ولا يكون ما بعده مستغنيا عما قبله ، كالوقف على ﴿ المستقيم ﴾ من قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [4] ؛ ولأن لك أن تسكت على ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [4] ، وليس لك أن تقول مبتدئا : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [5] .

فإن قيل : ولم لا يجوز أن يُقَدَّرَ هاهنا الفعل الذى ينتصب به ﴿ صِراطَ ﴾ ؟

قلنا : أوّل ما فى ذلك أنّك إذا قدّرت الفعل قبل ﴿ صراط ﴾ لم تـكن مبتدئا به من حيث المعنى ، ثم إن فعلت ذلك كان الوقفُ تاما ، لأن كلّ واحد من طرفيه يستغنى حينئذ عن الآخر . والنحويون يكرهون الوقفَ الناقص فى التنزيل مع إمكان التام ؛ فإن طال الـكلام ولم يوجد فيه وقفٌ تامّ حَسُنَ الأخذ بالناقص ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ [6] إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [7] إن كسرتَ بعده ﴿ إنَّ ﴾ فإن

(١) سورة البقرة ١٠٤
(٢) سورة الفاتحة ٥
(٣) سورة الفاتحة ٦
(٤) سورة الفاتحة ٦
(٥) سورة الفاتحة ٧
(٦) سورة الجن ١
(٧) سورة الجن ١٨ .

فتحتها فإلى قوله : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[1] ؛ لأن الأوجهَ فى «أنّ» فى الآيةأن تكون محمولة على ﴿ أُوحِيَ ﴾ وهذا أقربُ من جعل الوقف التام ﴿ حَطَبًا ﴾[2] ، وحمل : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا ﴾[3] على القَسَم ، فاضطر فى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾[4] إلى أنْ جعل التقدير : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾[4] ؛ لأن المساجد لله .

فإن قيل : هذا هو الوجه فى فتح « أنّ » فى الجملة التى بعد قوله : ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[5] فلم لا يلزمُ مَنْ جَعَلَ الوقف التام ﴿ حَطَبًا ﴾[6] ألّا يقفَ قبله على هذه الجمل فى كسر « إن » فى أول كل واحدة منها ؟

قلنا : لأن هذه الجملَ داخلة فى القول ، وما يكونُ داخلاً فى القول لا يتمّ الوقف دونه ؛ كما أنَّ المعطوفَ إذا تَبِع المعطوفَ عليه فى إعرابه الظاهر والمقدر لا يتقدّمه الوقف تاما .

فإن قيل : فهل يجوز الفصل بالمكسورات بين ﴿ أنه استمع ﴾ و بين ﴿ وأنه لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ ﴾[7] فيمن فتحهما وقد عطف بالثانية على الأولى .

قيل : أما عندنا فليس ذلك بفصل ؛ لأن ما بعد ﴿ إنّا سَمِعنا ﴾ من المكسورات معطوف عليها ، وهى داخلة فى القول ، والقول ـ أعنى ﴿ فقالوا ﴾ ـ معطوف على ﴿ استمع ﴾ ، و ﴿ استمع ﴾ من صلة « أن » الأولى المفتوحة ، فالمكسورات تكون فى خبر المفتوحة الأولى ، فيعطف عليها الثانية بلا فصل بينها ، والثانية عندنا هى المخففة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾[7] ثم الثالثة هى التى فى قوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ .

---

(١) سورة الجن ١٩
(٢) سورة الجن ١٥
(٣) سورة الجن ١٦
(٤) سورة الجن ١٩
(٥) سورة الجن ١ ، ٢
(٦) سورة الجن ١٥
(٧) سورة الجن ١٩
(٧) سورة الجن ١٦

ثم إن فتحت التى فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ ﴾ [١] رابعة تابعة ؛ فإن فتحت التى بعد ﴿ سمعنا ﴾ كانت هى واللواتى بعدها إلى قوله: ﴿ حَطَبًا ﴾ [٢] داخلةً فى القول حَمْلًا على المعنى ، وقد يجوز أن تكون هى الثانية ثم تعدُّ بعدها على النسق .

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [٣] إلى قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [٤] وعلى هذا القياس .

الثالث الأنقص ؛ ومثّل له بقراءة بعضهم : ﴿ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾ [٥] ، وقراءة بعضهم : ﴿ لَكِنْ هُوَ اللهُ ﴾ [٦] والفرق بينهما أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ فى اللفظ ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأى القول إلا قليل لبث ، والذى دونهما لا لَبْثَ فيه ولا مهلة أصلا .

ثم إن كُلًّا من التام والناقص ينقسم فى ذاته أقساما . فالتامُّ أتمُّهُ ما لا يتعلق اللاحق فيه من القولين بالسابق معنى ، كما لا يتعلق به لفظا ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ. للهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٧] وشأن مايتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنًى وإنْ كان لا يتعلق به لفظا ، وذلك كقوله : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [٨] وتعلق الثانى فيه بالأول تعلّق الحال بذى الحال معنى .

---

(١) سورة الجن ١٩ — (٢) سورة الجن ١٦

(٣) سورة التكوير ١ — (٤) سورة التكوير ١٤

(٥) سورة هود ١١١ بتخفيف « إن » من الثقيلة ؛ وهى قراءة نافع وابن كثير وأبو بكر (تفسير القرطبى ٩ : ١٠٤) .

(٦) سورة الكهف ٣٨ ؛ وهى قراءة عن الكسائى (تفسير القرطبى ١٠ : ٤٠٥) .

(٧) سورة الشورى ٤٨ ، ٤٩ — (٨) سورة يس ٣٠

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾(١) إلى قوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾(٢) إلى قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾(٣) ، فهذه الحال قد عطف بعضها على بعض فى المعنى ، وظاهرُ كلٍّ واحد منهـا الاستئناف فى اللفظ .

ونحو قوله تعالى : ﴿ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا ﴾(٤) ، وأنت تعلم أن « بل » لا يُبتدأ بها .

ونحو ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾(٥) ؛ فإن ما بعده منقطع عنه لفظًا إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى ، وتعلقه قريب من تعلّق الصفة بالموصوف إلى قوله : ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾(٦) .

ونحو قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾(٧) ؛ فإن الوقف عليه تامّ ، ولكنه ليس بالأتمّ ، لأن ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾(٧) ، كالعلة لما قبلها ، فهو متعلق به معنًى ؛ وإن كان لا تعلّق له من جهة اللفظ ، فقس على هذا ماسواه ، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالا ، وليس إذا حاولت بيان قصة وجب عليك ألّا تقف إلا فى آخرها ؛ ليكون الوقف القولَ على الأتمّ ؛ ومن ثم أتى به من جعل الوقف على ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(٨) غير تامّ .

---

(١) سورة الأنبياء ٥٢

(٢) سورة الأنبياء ٥٨

(٣) سورة الأنبياء ٦٣

(٤) سورة الزخرف ٢١ ، ٢٢

(٥) سورة الواقعة ٧

(٦) سورة الواقعة ٩٤

(٧) سورة الحج ١

(٨) سورة النساء ٢٤

فصل

[متى يحسن الوقف الناقص]

يحسنُ الوقف الناقص بأمور :

منها أن يكون لضربٍ من البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً ﴾[(١)] إذ به تبين أن « قيّماً » منفصل عن « عِوَجاً » وأنه حالٌ فى نية التقدم .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾[(٢)] ليفصِل به بين التحريم النسبيّ والسببيّ .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَٰذَا ﴾[(٣)] ؛ ليبين أن «هذا» ليس من مقولهم .

ومنها أن يكون على رءوس الآى ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كِثِينَ فِيهِ أَبَداً . وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ﴾[(٤)] ، ونحوه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَنْ تَقُولُوا ﴾[(٥)] . وكان نافع يقف على رءوس الآى كثيرا ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[(٦)] .

ومنها أن تكون صورته فى اللفظ صورةَ الوصل بعينها ، نحو قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى. نَزَّاعَةً لِلشَّوَى . تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾[(٧)]

---

(١) سورة الكهف ١ ، ٢
(٢) سورة النساء ٢٣
(٣) سورة يس ٥٢
(٤) سورة الكهف ٣ ، ٤
(٥) سورة الأنعام ١٥٥ ، ١٥٦
(٦) سورة المؤمنون ٥٥ ، ٥٦
(٧) سورة المعارج ١٥ — ١٨ .

ومنها أن يكون الكلام مبنيا على الوقف ، فلا يجوز فيه إلا الوقف صيغة ، كقوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾[١]

هذا في الناقص ؛ ومثاله في التامّ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[٢] .

فصل

[خواصّ الوقف التــــام]

من خواص التام المراقبة ، وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل ، كلّ واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر ، و إذا فرض فيه الوصلُ وجب الوقف في الآخر ، كالحال بين « حياة» و بين « أشركوا »من قوله : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾[٣] ، فإنك إن جعلتَ القطع على ﴿ حياة ﴾ وجب أن تبتدئ فتقول : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ ﴾[٣] ، على الوصل لأن ﴿ يودّ ﴾ صفة للفاعل في موضعه ، فلا يجوز الوقفُ دونه ، وكذلك إن جعل المقطع ﴿ أشركوا ﴾ وجب أن يصل ﴿ عَلَى حَيَاةٍ ﴾[٣] ، على أن يكون التقدير : وأحرص من الذين أشركوا ـ والله أعلم بمراده .

ومنه أيضا ما تراه بين ﴿ لَا رَيْبَ ﴾[٤] ، و بين ﴿ فِيهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦
(٢) سورة القارعة ١٠ ، ١١
(٣) سورة البقرة ٩٦
(٤) سورة البقرة ٢

فصل

[انقسام الناقص بانقسام خاص]

ينقسم الناقص بانقسام ما مرّ من التعلّق اللفظى بين طرفيه ، فكلما كان التعلُّقُ أشدَّ وأكثر كان الوقف أنقص ، وكلّما كان أضعفَ وأوهى كان الوقفُ أقربَ إلى التمام ، والتوسط يوجب التوسط .

فمن وكيد التعلُّق ما يكون بين توابع الاسمية والفعلية و بين متبوعاتها ؛ إذا لم يمكن أن يُتمحّل لها فى إعرابها وجهٌ غير الإتباع ؛ ومن ثم ضُعِّف الوقف على ﴿مُنْتَصِرِين﴾ من قوله تعالى : ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ . فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ. وَقَوْمِ نُوحٍ﴾ (1) فيمن جر (2) ـ غاية الضعف .

وضُعِّفَ على ﴿أثيم﴾ من قوله : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (3) .

وضعِّف على ﴿ بِهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وليًا وَلَا نَصِيراً﴾ (4) .

وضعف على ﴿ أَبداً ﴾ (5) من قوله : ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ (5) .

على أنّ هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقساما ؛ فإنّه ليس بين البدل والمبدل منه من التعلُّق بين الصفة والموصوف على ما ذكرناه .

---

(1) سورة الذاريات ٤٣ ـ ٤٦
(2) أى جر « قوم » ، وهى قراءة أبى عمرو (الاتحاف ٤٠٠)
(3) سورة ن ١٠ ـ ١٣
(4) سورة النساء ١٢٣
(5) سورة الكهف ٣، ٤.

وأوهى من هذا التعلّق ما يكون بين الفعل و بين ما ينتصب عنه من الزوائد التي لا يخلّ حذفها بالكلام كبير إخلال ، كالظرف ، والتميز ، والاستثناء المنقطع ؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿ عجبا ﴾ من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ (١) أوْ هيَ من الوقوف المذكورة .

فإن وسّطت بين التعلق بالمذكور من المتعلّق الذي للمفعول أو الحال المخصصة ، أو الاستثناء الذي يتغير بسقوطه المعنى وانتصب — كان لك في الوقف على نحو ﴿ مَسْغَبَةٍ ﴾ (٢) من قوله تعـالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ (٢) . وعلى نحو ﴿ قليلا ﴾ (٣) من قوله تعالى: ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً . مُذَبْذَبِينَ ﴾ (٣) . وعلى نحو ﴿ مصيرا ﴾ من قوله : ﴿ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ (٤) وعلى نحو ﴿ واحدة ﴾ و ﴿ زوجها ﴾ ، من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٥) . وعلى نحو ﴿ نَذِيراً ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٦) مرتبةٌ بين المرتبتين المذكورتين .

فهذه ثلاث مراتب للوقفِ الناقص كما ترى؛ بإزاء ثلاث طبقات من التعلق المذكور، فإن قسمت طبقة من الطبقات انقسمت بإزائها مرتبة من المراتب ؛ فقد خرجَ لك بحسب هذه القسمة — وهي القسمة الصناعيـة — ستةُ أصناف من الوقف في الكلام : خمسة منها بحسب الكلام نفسه ، وهي الأتمّ ، والتام ، والذي يشبه التام ، والناقص المطلق ، والأنقص . وواحد من جهة المتكلم أو القارئ ، وهو الذي بحسب انقطاع النَّفَس كما سبق عن حمزة .

---

(١) سورة الكهف ٩ ، ١٠
(٢) سورة البلد ١٤ ، ١٥
(٣) سورة النساء ١٤٢ ، ١٤٣
(٤) سورة النساء ٩٧ ، ٩٨
(٥) سورة النساء ١
(٦) سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

واعلم أن الوقف فى الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لا شىء من انقطاع النفَس إلا ومعه الوقف ، والوقوفُ أمرُها على سبيل الجواز إلا الذى بُنى عليه الكلام وما سواه ، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تُطابق به انقطاع نفَسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيا على الكلام الذي تُنشئه بإخراجه على الوجه المذكور .

ومما يدعو إلى الوقف فى موضع الوقف الترتيل ؛ فإنه أعون شىء عليه ، وقد أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [1] .

ويدعو إليه اجتنابُ تكرير اللفظة الواحدة فى القرآن تكريرا من غير فصل ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [3] .

فصل

[فى الكلام على « كلا » فى القرآن]

« كلاَّ » فى القرآن على ثلاثة أقسام :

إحداها ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعاً باعتبار معنيين .

والثانى مالا يوقف عليه ولا يبتدأ به .

---

(١) سورة المزمل ٣

(٢) سورة الطارق ٥ ، ٦

(٣) سورة التوبة ١٠٨ .

والثالث ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه ، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفا ؛ تضمنها خمس عشرة سورة ؛ كلها فى النصف الأخير من القرآن ؛ وليس فى النصف الأول منها شىء.

وللشيخ عبد العزيز الدِّيرينى[1] رحمه الله :

وما نَزلتْ « كَلاَّ » بيثربَ فاعلمنْ ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأَعلى

وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جبابرة ، فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول. وما نزل منه فى اليهود لم يُحتج إلى إيرادها فيه لذلهم وضعفهم .

* * *

والأول اثنا عشر حرفا :

منها فى سورة مريم : ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا . كلاَّ ﴾[2] .

ومنه [فيها] : ﴿ لِيكُونوا لَهُمْ عِزًّا . كلاَّ ﴾[3]

وفى « المؤمنين » : ﴿ فِيما تركْتُ كَلاَّ ﴾[4]

وفى المعارج : ﴿ يُنْجِيهِ . كَلاَّ ﴾[5] . وفيها : ﴿ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كلّا ﴾[5] .

وفى المدثر : ﴿ أن أزيدَ . كَلاَّ ﴾[6] . وفيها : ﴿ صُحُفًا مُنَشَّرَةً . كَلاَّ ﴾[7] .

وفى القيامة : ﴿ أَيْنَ المفَرُّ . كَلاَّ ﴾[8] .

---

(١) هو أبو محمد عبد العزيز أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميرى الشهير بالديرينى ؛ المصرى ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ وصاحب الأرجوزة المسماة بالتيسير فى علم التفسير ؛ تزيد على ألف ومائتى بيت ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٠ . وتوفى سنة ٦٩٤ . (وانظر طبقات السبكى ٥ : ٧٥)

(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة مريم ٨١ ، ٨٢

(٤) سورة المؤمنون ١٠٠

(٥) سورة المعارج ١٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٣٩

(٦) سورة المدثر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة المدثر ٥٢ ، ٥٣

(٨) سورة القيامة ١٠ ، ١١

وفى عبس : ﴿ تَلَهّى . كَلَّا ﴾[1] .

وفى التطفيف : ﴿ قالَ أساطيرُ الأَوَّلِينَ . كَلَّا ﴾[2] .

وفى الفجر : ﴿ أهَانَنِ . كَلَّا ﴾[3] .

وفى الهمزة : ﴿ أَخْلَدَهُ . كلاَّ ﴾[4] .

* * *

والثانى ثلاثة أحرف :

فى الشعراء : ﴿ أنْ يَقْتُلُونِ . قال كَلَّا ﴾[5] .

وفيها : ﴿ إنّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كلاَّ ﴾[6] .

وفى سبأ : ﴿ أَلحَقْتُمْ بِهِ شُركاءَ كلاَّ ﴾[7] .

* * *

والثالث ثمانية عشر حرفاً[8] :

فى المدثر : ﴿ كَلَّاوالْقَمَرِ ﴾[9] . ﴿ كَلَّا إنَّهُ تَذْكِرةٌ ﴾[10] .

وفى القيامة : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ﴾[11] . ﴿ كَلَّا إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ ﴾[12] .

وفى النبأ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[13] .

وفى عبس : ﴿ كَلَّا لَمَّا يقضِ ﴾[14] .

---

(١) سورة عبس ١٠ ، ١١

(٢) سورة المطففين ١٣ ، ١٤

(٣) سورة الفجر ١٦ ، ١٧

(٤) سورة الهمزة ٣ ، ٤

(٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥

(٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

(٧) سورة سبأ ٢٧

(٨) كذا ذكر العدد فى جميع الأصول ؛ وما أورده أربعة عشر فقط .

(٩) سورة المدثر ٣٢

(١٠) سورةالمدثر ٥٤

(١١) سورةالقيامة ٢٠

(١٢)سورةالقيامة ٢٦

(١٣) سورة النبأ ٤

(١٤) سورةعبس ٢٣

وفى الانفطار : ﴿ كَلَّا بل تكَذِّبونَ ﴾[1] .

وفى التطفيف : ﴿ كَلَّا إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ ﴾[2] . ﴿ كَلَّا إنَّهُمْ ﴾[3] .

وفى الفجر : ﴿ كَلَّا إذَا ﴾[4] .

وفى العَلَق : ﴿ كَلَّا إنّ ﴾[5] . ﴿ كَلَّا لَئِنْ لم يَنْتَهِ ﴾[6] . ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾[7]

وفى التكاثر : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[8] .

* * *

وقسمها مَكِّىّ أربعة أقسام :

الأول : مايحسنُ الوقف فيه على «كلا» ، على معنى الرد لما قبلها والإنكار له ؛ فتكون بمعنى : ليس الأمر كذلك ، والوقفُ عليها فى هـذه المواضع هو الاختيار ؛ ويجوز الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو « إلا » ؛ وذلك أحد عشر موضعا :

منها الموضعان فى مريم . وفى المؤمنين .

وفى سبأ : ﴿ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ﴾[9] . وموضعان فى المعارج . وموضعان فى المدثر . وموضع فى المطففين ، والفجر ، والحطمة . قال : فهذه أحد عشر موضعا ، الاختيار عندنا وعند أكثر أهل اللغة أن تقف عليها على معنى النفى والإنكار لما تقدمها ، ويجوز أن تبتدئ بها على معنى « حقا » ، لجعلها تأكيدا للكلام الذى بعدها ، أو الاستفتاح .

* * *

الثانى : مالا يحسن الوقف عليه فيها ، ولا يكون الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو « إلا »

---

(١) سورة الانفطار ٩

(٢) سورة التطفيف ٧

(٣) سورة التطفيف ١٥

(٤) سورة الفجر ٢١ .

(٥) سورة العلق ٦

(٦) سورة العلق ١٥

(٧) سورة العلق ١٩

(٨) سورة التكاثر ٣

(٩) سورة سبأ ٢٧

أوتعلقها بما قبلها و بما بعدها ، ولا يوقف عليها ، ولا يبتدأ بها ، والابتداء بها فى هذه المواضع أحسن ، وذلك فى ثمانية عشر موضعا : موضعان فى المدثر : ﴿ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ . كلا والقمرِ ﴾ ،[1] ﴿ كَلَّا بلْ لَا يَخَافُونَ الآخرةَ [2] . كَلَّا إنه تَذْكِرَةٌ ﴾[3] .

وثلاثة فى القيامة : ﴿ أَيْنَ الْمَفَرّ . كَلاَّ ﴾[4]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بيانَهُ . كَلاَّ ﴾[5] ﴿ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلَّا إذَا ﴾[6] .

وموضع فى عمّ : ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾[7] .

وموضعان فى عبس : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا ﴾[8] ، ﴿ تَلَهَّى . كَلَّا ﴾[9] .

وموضع فى الانفطار : ﴿ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلاَّ ﴾[10]

وثلاثة مواضع فى المطففين : ﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ ﴾[11] . ﴿ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلاَّ إِنَّهُمْ ﴾[12] . ﴿ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا ﴾[13] .

وموضع فى الفجر : ﴿ حُبًّا جَمًّا . كَلاَّ ﴾[14] .

وثلاثة مواضع فى العَلَق: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ . كَلاَّ ﴾[15]. ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى . كَلَّا ﴾[16] . ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا ﴾[17] .

---

(١) سورة المدثر ٣١ ، ٣٢
(٢) سورة المدثر ٥٣
(٣) سورة المدثر ٥٤
(٤) سورة القيامة ١٠ ، ١١
(٥) سورة القيامة ١٩ ، ٢٠
(٦) سورة القيامة ٢٥ ، ٢٦
(٧) سورة عم ٤
(٨) سورة عبس ١٠ ، ١١
(٩) سورة عبس ٢٢ ، ٢٣
(١٠) سورة الانفطار ٨ ، ٩
(١١) سورة المطففين ٦ ، ٧
(١٢) سورة المطففين ١٤ ، ١٥
(١٣) سورة المطففين ١٧ ، ١٨
(١٤) سورة الفجر ٢٠ ، ٢١
(١٥) سورة العلق ٥ ، ٦
(١٦) سورة العلق ١٤ ، ١٥
(١٧) سورة العلق ١٨ ، ١٩

وموضعان فى التكاثر : ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

فهذه ثمانية عشر موضعا، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبتدأ بها ، و« كلاً » على معنى « حقا » ، أو « إلا » وألّا يوقف عليها .

* * *

الثالث : ما لا يحسنُ الوقف فيه عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، ولا تكون موصولة بما قبلها من الكلام ، ولا بما بعدها ، وذلك موضعان : فى ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ : ﴿ كلاَّ سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [٣] . وكذا فى التكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] ، فلا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها .

* * *

الرابع : ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها ، وهو موضعان فى الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلاَّ ﴾ [٥] ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلاَّ ﴾ [٦] .
قال : فهذا هو الاختيار ؛ ويجوز فى جميعها أنْ تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها ولا تبتدئ بها .

[الكلام على « بَلَى »]

وأما ﴿ بَلَى ﴾ فقد وردت فى القرآن فى اثنين وعشرين موضعا ، فى ست عشرة سورة ، وهى على ثلاثة أقسام :

---

(١) سورة التكاثر ٢ ، ٣
(٢) سورة التكاثر ٥
(٣) سورة عم ٤ ، ٥
(٤) سورة التكاثر ٤
(٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥
(٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

أحدها ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقفَ عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك عشرة مواضع: موضعان فى البقرة: ﴿ مَالَا تَعْلَمُونَ . بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ [١]. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى ﴾ [٢]

وموضعان فى آل عمران: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى ﴾ [٣] . ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا ﴾ [٤].

وموضع فى الأعراف: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [٥]، وفيه اختلاف.

وفى النحل: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى ﴾ [٦].

وفى يس: ﴿ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى ﴾ [٧].

وفى غافر: ﴿ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى ﴾ [٨].

وفى الأحقاف: ﴿ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى ﴾ [٩].

وفى الانشقاق: ﴿ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى ﴾ [١٠].

فهذه عشرة مواضع يُختار الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها، غير متعلقة بما بعدها. وأجاز بعضهم الابتداء بها.

والثانى ما لا يجوز الوقف عليها، لتعلق ما بعدها بها و بما قبلها، وذلك فى سبعة مواضع: فى الأنعام: ﴿ بَلَى وَرَبِّنَا ﴾ [١١]. وفى النحل ﴿ لَا يَبْعَثُ اللهُ من يموتُ بَلَى ﴾ [١٢].

وفى سبأ ﴿ قُلْ بلى وَرَبِّنَا ﴾ [١٣]. وفى الزمر ﴿ من الْمُحْسِنِينَ بَلَى قد جَاءَتْكَ ﴾ [١٤].

وفى الأحقاف: ﴿ بَلَى وربّنا ﴾ [١٥].

وفى التغابن: ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [١٦].

---

(١) سورة البقرة ٨٠، ٨١ (٢) سورة البقرة ١١١، ١١٢

(٣) سورة آل عمران ٧٥، ٧٦ (٤) سورة آل عمران ١٢٥

(٥) سورة الأعراف ١٧٢ (٦) سورة النحل ٢٨.

(٧) سورة يس ٨١ (٨) سورة غافر ٥٠

(٩) سورة الأحقاف ٣٣ (١٠) سورة الانشقاق ١٤، ١٥

(١١) سورة الأنعام ٣٠ (١٢) آية ٣٨ (١٣) آية ٣ (١٤) آية ٥٩ (١٥) آية ٣٣

(١٦) سورة التغابن ٧.

وفى القيامة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى ﴾ [١] .

وهذه لاخلاف فى امتناع الوقف عليها، ولا يحسن الابتداء بها ، لأنها وما بعدها جواب.

الثالث : ما اختلفوا فى جواز الوقف عليها ؛ والأحسن المنع ؛ لأن ما بعدها متصل بها وبما قبلها ، وهى خمسة مواضع .

فى البقرة : ﴿ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [٢] .

وفى الزمر : ﴿ قَالُوا بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ ﴾ [٣] .

وفى الزخرف : ﴿ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا ﴾ [٤] .

وفى الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ [٥] .

وفى المُلْك : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ [٦] .

[الـكلام على « نعم »]

﴿ وأما نَعَم ﴾ ففى القرآن فى أربعة مواضع :

فى الأعراف: ﴿ قَالُو نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ [٧] ، والمختار الوقف على « نعم » لأن مابعدها ليس متعلقا بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار ، و ﴿ قالوا نعم ﴾ من قولهم .

والثانى والثالث فى الأعراف والشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّـكُمْ ﴾ [٨] .

الرابع فى الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [٩] .

والمختارُ ألا يوقف على «نعم» فى هذه المواضع لتعلقها بما بعدها و بما قبلها لاتصاله بالقول.

وضابط ما يُختار الوقفُ عليه أن يقالَ : إن وقع بعدها «ما» اختير الوقف عليها وإلا فلا .

أو يقال : إن وقع بعدها واو لم يَجُزِ الوقفُ عليها وإلا اختير ، وأنت مخيّر فى أيّهما شئت .

---

(١) سورة القيامة ٣ ، ٤
(٢) سورة البقرة ٢٦٠
(٣) سورة الزمر ٧١
(٤) سورة الزخرف ٨٠
(٥) سورة الحديد ١٤
(٦) سورة الملك ٩
(٧) سورة الأعراف ٤٤
(٨) سورة الأعراف ١١٤، الشعراء ٤٢
(٩) سورة الصافات ١٨

النوع الخامس والعشرون

علم مرسوم الخط

ولما كان خطُّ المصحف هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام ، ولا يعدُو رسومَه ، ولا يتجاوز مرسومه ، قد خالف خطّ الإمام في كثير من الحروف والأعلام ، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق ؛ بل على أمرٍ عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه .

ولما كتب الصحابة المصحفَ زَمَن عثمان رضى الله عنه اختلفوا في كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » ، وقال النفر القرشيّون : « التابوت » ، وترافعوا إلى عثمان فقال: اكتبوا : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش .

قال ابن درستويه : خطّان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض[1] .

وقال أبو البقاء في كتاب اللباب[2] : «ذهب جماعةٌ من أهلِ اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف؛فإنهم اتّبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام،والعمل على الأول».

فحصل أن الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع به الاقتداء السَّلفى ، وهو رسم المصحف،وخطٌّ جرى على ما أثبته اللفظ و إسقاط ماحذفه ؛ وهو خط العروض ، فيكتبون التنوين و يحذفون همزة الوصل . وخط جرى على العادة المعروفة ؛ وهو الذى يتكلم عليه النحوى .

---

(١) عبارة ابن درستويه في كتاب الكتاب ص ٧ : « ووجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس هجاؤه ، ولا يخالف خطه ؛ ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف . ورأينا العروض إنما هو إحصاء وما لفظ به من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، فلما نعرض لذكرهما في كتابنا هذا » . (٢) الورقة ٢٠٠ ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣ ؛ نحو .

واعلم أن للشيء في الوجود أربع مراتب : الأولى حقيقتُه في نفسه . والثانية مثاله في الذهن ـ وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة اللفظ الدالّ على المثال الذهنيّ والخارجي . والرابعة الكتابة الدالة على اللفظ ـ وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم، كاختلاف اللغة العربية والفارسية، والخط العربي والهنديّ ؛ ولهذا صنف الناس في الخط والهجاء ؛ إذ لا يجرى على حقيقة اللفظ من كل وجه .

وقال الفارسيّ : لما عمِل أبو بكر بن السراج كتابَ الخط والهجاء قال لي : اكتب كتابنا هذا، قلت له : نعم إلا أني آخذ بآخر حرف منه، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : « ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط » .

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب فقه اللغة : «[1] يروَى أن أولَ من كتب الكتاب العربيّ والسريانيّ والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه ؛ فلما أصاب الأرض الغرق وجد كلُّ قوم كتابا فكتبوه، فأصاب إسماعيل الكتاب العربيّ .

وكان ابن عباس يقول : أولُ من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام . قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة[2] .

والذي نقوله : إن الخط توقيفيّ لقوله : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.[3] وقال تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [4]. [وإذا كان كذا] [5]، فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب [6] .

---

(١) هو المعروف بالصاحبي، ص ٧ وما بعدها .

(٢) فقه اللغة : « تكثر وتختلف » .

(٣) سورة العلق ٤ ، ٥ (٤) سورة القلم ١

(٥) تكملة من كتاب الصاحبي

(٦) في الصاحبي بعد هذه الكلمة : « فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشيء لا نعلم صحته إلا من خبر صحيح » .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هـذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحوا ولا إعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا [١] .

ومذهبنا [فيه التوقيف ، فنقول] [٢] : إن أسماء هذه الحروف داخلة فى الأسماء التى علّم الله تعالى آدم عليه السلام .

قال : [٣] وما اشتهر أن أبا الأسود أولُ من وضع العربيـة وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره ، وإنما نقول : إن هذينْ العِلْمَين كانا قديما [٣] ، وأتت عليهما الأيام، وقلّا فى أيدى الناس ، ثم جدّدهما هذان الإمامان .

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم] [٢] ذلك كتابتُهم المصحف على الذى يُعلِّله النحويون فى ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنا ، نحو « الخبء » و« الدفء » و« الملء » فصار ذلك [كله] [٢] حجة، وحتى كره بعضُ العلماء ترك اتباع المصحف » .

---

(١) بعده فى الصاحبي : قالوا : والدليل على ذلك ماحكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أتهمز إسرائيل ؟ فقال : إنى إذن لرجل سوء ، قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر . وقيل لآخر : أتجر فلسطين ؟ فقال : إنى إذن لقوى . قالوا : وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :

* نحن بنى عَلْقَمَةَ الأخيارا *

فقيل له : لم نصبت « بنى » ، فقال : ما نصبته . وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشئ . قالوا : وحكى الأخفش عن أعرابى فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ؟ وحكى أن أبا حية النميرى سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنأى من أسماء كافِ   وليس لسقمها إذ طال شافِ

قلنا : والأمر فى هذا بخلاف ماذهب إليه هؤلاء ... » .

(٢) تكملة من كتاب الصاحبي .

(٣ـ٣) الصاحبي : « فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات أن أبا الأسود أول من وضع العربيـة ، وأن الخليل أول من تكلم فى العروض ، قيل له : نحن لاننكر ذلك ؛ بل نقول : إن هذين العلمين قد كانا قديما ... » .

وأسنِد إلى الفراء قال : اتباعُ المصحف إذا وجدتُ له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحبُّ إلىّ من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ؛ إلا على الكتبة الأولى . رواه أبو عمرو الدانى فى المقنع [1] ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة .

وقال فى موضع آخر [2] : سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف: أترَى أن تغيّر من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم لمعنًى ، المعدومتين فى اللفظ ، نحو [الواو فى] [3] : ﴿ أُولوا الألباب ﴾ ، ﴿ وأولات ﴾ و : ﴿ الربوا ﴾ ، ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفةُ خط مصحف عثمان فى ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا فى الصدر الأول، والعلم حىّ غض ، وأما الآن فقد يخشى الإلباس ؛ ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لاتجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ؛ لئلا يُوقع فى تغيير من الجهّال . ولكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه ؛ لئلا يؤدّى إلى دروس العلم ، وشىء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ؛ ولن تخلوَ الأرض من قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقى فى شعب الإيمان : مَنْ كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغيّر مما كتبوه شيئا ؛ فإنهم أكثرُ علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منّا ؛ فلا ينبغى أن نظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم . وروى بسنده عن زيد قال : القراءة

(١) ص ١٠ (٢) ص ٣٠ مع تصرف واختصار ؛ وقد أسقط المؤلف أمثلة زيادة الألف
(٣) من المقنع .

سنّة . قال سليمان بن داود الهاشمىّ : يعنى ألّا تخالف الناس برأيك فى الاتباع .

قال : و بمعناه بلغنى عن أبى عبيد فى تفسير ذلك : وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذهب العربية فى القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف ، و اتباع حروف المصاحف عندنا كالسُّنن القائمة التى لايجوز لأحد أن يتعدّاها .

مسألة

[فى كتابة القرآن بغير الخط العربى]

هل يجوز كتابة القرآن بقلم غـير العربى ؟ هـذا مما لم أر للعلماء فيه كلاما . و يحتمل الجواز ؛ لأنه قد يحسِّنه مَنْ يقرأه بالعربيـة ، والأقرب المنع ، كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلمـا غير العربىّ قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[1] .

[اختلاف رسم الـكلمات فى المصحف والحـكمة فيه]

واعلم أن الخطَّ جرى على وجوه : فيها مازيد عليه على اللفظ ؛ ومنها ما نقص ، ومنها ما كُتبَ على لفظه ، وذلك لِحِكَمٍ خفية ، وأسرار بهيّة ، تصدّى لها أبو العباس المراكشىّ الشهير بابن[2] البناء ؛ فى كتابه : " عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل " ، وبين أنّ هذه الأحرف إنما اختلف حالها فى الخط بحسبِ اختلافِ أحوال معانى كلماتها .

---

(١) سورة الشعراء ١٩٥

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشى المعروف بابن البناء ؛ توفى سنة ٧٢١ ، ذكر كتابه صاحب كشف الظنون .

ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود، والمقامات . والخط إنما يُرتسم على الأمر الحقيق لا الوهمىّ .

[الزائد وأقسامه]

الأول : مازيد فيه ، والزائد أقسام :

[القسم الأول : زيادة الألف]

الأول الألف ؛ وهى إما أن تزاد من أوّل الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها .

فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ماقبله فى الوجود ، مثل ؛ ﴿ لَاأَذْبَحَنَّهُ ﴾[١] ، و ﴿ وَلَاأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾[٢] زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخّر أشدُّ فى الوجود من المقدَّم عليه لفظاً ؛ فالذبحُ أشدُّ من العذاب[٣] ، والإيضاعُ أشدّ إفسادا من زيادة الخبال[٤] ؛ واختلفت المصاحف فى حرفين: ﴿ لاإلى الْجَحِيمِ ﴾[٥] و ﴿ لَاإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٦] ؛ فمن رأى أنّ مرجعَهم إلى الجحيم أشدُّ من أكل الزقوم وشرب الحميم[٧] ، وأن حشرهُمْ إلى الله أشدُّ عليهم من موتهم أو قتلهم[٨] فى الدنيا أثبت الألف . ومَنْ

---

(١) سورة النمل ٢١ (٢) سورة التوبة ٤٧

(٣) يشير إلى أول آية النمل : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً ... ﴾

(٤) يشير إلى أول آية التوبة : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَازَادُوكُمْ إِلاّ خَبَالًا ... ﴾ .

(٥) سورة الصافات ٦٨ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ .

(٦) سورة آل عمران ١٥٨ : ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

(٧) يشير إلى ماسبق فى آية الصافات : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ... ﴾ ﴿ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ ﴾ .

(٨) إشارة إلى أول آية عمران : ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ... ﴾ .

لم ير ذلك لأنه غيبٌ عنّا ، فلم يستوِ القسمان فى العلم بهما لم يثبته ، وهو أولى .

وكذلك: ﴿لا تَأْيَئَسوا من رَوْحِ اللهِ إنهُ لا يَأْيَئَسُ﴾[1]،﴿أفَلَمْ يَأْيَئَسِ﴾[2] لأن الصبر وانتظارالفرج أخفُّ من الإياس ، والإياس لا يكون فى الوجود إلا بعد الصبر والانتظار .

والثانى [3] يكون باعتبار معنى خارجٍ عن الكلمة يحصل فىالوجود؛لزيادتها بعد الواو فى الأفعال ، نحو « يرجوا » ، و « يدعوا » ، وذلك لأنّ الفعل أثقلُ من الاسم ؛ لأنّه يستلزمُ فاعلاً ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيرَه ، فالفعل أزيدُ من الاسم فى الوجود، والواو أثقلُ حروف المد واللّين ، والضمّة أثقلُ الحركات ، والمتحرّك أثقلُ من الساكن ، فزيدت الألف تنبيهاً على ثِقَل الجملة ، و إذا زيدت مع الواو التى هى لام الفعل ، فمع الواو التى هى ضمير الفاعلين أوْلى ، لأنّ الكلمة جملة ، مثل « قالوا » ، و « عصوا » ، إلا أن يكون الفعلُ مضارعا وفيه النون علامة الرفع ، فتختص الواو بالنون ، التى هى من جهةِ تمام الفعل ؛ إذْ هى إعرابه فيصير كلمة واحدة وسطها واو ؛ كالعيون والسكون ، فإن دخل ناصب أو جازم مثل : ﴿ فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ [4] ثبتت الألف .

وقد تسقط فىمواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل، نحو:﴿سَعَوْ فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِين﴾[5]، فإنه سعىٌ فى الباطل لا يصحّ له ثبوتٌ فى الوجود .

وكذلك:﴿وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[6]،و ﴿جَاءُو ظُلْماً وَزُوراً﴾[7]،﴿ وَجَاءُو أَبَاهُمْ﴾،[8] ﴿ وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ ﴾ [8] ، فإن هذا المجىء ليس على وجهه الصحيح .

وكذلك ﴿ فَإنْ فَاءُو ﴾ [9]، وهوفَىْءٌ بالقلب والاعتقاد .

---

(١) سورة يوسف ٨٧
(٢) سورة الرعد ٣١
(٣) أى زيادة الألف فى آخر الكلمة
(٤) سورة البقرة ٢٤
(٥) سورة سبأ ٥
(٦) سورة الأعراف ١١٦
(٧) سورة الفرقان ٤
(٨) سورة يوسف ١٦ ، ١٧
(٩) سورة البقرة ٢٢٦

وكذا ﴿ تبوّءو الدّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾[1] اختاروها سكنا ، لـكنْ لا على الجهة المحسوسة ؛ لأنه سوّى بينهما ، وإنما اختاروها سكَنًا لمرضاة الله ؛ بدليل وصفِهم بالإيثار مع الخصاصة ؛ فهذا دليلُ زهدِهم فى محسوسات الدنيا ، وكذلك ﴿ فاءو ﴾ لأنه رجوع معنوىّ .

وكذلك : ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَعفُوَ عَنْهُمْ ﴾[2] ، حذفت ألفه لأن كيفية هـذا الفعل لا تُدرك ، إذ هو ترك المؤاخذة ؛ إنما هو أمرٌ عقلى .

وكذلك ﴿ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيراً ﴾[3] ، هذا عتوٌّ على الله ، لذلك وصفه بالـكبر فهو باطل فى الوجود .

وكذلك سقطت مِنْ : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[4] ، ولم تسقط من : ﴿ وَإِذَ مَاغَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[5] ، لأن « غضبوا » جملة بعدها أخرَى ، والضمير مؤكد للفاعل فى الجملة الأولى ، و « كالُوهم » جملة واحدة، الضمير جزء منها .

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة فى حرفين : ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوَآ ﴾[6] و ﴿ مَاإِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوَأ ﴾[7] تنبيهاً على تفصيل المعنى ؛ فإنه يُبوء بإثمين من فعل واحد ، وتنوء المفاتح بالعصبة ، فهو نوءان للمفاتح ، لأنها بثقلها أثقلتْهم فمالتْ وأمالتهم ، وفيه تذكير بالمناسبة يُتوجَّه به من مفاتح كنوز مال الدنيا المحسوس ، إلى مفاتح كنوز العلم الذى ينوء بالعصبة أولى القوة فى يقينهم، إلى ما عند الله فى الدار الآخرة .

وكذلك زيدتْ بعد الهمزة من قوله : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُوا ﴾ تنبيهاً[8] على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الإفراد ، يدلّ عليه قوله :

---

(١) سورة الحشر ٩
(٢) سورة النساء ٩٩
(٣) سورة الفرقان ٢١
(٤) سورة التطفيف ٣
(٥) سورة الشورى ٣٧
(٦) سورة المائدة ٢٩
(٧) سورة القصص ٧٦
(٨) سورة الواقعة ٢٣

﴿ كأَمْثَالِ ﴾ ،وهو على خلاف حال : ﴿ كأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ ﴾[١] فلم تزِد الألف للإجمال وخفاء التفصيل .

وقال أبو عمرو : كتبوا[٢] ﴿ اللؤلؤا ﴾ فى الحج والملائكة[٣] بالألف ، واختلف فى زيادتها ، فقال أبو عمرو : كما زادوها فى « كانوا » ، وقال الكسائى : لمكان الهمزة .

وعن محمد بن عيسى الإصبهانى . كلُّ ما فى القرآن من « لؤلؤ » فبغير الألف فى مصاحف البصريين إلا فى موضعين : فى الحج والإنسان[٤] .

وقال عاصم الجحدرى : كلُّها فى مصحف عثمان بالألف إلا التى فى الملائكة .

والثالث[٥] تكون لمعنى فى نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وَجِاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾[٦] ، زيدت الألف دليلا على أنّ هذا المجئ هو بصفةٍ من الظهور ينفصل بها عن معهود المجئ ، وقد عُبِّر عنه بالماضى ، ولا يتصوّر إلا بعلامةٍ من غيره ليس مثله ، فيستوى فى علمنا ملكها وملكوتها فى ذلك المجئ ؛ ويدلّ عليه قوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾[٧] ، وقوله : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً ﴾[٨] ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾[٩] ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف فى الدنيا، وفى تأوله بمعنى البروز فى المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضا .

---

(١) سورة الطور ٢٤ (٢) المقنع ص ٤٢ ...
(٣) سورة الحج ٢٣ ، فاطر ﴿ الملائكة ﴾ ٣٣ : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ .
(٤) آية ١٩ ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُوراً ﴾ .
(٥) أى زيادة الألف وسط الكلمة (٦) سورة الفجر ٢٣
(٧) سورة الشعراء ٩١ (٨) سورة الفرقان ١٢
(٩) سورة الزمر ٦٩ .

وكذلك : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً ﴾ [١]، الشىء هنا معدوم ،وإنما علمناه من تصوُّر مثله الذى قد وقع فى الوجود فنقل له الاسم فيه ، من حيث إنه يقدّر أنه يكون مثله فى الوجود ، فزيدَت الألف تنبيهاً على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود فى الأذهان، معدوم فى الأعيان .

وهذا بخلاف قوله فى النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾ [٢] ، فإن الشىء هنا من جهة قول الله ، لا يعلم كيف ذلك ، بل نؤمن به تسليما لله سبحانه فيه ، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا ، فلا تشبيه ولا تعطيل .

وكذلك : ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَاْئِهِ ﴾ [٣]، زيدت الألف بين اللام والهمزة ،تنبيها على تفصيل مهمّ ظاهر الوجود .

ومثله زيادتها فى « مائة » ، لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصّلة بمرتبتين :آحاد وعشرات .

قال أبو عمرو فى المقنع [٤] : لاخلافَ فى رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ فى الدَّرج ، نحو : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ [٥] ﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ [٦] وهو نعت ، كما أثبتوها فى الخبر نحو : ﴿ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ ﴾ [٧] ، و﴿ المسيحُ ابنُ اللهِ ﴾ [٧] ، ولم تحذف إلا فى خمسة مواضع .

قال : ولا خلاف فى زيادة الألف بعد الميم فى « مائة » و « مائتين » ، حيث وقعا ،

---

(١) سورة الكهف ٢٣
(٢) سورة النحل ٤٠
(٣) سورة هود ٩٧
(٤) ص ٣١ ، ٣٢ مع تصرف فى العبارة
(٥) سورة البقرة ٨٧
(٦) سورة المائدة ١٧
(٧) سورة التوبة ٣٠

ولم تُزد فى « فئـة » ولا « فئتين » وزيدت فى نحو : ﴿ تَبُوٓأَ بِإِثْمِى ﴾ [١] و ﴿ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [٢] . ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت [خطا] فى المصحف إلا فى هذين الموضعين. [ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت فى المصحف إلا فى قوله :] ﴿ مَوْئِلاً ﴾ [٣] ، فى الـكهف لاغير .

[القسم الثـــانى : زيادة الواو]

الزائد الثانى الواو ، زيدت للدلالة على ظهور معنى الـكلمة فى الوجود ، فى أعظم رتبة فى العيان ، مثل : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [٤] ، ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِى ﴾ [٥] .

ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .

وكذلك « أولى » و « أولوا » و « أولات » ، زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على « أصحاب »،فإنّ فى « أولى » معنى الصحبة وزيادة التمليك والولاية عليه ، وكذلك زيدت فى « أولئك » و « أولائـكم »حيث وقعا بالواو ، لأنه جمعٌ مبهم يظهر فيـه معنى الـكثرة الحاضرة فى الوجود ، وليس للفرق بينـه وبين « أولئك » كما قاله قوم لانتقاضِه « بأولا » .

[القسم الثالث : زيادة اليـــاء]

الزائد الثالث الياء ، زيدت لاختصاص ملـكوتى باطن ؛ وذلك فى تسعة [٦] مواضع كما قاله فى المقنع :

---

(١) سورة المائدة ٢٩
(٢) سورة القصص ٧٦
(٣) سورة الـكهف ٥٨ والزيادة من المقنع
(٤) سورة الأعراف ١٤٥
(٥) سورة الأنبياء ٣٧
(٦) فى الأصول : « سبعة » وصوابه من المقنع ص ٥٠ .

﴿ أَفَإِئْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ [١] .

﴿ مَن نَبَإِئْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٢] .

﴿ مِنْ تِلْقَاءِئ نَفْسِى ﴾ [٣] .

﴿ وَإِيتَاءِئ ذِى الْقُرْبَى ﴾ [٤] .

﴿ وَمِنْ آنَاءِئ اللَّيْلِ ﴾ [٥] .

﴿ أفإين مِتَّ ﴾ [٦] .

﴿ مِنْ وَرَاءِئ حِجَابٍ ﴾ [٧] .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [٨] .

و ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [٩] .

قال أبو العباس المراكشىّ : إنما كتبت ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ بياءين فرْقا بين « الأيد » الّذى هو القوة ، و بين « الأيدى » جمع « يد » ، ولا شكّ أن القوة التى بَنَى الله بهـا السماء هى أحقُّ بالثبوت فى الوجود من الأيدى ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر فى دراك الملكوتىّ فى الوجود .

وكذلك زيدت بعد الهمزة فى حرفين :

﴿ أَفَإين مَاتَ ﴾ [١] ، ﴿ أَفَإين مِتَّ ﴾ [٦] .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤
(٢) سورة الأنعام ٣٤
(٣) سورة يونس ١٥
(٤) سورة النحل ٩٠
(٥) سورة طه ١٣٠
(٦) سورة الأنبياء ٣٤
(٧) سورة الشورى ٥١
(٨) سورة الذاريات ٤٧
(٩) سورة ن ٦

وذلك لأنّ موته مقطوع به ، والشرط لا يكون مقطوعاً به ، ولا مارُتّب على الشرط هو جواب له ، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق ، فتقديره: « أهم الخالدون إن متّ » ؟! فاللفظ للاستفهام والربط ، والمعنى الإنكار والنفي ، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى ، الظاهر للفهْم ،الباطن فى اللفظ .

وكذلك زيدت بعد الهمزة فى آخر الكلمة فى حرف واحد ، فى الأنعام : ﴿ مِنْ نَبَإِيْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [1] تنبيها على أنها أنباء باعتبار أخبار ، وهى ملكوتية ظاهرة .

وكذلك ﴿ بِأَيِيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [2] كتبت بياءين ، تخصيصا لهم بالصّفة لحصول ذلك وتحقّقه فى الوجود ؛ فإنهم هم المفتونون دونه ، فانفصل حرف « أىّ » بياءين لصحة هذا الفرق بينه و بينهم قطعا ، لكنه باطن فهو ملكوتىّ ، و إنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة فى الكلام ، والإمهالِ لهم؛ ليقع التدبُّر والتذكار[3]، كما جاء : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [4] ، ومعلوم أنَّا على هدى ، وهم على ضلال .

[النـــاقص وأقسامه]

الوجه الثانى ما نقص عن اللفظ ، ويأتى فيه أيضا الأقسام السابقة :

[القسم الأول : حـــذف الألف]

الأول الألف ، كلّ ألف تكون فى كلمةٍ لمعنى له تفصيلٌ فى الوجود ، له اعتباران : اعتبار من جهةٍ ملكوتية ، أو صفات حالية ، أو أمور عُلْوية مما لا يدركه الحسّ

---

(١) سورة الأنعام ٣٤ (٢) سورة القلم ٦

(٣) م : « التذكر » (٤) سورة سبأ ٢٤.

فإن الألف تحذف فى الخط علامة لذلك واعتبارٌ من جهة ملكية حقيقية فى العلم ، أو أمور سُفْلية ؛ فإن الألف تثبت .

واعتبر ذلك فى لفظتى « القرآن » و« الكتاب » فإن القرآن هو تفصيل الآيات التى أحكمت فى الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا فى الفهم من الكتاب وأظهر فى التنزيل ؛ قال الله تعالى فى هود : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] . وقال فى فصلت : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2] وقال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾[3] . ولذلك ثبت فى الخط ألف « القرآن » وحذفت ألف « الكتاب » .

وقد حُذِفت ألف « القرآن » فى حرفين ؛ هو فيهما مرادف للكتاب فى الاعتبار ؛ قال تعالى فى سورة يوسف : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[4] ، وفى الزخرف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[5] ، والضمير فى الموضعين ضمير الكتاب[6] المذكور قبله . وقال بعد ذلك فى كل واحدة منهما : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[7] ، فقرينته هى من جهة المعقولية . وقال فى الزخرف : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[8] .

وكذلك كل ما فى القرآن من «الكتاب» و «كتاب» فبغير ألف ؛ إلا فى أربعة مواضع هى مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلى :

فى الرعد : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[9] ، فإن هذا « كتاب » الآجال

---

(١) سورة هود ١
(٢) سورة فصلت ٣
(٣) سورة القيامة ١٧
(٤) سورة يوسف ٢
(٥) سورة الزخرف ٣
(٦) فى سورة يوسف ١ : ﴿ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ . وفى الزخرف ٢ : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ .
(٧) يوسف ٢ ، والزخرف ٣
(٨) سورة الزخرف ٤
(٩) سورة الرعد ٣٨

فهو أخصّ من الكتاب المطلق ، أو المضاف إلى الله .

وفى الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾[1] ، فإن هذا « كتاب » إهلاك القرى ، وهو أخصّ من كتاب الآجال .

وفى الكهف : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ ﴾[2] ، فإن هذا أخصّ من « الكتاب » الذى فى قوله : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[3] ، لأنه أطلق هذا ، وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنًى فى الوجود ، والأخصّ أظهر تنزيلا .

وفى النمل : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[4] ، هذا « الكتاب » جاء تابعا للقرآن ، والقرآن جاء تابعا للكتاب ، كما جاء فى الحجر : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ﴾[5] ، فما فى النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلى ، فهو تفصيل للكتاب الكلى بجوامع كلّيته .

ومن ذلك حذف الألف فى : ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾ تنبيها على علوه فى أول رتبة الأسماء وانفراده ، وأنّ عنه انقضت الأسماء؛ فهو بكلّيتها ؛يدلّ عليه إضافته إلى اسم الله الذى هو جامع الأسماء كلّها، أوّلها ، ولهذا لم يتسمّ به غيرُ الله ،بخلاف غيره من أسمائه ، فلهذا ظهرت الألفُ معها، تنبيها على ظهور التسمية فى الوجود ، وحذفت الألف التى قبل الهاء من اسم الله ، وأظهرت التى مع اللام من أوّله ، دلالةً على أنّه الظاهر من جهة التعريف والبيان ، الباطن من جهة الإدراك والعيان .

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه : « الرحمٰن » حيث وقع ، بيانا لأنا نعلم حقائق تفصيل رحمته فى الوجود ، فلا يفُرّقُ فى علمنا بين الوصف والصفة ،و إنما الفرقان

(١) سورة الحجر ٤
(٢) سورة الكهف ٢٧
(٣) سورة العنكبوت ٤٥
(٤) سورة النمل ١
(٥) سورة الحجر ١

فى التسمية والاسم ، لا فى معانى الأسماء المدلول عليها بالتسمية ، بل نُؤمن بها إيمانا مفوّضا فى علم حقيقته إليه .

قلت : وعلماء الظاهر يقولون: للاختصار وكثرة الاستعمال ، وهو من خصائص الجلالة الشريفة ، فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ فى الدّرج تثبت خطا إلا فى البسملة ،وفى قوله فى هود : ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا ﴾ [1] ، ولا تحذف إلا بشرطين :

أن تضاف إلى اسم الله ـ ولهذا أثبتت فى ﴿ باسم ربّك ﴾ [2] ـ وأن تكون قبله الباء، ولم يشترط الكسائى الثانى ، فجوّز [3] حذفها كما تحذف فى « بِسْمِ الملك » ؛والجمهور على الأول.

وكذلك حذف الألف فى كثير من أسماء الفاعلين مثل : « قٰدر » و « علٰم » ،وذلك أن هذه الألف فى وسط الكلمة .

وكذلك الألف الزائدة فى الجموع السالمة والمكسّرة،مثل « القٰنتين »، و « الأبرٰر » و « الجلٰل »،و « الإكرٰم »،و « اختلٰف »،و « استكبٰر » ،فإنها كلّها وردت لمعنى مفصّل يشتمل [4] عليه معنى تلك اللفظة ، فتحذف حيث يبطن التفصيل ، وتثبت حيث يظهر .

وكذلك ألف الأسماء الأعجمية كإبرهيم لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر فى اللسان العربى ؛ لأن العجمىّ بالنسبة إلى العربى باطن خفىّ لا ظهور له ، فحذفت ألفه.

قال أبو عمرو : [5] اتّفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية [المستعملة] [6] كإبرٰهيم وإسمٰعيل ، وإسحٰق ، وهٰرون ، ولقمٰن [وشبهها [6]] ، [7] وأما حذفها من:سليمٰن، وصٰلح،وملٰك ـ وليست بأعجمية ـ فلكثرة الاستعمال [7] ؛فأما مالم يكثر استعماله من الأعجمية

(١) سورة هود ٤١
(٢) سورة العلق ١
(٣) ت : « فيجوّز »
(٤) م : « ليشتمل »
(٥) المقنع ص ٢٢ وفيه : « واتفق كتاب المصاحف».
(٦) من المقنع
(٧ ــ ٧) المقنع : « وكذا حذفوها من سليمن ، وصلح ، وملك ، وخلد ، وليست بأعجمية لما كثر استعمالها » .

فبالألف[١] ، كطالوت ، وجالوت ، ويأجوج ، ومأجوج [وشبهها][٢].

واختلفت المصاحف[٣] فى أربعة : هاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون[٤] ؛ فأما « داود » فلا خلاف فى رسمه بالألف ، لأنهم قد حذفوا منه واوا فلم يجحفوا بحذف ألف أخرى[٥] ، ومثله « إسرائيل » ترسم بالألف ، [فى أكثر المصاحف][٢]؛ لأنه حذف منه الياء[٦] .

وكذلك اتفقوا على حذف الألف فى جمع[٧] السلامة ، مذكرا كان كالعٰلمين ، والصٰبرين ، والصٰدقين ، أو مؤنثا كالمسلمٰت ، والمؤمنٰت ، والطيبٰت ، والخبيثٰت ، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت[٨] الألف ، نحو : السائلين ،والصائمين والظانين ، والضالين ، وحافّين ، ونحوه .

قال أبو العباس : وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية ، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية ، هى أظهر فى الاسم ،فتثبت الألف ؛ كالأوّاب ، والخطاب ، والعذاب ، و﴿ أَمْ كُنْتَ من العالين ﴾[٩] ، و ﴿ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ﴾ .

وقد تكون ملكية ، وتعتبر من جهة مرتبة عليا ملكوتية هى أظهر فى الاسم ، فتحذف الألف ، كالمحرٰب ، ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك ، فيحتاج إلى تدبّر وفهم .

ومنه ما يكون ظاهر الفرقان ، « كالأخْيٰرِ » و « الأشرار » ، تحذف من الأول دون الثانى .

---

(١) المقنع : « فإنهم أثبتوا الألف فيه » (٢) من المقنع

(٣) المقنع : « ورأيت المصاحف تختلف فى أربعة » .

(٤) بعد كلمة « قارون » فى المقنع : « فى بعضها بالألف ، وفى بعضها بغير ألف ، والأكثر على إثبات الألف » . (٥) المقنع : « فلم يحذفوا لذلك الألف منه » .

(٦) بعده فى المقنع : « التى هى صورة الهمزة ، وقد وجدت ذلك فى بعض المصاحف المدنية والعراقية العتق القديمة بغير ألف ، وإثباتها أكثر » . (٧) المقنع : « من الجمع السالم الكثير الدور » .

(٨) م : « ثبتت » . (٩) سورة ص ٧٥ .

ومنه ما يخفى كالفراش ، ويطعمون الطعام ، فالفراش محسوس والطعام ثابت ، ووزنهما واحد ؛ وهما جسمان ، لكن يعتبر فى الأول مكان التشبيه ، فإن التشبيه محسوس، وصفة التشبيه[1] غير محسوس ، فالمشبه به غير محسوس فى حالة الشبه، إذا جعل جزءا من صفة المشبّه به من حيث هو مستفرش مبثوث ، لا من حيث هو جسم ؛ وأما الطعام فهو المحسوس المعطَى للمحتاجين .

وكذلك : ﴿ وطعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَٰبَ حِلٌّ لَكُمْ وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [2] ثبتت الألف فى الأول ؛ لأنه سفلىٌّ بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثانى لأنه عُلوىٌّ بالنسبة إلى طعامهم ، لعلوّ ملّتنا على ملّتهم .

وكذلك : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَٰمَ ﴾ [3] ، فحذف لعلوّ هذا الطعام .

وكذلك : ﴿ غَلَّقَتِ الأَبْوَٰبَ ﴾ [4] « غلّقت » فيه التكثير فى العمل ، فيدخل به أيضا ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذفت الألف لذلك ، ويدل عليه : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ﴿ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ [5] ، فأفرد « الباب » المحسوس من أبواب الاعتصام .

وكذلك : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [6] ؛ محذوف لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية ، و : ﴿ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ [7] ملكية من حيث هى لهم ، فثبتت الألف . وَ ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ [8] ، ثابتة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سُفلية . وكذلك : ﴿ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [9] من حيث حصرها العدد فى الوجود، ملكية فثبتت الألف [10] .

---

(١) ط : « الشبهية »
(٢) سورة المائدة ٥
(٣) سورة المائدة ٧٥
(٤) سورة يوسف ٢٣
(٥) سورة يوسف ٢٥
(٦) سورة الزمر ٧٣
(٧) سورة ص ٥٠
(٨) سورة الزمر ٧٢
(٩) سورة الحجر ٤٤
(١٠) من كلمة « كذلك » إلى هنا ساقط من ت.

وكذلك : « الجراد » و « الضَّفْدِعَ » [١] ، الأول ثابت ، فهو الذى فى الواحدة المحسوسة ، والثانى محذوف لأنه ليس فى الواحدة المحسوسة، والجمع هنا ملكوتى من حيث هَوآية [٢] .

وكذلك : ﴿ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ [٣] حذفت لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها للفهم جهة التماثل ؛ و ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ﴾ [٤] ثابت الألف لأنه تعيّن للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء . ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ [٥] حذفت للعموم . و ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ [٦] ثابت فى الفرقان لأنها المذكورة حسّية مفصلة ، ومحذوفة فى الإسراء لأنها غير مفصلة باطنة .

وكذلك : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [٧] ، و ﴿ دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [٧] الأولى محذوفة ، لأنها روحانية لاتعلَم إلا إيمانا ، والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهوِىّ .

وكذلك : [ألف] ﴿ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [٨] محذوفة لأنه ملكوتى و [ألف] ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾ [٩] ثابتة ، لأنها ملكية ؛ وهما معا فى موطن الآخرة.

وكذلك : ﴿ الْقَاضِيَةَ ﴾ [١٠] ملكوتية ، ﴿ مَالِيَهْ ﴾ [١١] ملكى محسوس ، فحذف الأول وثبت الثانى .

---

(١) من قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٣ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ ﴾

(٢) ط : « هو آية »

(٣) سورة الواقعة ٦١

(٤) سورة الواقعة ٢٣

(٥) سورة محمد ٣

(٦) سورة الفرقان ٩ ، الإسراء ٤٨

(٧) سورة الحاقة ١٣ ، ١٤

(٨) سورة الحاقة ٢٥

(٩) سورة الحاقة ٢٦

(١٠) سورة الحاقة ٢٧

(١١) سورة الحاقة ٢٨

وكذلك : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ ﴾ (١) ، حذف لأنه الاسم ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ (٢) ثبت لأنه مجدّ محسوس ، [فحذف الأول وثبت الثانى] .

وكذلك : ﴿ سُبْحٰنَ ﴾ حذفت لأنه ملكوتى إلا حرفا واحدا ، واختلف فيه : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى ﴾ (٣) ، فمن أثبت الألف قال : هذا تبرئة من مقام الإسلام ، وحضره الأجسام ، صُدِّر به مجاوبة للكفار فى مواطن الردّ والإنكار . ومن أسقط فلعلوّ حال المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشغله عن الحضور تقلبه فى الملكوت الخطاب فى الملك ، وهو أولى الوجهين .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلٰثَةٍ ﴾ (٤) ، ثبتت ألف ﴿ ثالث ﴾ لأنهم جعلوه أحدَ ثلاثة مفصّلة ، فثبتت (٥) الألف علامة لإظهارهم التفصيل فى الإلٰه ، تعالى الله عن قولهم ! وحذفت ألف ﴿ ثلٰثة ﴾ لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة .

وكذلك : ﴿ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٦) ، حذفت من ﴿ إلٰه ﴾ وثبتت فى ﴿ واحد ﴾ ألفه ، لأنه إلٰهٌ فى ملكوته ، تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك ، واحدٌ فى ملكه ، تنزّه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك . هذا من جهة إدراكنا ، وأما من جهة ما [هى] (٧) عليه الصفة فى نفسها فلا يدرك ذلك ، بل يُسَلِّم علمه إلى الله تعالى فتحذف .

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل « هاء » التنبيه فى النداء ، فى ثلاثة أحرف :

---

(١) سورة البقرة ٢٥٠
(٢) سورة البقرة ٢٥١
(٣) سورة الإسراء ٩٤
(٤) سورة المائدة ٧٣
(٥) ت : « فثبت »
(٦) سورة المائدة ٧٣
(٧) تكملة من ت .

﴿ يُّهَ الْمؤمنون ﴾ [١] ، و﴿ أَيُّـهَ السَّاحِرُ ﴾[٢] ، و﴿ أَيُّـهَ الثَّقَلَانِ ﴾[٣] ، والباقى[٤] بإثبات الألف ، والسر فى سقوطها فى هـذه الثلاثة الإشارةُ إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة يمتد النداء إليها ، وتنبيهٌ على الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ماينبغى .

وقوله [٥] : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً ﴾ [٦] يدلّ على أنهم كلّ المؤمنين ، على العموم والاستغراق فيهم . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[٧] وقول فرعون : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ [٨] ﴾ يدلُّ على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾، فإقامةُ الوصف مقام [٩] الموصوف يدل على عِظَم الصفة الملكية ،فإنها تقتضى جميعَ الصفات الملكوتية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهرُ فى الفهم على ما ينبغى لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاءِ الله فى بيان النِّعم ليشكروا ،و بيان النقم ليحذروا .

وكذلك حذفت الألف الآتية لمدِّ الصوت بالنداء ، مثل ﴿ يٰقوم ﴾ ، ﴿ يٰعباد ﴾ لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين ؛ وذلك أمرٌ باطن ليس بصفة محسوسة فى الوجود .

قال أبو عمرو : كلُّ ما فى القرآن من ذكر « آيٰتنا » فبغير الألف ، إلَّا فى موضعين : فى ﴿ بآياتنا ﴾[١٠] ، و﴿ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾[١١] .

---

(١) سورة النور ٣١ ؛ وفى ت « آية » فى الآيات الثلاث ، تحريف .
(٢) سورة الزخرف ٤٩
(٣) سورة الرحمن ٣١
(٤) ت : « والثانى » تحريف .
(٥) ت : «بقوله» تحريف
(٦) سورة النور ٣١
(٧) سورة الشعراء ٣٤
(٨) سورة الشعراء ٤٩
(٩) سورة الرحمن ٣١
(١٠) سورة البقرة ٣٩
(١١) سورة يونس ١٥

وكلُّ ما فيه من ذكر « أيُّها » ، فبا لألف ، إلا فى ثلاثة مواضع محذوفة الألف : فى النور : ﴿ أَيُّهَ المؤمنون ﴾[1] ،وفى الزخرف : ﴿ يٰأَيُّهَ الساجر ﴾[2] ، وفى الرحمن : ﴿ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾[3] .

وكلُّ ما فيه من « ساحر » فبغير الألف إلا فى واحد؛ فى الذاريات : ﴿ وقال سَاحِرٌ أو مجنونٌ ﴾[4] .

[القسم الثانى : حذف الواو]

الثانى حذف الواو اكتفاء بالضمة قصدا للتخفيف ، فإذا اجتمع واوان والضم ،فتحذف الواو التى ليست عمدة ، وتبقى العمدة ، سواء كانت الكلمة فعلا ، مثل : ﴿ لِيَسُوءوا وُجُوهَكُمْ ﴾[5] ، أو صفة مثل « الموءدة » ، و « لَيَوُس » ، و « الغَاوُن » ؛ أو اسماً ، مثل « داود » إلَّا أن يُنْوَى كلّ واحد منهما فتثبتان جميعا ، مثل « تبوءوا » فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام ، فنويتْ فى الكلمة ،والواو الثانية ضمير الفاعل، فثبتا جميعا .

وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبيها على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدّة قبول المنفَعل المتأثر به فى الوجود :

أوّلها : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾[6] ، فيه سرعة الفعل وإجابة الزّبانية وقوة البطش ،

---

(١) سورة النور ٣١
(٢) سورة الزخرف ٤٩
(٣) سورة الرحمن ٣١
(٤) سورة الذاريات ٣٩
(٥) سورة الإسراء ٧
(٦) سورة العلق ٨ .

وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (١) .

وثانيها : ﴿ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾ (٢) ، حذفت منه « الواو » علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (٣) ، وليس ﴿ يَمْحُ ﴾ معطوفا على ﴿ يَخْتِمْ ﴾ (١) الذى قبله ، لأنه ظهر مع ﴿ يمح ﴾ الفاعل ، وعطف على الفعل ما بعده ، وهو : ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾ (٢) .

قلت : إن قيل : لِمَ رُسِم الواو فى : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ ، (٤) ، وحذفت فى : ﴿ ويَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾ (٢) ؟

قلت : لأن الإثباتَ الأصل ، وإنما حذفت فى الثانية لأن قبله مجزوم ، وإن لم يكن معطوفا عليه ، لأنه قد عطف عليه ﴿ ويُحِقّ ﴾ ، وليس مقيدا بشرط ، ولكن قد يجئ بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقربُ من عطف الجوار فى النحو ، والله أعلم .

وثالثها : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ (٥) ، حذفُ الواو يدلُّ على أنه سهل عليه ويسارع فيه ، كما يعمل فى الخير ، وإتيانُ الشر إليه من جهة ذاته أقربُ إليه من الخير .

ورابعها : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ (٦) حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

[القسم الثالث : حذف الياء]

الثالث : حذف الياء اكتفاء بالكسرة ، نحو « فارهبون » ، «فاعبدون» .

---

(١) سورة القمر ٥٠

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٣) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة الرعد ٣٩

(٥) سورة الإسراء ١١

(٦) سورة القمر ٦

قال أبو العباس : الياء الناقصة فى الخط ضربان : ضرب محذوف فى الخط ثابت فى التلاوة ، وضرب محذوف فيهما .

فالأول هو باعتبار ملكوتىّ باطن ، وينقسم قسمين :

ما هو ضمير المتكلم ، وما هو لام الكلمة .

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم ، مثل : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [١]، ثبتت [الياء] [٢] الأولى ، لأنه فعل ملكوتىّ . وكذلك ﴿ فَمَا آتَانِ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾ [٣]، حذفت الياء لاعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة ، فهو المؤتى الملكوتى من قِبَل الآخرة ، وفى ضمنه الجسمانى للدنيا ، لأنه فانٍ ، والأول ثابت .

وكذلك : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [٤] ، وعِلْمُ هذا المسئول غيبٌ ملكوتىّ ، بدليل قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [٤] ، فهو بخلاف قوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [٥] ، لأن هذا سؤالٌ عن حوادث المُلك فى مقام الشاهد، كخرق السفينة [٦]، وقتل الغلام [٧] ، وإقامة الجدار [٨] .

وكذلك : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [٩] ، فحذفُ الضمير فى الخط

---

(١) سورة القمر ١٦
(٢) من ط
(٣) سورة النمل ٣٦
(٤) سورة هود ٤٦
(٥) سورة الكهف ٧٠
(٦) سورة الكهف ٧٢ : ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾.
(٧) سورة الكهف ٧٤ : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾.
(٨) سورة الكهف ٧٧ : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾.
(٩) سورة البقرة ١٨٦ .

دلالة على الدّعاء الذى من جهة الملكوت بإخلاص الباطن .

وكذلك : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[1] هو الاتباع العلمى فى دين الله بالجوارح المقصود بها وجهُ الله وطاعته .

وكذلك:﴿لِمَنْ خَافَ مَقامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[2] ، ثبتت الياء فى « المقام » لاعتبار المعنى من جهة الملك ، وحذفت من « الوعيد » لاعتباره ملكوتيا ، فخاف المقام من جهة ماظهر للأبصار ، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار .

وكذلك : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[3] ، هو التأخير بالمؤاخذة ، لا التأخير الجسمى ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[4] ، لأن هـذا تأخير جسمىّ فى الدنيا الظاهرة .

وكذلك : ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾[5] ، سياق الـكلام فى أمور محسوسة،والهداية فيه ملـكوتية ،وقد هداه الله فى قصة الغار ، وهو فى العدد ﴿ ثانى اثنين ﴾[6] ، حتى خرج بدينه عن قومه بأقربَ من طريق أهل الـكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوّهم ، على ماقص الله علينا فيه ، وهذه الهداية بخلاف ماقال موسى : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[7]،فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مَدْين فى عالم الملك ، بدليل قوله : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾[7] .

وكذلك: ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾[8]

وكذلك : ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ ﴾،هوفى طريق الهداية لا فى مسير موسى إلى ربه ؛ بدليل:

---

(١) سورة آل عمران ٢٠
(٢) سورة إبراهيم ١٤
(٣) سورة الإسراء ٦٢
(٤) سورة المنافقون ١١
(٥) سورة الـكهف ٢٤
(٦) سورة التوبة ٤٠
(٧) سورة القصص ٢٢
(٨) سورة الـكهف ٦٣

﴿ أفعصيتَ أمْرِى ﴾[1] ، ولم يأمره بالمسير الحسىّ ، إنما أمره أن يخلُفَه فى قومه و يُصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِى ﴾[2] ، فإنه اتباع محسوس فى ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِى ﴾ ، وهو لا أمرَ له إلا الحسىّ .

وكذلك : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[3] حيث وقع ، لأنّ النكير معتبر من جهة الملكوت ، لا من جهة أثره المحسوس ، فإن أثرَه قد انقضى وأخبِر عنه بالفعل الماضى ، والنكير اسم ثابت فى الأزمان كلِّها ، فيه التنبيه على أنه كما أخَذ أولئك يأخذ غيرَهم .

وكذلك : ﴿ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[4] خاف موسى عليه السلام أن يكذّبوه فيما جاءهم به ، وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامه لهم بالوحى ، فإنه كان عالىَ البيان ، لأنه كليم الرحمٰن ، فبلاغته لا تصل إليها أفهامُهم ، فيصير إفصاحُه العالى عند فهمهم النازل عُقْدَةً عليهم فى اللسان ، يحتاج إلى ترجمان ؛ فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قِبَل أنفسهم ، وبه تتم الحجة عليهم .

وكذلك : ﴿ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾[5] ، هو الإرداء الأخروىّ الملكوتى .

وكذلك : ﴿ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾[6] ، ليس هو الرجم بالحجارة ، إنما هو مايرمونه من بهتانهم .

وكذلك : ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[7] ، ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[8] ، هو الأخروىّ الملكوتىّ .

---

(١) سورة طه ٩٣
(٢) سورة طه ٩٠
(٣) سورة الملك ١٨
(٤) سورة الشعراء ١٢
(٥) سورة الصافات ٥٦
(٦) سورة الدخان ٢٠
(٧) سورة ق ١٤
(٨) سورة إبراهيم ١٤

وكذلك: ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ﴾[١]، ﴿ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾[٢]، هذا الإنسان يعتبر منزلته عند الله في الملكوت بما يبتليه في الدنيا، وهذا من الإنسان خطأ، لأن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، لقيام حجته على خلقه.

والقسم الثاني من الضرب[٣] الأول؛ إذا كانت الياء لامَ الكلمة، سواء كانت في الاسم أو الفعل، نحو: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾[٤]، حذفت تنبيها على المخلص لله، الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة، لا في الدنيا.

وكذلك: ﴿ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾[٥]، هو داعٍ ملكوتيّ من عالم الآخرة.

وكذلك: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾[٦] هو إتيان ملكوتيّ أخرويّ آخره متصل بما وراءه من الغيب.

وكذلك ﴿ المهتد ﴾[٧].

وكذلك: ﴿ وَالْبَادِ ﴾[٨]، حذف لأنه على غير حال الحاضر الشاهد، وقد جعل الله لها سراً.

وكذلك: ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾[٩]، من حيث التشبيه، فإنه ملكوتيّ؛ إذ هو صفة تشبيه لا ظهورَ لها في الإدراك الملكيّ.

وكذلك: ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[١٠]، و﴿ التَّنَادِ ﴾[١١] كلاهما ملكوتي أخرويّ.

---

(١) سورة الفجر ١٥
(٢) سورة الفجر ١٦
(٣) ت: « الصور » تحريف
(٤) سورة البقرة ١٨٦
(٥) سورة القمر ٦
(٦) سورة هود ١٠٥
(٧) سورة الكهف ١٧
(٨) سورة الحج ٢٥
(٩) سورة سبأ ١٣
(١٠) سورة غافر ١٥
(١١) سورة غافر ٣٢

وكذلك : ﴿ والَّيْلِ إذَا يَسْرِ ﴾[1] ، هو السُّرَى الملكوتىّ الذى يستدلُّ عليه بآخره من جهة الانقضاء أو بمسير النجوم .

وكذلك : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ ﴾[2] تُعتبر من حيث هى آية يدلّ ملكها على ملكوتها ، فآخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾[3] .

وكذلك حذف ياء الفعل من « يُحيى » إذا انفردت، وثبتتْ مع الضمير، مثل : ﴿ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ ﴾[4] ، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ﴾[5] ، لأن حياة الباطن أظهرُ فى العلم من حياة الظاهر ، وأقوى فى الإدراك .

* * *

الضرب الثانى الذى تسقط فيه الياء فى الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبةٍ عن باب الإدراك جملة ، واتصاله بالإسلام لله فى مقام الإحسان ، وهو قسمان : منه ضمير المتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضميرَ المتكلم فإنها إن كانت للعبد فهو الغائب ، وإن كانت للرب فالغيبة للمذكور معها ، فإن العبدَ هو الغائب عن الإدراك فى ذلك كلّه ، فهو فى هذا المقام مُسْلِم مؤمن بالغيب ، مكتفٍ بالأدلَّة ، فيقتصر فى الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة . ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة الذات ؛ ولما كان الغرضُ من القرآن جهةَ الاستدلال واعتبارَ الآيات وضربَ المثال دون التعرض لصفة الذات ـ كما قال : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾[6] ، وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا

---

(١) سورة الفجر ٤
(٢) سورة الشورى ٣٢
(٣) سورة الشورى ٣٣
(٤) سورة يس ٧٨
(٥) سورة يس ٧٩
(٦) سورة آل عمران ٢٨

لِلهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [١] ـ كان الحذف فى خواتم الآى كثيرا ؛ مثل : ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ [٢] ، ﴿ فَارْهَبُونِ ﴾ [٢] ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٣] ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [٣] ، وهو كثير جدا .

وكذلك ضمير العبد ، مثل : ﴿ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ ﴾ [٤] غائب عن علم إرادته الرحمٰن ، إنما علمُه بها تسليما و إيمانا برهانيا .

وكذلك قوله فى العقود[٥] : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ الناسُ كلّىّ لا يدلّ على ناس بأعيانهم ولا موصوفين بصفة فَهُم كلّى ، ولا يعلم الـكلّىّ [٦] من حيث هو كلّىّ ؛ بل من حيث أثر البعض فى الإدراك ، ولا يعلم الـكلى [٦] إلا من حيث هو أثر الجزئىّ فى الإدراك ، فالخشيةُ هنا كلية لشىء غير معلوم الحقيقة ؛ فوجب أن يكون اللهُ أحقّ بذلك ، فإنه حق ، و إن لم نُحِط به علما ، كما أمر الله سبحانه بذلك ، ولا يُخْشى غيره ، وهذا الحذف بخلاف ما جاء فى البقرة : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [٧] ، ضمير الجمع يعود على ﴿ الَّذِينَ ظلموا ﴾ [٧] من الناس ، فهمْ بعضٌ لا كلّ ، ظهروا فى الملك بالظلم ، فالخشية هنا جزئية ، فأمر سبحانه أن يُخْشَى من جهة ما ظهر ، كما يجب ذلك من جهة ماستر .

وكذلك حذفت الياء من : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [٨] و ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ ﴾ [٩] فإنه خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص ، فقد توجه الخطاب إليه فى فهمنا ، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك ، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب؛ لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول .

---

(١) سورة النحل ٧٤
(٢) سورة البقرة ٤١ ، ٤٠
(٣) سورة الذاريات ٥٦ ، ٥٧
(٤) سورة يس ٢٣
(٥) الآية ٤٤ وهى سورة المائدة
(٦ ــ ٦) ساقط من ت
(٧) سورة البقرة ١٥٠
(٨) سورة الزمر ١٧
(٩) سورة الزمر ١٠

وهذا بخلاف قوله : ﴿يَاعِبَادِي لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾[1] ، فإنها ثبتت ، لأنه خطاب لهم في الآخرة غيرَ محجو بين عنه ـ جعلنا الله منهم ـ أنه منعِم كريم ، وثبت حرف النداء ، فإنه أفهمهم نداءه الأخرويّ في موطن الدنيا ، في يوم ظهورهم بعد موتهم ، وفي محل أعمالهم ، إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخرويّ ، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك : ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى ﴾ [2] ثبت الضمير وحرف النداء في الخطّ ، فإنه دعاهم من مقام إسلامهم ، وحضرة امتثالهم إلى مقام إحسانهم ، ومثله : ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [3] في العنكبوت ، فإنه دعاهم من حضرتهم في مقام إيمانهم، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم ، إلى ما لا نعلمه من الزيادة بعدالحسنى .

وكذلك سقطتا في موطن الدعاءمثل : ﴿رَبِّ اغْفِرْلِي﴾[4] حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لغيبتنا نحن عن الإدراك ، وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا . وأما قوله : ﴿ وَقِيلِهِ يارَبِّ ﴾ [5] فأثبت حرف النداء ؛ لأنه دعا ربّه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ [5] ، وأسقط حرف ضميره لغيبه عن ذاته في توجّهه في مقام الملكوت ورتبة إحسانه في إسلامه .

وكذلك في مثل : ﴿ يَاقَوْمِ ﴾ [6] دلالة على أنه خارج عنهم في خطابه ، كما هو ظاهر في الإدراك ؛ وإن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود ، العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني :[7] إذا كانت الياء لامَ الكلمة في الفعل أو الاسم ؛ فإنها تسقط

---

(١) سورةالزخرف ٦٨ وهو غيرمافي المصحف. (٢) سورة الزمر ٥٣
(٣) سورة العنكبوت ٥٦ (٤) سورة نوح ٢٨
(٥) سورة الزخرف ٨٨ (٦) سورة هود ٦٣ .
(٧) مما تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة .

من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن ، إلى مالا يدرك منه إلا إيمانا وتسليما ، فيكون حذفُ الياء منبّها على ذلك ، وإن لم يكمل اعتباره فى الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب ، مثل : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾[١] ، هو ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾[٢] وقد ابتدأ ذلك لهم فى الدنيا متصلا بالآخرة .

وكذلك : ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣] ؛ حذفت لأنه يهديهم بما نصب لهم فى الدنيا من الدلائل والعِبر إلى الصراط المستقيم ، برفع درجاتهم فى هدايتهم إلى حيث لا غاية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٤] . وكذلك : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ ﴾[٥] فى الروم ، هذه الهداية هى الكلية على التفصيل بالتوالى التى ترقّى العبد فى هدايته من الأرباب[٦] إلى مايدركه العيان ؛ ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان . ويدلّ على ذلك قوله قبلها : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾[٧] الآية ، فهذا النظر من عالم الملك[٨] ذاهبا فى النظر إلى عالم الملكوت[٨] إلى ما لا يدرك إلا إيمانا وتسليما . وهذا بخلاف الحرف الذى فى النمل : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ ﴾[٩] ؛ فثبتت الياء ؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾[١٠] .

وكذلك : ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾[١١] ، و﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾[١٢] هما مبدأ التقديس واليُمْن

---

(١) سورة النساء ١٤٦ .
(٢) سورة الزخرف ٧١
(٣) سورة الحج ٥٤
(٤) سورة ق ٣٥
(٥) سورة الروم ٥٣
(٦) ط : « الأوثان »
(٧) سورة النمل ٥٠
(٨ — ٨) ساقط من ت
(٩) سورة النمل ٨١
(١٠) سورة النمل ٧٩
(١١) سورة طه ١٢ .
(١٢) سورة القصص ٣٠

الذى وصفابه،فانتقل التقديس واليمن منهما إلى الجمال، ذاهبا بهما إلى مالا يحيط بعلمه إلا الله .

وكذلك : ﴿ وَادِ النَّمْلِ ﴾ (١) هو موضع لابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق ، ـ وهى النملة ـ إلى أعلاهم ـ وهو الهدهد والطير ، ومن ظاهر الناس و باطن الجنّ إلى قول العفريت ، إلى قول الذى عنده علم من الكتاب ، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب ، إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ ﴾ (٢) سقطت الياء تنبيها على أنها لله من حقّ إنشائها بعد أن لم تكن ، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من صفاتها .

وكذلك ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (٣) حذفت الياء تنبيها على أنها تجرى من محل اتصافها بالخناس ، إلى محلّ اتصافها بالكناس ، وذلك يُفهِم أنه اتصف بالخناس عن حركة تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر ، يفهم منه وصف بالجوار فى الباطن ؛ وهذا الظاهر مبدأ لفهمه ؛ كالنجوم الجارية داخل تحت معنى الكلمة .

فصل

[فى حذف النون]

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذى هو لام فعلٍ ، فيحذف تنبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد ، إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله ، مثل ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً ﴾ (٤) ، حذفت النون تنبيهاً على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو

---

(١) سورة النمل ١٨ (٢) سورة الرحمن ٢٤

(٣) سورة التكوير ١٦ (٤) سورة القيامة ٣٧ .

من نفسه ، ثم يترقى فى أطوار التكوين، ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾[1] ، فهوحين كان نطفة كان ناقصَ الكون ؛ كذلك كلُّ مرتبة ينتهى إليها كونه هى ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالوجود الدنيوىّ كلُّه ناقص الكون عن كون الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ﴾[2] .

وكذلك : ﴿ وإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾[3] ، حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار ، حقيرة فى الاعتبار ، فإن إليه ترتيبها وتضاعيفها . ومثله : ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾[4] .

وكذلك : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ ﴾[5] جاءتهم الرسل من أقرب شىء فى البيان ، الذى أقلّ من مبدأ فيه وهو الحسّ ، إلى العقل ، إلى الذكر . ورقّوهم من أخفض رتبة ــ وهى الجهل ــ إلى أرفع درجة فى العلم ــ وهى اليقين ــ وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾[6] ؛ فإنّ كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم .

وكذلك : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فيها ﴾[7] هذا قد تمّ كونُه .

وكذلك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾[8] ، هذا قد تم كونُهم غير منفكين إلى تلك الغاية المجعولة لهم ، وهى مجىء البيِّنة .

وكذلك : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ﴾[9] ، انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع وأقله ، فانتفى أصلُه.

---

(١) سورة يس ٧٧
(٢) سورة العنكبوت ٦٤
(٣) سورة النساء ٤٠
(٤) سورة لقمان ١٦
(٥) سورة غافر ٥٠
(٦) سورة « المؤمنون » ١٠٥
(٧) سورة النساء ٩٧
(٨) سورة البينة ١
(٩) سورة المؤمن ٨٥ .

فصل

فيما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفخيم

وذلك فى أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .

فالأربعة الأصول هى ﴿ الصَّلٰوة ﴾ ، و ﴿ الزَّكٰوة ﴾ ، و ﴿ الحيٰوة ﴾ ، و ﴿ الربٰوا ﴾

والأربعة الأحرف قوله فى الأنعام والكهف : ﴿ بالْغَدٰوةِ ﴾ [١] ، والنور ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ [٢] ، وفى المؤمن ﴿ النَّجَوٰة ﴾ [٣] ، وفى النجم ﴿ ومَنٰوة ﴾ [٤] .

فأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ [٥] ، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ [٦] ، ﴿ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ [٧] ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ رِبًا ﴾ [٨] ، فالرسمُ بالألف فى الكلّ .

والقصدُ بذلك تعظيمُ شأن هذه الأحرف فإنّ الصلاة والزكاة عمودا الإسلام ، والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح التقوى ، ولهذا قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا ﴾ [٩] ، إلى قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [١٠] ويشتمل على أنواع الحرام ، وأنواع الخبائث ، وضروب المفاسد ؛ وهو نقيض الزكاة ؛ ولهذا قوبل بينهما فى قوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [١١] ، واجتنابُه أصلٌ فى التصرفات المالية ؛ وإنما كُتِبَتْ بالألف

---

(١) سورة الأنعام ٥٢ ، الكهف ٢٨
(٢) سورة النور ٣٥
(٣) سورة المؤمن ٤١
(٤) سورة النجم ٢٠
(٥) سورة الأنفال ٣٥
(٦) سورة الأنعام ١٦٢
(٧) سورة الأنعام ٢٩
(٨) سورة الروم ٣٩
(٩) سورة البقرة ٢٧٨
(١٠) سورة البقرة ٢٧٩
(١١) سورة البقرة ٢٧٦

فى سورة الروم لأنه ليس العام الكلى ؛ لأنّ الكلىّ منفىّ فى حكم الله عليه بالتحريم ، وفى نفى الكلىّ نفىُ جميع جزئياته .

فإن قلت : فلم كتب ﴿ الزكوٰة ﴾ هنا بالواو ؟ وهلاّ جرَتْ على نظم ما قبلها من قوله : ﴿ وَمَآ آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا ﴾[1] ؟

قلت : لأنّ المرادَ بها الكلية فى حكم الله ، ولذلك قال : ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾[1] .

وأما كتاب ﴿ النجوٰة ﴾ بالواو فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَاقَوْمِ مَالِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ ﴾[2] .

وأما ﴿ الغدوٰة ﴾ فقاعدة الأزمان ، ومبدأ تصرّف الإنسان ؛ مشتقة من الغدوّ .

وأما ﴿المشكوٰة ﴾ فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[3] .

وأما ﴿ منوٰة ﴾ فقاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والإضلال وقد وصفها الله بوصفين : أحدهما يدل على تكثيرهم الإله من مثنى[4] ومثلث ، والثانى يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطّل ومشبّه ، تعالى الإله عما يقولون !

فصل

فى مدّ التاء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعلَ ، صار لها اعتباران : أحدُها من حيث هى

---

(١) سورة الروم ٣٩ (٢) سورة المؤمن ٤١

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ أفرأيتمُ اللاَّتَ والعزّى . ومنوةَ الثالثةَ الأُخرَى ﴾ [سورة النجم ١٩ ، ٢٠] .

أسماء وصفات ، وهذا[1] تقبض منه التاء. والثانى من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا فى الوجود ، فهذا تمدّ فيه ؛ كما تمدّ فى « قالت » و « حقت » . وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة ، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة .

فمن ذلك « الرحمة » مدت فى سبعة مواضع للعلّة المذكورة :

بدليل قوله فى أحدها : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2] فوضعها على التذكير ، فهو الفعل .

وكذلك : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ ﴾ [3] والأثر هو الفعل ضرورة .

والثالث : ﴿ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ ﴾[4] .

والرابع فى هود : ﴿ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾[5] .

والخامس : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾[6] .

والسادس : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[7] .

والسابع : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [7] .

ومنه « النعمة » بالهاء إلا فى أحد عشر موضعا مدّت بها :

فى البقرة : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [8] ، فى آل عمران [8] ،

---

(١) ط ، م : « وهذا »

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(٣) سورة الروم ٥٠

(٤) سورة البقرة ٢١٨

(٥) سورة هود ٧٣

(٦) سورة مريم ٢

(٧) سورة الزخرف ٣٢

(٨) سورة البقرة ٢٣١ وآل عمران ١٠٣

والمائدة [١] . وفى إبراهيم [٢] موضعان . والنحل [٣] ثلاثة مواضع . وفى لقمان [٤] ، وفاطر [٥] ، والطور [٦] .

والحكمة فيها ما ذكرنا أنَّ الحاصلة بالفعل فى الوجود تُمَدُّ ، نحو قوله فى إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [٧] بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [٧] ، فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفّار فى تنزيلهما . وهذا بخلاف التى فى سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نعمة اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [٨] ، كتبت مقبوضة لأنها بمعنى الاسم ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٨] ، فهذه نعمة وصلت من الربّ ، فهى ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك « الكلمة » مقبوضة إلا فى موضع فى الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ [٩] هو ما تم لهم فى الوجود الأخروى بالفعل الظاهر دليله فى الملك ، وهو

---

(١) آية ١١ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُروا نعمتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٢) آية ٢٨ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كفراً... ﴾ وآية ٣٤ ﴿ وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوها ﴾ .

(٣) آية ٧٢ : ﴿ وبنعمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرون ﴾ ، وآية ٨٣ : ﴿ يَعْرِفونَ نعمتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها ﴾ ، وآية ١١٤ ﴿ واشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إياهُ تَعْبُدُون ﴾ .

(٤) آية ٣١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ ﴾ .

(٥) آية ٣ : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُروا نعمتَ اللهِ عَلَيْكُمْ .. ﴾ .

(٦) آية ٢٩ : ﴿ فَمَا أَنْتَ بنعمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ولا مجنونٍ ﴾ .

(٧) سورة إبراهيم ٣٤   (٨) سورة النحل ١٨ .

(٩) سورة الأعراف ١٣٧

الاختلاف [١] وتمامها أنّ لها نهاية تظهر فى الوجود بالفعل فمدت التاء .

ومنها « السُّنَّة »مقبوضة ؛ إلاَّ فى خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام الذى فى الوجود :

أحدُها فى الأنفال : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٢] ويدلُّ عليها أنها فى الانتقام قولُه قبلها : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٢] ، وقوله بعدها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [٣] .

وفى فاطر : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ [٤] ، ويدلّك على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [٤] ، وسياق ما بعدها .

وفى المؤمن : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ ﴾[٥] .

أمّا إذا كانت السنّة بمعنى الشريعة والطريقة فهى ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تاؤها ، كما فى الأحزاب ﴿سُنَّةَ اللهِ التى خلت مِنْ قَبْلُ ﴾ أى حكم الله وشرعه .

[وفى الإسراء] : ﴿ سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنَا ﴾ [٦] .

ومنه ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ ﴾ [٧] فَرْد ، مدّت تاؤه ؛ لأنه بمعنى ما يبقى فى أموالهم من الربح المحسوس ؛ لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

---

(١) فى المقنع ٨٤ : « وكل ما فى كتاب الله عز وجل من ذكر « الكلمة » على لفظ الواحد فهو بالهاء إلا حرفا واحداً فى الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ فإن مصاحف أهل العراق اتفقت على رسمه بالتاء » .

(٢) سورة الأنفال ٣٨ .

(٣) سورة الأنفال ٣٩

(٤) سورة فاطر ٤٣

(٥) سورة المؤمن ٨٥

(٦) سورة الإسراء ٧٧ .

(٧) سورة هود ٨٦ .

ومنه : ﴿ فِطْرَتَ اللهِ ﴾ [١] فرْد ، وصفها بأنهـا فطر الناس عليهـا ، فهى فصل خطاب فى الوجود كما جاء : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث [٢] .

ومنه : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ [٣] ، فرْد ، مدّت تاؤه لأنه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى ، وهو موجود حاضر فى الملك ، وهـذا بخلاف : ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [٤] ، فإنه هنا بمعنى الاسم ، وهو ملـكوتىّ إذ هو غير حاضر .

ومنه : ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ [٥] مدت فى موضعين فى سورة المجادلة ؛ لأن معناها الفعل، والتقدير: ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول، ونفسُ هذا النجوى الواقع منهم فى الوجود هو فعل معصية لوقوع النهى عنه .

ومنه « اللعنة » مدّت فى موضعين : فى آية المباهلة [٦] ، وفى آية اللّعان [٧] . وكونُهما بمعنى الفعل ظاهر .

ومنه «الشجرة» فى موضع : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾ [٨] ، لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقّمها بالأكل ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ فِي الْبُطُونِ ﴾ [٨] ، فهذه صفة فعل كما فى الواقعة : ﴿ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴾ [٩]، وهذا بخلاف قوله : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا

---

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) تمامه : « ... حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ، نقله السيوطى فى الجامع الصغير ٢ : ١٥٨ ، ورواه أبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان.

(٣) سورة القصص ٩

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٥) سورة المجادلة ٨ ، ٩

(٦) فى سورة آل عمران ٦١ : ﴿ ثم نبتهل فنجعل لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذبين ﴾ .

(٧) فى سورة النور ٧ : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

(٨) سورة الدخان ٤٣

(٩) سورة الواقعة ٥٢ .

أمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ (١) ، فإن هذه وَصَفَها بأنها : ﴿ فِتْنَةً لِلظَّالِمِين ﴾ (٢) ، وأنها ﴿ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) فهو حلية للاسم، فلذلك قبضت تاؤها .

ومنه « الجنة » مدّت فى موضع واحد ،فى الواقعة : ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (٣) لكونها بمعنى فعل التنعّم بالنعيم ، بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنة ، فهذه جنة خاصة بالمنعم بها . وأما ﴿ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٤) و﴿ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (٥) ؛ فإن هذا بمعنى الاسم الكلّى .

ولم تمد ﴿ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (٦) لأنها اسم ما يفعل بالمكذّب فى الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ؛فالمؤمن يعلمه تصديقا ، ولا يحذف لفعل أبدا ، والضابط لذلك: أنّما كان بمعنى الاسم لم تمد تاؤه ، مثل : ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٧) و ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾ (٨) و ﴿ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾ (٩) ، و ﴿ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (١٠) ، و ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (١١) ، و﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (١٢)

ومنه : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ﴾ (١٣) مدت التاء تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة ، ولم يُضَفْ فى القرآن ولدٌ إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمّه عليهما السلام ، لمّا اعتقد النصارى فيهما أنهما إلهان ، فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدُوثهما بعد عدمهما ؛ حتى أخبر تعالى فى موطنٍ بصفة

---

(١) سورة الصافات ٦٢
(٢) سورة الصافات ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) سورة الواقعة ٨٩
(٤) سورة الشعراء ٨٥
(٥) سورة المعارج ٣٨
(٦) سورة الواقعة ٩٤
(٧) سورة طه ١٣١
(٨) سورة البقرة ١٣٨
(٩) سورة الحج ١
(١٠) سورة التحريم ٢
(١١) سورة قريش ١
(١٢) سورة المسد ٤
(١٣) سورة التحريم ١٢ .

الإضافة دون الموصوف وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّه آيَةً ﴾ [(١)] لمّا غلوا فى إلاهيته أكثرَ من أمّه ، كما نبّه تعالى على حاجتهما وتغيّر أحوالهما فى الوجود ، يلحقهما ما يلحق البشر ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [(٢)] .

ومنه « امرأة » هى فى سبعة مواضع ؛ وهى خمس من النساء : « امرأت عمران » [(٣)] ، و « امرأت [(٤)] فرعون » ، و« امرأت نوح » [(٥)] ، و« امرأت لوط » [(٥)] ، و« امرأت العزيز » [(٣)] ، كلها ممدودة تنبيها على فعل التبعُّل والصحبة وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف فى الموجود والمحسوس . وأربع منهن منفصلات فى بواطن أمرهنّ عن بعولتهن بأعمالهن . وواحدة خاصة واصلت بعلَها باطنا وظاهرا ، وهى امرأت عمران ، فجعل الله لها ذرِّية طيبةً ، وأكرمها بذلك وفَضَّلها على العالمين . وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله ، وتوكُّلا عليه وخوفا منه ، فنجاها وأكرمها ، وهى امرأت فرعون . واثنتان منهنّ انفصلتا عن أزواجهما كفراً بالله فأهلكهما الله ودمرهما ، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة ؛ مع أنها أقربُ وصلة بأفضل أحباب الله . كما لم تضر امرأت فرعون وصلتُها الظاهرة بأخبث عبيد الله. وواحدة انفصلت عن بعلها بالباطن اتباعا للهوى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو فى بيتها وقبضتها ، فلم يغنِ ذلك عنها شيئا. وقوتُها وعزتُها إنما كانا لها من بعلها « العزيز » ، ولم ينفعْها ذلك فى الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها . كما لم يضرّ يوسف ما امتحن به منها ، ونجّاه الله من السجن ، ومكّن له فى الأرض ، وذلك بطاعته لربّه . ولا سعادة إلا بطاعة الله ، ولا شقاوة إلا بمعصيته ؛ فهذه كلُّها عِبَر وقعت بالفعل فى الوجود ، فى شأن كل امرأة منهنّ ، فلذلك مُدّت تاءاتهنّ .

---

(١) سورة المؤمنون ٥٠

(٢) سورة المائدة ٧٥

(٣) سورة آل عمران ٣٥

(٤) سورة القصص ٩ والتحريم ١١

(٥) سورة التحريم ١٠

فصل

فى الفصل والوصل

اعلم أن الموصولَ فى الوجود تُوصَل كلماته[1] فى الخط ؛ كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنًى فى الوجود يُفصل فى الخط ؛ كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمنه « إنما » بالكسر ، كلّه موصول إلا واحدا ﴿ إِنَّ مَاتُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾[2] ، لأن حرف « ما » هنا وقع على مفصّل[3] ، فمنه خيرٌ موعود به لأهل الخير ، ومنه شرٌّ موعود به لأهل الشر ؛ فمعنى « ما » مفصول فى الوجود والعلم .

ومنه « أنما » بالفتح كلُّه موصولٌ إلا حرفان : ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هو الْبَاطِلُ ﴾[4] ، ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾[5] ، وقع الفصل عن حرف التوكيد ؛ إذ ليس لدعوى غير الله وصل فى الوجود ؛ إنما وصلها فى العدم والنفى ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن : ﴿ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾[6] ، فوصل « أنما » فى النفى ، وفصل فى الإثبات ، لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « كلما » موصول كله إلا ثلاثة :

---

(١) ت ، ط : « كلمته » (٢) سورة الأنعام ١٣٤

(٣) كذا فى ط ، ت ، وفى م : «منفصل» . (٤) سورة الحج ٦٢

(٥) سورة لقمان ٣٠ (٦) سورة غافر ٤٣ .

فى النساء : ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ [١] فما رُدُّوا إليه ليس شيئاً واحدا فى الوجود ؛ بل أنواع مختلفة فى الوجود ، وصفة مردهم ليست[٢] واحدة بل متنوعة ، فانفصل « ما » لأنه لعموم شئ مفصّل فى الوجود .

وفى سورة إبراهيم : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[٣]، فحرف « ما » واقع[٤] على أنواع مفصلة فى الوجود .

وفى قدأفلح : ﴿ كُلَّ ما جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾[٥] ، والأمم مختلفة فى الوجود ، فحرف « ما » وقع على تفاصيل موجودة لتفصّل .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾ [٦] ؛ فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحـدة ؛ بدليل قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ ﴾[٧] والمخاطبون على عهد النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشره آباؤهم ؛ لـكن مذهبهم فى ذلك واحد ، فحرف « ما » إنمـا يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصّل له فى الوجود إلا بالفرض والتوهم ، لا بالحسّ ، فوصلت « كل » لاتصال الأزمنة فى الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهّمة .

وكذلك : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً ﴾ [٨] ، هذا موصول ؛ لأنّ حرف « ما » جاء لتعميم الأزمنة ، فلا تفصيل فيها فى الوجود ، وما رزقوا هو غير مختلف ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ .

---

(١) آية ٩١
(٢) ت : « ليس »
(٣) المؤمنون آية ٣٤
(٤) ت : « واقع »
(٥) آية ٤٤
(٦) سورة المائدة ٧٠
(٧) سورة البقرة ٩١
(٨) سورة البقرة ٢٥ .

ومنه «أينما» موصول إذا كانت «ما» غير مختلفة الأقسام فى الفعل الذى بعدها؛ مثل: ﴿أينما يُوَجِّههُ﴾[١]. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾[٢]. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾[٣]. ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾[٤]؛ فهذه كلها لم تخرج عن «الأين» الملكىّ، وهو متصل حسًّا، ولم يختلف فيه الفعل الذى مع «ما». و تُفصل «أين» حيث تكون «ما» مختلفةَ الأقسام فى الوصف الذى بعدها، مثل: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٥]. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٦]. ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[٧].

ومنه «بئسما» موصول، إلا ثلاثة أحرف: اثنان فى البقرة: ﴿بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾[٨]. ﴿بِئْسَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾[٨]، وفى الأعراف: ﴿بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي﴾[٩].

فحرف «ما» ليس فيه تفصيل، لأنه بمعنى واحد فى الوجود من جهة كونه باطلا مذموما؛ على خلاف حال «ما» فى المائدة: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٠]، فحرف «ما» يشتمل على الأقسام الثلاثة التى ذكرت قبل. وكذلك: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾[١١] حرف «ما» مفصول؛ لأنه يشمل ما بعده من الأقسام.

---

(١) سورة النحل ٧٦
(٢) سورة البقرة ١١٥
(٣) سورة الأحزاب ٦١
(٤) سورة النساء ٧٨ .
(٥) سورة الشعراء ٩٢
(٦) سورة الحديد ٤ .
(٧) سورة آل عمران ، ١٠
(٨) سورة البقرة ٩٠ ، ٩٣
(٩) سورة الأعراف ١٥٠ ، وفى المصحف الذى بين أيدينا متصلة .
(١٠) سورة المائدة ٦٢
(١١) سورة المائدة ٨٠ .

ومنه ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ [١] . ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ [٢]، حرفان ، فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ ، وأضيف « اليوم » إلى الجملة المنفصلة عنه .

و ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [٣] و ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [٤]،وصل الضمير لأنه مفرد ؛ فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

ومنه « فى ما » مفصول أحد عشر حرفا :

فى البقرة : ﴿ فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾ [٥] ، وذلك لأنّ « ما » يقع على فرد واحد [من] [٦] أنواع ينفصل بها المعروف فى الوجود [و] [٦] على البدلية أو الجمع ؛ يدل على ذلك تنكيره « المعروف » ودخول حرف التبعيض عليه ؛ فهو حسّىّ يُقسّم ، وحرف « ما » وقع على كلٍّ واحد منهما على البدلية أو الجمع ؛ وأما قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٧] فهذا موصول لأن « ما » واقعة على شىء واحد غير مفصل ، يدُلّك عليه وصفه بالمعروف .

وكذلك : ﴿ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [٨] ، وهو مفصول ؛ لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة فى الوجود . وكذلك فتدبره فى سائرها .

ومنه : ﴿ لِكَيْلَا ﴾ موصول فى ثلاثة مواضع ؛ وباقيها منفصل ؛ وإنما يُوصل حيث يكون حرف النفى دخل على معنى كلّى فيوصل ؛ لأن نفى الكلىّ نفى لجميع جزئياته ، فعِلّة نفيه هى علّة نفى أجزائه ؛ وليس للكلى المنفى أفراد فى الوجود ، وإنما

---

(١) سورة الذاريات ١٣
(٢) سورة غافر ١٦ .
(٣) سورة الطور ٤٥
(٤) سورة الزخرف ٨٣ .
(٥) سورة البقرة ٢٤٠
(٦) من ت ، ط .
(٧) سورة البقرة ٢٣٤
(٨) سورة الأنبياء ١٠٢ .

ذلك فيه بالتوهم ، ويفصل حيث يكون حرف النفى دخل على جزئى ؛ فإن نفىَ الجزئىّ لا يلزم منه نفى الكلى ؛ فلا تكون علته علة نفى الجمع :

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ [1] فى الحج . وفى الأحزاب : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ [2] . وفى الحديد : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [3] .

فهذه هى الموصولة ، وهى بخلاف : ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ [4] فى النحل ؛ لأن الظرف فى هذا خاص الاعتبار ؛ وهو فى الأول عام الاعتبار لدخول « من » عليه ؛ وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنّة : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [5] ، اختص المظروف بقبل فى الدنيا ، ففيها كانوا مشفقين خاصة . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [6] ، فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك فى الدنيا والآخرة فلم يختص المظروف بقبل بالدنيا .

وكذلك : ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾ [7] فهذا المنفى هو حرج مقيد بظرفين .

وكذلك : ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [8] ، فهذا النفى هو كون : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ [8] دولة بين الأغنياء من المؤمنين ، وهذه قيود كثيرة .

ومن ذلك « هم » ونحوه من الضمائر تدلّ على جملة المسمّى من غير تفصيل ، والإضمار حالٌ لا صفةَ وجود ، فلا يلزمها التقسيم الوجودىّ إلا الوهمى الشعرىّ والخطأُ بما يرسم على العلم الحق .

ومن ذلك « مَالِ » أربعة أحرف مفصولة ؛ وذلك أن اللام وصلة إضافية ، فقطعت حيث تقطع الإضافة فى الوجود :

---

(١) سورة الحج ٥
(٢) سورة الأحزاب ٥٠
(٣) سورة الحديد ٢٣
(٤) سورة النحل ٧٠
(٥) سورة الطور ٢٦
(٦) سورة الطور ٢٨
(٧) سورة الأحزاب ٣٧
(٨) سورة الحشر ٧٧

فأولها فى سورة النساء : ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾ [١] ، هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل لهم : ﴿ كُفّوا أيديَكم وأقيموا الصلاة ﴾ [٢] فقطعوا وصلَ السيئة بالحسنة فى الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما ، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به فى قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ [٣] فقطعوا فى الوجود ما أمرَ الله به أن يوصل ؛ فقطْع لامُ وصلِهم فى الخطّ علامةٌ لذلك . وفيه تنبيه على أنّ الله يقطع وصلَهم بالمؤمنين ؛ وذلك فى يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [٤] .

والثانى فى سورة الكهف : ﴿ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ [٥] ؛ وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصلَ جعْل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب ، وعدم مغادرته لشىءٍ من أعمالهم فى إضافتها إلى الله ، فلذلك ينكرون على الكتاب فى الآخرة ؛ ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم فى تلك الآيات من الكهف .

والثالث فى سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ [٦] فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام فأنكروا فقطعوا قولَهم هـذا ليزول عن اعتقادهم أنه رسولٌ ، فقطعُ اللّامِ علامةٌ لذلك .

والرابع فى المعارج : ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ [٧] ، هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات ، كما يدل عليه ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [٧] ، قطعوا وصلهم فى قلوبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فقطع الله طمَعهم فى دخول الجنّة ؛ ولذلك قطعت اللام علامة[٨] عليه .

---

(١) سورة النساء ٧٨
(٢) سورة النساء ٧٧ .
(٣) سورة النساء ٧٨
(٤) سورة الحديد ١٣ .
(٥) آية ٤٩
(٦) آية ٧
(٧) آية ٣٦ ، ٣٧
(٨) هذه الكلمة ساقطة من ت .

ومن ذلك: ﴿ ابنَ أمَّ ﴾ فى الأعراف[1] مفصول، على الأصل، وفى طَه[2] ﴿ ابنؤمّ ﴾ موصول لسرّ لطيف؛ وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب[3] على الأصل الظاهر فى الوجود، ولما تمادى ناداه بحرف النداء، ينبّهه لبعده عنه فى الحال، لا فى المكان، مؤكدا لوصلة الرّحم بينهما بالربط؛ فلذلك وصَل فى الخط، ويدل عليه نصب «الميم» ليجمعهما الاسم بالتعميم.

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها، وهى: الألف، والواو، والدال، والذال، والراء، والزاى؛ لأنها علامات لانفصالاتٍ ونهايات، وسائر الحروف توصل فى الكلمة الواحدة.

فصل

فى بعض حروف الإدغام

فمنه: ﴿ عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[4]، فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل، لأن معنى «ما» عموم كلّى تحته أنواع مفصّلة فى الوجود غير متساوية فى حكم النّهى عنها، ومعنى «عن» المجاوزة، والمجاوزة للكلىّ مجاوزة لكل واحد من جزئياته، ففصل علامةً لذلك.

---

(١) سورة الأعراف ١٥٠: ﴿ قال ابنَ أمَّ إنَّ القومَ استَضعَفُونِى ﴾.

(٢) سورة طه ٩٤: ﴿ قال يا بنؤمّ لا تأخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِى ﴾.

(٣) كذا فى ط، م. وفى ت: «قريب».

(٤) سورة الأعراف ١٦٦.

وكذلك : ﴿ مِنْ مَا ﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لاغير :

فى النساء : ﴿ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [١] . وفى الروم : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [٢] . وفى المنافقين : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [٣] .

وحرف « ما » فى هذه كلها مقسّم فى الوجود بأقسام [٤] منفصلة غير متساوية فى الأحكام ، وهى بخلاف قوله : ﴿ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٥] ؛ فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهى غير مختلفة فى وصفها بكتْب أيديهم ؛ فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو فى إفراده بالسويّة .

وكذلك : « أَمْ مَنْ » بالفصل ، أربعة أحرف لاغير :

فى النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ [٦] . وفى التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ [٧] . وفى الصافّات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ [٨] . وفى السجدة : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِى ﴾ [٩] .

فهذه الأربعة الأحرف « مَن » فيها تقسّم فى الوجود بأنواع مختلفة فى الأحكام بخلاف غيرها ، مثل : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي ﴾ [١٠] ، فهذا موصولٌ ؛ لأنه من نوع واحد حيث يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مستقيم . وكذا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً ﴾ [١١] ؛ لا تفاصيل تحتها فى الوجود .

---

(١) سورة النساء ٢٥
(٢) سورة الروم ٢٨
(٣) سورة المنافقون ١٠
(٤) ت : « بأنواع »
(٥) سورة البقرة ٧٩ .
(٦) سورة النساء ١٠٩
(٧) سورة التوبة ١٠٩
(٨) سورة الصافات ٣
(٩) سورة فصلت ٤٠
(١٠) سورة الملك ٢٢
(١١) سورة النمل ٦١ .

وكذلك : ﴿عن مَن﴾ مفصول :

حرفان فى النور : ﴿عَن مَنْ يَشَآءُ﴾[1] ، وفى النجم : ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾[2]، حرف «مَن» فيهما كلّى وحرف «عن» للمجاوزة ، والمجاوزة عن الكلّى مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس ؛ فلا وصلة بين الجزأين[3] فى الوجود فلا يوصلان فى الخطّ .

وكذلكَ «ممّن» موصول[4] كلّه لأن «مَن» بفتح الميم جزئىّ بالنسبة إلى «ما»، فمعناه «أزْيَدُ» من جهة المفهوم ، ومعنى «ما» أزيد من جهة العموم ، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجودا بالحصص ، والحصة منه لا تنفصل ، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجودا .

وكذلك : ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾[5] فى سورة الرعد ، فردة مفصولة ، ظهر فيها حرف الشرط فى الخط لوجهين : أحدُهما أنّ الجوابَ المرتَّب عليه بالفاء ظاهر فى موطن الدنيا ، وهو البلاغ[6] ؛ بخلاف قوله : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾[7] فإنه أخفى فيه حرفَ الشرط فى الخط لأنّ الجواب المرتب عليه بالفاء خَفِىَ عنّا ، وهو الرجوع[8] إلى الله. والثانى أنّ القصةَ الأولى منفصلة من الشرط وجوابه ، وانقسم[9] الجواب إلى جزأين : أحدهما الترتيب بالفاء وهو البلاغ ، والثانى المعطوف عليه وهو الحساب . وأحدهما فى الدنيا، والآخر فى الآخرة . والأول ظاهر لنا ، والثانى خفىّ عنا .

وهذا الانقسام صحيحٌ فى الوجود ، فقد انقسمت هذه الشرطيةُ إلى شرطين ، لانفصال

---

(١) سورة النور ٤٣

(٢) سورة النجم ٢٩ .

(٣) ت : «الحرفين» .

(٤) م : «متصل»

(٥) سورة الرعد ٤٠

(٦) من بقية الآية : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾.

(٧) سورة غافر ٧٧

(٨) من بقية الآية : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ .

(٩) ت : «والقسم» تحريف .

جوابها إلى قسمين متغايرين ، ففُصِل حرف الشرط علامةً لذلك ، و إذا انفصلت لزم كَتْبه على الوقف ، والشرطية الأخرى لا تنفصل ، بل هى واحدة لإيجاد جوابها ، فانفصال[1] حرف الشرط علامة لذلك .

وكذلك : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾[2] فرد فى القَصَص ثابت النون ، وفى هود : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾[3] فرد بغير نون ؛ أظهر حرف الشرط فى الأول لأن جوابَه المترتّب عليه بالفاء هو ﴿ فَاعْلَمْ ﴾[1] متعلق بشىء مَلَكوتى ظاهر ، سفلىّ ؛ وهو اتباعُهم أهواءهم[4] ، وأخفِى فى الثانى لأن جوابه المترتّب عليه بالفاء هو عِلْمٌ متعلّق بشىء مَلَكوتى خفىّ ، علوىّ وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد[5] .

ومن ذلك : «أن لن» كلّه مفصول إلا حرفان : ﴿ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾[6] فى الكهف : ﴿ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[7] فى القيامة سقطت النون منهما فى الخط تنبيها على أنّ ما زعموا وحسبوا هو باطل فى الوجود وحكم ما ليس بمعلومٍ نسبوه إلى الحىّ القيوم ، فأدغم حرفُ توكيدهم الكاذب فى حرف النفى السالب هو ، بخلاف قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾[8] ، فهؤلاء لم ينسبوا ذلك لفاعل ؛ إذ ركب الفعل لما لم يسمّ فاعله ، وأقيموا فيه مُقام الفاعل ، فعدَمُ بعثهم تصوّروه من أنفسهم ، وحكموا به عليها توهما ، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة ، ولكونه حقا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهرا وأدغِم فى حرف النفى من حيث الفعل المستقبل الذى هو فيه كاذب .

---

(١) ت : « فقصل » .

(٢) سورة القصص ٥٠ (٣) سورة هود ١٤

(٤) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

(٥) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَاعْلَمُو أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

(٦) سورة الكهف ٤٨ (٧) سوة القيامة ٣

(٨) سورة التغابن ٧

ومن ذلك كل ما فى القرآن « أن لا » فهو موصول إلا عشرة مواضع فهى مفصولة ، تكتب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر فى الوجود صحةُ توكيد القضية ولزومها :

أولها فى الأعراف : ﴿أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [١] ، و ﴿وَأَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [١] .

و﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ [٢] فى التوبة .

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[٣] ، و ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ﴾ [٣] فى هود.

و ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾ [٤] فى الحج .

و ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [٥] فى يس .

و ﴿أَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللهِ﴾ فى الدخان [٦] .

و ﴿أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً﴾ [٧] فى الممتحنة .

و ﴿أَنْ لاَ يَدْخُلَنَّهَا﴾ [٨] فى القلم .

وواحد فيه خلاف ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ﴾ [٩] فى الأنبياء .

فتأمل كيف صحّ فى الوجود هذا التوكيد الأخير ، فلم يدخلها عليهم مِسكين على غير ما قصدوا وتخيلوا فيه.

---

(١) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩
(٢) سورة التوبة ١١٨ .
(٣) سورة هود ١٤ ، ٢٦
(٤) سورة الحج ٢٦ .
(٥) سورة يس ٦٠
(٦) سورة الدخان ١٩.
(٧) سورة الممتحنة ١٢
(٨) سورة القلم ٢٤ والآية بتمامها : ﴿أن لا يدخلنّها اليوم عليكُم مِسكِين﴾.
(٩) سورة الأنبياء ٨٧

وكذلك لام التعريف المدغمة فى اللفظ فى مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف — وشأنُ المعرّف أن يكون أبينَ وأظهر ، لا أخفى وأستر — ظهرت [١] فى الخط ، ووصلت بالكلمة ؛ لأنّها صارت جزءا منها من حيث هى معرّفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل « الّيل » فإنه بمعنى مظلم لا يوضِّح الأشياء بل يسترها ويخفيها ، وكونه واحدا إما للجزئىّ أو للجنس فأُخفى حرف تعريفه فى مثله ، فإن تعين الجزئىّ بالتأنيث رُجِع إلى الأصل . ومثل « الذى » و « التى » وتثنيتّهما وجمعهما ؛ فإنه مُبْهم فى المعنى والكمّ ؛ لأن أول حدّه للجزئى وللجنس وكثيره للثلاث أو غيرها ؛ ففيه ظلمة الجهل كالليل . ومثل « الّئِ » [٢] فى الإيجاب ، فإنّ لام التعريف دخلت على « لا » النافية وفيها ظلمة العدم كالليل ، ففى هذه الظلمات الثلاث يُخفى حرف التعريف .

وكذلك « الأيكة » نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت « لَيْكة » علامةً على اختصار وتلخيص وجمع فى المعنى ؛ وذلك فى حرفَيْن : أحدهما فى الشعراء [٣] جمع فيه قصتّهم مختصرة وموجزة فى غاية البيان ، وجعلها جملة ؛ فهى آخر قصة فى السورة بدليل قوله : ﴿ إنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ [٤] فأفردها، والثانى فى ص [٥] ، جمع الأُمَم فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمّة فيها ، ووصف الجملة ، قال تعالى : ﴿ أولئكَ الأحزاب ﴾ ، وليس الأحزاب وصفا لكل منهم ؛ بل هو وصفُ جميعهم .

---

(١) ط : « أظهرت » ، بالبناء للمجهول .
(٢) فى الأصول : « إلا » ؛ وانظر المقنع ٧٢ .
(٣) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَّبَ أصحابُ لَيْكَةِ المرسَلِينَ ﴾ .
(٤) سورة الشعراء ١٩٠
(٥) سورة ص ١٣ : ﴿ وثمود وقومُ لوطٍ وأصحابُ لَيْكَةِ أولئكَ الأحزابُ ﴾ .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظيرَ هذين الحرفين : أحدهما فى الحجْر : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾[1] أفردهم بالذكر والوصف . والثانى فى ق: ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾[2]، جُمِعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كلٍّ منهم لا على الجملة ، قال تعالى : ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾[2] ، فحيث يعتبر فيهم التفضيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصيل وصل للتخفيف .

وكذلك : ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[3] ، حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل فى الجدار قد حصلِ فى الوجود ، فلزم عليه الأجر ، واتصل به حكما، بخلاف : ﴿ لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[4] ليس فيه وصلة اللزوم .

فصل

فى حروف متقاربة تختلف فى اللفظ لاختلاف المعنى

مثل : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[5] ، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾[6] . ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[7] ، ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾[8] ، فبالسين السعة[9] الجزئية كذلك علة التقييد ، وبالصاد السعة[9] الكلية ؛ بدليل علوّ معنى

(١) سورة الحجر ٧٨
(٢) سورة ق ١٤
(٣) سورة الكهف ٧٧
(٤) سورة الإسراء ٧٣
(٥) سورة البقرة ٢٤٧
(٦) سورة الأعراف ٦٩
(٧) سورة الرعد ٢٦
(٨) سورة البقرة ٢٤٥
(٩) فى الأصول : « السبعة » ، تحريف .

الإطلاق ، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .

وكذلك : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾[١] ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾[٢] .

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾[٣] ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾[٤] ، فبالسين ما يحصر الشيء خارجا عنه ، وبالصاد ما تضمنه منه .

وكذلك : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾[٥] ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾[٦] ، فبالسين من السر ، وبالصاد من التمادى .

وكذلك : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ ﴾[٧] و ﴿ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾[٨] ، فبالسين من الجرّ ، وبالصاد من الصحبة .

وكذلك : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ﴾[٩] ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾[١٠] ، بالسين تفريق الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام .

وكذلك : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١١] ، بالضاد منعّمة بما تشتهيه الأنفس ، وبالظاء منعّمة بما تلذ الأعين . وهذا الباب كثير ، يكفى فيه اليسير .

فصل

[فى كتابة فواتح السور]

كتبوا « الٓمٓ » و « الٓمٓرٰ » و « الٓرٰ » موصولا .

---

(١) سورة البقرة ٢٣
(٢) سورة الانفطار ٨
(٣) سورة الحديد ١٣
(٤) سورة يس ٥١
(٥) سورة هود ٥ ، ٢٠
(٦) سورة الواقعة ٤٦
(٧) سورة القمر ٣٨
(٨) سورة الأنبياء ٤٣
(٩) سورة الزخرف ٣٢
(١٠) سورة الأنبياء ١١
(١١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

إن قيل : لم وصلوه والهجاء مقطع لاينبغى وصله ؛ لأنه لو قيل لك : ما هجاء «زيد» ؟ قلت : زاى ، ياء ، دال ، وتكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته ؟

قيل : إنما وصَلُوه لأنه ليس هجاء لاسمٍ معروف ؛ وإنما هى حروف اجتمعت ، يراد بكلٍّ حرف فيها معنى .

فان قيل: لِمَ قطعوا « حٰمٓ عسٓقٓ » ولم يقطعوا « الٓمٓصٓ » ، و « كٓهيٰعٓصٓ » ؟

قيل : « حم » قد جرت فى أوائل سبع سور ، فصارت أسما للسور ، فقطعت مما قبلها .

وجوزوا فى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ﴾ و ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ﴾ وجهين : مَنْ جزمهما فهما حرفان ، ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظهما .

النوع السادس والعشرون
معرفة فضائله

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم ، والنَّسائىُّ وغيرهم . وقد صحّ فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفى بعض السور بالتعيين . وأما حديث أُبىّ بن كعب رضى الله عنه فى فضيلة سورة سورة ، فحديث موضوع .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدىّ المفسّر ومن ذكره من المفسرين فى إيداعه تفاسيرهم .

قلت : وكذلك الثعلبى ، لكنّهم ذكروه بإسناد، فاللومُ عليهم يقلّ بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشرى فإن خطأه أشدّ .

وعن نوح بن أبى مريم أنه قيل له : مِنْ أين لك عن عِكْرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق ، فوضعتُ هذه الأحاديث حِسْبة .

ثم قد جرت عادة المفسّرين ممن ذكر الفضائل أن يذكرها فى أولِ كلّ سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشرىّ فإنه يذكرها فى أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكِرْمانىّ : سألتُ الزمخشرىّ عن العلّة فى ذلك فقال : لأنّها صفات لها ، والصفة تستدعى تقديم الموصوف .

وقد روى البخارى رحمه الله حديث « خيركم مَنْ تعلم القرآن وعلّمه » . وروى أصحاب السنن فى حديث إلهىّ : « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضلَ

ما أعطِىَ السائلين . و « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . وقال عليه السلام : «ما تقرّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » قال أبو النضر : يعنى القرآن .

وروَى أحمد من حديث أنس رضى الله عنه : « أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصته » . وروى مسلم[1] من حديث عمر رضى الله عنه : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » . وقدّم صلى الله عليه وسلم فى قتلى أُحُد فى القبر أكثرَهم قرآنا .

(١) فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١ : ٥٥٩ .

النوع السابع والعشرون
معرفة خواصه

وقد صنّف فيه جماعة منهم التميمىّ ، وأبو حامد الغزالىّ . قال بعضهم : وهذه الحروف التى فى أوائل السور جعلها الله تعالى حفظا للقرآن من الزيادة والنقصان ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

وذكر بعضهم أنه وقف على أنّ عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظَه من الأموال والمتاع ، فيحفظ .

وأخبر رجل من أهل الموصِل قال : كان الكِيَا المراسىّ[2] الإمام رحمه الله إذا ركب فى رِحلة يقول هـذه الحروف التى فى أوائل السور ، فسئل عن ذلك فقال : ما جُعِل ذلك فى موضع أو كتب فى شىء إلا حُفِظ تاليها وماله ، وأمِنَ فى نفسه من التَّلَف والغرق .

وحكى عن الشافعىّ رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمدا ، فكتب إليه فى رقعة : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ . ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3] . ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[4] ؛ فعلّق الرجل ذلك عليه فبرأ .

وكان سفيان الثورىّ يكتب للمطلّقة رُقعة تعلّق على قلبها : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[5] .

---

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الطبرى أحد فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب أحكام القرآن . توفى سنة ٥٠٤ (ابن خلكان ١ : ٣٢٧) .

(٣) سورة ق ٢٢

(٤) سورة فصلت ٤٤ .

(٥) سورة الانشقاق ١ ـ ٤

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ .وَأَلْقَتْ ﴾. ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾[١]. ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [٢] .

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحبّ الصلاة بالليل وتثقل عليه ، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى ﴾ [٣] إلى قوله ﴿ مَدَدًا ﴾ [٣] ، ثم أضمر . فى أىّ وقت أضمرت فإنك تقوم فيه ، قال : ففعلت فقمت فى الوقت المعيّن .

قال الغزالىّ : وكان بعض الصالحين فى أصبهان أصابه عسر البول ، فكتب فى صحيفة : البسملة ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾[٤]. ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾[٥]. ﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾[٦] ، وألقى عليه الماموشر بهفيسّر عليه البول، وألقى الحصى .

وحكى الثعلبىّ فى تفسيره أن قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٧] يُكْتَب على كاغد ، ويوضَع على شِقّ الضرس الوجِع ، يبرأ بإذن الله تعالى .

ويحكى أنّ الشيخ أبا القاسم القشيرىّ رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالى أراك محزونا ؟ فقال : ولدى قد مرض ، واشتدّ عليه الحال ، فقال له : أين أنت عن آيات الشفاء : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٨] . ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾[٩] . ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

---

(١) سورة الحجر ٣٤ .
(٢) سورة القصص ٧٩ .
(٣) سورة الكهف ١٠٩ .
(٤) سورة الواقعة ٥ ، ٦
(٥) سورة الحاقة ١٤
(٦) سورة الفجر ٢١
(٧) سورة الأنعام ٦٧
(٨) سورة التوبة ١٤
(٩) سورة يونس ٥٧

يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١] . ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [٢] ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [٣] . ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [٤] ! فقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ .

وحكى ابن الجوزىّ عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية [٥] رضى الله عنها قالت : آذانا جارٌ لنا ، فصلّيت ركعتين ، وقرأتُ من فاتحة كلّ سورة آية حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمرَه ، ثم نمت وفتحت عينى ؛ وإذا به قد نزل وقت السّحر فزلّت قدمُه ، فَسقط ومات .

وحكَى عن ابنها أنه كان فى دارها حائط له جوف ، فقالت : هات رقعة ودواة ، فناولْتها ، فكتبتْ فى الرقعة شيئا ، وقالت : دعه فى ثقب منه ، ففعلت ، فبقى نحوا من عشرين سنة ، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس ، فقلت فأخذته فوقع الحائط ، فإذا فى الرقعة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ [٦] ، يا ممسِكَ السموات والأرض، أمسكه .

تنبيه

هذا النوع والذى قبله لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيّتَه ، وتدبّر الكتابَ فى عقله وسمعه ، وعمر به قلبَه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميرَه فى ليله ونهاره ، وتمسك به وتدبره . هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب ؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعلُه

---

(١) سورة النحل ٦٩
(٢) سورة الإسراء ٨٢
(٣) سورة الشعراء ٨٠
(٤) سورة فصلت ٤٤
(٥) من المتعبدات (وانظر التاج) .
(٦) سورة فاطر ٤١

مكذِّبًا لقوله ؛ كما رُوى أن عارفا وقعت له واقعة ، فقال له صديق له : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطُل صلاتى التى تقدمت هذا الأمر ، وقد صليتها . قال صديقه : وأين هذا من هذا ؟ قال : لأنى قلت فى الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [1] فإن استعنتُ بغيره كذبت ، والكذب فى الصلاة يبطلها ، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم لا تكون إلا مع تحقق العداوة ، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله، فبطل ذكره .

(١) سورة فاتحة الكتاب ٥

النوع الثامن والعشرون

هل في القرآن شيء أفضل من شيء

وقد اختلف الناس في ذلك ، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضلَ لبعض على بعض ؛ لأنّ الكل[1] كلامُ الله، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضلَ بينها . وروى معناه عن مالك ؛ قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تعادَ سورة أو تُرَدَّدُ دون غيرها ، واحتجوا بأنَّ الأفضلَ يُشعر بنقص المفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقصَ فيه .

قال ابن حبان في حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه : « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثلَ أم القرآن ، إنّ الله لا يُعطى لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثلَ ما يعطى لقارئ أمّ القرآن إذ الله بفضله فضّل هذه الأمّة على غيرها من الأمم ، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثرَ مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه » . قال : وقوله : أعظم سورة ، أراد به في الأجر ، لا أن بعضَ القرآن أفضلُ من بعض .

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : الفضل راجعٌ إلى عِظَم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا ، وقيل بل يرجعُ لذات اللفظ ، وأنّ ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[2] وآية الكرسيّ وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص من الدّلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجودا مثلا في ﴿ تَبَّتْ يَدَا

---

(١) ت : « الكلام » .

(٢) سورة البقرة ١٦٣

أَبِي لَهَبٍ ﴾ [1] وما كان مثلها فالتفضيل إنما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها ؛ لامن حيث الصفة ، وهذا هو الحق .

وممّن قال بالتفضيل إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء .

وتوسط الشيخ عز الدين فقال : كلامُ الله فى الله أفضلُ من كلام الله فى غيره ، فـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ أفضل من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، وعلى ذلك بنَى الغزالى كتابه المسمى بجواهر القرآن ، واختاره القاضى أبو بكر بن العربىّ لحديث أبى سعيد بن المعلَّى فى صحيح البخارى : « إنى لأعلّمك سورة هى أعظم السّور فى القرآن ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ » . ولحديث أبىّ بن كعب فى الصحيحين قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىّ آية فى كتاب الله أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : يا أبىّ ، أتدرى أىّ آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال: قلت : ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [2] ، قال : فضرب فى صدرى وقال : ليهنِك العلم أبا المنذر .

وأخرج الحاكم فى مستدركه بسند صحيح عن أبى هريرة : « سيّدة آى القرآن آية الكرسى » .

وفى الترمذى غريبا عنه مرفوعا : « لكل شىء سَنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسىّ » .

وروى ابن عيينة فى جامعه عن أبى صالح عنه : « فيها آية الكرسىّ وهى سَنَام آى القرآن ولا تقرأُ فى دار فيها شيطان إلا خرج منها » ؛ وهذا لا يعارض ما قبله بأفضلية الفاتحة ، لأن تلك باعتبار السُّور وهذه باعتبار الآيات .

وقال القاضى شمس الدين الْخُوَيِّى : كلام الله أبلغُ من كلام المخلوقين ، وهل يجوز

---

(١) سورة اللهب ١ . (٢) سورة البقرة ٢٥٥ .

أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض ؟ جوّزه بعضهم لقصور نظرهم . وينبغى أن يعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أنَّ هذا فى موضعه له حُسْن ولطف، وذاك فى موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسنُ فى موضعه أكملُ من ذاك فى موضعه. فإن من قال : إنّ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [1] أبلغُ من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [2] يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب ، و بين التوحيد والدعاء على الكافرين ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغى أن يقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ دعاء عليه بالخسران ، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك فى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [1] لا توجدُ عبارة تدلُّ على الوحدانية أبلغ منها ، فالعالِم إذا نظر إلى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [2] فى باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [1] فى باب التوحيد لا يمكنه أن يقول : أحدُهما أبلغ من الآخر ، وهذا القيد يَغْفُل عنه بعضُ من لا يكون عنده علم البيان .

قلت : ولعل الخلافَ فى هذه المسألة يلفت عن الخلاف المشهور إنّ كلام الله شىء واحد أوْلا ؛ عند الأشعرى أنه لا يتنوع فى ذاته ، إنما هو بحسب متعلّقاته .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [3] ، فجعله شيئين ، وأنتم تقولون بعدمه ، وأنه صفة واحدة ؟

قلنا : من حيث أنّه كلامُ الله لا مزيةَ لشىء منه على شىء . ثم قولنا : «شىء منه» يوهم التبعيض ، وليس لكلام الله الذى هو صفتهُ بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع المخاطبات ، ولولا تنزّله فى هذه المواقع لما وصلنا إلى فهم شىء منه .

---

(١) سورة الإخلاص ١ (٢) سورة اللهب ١ .
(٣) سورة آل عمران ٧

وقال الحليمى (١) : قد ذكرنا أخبارا تدلّ على جواز المفاضلة بين السُّوَر والآيات . وقال الله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (٢) ؛ ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء:

أحدها أن تكون آيتا عمل ثابتتان فى التلاوة ؛ إلا أنّ إحداهما منسوخة والأخرى ناسخة ، فنقول : إن الناسخ خيرٌ ، أى أن العملَ بها أولى بالناس وأعودُ عليهم ، وعلى هذا فيقال : آياتُ الأمر والنهى والوعد والوعيد خيرٌ من آيات القصص لأن القصص إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهى والتبشير ، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص ، فكل ما هو أعْودُ عليهم وأنفعُ لهم ممّا يجرى مجرى الأصول خيرٌ لهم مما يحصل تبعا لما لا بدّ منه .

والثانى أن يقال : إنّ الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى و بيان صفاته والدّلالة على عظمته وقدسيّتِه أفضلُ أو خيرٌ ؛ بمعنى أن مخبَراتها أسْنَى وأجلُّ قدرا .

والثالث أن يقال : سورةٌ خير من سورة ، أو آية خيرٌ من آية ؛ بمعنى أن القارىء يتعجّل بقراءتها فائدةً سوى الثواب الآجل ، و يتأدّى منه بتلاوتها عبادة ، كقراءة آية الكرسى ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ؛ فإنّ قارئها يتعجّل بقراءتها الاحتراز مما يُخْشَى ، والاعتصامَ بالله جل ثناؤه ، و يتأدّى بتلاوتها منه لله تعالى عبادةً ، لما فيها من ذكر اسم الله تعالى جدّه بالصفات العُلا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل الذكر و بركته ؛ فأما آياتُ الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل فى الجملة : إن القرآنَ خيرٌ من التوراة والإنجيل والزبور ، بمعنى أن التعبُّد بالتلاوة والعمل واقع بهِ دونها ، والثواب يحسب بقراءته لا بقراءتها ، أو أنه من

---

(١) الحليمى ، بفتح الحاء ؛ وهو أبو عبد الله حسن بن الحسن الحليمى الشافعى صاحب المنهاج على شعب الإيمان المتوفى سنة ٤٠٣ . وانظر كشف الظنون (٢) سورة البقرة ١٠٦

حيث الإعجاز حجة النبيّ المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتُهم والحجج غيرها ؛ وكان ذلك أيضا نظير ما مضى .

وقد يقال : إن سورةً أفضلُ من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتدّ قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب مالم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا ، كما يقال : إن قوماً أفضلُ من قوم ، وشهراً أفضلُ من شهر ؛ بمعنى أن العبادة فيه تفضلُ على العبادة فى غيره ، والذنب يكون أعظم من الذنب منه فى غيره . وكما يقال : إن الحرمَ أفضلُ من الحلّ ، لأنه يُتَأدى فيه من المناسك مالا يتأدّى فى غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره . والله أعلم .

فصل

[فى أعظمية آية الكرسى]

قال ابن العربىّ : إنما صارت آيةُ الكرسى أعظم لعظم مقتضاها ، فإن الشىء إنما يشرفُ بشرف ذاتِه ومقتضاه ومتعلّقاته ، وهى فى آى القرآن كقل هو الله أحد فى سوره ، إلاّ أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين : أحدهما أنها سورة وهذه آية ، فالسورةُ أعظم من الآية ، لأنه وقع التحدى بها ، فهى أفضل من الآية التى لم يُتحدّ بها . والثانى أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفا وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا ، فظهرت القدرةُ فى الإعجاز بوضع معنى معبَّر عنه ، مكتوب مَدَدُه السبعة الأبحر ، لا ينفد ، عدد حروفه خمسون كلمة ، ثم يعبر عن معنى الخمسين كلمة خمسة عشر كلمة وذلك كله بيانٌ لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية .

وقال أبو العباس أحمد بن المنيِّر المالكىّ : كان جدّى رحمه الله يقول : اشتملت آية الكرسىّ على مالم يشتمل عليه اسم من أسماء الله تعالى ؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر

موضعا فيها اسم الله ظاهرا فى بعضها ، ومستكنا فى بعض ؛ ويظهر للكثير من العادّين فيها ستة عشر إلاّ على حاد البصيرة لدقة استخراجه : ١ ـ الله ، ٢ ـ هو ، ٣ ـ الحى ، ٤ ـ القيوم ، ٥ ـ ضمير « لا تأخذه » ، ٦ ـ ضمير « له » ، ٧ ـ ضمير « عنده » ، ٨ ـ ضمير « إلاّ بإذنه » ، ٩ ـ ضمير « يعلم » ، ١٠ ـ ضمير « علمه » ، ١١ـ ضمير « شاء » ، ١٢ ـ ضمير « كرسيّه » ، ١٣ ـ ضمير « يؤوده » ، ١٤ ـ وهو ، ١٥ ـ العلىّ ، ١٦ ـ العظيم .

فهذه عدّة الأسماء .

وأما الخفىّ فى الضمير الذى اشتمل عليه المصدر فى قوله: « حفظهما » فإنه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولابدّ له من فاعل وهو والله ، ويظهر عند فكّ المصدر ، فتقول : ولا يؤوده أن يحفظهما هو .

قال : وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسىّ قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجدّ ، فقال : يمكن أن تعدّ مافى الآية من الأسماء المشتقة كلّ واحد منها باثنين، لأن كلّ واحد منها يحمل ضميرا ضرورةَ كونه مشتقا ، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله وهو باعتبار ظهورها اسم ، وقد اشتملت على آخر مضمر ، فتكون جملة العدد على هذا أحدا وعشرين اسما ، فأجريتُ معه وجها لطيفا ، وهو أن الاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح ، وهذه الصفات كلّها أسماء الله تعالى. ثم ولو فرضناها محتملة للضمائر بعد التسمية على سبيل التنزل ، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمّله ضميرَه ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم وجدت « كريما » إنما يقع على « زيد » لأن فيه ضميره ؛ حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد ، بل لك أن توقعه على كلّ موصوف بالكرم من الناس ، ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره ، فليس المشتق إذاً مستقلا بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضّمير إليه ، فلا يمكن أن تجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معيّن البتة .قال:فرضى عن هذا البحث وصوّبه.

وقال الغزالىّ فى قوله صلى الله عليه وسلم : «إنّ لكلّ شىء قلبا ، وقلب القرآن يس» : إن ذلك لأنّ الإيمان صحتُه بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرّر فى هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك . واستحسنه فخر الدين الرازى .

قال الجوينى : سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس : لكل شىء لباب ولباب القرآن آل حم ـ أو قال : الحواميم .

وقال مِسْعَر بن كِدام : كان يقال لهنّ العرائس .

روى ذلك كله أبو عبيد فى كتاب فضائل القرآن [1] .

وقال حميد بن زنجويه : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : إن مثلَ القرآن كمثل رجل انطلق يرتادُ لأهله منزلا ، فمرّ بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضاتٍ دَمِثات ، فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب ، فقيل له : إنّ مثلَ الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هذه الروضات الدمِثات مثل آل حم فى القرآن . أورده البغوى .

وروى أبو عبيد عن بعض السَّلَف ـ منهم محمد بن سيرين ـ كراهة أن يقال : الحواميم، وإنما يقال : آل حم .

وفى الترمذى عن ابن عباس قال : قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم: يا رسولَ الله ، قد شبتَ ، قال : « شيبتنى هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت» . خصّ هذه السورَ بالشيب لأنهنّ أجمعُ لكيفية القيامة وأهوالِها من

---

(١) كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ، باب فضل آل حم لوحة ٣٠١

غيرهنّ . ولهذا قال فى حديث آخر : «مَنْ أحبّ أن يرى القيامة رأىَ العين فليقرأ : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ »(١) .

وروى التِّرمذىّ من حديث ابن عباس ومن حديث أنس : «إذا زلزلت تعدل نصفَ القرآن ، وقل يأيها الكافرون تعدِل ربعه » . وقال : فى كل منهما غريب .

• وقد تكلّم ابنُ عبد البر على حديث : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾(٢) تعدِل ثلث القرآن، وحكى خلاف الناس فيه ، فقيل : لأنه سمع شخصا يكرّرها تكرار من يقرأ ثلث القرآن. فخرج الجواب على هذا .

وفيه بعد عن ظاهر الحديث .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وقل هو الله أحد كلّها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار . واعترض على ذلك باستلزام كون آية الكرسى وآخر الحشر ثلث القرآن ولم يردْ فيه .

وقيل : تعدل فى الثواب ، وهو الذى يشهد لظاهر الحديث .

قلت : ضعّف ابن عقيل هذا وقال : لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فله بكلّ حرف عشر حسنات » .

ثم قال ابن عبد البر : على أنى أقول : السكوت فى هذه المسألة أفضلُ من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور ، قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » ما وجهه ؟ فلم يقم لى فيها على أمر . وقال لى إسحاق بن راهويه : معناه أنّ الله لما فضّل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلاً

---

(١) سورة التكوير ١
(٢) سورة الإخلاص ١

فى الثواب لمن قرأه تحريضا على تعلمه ؛ لا أنّ من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [١] ثلاثَ مرات كان كمن قرأ القرآن جميعَه ، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتى مرة .

قال أبو عمرو : وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا فى هذه المسألة .

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قسمان : خبر و إنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهى بهذا الاعتبار ثلث القرآن .

فائدة

[فى أىّ آية فى القرآن أرجى]

اختلف فى أرجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا :

الأول : آية «الدين» [٢] ومأخذه أن الله تعالى أرشدَ عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العنايةُ بمصالحهم إلى أن أمرَهم بكتابة الدين الكبير والحقير ، فبمقتضى ذلك يُرْجَى عفوُ الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم ، حتى فى مصلحتهم الحقيرة .

الثانى : ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ [٣] إلى قوله ﴿ أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ [٣] ، وهذا رواه مسلم فى الصحيح أثر حديث الإفك ، عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك .

الثالث : قال الشبلىّ فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

---

(١) سورة الاخلاص ١

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٣) سورة النور ٢٢ .

سَلَفَ ﴾ (١) ، فالله تعالى لما أذِن الكافرين بدخول الباب إذا أتوا بالتوحيد والشهادة أتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها !

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إلا الْكَفُورَ ﴾ (٢) .

الخامس : قوله : ﴿ إنَّا قَدْ أُوحِىَ إلَيْنَا أنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٣) .

السادس : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٤).

السابع قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٥) .

الثامن قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٦) .

حكى هذه الأقوال الخمسة الأخيرة الشيخ محيي الدين فى رءوس المسائل .

التاسع : رأيت فى مناقب الشافعىّ للإمام أبى محمد اسماعيل الهرَوىّ صاحب الحاكم بإسناده عن ابن عبد الحكم ،قال : سألت الشافعىّ : أىُّ آية أرجى ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (٧) . قال : وسألتُه عن أرجى حديث للمؤمن ؟قال : حديث : « إذا كان يوم القيامة يُدْفع إلى كل مسلم رجلٌ من الكفار فيذهب به إلى النار » .

العاشر والحادى عشر : روى الحاكم فى مستدركه عن محمد بن المنكدر قال : التقى ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس : أىُّ آية فى كتاب الله أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : ﴿ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ ﴾ (٨) ، قال :

---

(١) سورة الأنفال ٣٨
(٢) سورة سبأ ١٧ .
(٣) سورة طه ٤٨
(٤) سورة الشورى ٣٠
(٥) سورة الإسراء ٨٤
(٦) سورة الضحى ٥
(٧) سورة البلد ١٥ ، ١٦
(٨) سورة الزمر ٥٣

لـكن قول إبراهيم : ﴿ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [١] هذا لما فى الصدور من وسوسة الشيطان ، فرضيَ الله تعالى من إبراهيم بقوله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قال بَلَى ﴾ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال النحاس فى سورة الأحقاف : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٢] فقال : إن هـذه الآية من أرجى آية فى القرآن إلا أن ابنَ عباس قال : أرجى آية فى القرآن: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ [٣] .

وأما أخوف آية فعن الإمام أبى حنيفة أنه قال : هى قوله تعالى : ﴿ واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٤] ولو قيل إنها ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ [٥] لـكان له وجه؛ ولهذا قال بعضهم : لو سمعت هذه الـكلمة من خفير الحارة لم أنم .

---

(١) سورة البقرة ٢٦٠
(٢) سورة الأحقاف ٣٥
(٣) سورة الرعد ٦ .
(٤) سورة آل عمران ١٣١
(٥) سورة الرحمن ٣١ .

النوع التاسع والعشرون
فى آداب تلاوته وكيفيتها

(١) اعلم أنه ينبغى لمحُ موقع النعم على مَنْ عَلّمه الله تعالى القرآن العظيم أو بعضه ، بكونه أعظم المعجزات ، لبقائه ببقاء دعوة الإسلام ، ولكونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كلّ عصر وزمان ، لأنه كلام رب العالمين ، وأشرف كتبه جلّ وعلا ، فَلْيَرَ مَنْ عنده القرآن أنّ الله أنعم عليه نعمة عظيمة، وليستحضر من أفعاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكفّ عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة فصاروا عبرة للمعتبرين حين زاغوا فأزاغ الله قلوبَهم ، وأهلِكوا لما عصوْا ، وليحذر مَنْ علم حالَهم أن يعصىَ ، فيصير مآله مآلهم ؛ فإذا استحضر صاحبُ القرآن علوَّ شأنه بكونه طريقا لكتاب الله تعالى ، وصدره مصحفا له انكفتت نفسُه عند التوفيق عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح الهائل . وأكبر معين على ذلك حُسن ترتيله وتلاوته(١) ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾(٣) ، فحقٌّ على كل أمرئ مسلم قرأ القرآنَ أن يرتِّله ، وكمالُ ترتيله تفخيمُ ألفاظه والإبانةُ عن حروفه، والإفصاحُ لجميعه بالتدبُّر حتى يصلَ بكلٍّ ما بعده ،

(١ ــ ١) ساقط من ت .

(٢) سورة المزمل ٣

(٣) سورة الإسراء ١٠٦ .

وأن يسكت بين النَّفَس والنَّفَس حتى يرجع إليه نفَسُه ، وألاَّ يُدغم حرفا فى حرف ؛ لأن أقلَّ ما فى ذلك أن يُسقط من حسناته بعضها ، وينبغى للناس أن يرغبوا فى تكثير حسناتهم ؛ فهذا الذى وصفت أقل ما يجب من الترتيل .

وقيل : أقلُّ الترتيل أنْ يأتىَ بما يُبين ما يقرأ به ، وإن كان مستعجلا فى قراءته ، وأكملُه أن يتوقف فيها ، مالم يخرجه إلى التمديد والتمطيط ؛ فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمالِ الترتيل فليقرأْه على منازله ، فإن كان يقرأ تهديداً لَفَظ[1] به لفظ المتهدّد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم .

وينبغى أن يشتغل قلبه فى التفكر فى معنى ما يلفظ بلسانه ، فيعرفَ من كل آية معناها ، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ، فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرِح بما وعده الله تعالى منها ، واستبشر إلى ذلك ، وسأل الله برحمته الجنة . وإن قرأ آيةَ عذاب وقف عندها ، وتأمّل معناها ؛ فإن كانت فى الكافرين[2] اعترف بالإيمان ، فقال : آمنا بالله وحدَه ، وعرف موضع التخويف ، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار .

وإن هو مر بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال : « يأيها الذين آمنوا » وقف عندها ـ وقد كان بعضهم: يقول لبيك ربى وسعديك ـ ويتأمل ما بعدها مِمّا[3] أُمِر به ونُهِىَ عنه؛ فيعتقد قبول ذلك . فإن كان من الأمر الذى قد قصَّر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله فى ذلك الوقت ، واستغفر ربه فى تقصيره ، وذلك مثل قوله : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[4] .

وعلى كل أحدٍ أن ينظر فى أمر أهله فى صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم فى طهاراتهم

---

(١) م : « يلفظ » .
(٢) م : « لِلكافرين » .
(٣) م : « فيما »
(٤) سورة التحريم ٦ .

وجَناباتهم ، وحيض النساء ونِفاسهن. وعلى كلّ أحدٍ أن يتفقد ذلك فى أهله، ويراعيَهم بمسألتهم عن ذلك [1] ، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألتُه تذكيرا له وتأكيدا لما فى قلبه ، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعليما له ، ثم هكذا يراعى صغار ولده ويعلّمهم إذا بلغوا سبعا أو ثمان سنين ، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك ؛ فمن كان من الناس قد قصّر فيما مضى اعتقد قبولَه والأخذ به فيما يستقبل ، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه [2] إذا مر به تأمله وتفهّمه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [3] ، فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعالَه فى نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره من الظُّلامات والغِيبة وغيرها ، وردّ ظُلامته ، واستغفر من كل ذنب قصّر فى عمله ، ونَوى أن يقوم بذلك ويستحلّ كلَّ من بينه وبينه شيء من هذه الظّلامات ، مَنْ كان منهم حاضرا ، وأن يكتب إلى مَنْ كان غائبا ، وأن يردّ ما كان يأخذه على مَنْ أخذه منه ، فيعتقد هذا فى وقت قراءة القرآن حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع ؛ فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكمال ترتيل القرآن ؛ فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظُها حتى يسألَ عنها من يعرف معناها ؛ ليكون متعلّما لذلك طالبا للعمل به ، وإن كانت الآية قد اختُلف فيها اعتقد من قولهم أقلّ ما يكون ، وإن احتاط على نفسه بأن يعتقد أوكدَ ما فى ذلك كان أفضلَ له وأحوطَ لأمر دينه .

وإن كان ما يقرؤه من الآيِ فيما قصّ الله على الناس من خبرِ من مضى من الأمم فلينظر فى ذلك ، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه ، فيجدد لله على ذلك شكرا.

---

(١) ت : « عنه » .
(٢) ساقطة من ت
(٣) سورة التحريم ٨ .

وإن كان ما يقرؤه من الآى مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبولَ الأمر والائتمار، والانتهاء عن المنهىّ والاجتناب له . فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيدا وعد الله به المؤمنين فلينظر إلى قلبه ، فإن جنح إلى الرجاء فزّعه بالخوف ، وإن جنح إلى الخوف فسح له فى الرجاء ؛ حتى يكون خوفُه ورجاؤه معتدلين ، فإنّ ذلك كمالُ الإيمان .

وإن كان ما يقرؤه من الآى من المتشابه الذى تفرّد الله بتأويله ، فليعتقد الإيمانَ به كما أمر الله تعالى فقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [(1)] يعنى عاقبةَ الأمر منه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [(1)] .

وإن كان موعظةً اتّعظ بها ، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل .

وقال بعضهم : الناس فى تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

الأول : من يشهد أوصافَ المتكلّم فى كلامه ومعرفة معانى خطابه ، فينظر إليه من كلامه، وتكلُّمه بخطابه ، وتَملّيه بمناجاته، وتعرُّفه من صفاته ، فإن كلَّ كلمة تنبئ[(2)] عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة ، أو فعل ؛ لأن الكلامَ ينبئ عن معانى الأوصاف ، ويدل على الموصوف ، وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعَم عليه ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلّم ، موقوف الفكر عليه ، مُستغرق بمشاهدة المتكلم ؛ ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق : لقد تجلّى الله لخلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

ومن كلام الشيخ أبى عبد الله القرشى : لو طُهّرت القلوب لم تشبع من التلاوة للقرآن .

الثانى : من يشهدُ بقلبه كأنّه تعالى يخاطبه ويناجيه بألطافه ، ويتملقه بإنعامه

---

(١) سورة آل عمران ٧ .   (٢) ساقطة من ت

وإحسانه ، فمقام هذا الحياء والتعظيم ، وحاله الإصغاء والفهم ، وهذا لعموم المقربين .

الثالث : مَنْ يرى أنه يناجى ربه سبحانه ، فمقام هذا السؤال والتمكّن[1] ، وحاله الطلب؛ وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين ؛ فإذا كان العبد يلقى السمع من بين يدى سميعه ، مصغيا إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفاته ، ناظرا إلى قدرته ، تاركا لمعقوله ومعهود علمه ، متبرئا من حوله وقوته ، معظما للمتكلم ، متفرّغا إلى الفهم ، بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وصفاء ، يقين ، وقوة علم ، وتمكين سمع ـ فصل الخطاب وشهد غيب الجواب ؛ لأن الترتيلَ فى القرآن ، والتدبُّر لمعانى الكلام ، وحسن الاقتصاد إلى المتكلم فى الإفهام ، والإيقافَ على المراد ، وصدقَ الرغبة فى الطلب ـ سببٌ للاطلاع على المطّلع من السر المكنون المستودع . وكلّ كلة من الخطاب تتوجه عشر جهات ، للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات: أولها الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ، والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها . فهذه المقامات العشر هى مقامات[2] المتقين ، وهى منطوية فى كلّ كلة يشهدها أهل التمكين والمناجاة ، ويعرفها أهلُ العلم والحياةِ ، لأن كلام المحبوب حياة للقلوب ، لا يُنذَر به إلّا حىّ ، ولا يحيا به إلا مُستجيب ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[4] . ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلّا من يتنقل فى العشر المقامات المذكورة فى سورة الأحزاب ، أولها مقام المسلمين ، وآخرها مقام الذاكرين[5] ، وبعد مقام

---

(١) ت : « التملق » .

(٢) ط ، م : « نهايات » .

(٣) سورة يس ٣٦ .

(٤) سورة الأنفال ٢٤

(٥) يشير إلى ماورد فى سورة الأحزاب ٣٥ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ... ﴾ .

الذكر هذه المشاهدات العشر ، فعندها لا تملّ المناجاة ، لوجود المصافاة ، وعلِم كيف تجلّى له تلك الصفات الإلٰهيـة فى طىّ هـذه الأدوات ، ولولا استتارُ كُنْهِ جمال كلامه بكسوة الحروف ، لما ثبت لسماعِ الكلام عرشٌ ولا ثَرَى ، ولا تمكّن لفهم عظيم الكلام إلا على حَدّ فهم الخلق ، فكلّ أحدٍ يفهم عنه بفهمه الذى قُسِمَ له ، حكمةً منه .

قال بعض العلماء : فى القرآن ميادين و بساتين ، ومقاصير وعرائس ، ودبابيج ور ياض ، فالميمات ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءاتُ مقاصير القرآن ، والمسبّحات عرائس القرآن ، والحواميم دبابيج القرآن ، والمفصّل رياضه ، وما سوى ذلك . فإذا دخل المريد فى الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الدبابيج ، وتنزّه فى الرياض ، وسكن غرفات المقامات اقتطعه عما سواه ، وأوقفه ما يراه ، وشغله المشاهَد له عما عداه ؛ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : «اعرفوا القرآن والتمسوا غرائبه ، وغرائبُه فروضه وحدوده ؛ فإن القرآن أنزل على خمسة : حلال ، وحرام ، ومحكم ، وأمثال ، ومتشابه ، فخذوا الحلال ، ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال» .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثوّر[١] القرآن .

قال ابن سبع[٢] فى كتاب " شفاء الصدور " : هذا الذى قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصُل بمجرد تفسيره الظاهر ؛ وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقى من فهمه أكثر . وقال آخرون : القرآن يحتوى على سبعة وسبعين ألف علم ، إذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعا ، إذ لكل كلمة ظاهرٍ وباطن ، وحدّ ومطلع .

وبالجملة فالعلوم كلُّها داخلة فى أفعال الله وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله .

---

(١) فليثور : أى لينقر عنه ويفكر فى معانيه . (النهاية لا بن الأثير) .
(٢) هو الإمام الخطيب أبو الربيع سليمان البستى (ذكره فى كشف الظنون) .

فصل

[في كراهة قراءة القرآن بلا تدبّر]

تكره قراءة القرآن بلا تدبّر ، وعليه حمل حديث عبد الله بن عمرو : لا يفقه من قرأ القرآن فى أقلّ من ثلاث ، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن فى ليله: أهَذًّا كهذّ الشعر [1] ! وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى صفة الخوارج : « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيَهم ولا حناجرهم » [2] ذمهم بإحكام ألفاظه ، وترك التفهم لمعانيه .

فصل

فى تعلم القرآن

ثبت فى صحيح البخارى [3] من حديث عثمان : « خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه » ، وفى رواية « أفضلكم » [4] . وعن عبد الله يرفعه: « إن القرآن مأدُبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم » ، رواه البيهقى .

---

(١) الهذ والهذذ : سرعة القراءة ؛ والخبر فى اللسان منسوب إلى ابن عباس: « قال له رجل: قرأت المفصل الليلة ؛ فقال : أهذا كهذا الشعر! » . قال : أراد أتهذ القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع فى قراءة الشعر ؛ ونصبه على المصدر . (وانظر صحيح البخارى ٣ : ٢٣٤) .

(٢) رواه ابن ماجه فى المقدمة ١ : ٦٢ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم فى آخر الزمان — أو فى هذه الأمة — يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم — أو حلوقهم — إذا رأيتموهم — أو إذا لقيتموهم — فاقتلوهم » .

(٣) فى كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٢

(٤) نفسه : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .

وروى أيضا عن أبى العالية قال : « تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمسا خمسا » ، وفى رواية : « مَنْ تعلمه خمسا خمسا لم ينْسَه » .

قال أصحابُنا : تعليم القرآن فرض كفاية ، وكذلك حفظُه واجب على الأمة ، صرّح به الجرجانىّ فى " الشافى "[1] والعبادىّ وغيرهما . والمعنى فيه كما قاله الجُوينى ألاّ ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقين ، وإلا فالكلّ آثم . فإذا لم يكن فى البلد أو القرية مَنْ يتلو القرآن أثموا بأسرهم ، ولو كان هناك جماعة يصلُحون للتعليم وطُلِب من بعضهم وامتنع لم يأثم فى الأصحّ ؛ كما قاله النووىّ فى " التبيان "[2] ؛ وهو نظير ما صحّحه فى كتاب السير أن المفتى والمدرّس لا يأثمان بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره . وصورة المسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير ؛ فإن كانت تفوت لم يجز الامتناع ، كالمصلّى يريد تعلم الفاتحة ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ، ولضيق الوقت عن التعليم .

وينبغى تعليمه على التأليف المعهود ؛ فإنه توقيفى ؛ وقد ورد عن ابن مسعود : سئل عن الذى يقرأ القرآن منكوسا قال : ذاك منكوسُ القلب .

قال أبو عبيد : وجهُهُ عندى أن يبتدئ من آخر القرآن من آخر المعوذتين ؛ ثم يرتفع إلى البقرة ؛ كنحو ما تفعل الصبيان فى الكتّاب ، لأن السّنة خلاف هذا ؛ وإنما وردتِ الرُّخصة فى تعليم الصبىّ والعجمىّ من المفصّل لصعوبة السّور الطوال عليهما .

---

(١) كتاب الشافى فى فروع الشافعى ، لأبى العباس أحمد بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٤٨٢ ، كتاب كبير فى أربع مجلدات (كشف الظنون ١٠٢٣) .

(٢) كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن ؛ للامام محي الدين يحي بن شرف النووى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ ؛ ذكره كشف الظنون ٣٤٠ .

مسألة

[في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

ويجوز أخذ الأجرة على التعليم ، ففي صحيح البخاري[١] : « إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجرا كتابُ الله » . وقيل : إن تعيّن عليه لم يجز ، واختاره الحليميّ ، وقال : استقصر الناس المعلمين لِقَصْرِهم زمانَهم على معاشرة الصبيان ثم النساء حتى أثّر ذلك في عقولهم ، ثم لابتغائهم عليه الأجْعال[٢] وطمعهم في أطعمة الصبيان ، فأمّا نفسُ التعليم فإنه يوجب التشريف والتفضيل .

[٣]وقال أبو الليث في كتاب "البستان"[٤] : التعليم على ثلاثة أوجه : أحدُها للحِسْبة ولا يأخذ به عِوَضا . والثاني أن يعلّم بالأجرة . والثالث أن يعلّم بغير شرط ، فإذا أُهْدِيَ إليه قَبِل .

فالأول : مأجُور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : مختَلف فيه ، قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « بلِّغوا عنِّي ولو آية » . وقال جماعة من المتأخِّرين : يجوز ، مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وأبي نصر بن سلام . وغيرهم قالوا : والأفضلُ للمعلِّم أن يشارط الأجرة للحفظ

---

(١) في كتاب الطب ٤ : ١٦ من حديث ابن عباس .

(٢) الأجعال : جمع جعل ؛ ما يجعل على العمل من أجر ؛ ومثله الجعالة والجعيلة .

(٣) من هنا إلى آخر هذا الفصل ساقط من ت

(٤) هو بستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥ ؛ في الأحاديث الواردة في الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية . (كشف الظنون ٢٤٣) .

وتعليم الـكتابة ، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأنّ المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

وأما الثالث فيجوز فى قولهم جميعا ؛ لانّ النبي صلى الله عليه وسلم كان معلّما للخلق وكان يقبل الهدية . ولحديث اللّديغ لما رقَوْه بالفاتحة ، وجعلوا له جعلا [١] وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «واضربوا لى معكم فيها بسهم» .

فصل

[فى دوام تلاوة القرآن بعد تعلّمه]

ولْيُدمِنْ على تلاوته بعد تعلّمه ، قال الله تعالى مُثنيا على مَنْ كان دأْبَه تلاوة آيات الله : ﴿ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيل ﴾ [٢] وسمّاه ذِكْرا ، وتوعّد المعرِض عنه ومن تعلّمه ثم نسيه . وفى الصحيحين : «تعاهدوا القرآن[٣] ؛ فو الّذى نفس محمـد بيده لهو أشدّ تفلتاً من الإبل فى عِقَالها »[٤] . « وقال : « بئسما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّىَ[٥] [و][٦] استذكروا القرآن فلهو أشدّ تَفَصّياً فى صدور الرجال من النعم فى عقالها » [٧] .

---

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٦ ، كتاب الطب ، من حديث ابن عباس .
(٢) سورة آل عمران ١١٣ .
(٣) تعاهدوا القرآن : أى جددوا عهدا بملازمة تلاوته لئلا تنسوه .
(٤) صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٤٥ ، من حديث أبى موسى .
(٥) صحيح البخارى : « بل نسى » بحذف كلمة « هو » .
(٦) تـكملة من صحيح البخارى .
(٧) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٢٣ ، من حديث عبد الله .

مسألة

[في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة]

يستحبّ الاستياكُ وتطهير فمه ، والطهارةُ للقراءة باستياكه ، وتطهير بدنه بالطيب المستحبّ تكريمـا لحال التلاوة ، لابساً من الثياب ما يتجمل به بين الناس ؛ لكونه بالتلاوة بين يدى المنعِم المتفضِّل بهذا الإيناس ، فإنّ التالىَ للكلام ، بمنزلة المكالم لذى الكلام ، وهـذا غاية التشريف من فضل الكريم العلاّم . ويستحب أن يكون جالساً مستقبل القبلة ؛ سئل سعيد بن المسيّب عن حديثٍ وهو متكىء ؛ فاستوى جالسا وقال : أكره أن أحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكىء ، وكلام الله تعالى أوْلى .

ويستحب أن يكون متوضّئا ؛ ويجوز للمحدِث ، قال إمام الحرمين وغيره : لا يقال إنهـا مكروهة ، فقد صح أنه صلى الله عليـه وسلم كان يقرأ مع الحدَث وعلى كل حال سوى الجنـابة . وفى معناها الحيض والنفاس . وللشافعىّ قول قديم فى الحائض ، تقرأ خوف النسيان .

وقال أبو الليث : لا بأس أن يَقرأ الجنب والحائض أقلّ من آية واحدة . قال : وإذا أرادت الحائضُ التعلّم فينبغى لها أن تلقّنَ نصفَ آية ، ثم تسكت ولا تقرأ آية واحدة بدفعـة واحدة . وتـكرَه القراءة حال خروج الريح ؛ وأما غيره من النواقض كاللمس والمسّ ونحوه فيحتمل عدم الكراهة ؛ لأنه غير مستقذَر عادة ، ولأنه فى حال خروج الريح يبعده بخلاف هذه .

مسألة

[فى التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة]

يستحب التعوذ قبل القراءة ، فإن قطعها قَطْع ترك وأراد العوْد جدّد ، وإن قطعها لعذرٍ عازما على العوْد كفاه التعوّذ الأول مالم يَطُل الفَصْل . ولا بدّ من قراءة البسملة أولَ كل سورة تحرّزا من مذهب الشافعىّ [١] ؛ وإلا كان قارئا بعض السور لا جميعها ؛ فإن قرأ من [٢] أثنائهـا استحب له البسملة أيضا ، نص عليـه الشافعى رحمـه الله فيما نقله العبادى .

وقال الفاسى [٣] فى شرح القصيدة : كان بعضُ شيوخنا يأخذ علينا فى الأجزاء القرآنية بترك البسملة ، ويأمرنا بها فى حزب : ﴿ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٤] ؛ وفى حزب : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [٥] لما فيهمـا بعد الاستعاذة من قبح اللفظ . وينبغى لمن أراد ذلك أن يفعله ؛ إذا ابتدأ مثل ذلك ، نحو : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ [٦] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِى

---

(١) اختلف العلماء فى البسملة على ثلاثة أقوال : الأول ليست بآية ؛ لا من الفاتحة ولا من غيرها ؛ وهو قول مالك . والثانى أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك . والثالث قول الشافعى : قال: إنها آية فى الفاتحة ، وتردد قوله فى سائر السور ، فمرة قال: إنها آية من كل سورة، ومرة قال : ليست بآية إلا فى الفاتحة وحدها . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٣)

(٢) م : « فى »

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسى المقرى المتوفى سنة ٦٧٢ ؛ شرح القصيدة الشاطبية ؛ سماه اللآلئ الفريدة، فى شرح القصيدة ، منها نسخة بدار الكتب رقم ٥٠ قراءات ، وانظر طبقات القراء ٢ : ١٢٢ وكشف الظنون ٦٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٥) سورة فصلت ٤٧

(٦) سورة الروم ٥٤

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ ﴾[1] ؛ لوجود العلة المذكورة . وقد كانَ مكىّ[2] يختار إعادةَ الآيةِ قبل كلّ حزب من الحزبين المذكورين للعلّة المذكورة .

مسألة

[3] ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتقان لهذا الشأن ، الجامعين بين الدراية والرواية ، والصدق والأمانة ، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يجتمع به جبريل فى رمضان فيدارسه القرآن .

مسألة

[فى قراءة القرآن فى المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة فى المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟ ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من المصحف أفضل ؛ لأن النظر فيه عبادة ، فتجتمع القراءة والنظر ، وهذا قاله القاضى الحسين والغزالى ، قال : وعلّة ذلك أنه لا يزيد على[4] ... وتأمل المصحف وجمله[5] ، ويزيد فى الأجر بسبب ذلك . وقد قيل : الختمة فى المصحف بسبع ؛ وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون فى المصحف ، ويكرهون أن يخرج يومٌ ولم ينظروا فى المصحف .

---

(١) سورة الأنعام ١٤١

(٢) مكى بن أبى طالب بن حيوس القرى أبو محمد القيروانى ، صاحب التبصره والكشف والموجز وغيرها من كتب القراءات . توفى سنة ٤٣٧ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .

(٣) هذا الفصل ساقط من ت

(٤) بياض فى جميع الأصول بمقدار كلمتين .

(٥) م : « ونحوه »

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد و بين يديه المصحف فقال : شغلكم الفقه عن القرآن ؛ إني لأُصلِّي العتمة ، وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح .

وقال عبد الله بن أحمد [1] : كان أبي يقرأ في كل يوم سُبعا من القرآن لا يتركه نظرا .

وروى الطَّبرانيّ من حديث أبي سعيد بن عون المكيّ عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة . وأبو سعيد قال فيه ابن معين : لا بأس به .

وروى البيهقيّ في شُعب الإيمان من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ قرأ القرآن في المصحف كانت له ألفا حسنة ، ومَنْ قرأه في غير المصحف ـ فأظنه قال ـ كألف حسنة » . وفي الطريق الأخرى قال : « درجة » ، وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف .

وروى ابن أبي داود بسنده عن أبي الدرداء مرفوعا : « من قرأ مائتي آية كلّ يوم نظراً شُفِّع في سبعة قبور حول قبره ، وخُفِّف العذاب عن والديه و إن كانا مشركين » .

وروى أبو عبيد في فضائل القرآن [2] بسنده عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : «فضل القرآن نظرا على من قرأ ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة » . و بسنده عن ابن عباس قال: كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه .

---

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) فضائل القرآن لوحة ٨ .

وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعا : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى وجه الوالدين عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » .

وعن الأوزاعىّ كان يعجبهم النّظر فى المصحف بعد القراءة هنيهة . قال بعضهم : وينبغى لمن كان عنده مصحفٌ أن يقرأ فيه كلّ يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجورا .

والقول الثانى : أن القراءة على ظهر القلب أفضلُ ، واختاره أبو محمد بن عبد السلام[1] ، فقال فى أماليه : قيل القراءة فى المصحف أفضل ؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين ؛ وهما اللسان والعين ، والأجر على قدر المشقة . وهذا باطل ؛ لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى : ﴿ لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾[2] ؛ والعادة تشهد أن النظر فى المصحف يخلّ بهذا المقصود ، فكان مرجوحا .

والثالث : واختاره النووىّ فى الأذكار[3] : إن كان القارئ من حفظه يحصلُ له من التدبُّر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضلُ ، قال : وهو مراد السلف .

مسألة

[فى استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة ؛ صحّ ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واستحب به

---

(١) هو الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى ، شيخ الإسلام ، توفى سنة ٦٦٠ (شذرات الذهب ٥ : ٣١٠) .

(٢) سورة ص ٢٩

(٣) هو كتاب حلية الأبرار وشعار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار ، المشتهر بأذكار النووى . (كشف الظنون ٦٨٨ — ٦٨٩) .

الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المسرّ قد يملّ ، فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار ؛ إلا أنّ مَنْ قرأ بالليل جهر بالأكثر ؛ وإن قرأ بالنهار أسرّ بالأكثر[1] ؛ إلا أن يكون بالنهار فى موضع لا لغوَ فيه ولا صَخب ، ولم يكن فى صلاة فيرفع صوتَه بالقرآن ، ثم روى بسنده عن معاذ بن جبل يرفعه : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسِرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة » . نعم من قرأ والناس يصلُّون فليس له أن يجهر جهرا يشغلُهم به ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يصلون فى المسجد ، فقال : « يأيها الناس كلّكم يناجى ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة » .

مسألة

[فى كراهة القرآن لمكالمة الناس]

ويكره قطع القرآن لمكالمة الناس ؛ وذلك أنه إذا انتهى فى القراءة إلى آية وحَضَره كلام فقد استقبله التى بلغها والكلام ، فلا ينبغى أن يؤثر كلامَه على قراءة القرآن ، قاله الحليمىّ ، وأيّده البيهقى بما رواه البخارى : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفرغ منه .

مسألة

[فى حكم قراءة القرآن بالعجمية]

لا تجوزُ قراءتُه بالعجمية سواء أحْسَنَ العربية أم لا ، فى الصلاة وخارجها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾[3] .

---

(١) ت : « الأكثر »

(٢) سورة يوسف ٢

(٣) سورة فصلت ٤٤

وقيل عن أبى حنيفة: تجوز قراءتُه بالفارسية مطلقا ، وعن أبى يوسف : إن لم يحسن العربية ؛ لكن صحّ عن أبى حنيفة الرجوعُ عن ذلك ، حكاه عبد العزيز[١] فى " شرح البزدَوىّ " [٢] .

واستقرّ الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التى يتعلّق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه ، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذى اختص به دون سائر الألسنة . وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربى لمكان التحدى بنظمه ، فأحرى أن لا تجوزَ الترجمة بلسان غيره ؛ ومن ها هنا قال القفال [٣] من أصحابنا : عندى أنه لا يقدر أحد أن يأتىَ بالقرآن بالفارسية، قيل له:فإذن لا يقدر أحد أن يفسّر القرآن ، قال : ليس كذلك ؛ لأن هناك يجوز أن يأتى ببعض مراد الله ويعجز عن البعض؛أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتىَ بجميع مراد الله ،أىْ فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غيرممكن بخلاف التفسير .

وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس فى فقه العربية [٤]أيضا فقال : « لا يقدر أحدمن التراجم على أن ينقل القرآن إلى شىء من الألسن ؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتسع فى الكلام اتساع العرب ؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [٥] لم تستطع أن

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى ؛ له تصانيف مقبولة ؛ أشهرها شرح أصول البزدوى ، سماه كشف الأسرار ؛ طبع بإستانبول سنة ١٣٠٧ ، وتوفى عبد العزيز سنة ٧٣٠ . الفوائد البهية ٩٤ .

(٢) هو على بن محمد بن الحسين البزدوى الفقيه بماوراء النهر ؛وكتابه كنز الوصول إلى معرفة الأصول؛ طبع مع شرحه فى إستانبول سنة ١٣٠٧ . وتوفى البزدوى سنة ٤٨٢. الفوائد البهية ١٢٤ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعى الشاشى المعروف بالقفال الكبير ؛ صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ،توفى سنة ٣٦٥ . شذرات الذهب ٣ : ٥٢ .

(٤) ص ١٣ .　　　(٥) سورة الأنفال ٥٨

تأتىَ بهذه الألفاظ مؤدية [١] عن المعنى الذى أودِعَتْه حتى تبسُط مجموعَها ، وتصل مقطوعها، وتظهر مَستورها ، فتقول : إن كان بينك و بين قوم هدنة وعهد ، فخفتَ منهم خيانة ونقضاً فأعلِمْهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وآذِنْهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على سواء [٢] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [٣]» انتهى .

فظهر من هذا أن الخلاف فى جواز قراءته بالفارسية لا يتحقّق لعدم إمكان تصوّره .

ورأيتُ فى كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ؛ فأما ترجمتُه للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة ، وينبغى أن يُقتصر من ذلك على بيان المحكَم منه ، والغريب المعنى بمقدار الضرورة ؛ من التوحيد وأركان العبادات ؛ ولا يتعرض لما سوى ذلك ، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللّسان العربىّ ؛ وهذا هو الذى يقتضيه الدليل، ولذلك لم يكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة لمعنى واحد ؛ وهو توحيد الله والتبرى من الإشراك ؛ لأن النقلَ من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى المترجَم عنده واحدا قلّ وقوع التقصير فيه ؛ بخلاف المعانى إذا كثرت ؛ وإنما فعل النبى صلى الله عليه وسلم لضرورة التبليغ ؛ أو لأنّ معنى تلك الآية كان عندهم مُقرّرا فى كتبهم ؛ وإن خالفوه .

وقال الكواشىّ [٤] فى تفسير سورة الدخان : أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية بشريطة ؛ وهى أن يؤدىَ القارئُ المعانىَ كلّها من غير أن ينقص منها شيئا أصلا . قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة ؛ لأن كلامَ العرب ـ خصوصا القرآن الذى هو

---

(١) فقه اللغة : « المؤدية » .

(٢) فقه اللغة : « على استواء »

(٣) سورة الكهف ١١

(٤) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى، المتوفى سنة ٦٨٠ (كشف الظنون ٤٥٧) .

معجز — فيه من لطائف المعانى والإعراب مالا يستقل به لسان من فارسية وغيرها .

وقال الزمخشرى : ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية ؛ فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصّر . وروى على بن الجعد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة مثل صاحبيه فى القراءة بالفارسية .

مسألة

[فى عدم جواز القراءة بالشواذ]

ولا تجوز قراءته بالشواذ ، وقد نقل ابن عبد البر الإجماعَ على منعه [1] ؛ فقد سبق فى الحديث : كان يمُد مدًّا ؛ يعنى أنه يمكن الحروف ولا يحذفها ، وهو الذى تسميه القرّاء بالتجويد فى القرآن ، والترتيلُ أفضلُ من الإسراع ، فقراءة حِزب مرتّل مثلا فى مقدار من الزمان ، أفضلُ من قراءة حزبين فى مثله بالإسراع .

مسألة

[فى استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما يروى : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحَليمى : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل فى كراهة الإمالة التى هى اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ؛ فرخص مع ذلك فى إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل عليه السلام .

وروى البيهقىّ من حديث ابن عمَر : « من قرأ القرآن فأعرب فى قراءته كان له بكلِّ حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكلِّ حرف عشر حسنات» .

---

(١) نقل السيوطى عن موهوب الجزرى جوازها فى غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالمعنى ؛ وانظر الإتقان : ١ ، ١٠٩ .

مسألة

[فى فصل السور بعضها عن بعض]

وأن يَفصل كلَّ سورة عما قبلها ، إما بالوقف أو التسمية ، ولا يقرأ من أخرى قبل الفراغ من الأولى ؛ ومنه الوقف على رءوس الآى ، وإن لم يتم المعنى . قال أبو موسى المدينى : وفيه خلاف بينهم ؛ لوقفه صلى الله عليه وسلم فى قراءة الفاتحة على كلِّ آية وإن لم يتم الكلام . قال أبو موسى : ولأنَّ الوقف على آخر السور لا شكّ فى استحبابه ؛ وقد يتعلق بعضُها ببعض ؛ كما فى سورة الفيل مع قريش .

وقال البيهقىّ رحمه الله وقد ذكر حديثَ « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقطّع قراءته آية آية » : ومتابعة السنّة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد .

* * *

ومنها أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه إذ أهّله لحفظ كتابه ويستصغر عَرَض الدنيا أجمع [فى جنب ما] [1] ما خوّله الله تعالى ، ويجتهد فى شكره . ومنها تركُ المباهاة فلا يطلب به الدنيا ؛ بل ما عند الله ؛ وألّا يقرأ فى المواضع القذرة ، وأن يكون ذا سكينةٍ ووقار ، مجانبا للذنب ، محاسبا نفسه ، يُعرف القرآن فى سمته وخُلُقه ؛ لأنه صاحب كتاب الملك والمطلع على وعده ووعيده ، [وليتجنب القراءة فى الأسواق ، قاله الحليمىّ ، وألحق به الحمام . وقال النووى : لا بأس به فى الطريق سرًّا حيث لا لغو فيها] [2] .

مسألة

[فى ترك خلط سورة بسورة]

عدّ الحليمىُّ من الآداب تركَ خلط سورة بسورة ؛ وذكر الحديث الآتى . قال البيهقىّ : وأحسن ما يحتجّ به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة

(١) تكملة من ت

(٢) تكملة من ط ، م .

النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عن جبريل ، فالأولى بالقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول المجتمع عليه ؛ وقد قال ابن سيرين : تأليفُ الله خيرٌ من تأليفكم . ونقل القاضي أبو بكر الإجماعَ على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . « وقد روَى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأبي بكر وهو يقرأ يخفِض صوتَه ، وبعمر يجْهَر بصوته وذكر الحديث ، وفيه فقال : وقد سمعتُك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة » فقال : كلامٌ طيّب يجمعه الله بعضه إلى بعض ؛ فقال : « كلكم قد أصابَ » .

وفي رواية لأبي عبيد في "فضائل القرآن"[1] : قال بلال :أخلِط الطيّب بالطيّب ، فقال : «اقرأ السورة على وجهها» ـ أو قال على نحوها ـ وهذه زيادة مليحة . وفي رواية : « إذا قرأت السورة فأنفِذْها » .

ورَوى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف ، فقال : شغَلَني الجهاد عن تعلّم القرآن .

وروَى المنع عن ابن سيرين. ثم قال أبو عبيد : الأمرُ عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الآيات المختلفة ؛ كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ، ولكراهة ابن سيرين له . ثم قال : إن بعضَهم روى حديث بلال ، وفيه : فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « كلُّ ذلك حسن » ، وهو أثبت وأشبه بنقل العلماء . انتهى .

ورواه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" ؛ وزاد : «مَثَل بلال كمَثَل نحلة غدت تأكل من الحلْو والمرّ ، ثم يصير حلوا كله » .

قال : وإنما شبّهه بالنحلة في ذلك ؛ لأنها تأكلُ من الثمرات : حُلْوها وحامضها ، ورطْبها ويابسها ، وحارّها وباردها ؛ فتخرج هذا الشفاء ؛ وليست كغيرها من الطير تقتصر على الحُلْو فقط لحظ شهوته فلا جرَم أعاضها الله الشفاء فيما تُلْقيه ؛ وهذا كقوله : « عليكم

(١) كتاب الفضائل لوحة ٢٠

بألبان البقر فإنها ترمّ من كل الشجر فتأ كل » . فبلال رضى الله عنه كانَ يقصِد آياتِ الرحمة وصِفات الجنّة ؛ فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة ؛ كما أنزل الله تعالى : فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء لصَنّفها أصنافا ، كلٌّ صِنْف على حدة ؛ ولـكنه مَزَجها لتصل القلوب بنظام لا يملّ ، قال : ولقد أذهلنى يوما قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً . الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ ﴾ (١) فقلت : ياالطيف ؛ علمتَ أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك ؛ فلطفت بهم فنسبت ﴿ الْمُلْك ﴾ إلى أعمّ اسم فى الرحمة ، فقلت : ﴿ الرحمٰن ﴾ ليلاقِي هـذا الاسم تلكَ القلوب التى يحلّ بها الهول ، فيمازِجُ تلك الاهوال ، ولو كان بدله اسماً آخر ، من « عزيز وجبار » لتفطرت القلوبُ ، فكان بلال يقصِد لما تطيب به النفوس ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين ؛ فهو أعلم بالشفاء .

مسألة

[فى استحباب استيفاء الحروف عند القراءة]

يستحب استيفاء كلّ حرف أثبته قارئ . قال الحليمىّ : هذا ليكونَ القارئ قد أتى على جميع ما هو قرآن ؛ فتكون ختمةٌ أصحُّ من ختمة إذا ترخّص بحذف حرف أو كلمة قرئ بهما . ألا ترى أنّ صلاَة كلّ من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلاته أجمع من صلاة من ترخص فحذف منها مالا يضر حذفه .

فصل

[فى ختم القرآن]

ويستحبّ خَتْمُ القرآن فى كل أسبوع ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «اقرأ القرآن فى

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ ، ٢٦

كل سبع ولا تزد» . رواه أبو داود . وروى الطبرانى بسند جيّد : سئل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه : كيف كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجزّئُ القرآن ، قال : كان يجزّئه ثلاثا وخمسا ، وكره قوم قراءته فى أقلّ من ثلاث ، وحملوا عليه حديث : « لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » رواه الأربعة ، وصحّحه الترمذى ، والمختار — وعليه أكثر المحققين — أن ذلكَ يختلف بحال الشخص فى النشاط والضعف والتدبّر والغفلة ؛ لأنه رُوِى عن عثمان رضى الله عنه ؛ كان يختمه فى ليلة واحدة . ويكره تأخيرُ ختمه أكثرَ من أربعين يوما . رواه أبو داود .

وقال أبو الليث فى كتاب " البستان " : ينبغى أن يختم القرآن فى السّنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : مَنْ قرأ القرآن فى كلّ سنة مرتين فقد أدّى للقرآن حقَّه ؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم عَرَضه على جبريل فى السّنة التى قبض فيها مرتين . انتهى .

وقال أبو الوليد الباجىّ [١] : أمرُ النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم فى سبع أو ثلاث يحتمل أنه الأفضلُ فى الجملة أو أنه الأفضل فى حق ابن عمرو لمّا علم من ترتيله فى قراءتِهِ ، وعلِم من ضعفه عن استدامته أكثر مما حدّله . وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه . وسئل مالك عن الرجل يختم القرآن فى كل ليلة فقال : ما أحسن ذلك ! إنّ القرآنَ إمام كل خير .

وقال بشر بن السرىّ : إنما الآية مثل التمرة كلّما مضغتها استخرجت حلاوتها . فحدّث به أبو سليمان ، فقال : صدق ؛ إنما يؤتى أحدُكم من أنّه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها .

---

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبى المالكى الأندلسى الباجى ، ولد سنة ٤٠٣ بمدينة بطليوس ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٢٦ أو نحوها . فأقام فى مكة وبغداد ودمشق وغيرها ، وتوفى بالمرية سنة ٤٧٤ . ابن خلكان : ١ ، ٢١٥ .

مسألة

[فى ختم القرآن فى الشتاء وفى الصيف]

يُسَنُّ ختمُه فى الشتاء أوّلَ الليل ، وفى الصيف أولَ النهار ؛ قال ذلك ابن المبارك ، وذكره أبو داود لأحمد ؛ فكأنه أعجبه . ويجمع أهلَه عند ختمه ويدعو .

وقال بعض السلف : إذا ختم أوّل النهار صلّت عليه الملائكة حتى يُمسى ، وإذا خَتَمَ فى أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يُصبح . رواه أبو داود .

مسألة

[فى التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى]

يستحبُ التكبير من أوّل سورة الضحى ؛ إلى أن يختم ؛ وهى قراءة أهل مكّة ؛ أخذها ابنُ كثير عن مجاهد ، ومجاهد عن ابن عباس ، وابن عباس عن أُبَىّ ، وأُبىّ عن النبى صلى الله عليه وسلّم ؛ رواه ابنُ خزيمة ، والبيهقى فى شعب الإيمان وقوّاه ورواه من طريقٍ موقوفا على أُبىّ بسند معروف [1] ؛ وهو حديث غريب ، وقد أنكره أبو حاتم الرازى على عادته [فى] [2] التشديد ؛ واستأنس له الحَليمىّ بأن القراءة تنقسم إلى أبعاض

(١) نقله ابن كثير فى التفسير ٤ : ٥٢١ ؛ قال : « روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى، قال : قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرنى أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت « والضحى » قالا لى : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة ، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك ؛ وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك »

(٢) تكملة من ط .

متفرقة ؛ فكأنه [1] كصيام الشهر ؛ وقد أمِر الناس أنه إذا أكملوا العِدة أن يكبروا الله على ما هداهم . فالقياس أن يكبّر القارئ إذا أكمل عدة السور .

وذكر غيرُه أن التكبير [كان] لا ستشعار انقطاع الوحي ؛ قال : وصفته في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة ، ثم قال : الله أكبر ، ثم وقف وقفة ثم ابتدأ السورة التي تليها إلى آخر القرآن . ثم كبر كما كبّر من قبل ، ثم أتبعَ التكبير الحمد ، والتصديق ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء .

وقال [2] سليم الرازي [3] في تفسيره : يكبّر [4] القارئ بقراءة ابن كثير إذا بلغ « والضحى » بين كل سورتين تكبيرة ؛ إلى أن يختم القرآن ولا يصل آخر السورة بالتكبير ؛ بل يفصل بينهما بسكتة ؛ وكأنّ المعنى في ذلك ما رُوِيَ أن الوحي كان تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس : إن محمداً قد وَدّعه صاحبه وقلاه ، فنزلت هذه السورة ، فقال : الله أكبرَ . قال : ولا يكبر في قراءة الباقين ؛ ومن حجتهم أنّ في ذلك ذريعةً إلى الزيادة في القرآن ؛ بأن زيدَ عليه فيتوهم أنه من القرآن فيُثبتوه فيه [5] .

مسألة

[في تكرير سورة الإخلاص]

مما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ؛ نصّ الإمام أحمد على

---

(١) م : « فكانت » (٢) من هنا إلى آخر الفصل ساقط من ت .

(٣) هو أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ ؛ صاحب التفسير المسمى ضياء القلوب في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٠٩١ . (٤) نقله القرطبي في التفسير ٢٠ : ١٠٣ .

(٥) ذكر ابن الجزري اختلاف القراء في ابتداء التكبير : هل هو من أول الضحى أو من آخرها ؛ وفي انتهائه هل هو من أول السورة أو آخرها . وانظر النشر ٢ : ٤٠٠ .

المنع ؛ ولـكن عمل الناس على خلافه ؛ قال بعضهم : والحـكمة فى التكرير ما ورد أنها تعدل ثُلُث القرآن ؛ فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فعلى هـذا كان ينبغى أن يقرأ ثلاثا بعد الواحدة التى تضمنتها الختمة ؛ فيحصل ختمتان .

قلنا : مقصود الناس ختمة واحـدة ؛ فإن القـارئ إذا قرأها ثم أعادها مرتين كان على يقين من حصول ختمة ؛ إما التى قرأها من الفاتحة إلى آخر القرآن ، وإما [التى حصل] [1] ثوابها بقراءة سورة الإخلاص ثلاثا ، وليس المقصود ختمة أخرى .

مسألة

[فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم وقرأ المعوذتين قرأ الفاتحة وقرأ خمس آيات من البقرة إلى قوله : ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2] لأن « الٓمٓ » آية عند الـكوفيين ،وعند غيرهم بعض آية. وقد روى الترمذى: أىّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال: الحالّ [3] المرتحل،قيل المراد به الحث على تـكرار الختم ختمة بعد ختمة ؛ وليس فيه ما يدلّ على أنّ الدعاء لا يتعقب الختم .

---

(١) تـكملة من ت (٢) سورة البقرة ٥ .

(٣) نقله ابن الأثير فى النهاية ١ : ٢٥٣ : سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الحال المرتحل ، قيل : وما ذاك ؟ قال : الخاتم المفتتح ؛ وهو الذى يختم القرآن بتلاوته ؛ ثم يفتتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ثم يفتتح سيره ؛ أى يبتدئه ؛ وكذلك قراء مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدءوا وقرءوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى : «وأولئك هم المفلحون» . ثم يقطعون القراءة،ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل ، أى ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل :أراد بالحال المرتحل الغازى الذى لا يقفل عن غزو إلا عقبه بآخر .

فائدة

روى [١] البيهقي في دلائل النبوة وغيره أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند ختم القرآن : اللّهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي أماناً ونورا وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلّمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوتَه آناء الليل ، واجعله لي حُجَّة يارب العالمين . رواه في شعب الإيمان بأطول من ذلك ، فلينظر فيه .

مسألة

[في آداب الاستماع]

استماعُ القرآن والتفهّم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها ، ويكره التحدُّث بحضور القراءة ، قال الشيخُ أبو محمد بن عبد السلام : والاشتغالُ عن السماع بالتَّحدث بما لا يكون أفضلَ من الاستماع سُوء أدب على الشرع ، وهو يقتضِي أنّه لا بأس بالتحدث لمصلحة .

مسألة

[في حكم من يشرب شيئا كتب من القرآن]

وأفتى الشيخ أيضا بالمنع من أن يشرب شيئا كُتِب من القرآن ، لأنه تلاقيه النجاسة الباطنة .

وفيما قاله نظر ؛ لأنها في مَعْدنها لا حكم لها .

---

(١) هذا الفصل ساقط من ت ؛ وهو في م وحواشي ط ؛ نقله عن خط المؤلف .

ومن صرّح بالجواز من أصحابنا العماد النَّيهيّ [١] تلميذ البغويّ [٢] فيما رأيتُه بخط ابن الصلاح .

قال : لا يجوز ابتلاع رُقْعة فيها آية من القرآن ، فلو غَسَلها وشرب ماءها جاز . وجزم القاضي الحسين ، [٣] والرافعي [٤] بجواز أكل الأطعمة التي كتب عليها شيء من القرآن .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي في ذكر منصور بن عمار [٥] : أنه أوتي الحكمة : وقيل إن سببَ ذلك أنه وجد رُقعة في الطريق مكتوبا عليها : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فأخذها فلم يجد لها موضعا ، فأكلها ، فأُرِي فيما يرى النائم كأن قائلا [قد] قال له :قد فَتَح اللهُ عليك باحترامك لتلك الرُّقعةفكان بعد ذلك يتكلَّم بالحكمة.

مسألة

[القيام المصاحف بدعة]

وقال الشيخ أيضا في '' القواعد '' [٦] : القيام للمصاحف بدعة لم تعهد في الصَّدْر الأوّل ،

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد النيهي الفقيه ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ تفقه على القاضي حسين بن محمد ؛ وسمع الحديث من أستاذه عبد الله بن محمد البغوي ؛ توفي في حد سنة ٤٨٠ . اللباب ٣ : ٢٥٣ ، ومعجم البلدان ٨ : ٣٦٩ .

(٢) هو عبد الله محمد البغوي .

(٣) هو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي ؛ شيخ الشافعية في زمانه ؛ وصاحب الفتاوى المشهورة توفي سنة ٤٦٢ شذرات الذهب ٣ : ٣١٠ .

(٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي المتوفى سنة ٦٢٣ ، صاحب الشرح على الوجيز في فقه الشافعية (كشف الظنون) .

(٥) هو أبو السري منصور بن عمار ؛ البصري ؛ الزاهد الواعظ ؛ قال ابن حجر : كان إليه المنتهى في بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك الهمم . لسان الميزان ٥ : ٩٨ .

(٦) هو المعروف بالقواعد الكبرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ . كشف الظنون ١٣٥٩ .

والصواب ما قاله النوويّ فى " التبيان "[1] ؛ من استحباب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . وسئل العماد بن يونس الموصليّ عن ذلك : هل يستحب للتعظيم أو يكره خوف الفتنة ؟ فأجاب : لم يرد فى ذلك نقلٌ مسموع ، والكلّ جائز ، ولكلٍ نيّتُه وقَصْدُه .

مسألة

[فى حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعه فى شِقّ أو غيره ليحفظ لأنه قد يسقط ويُوطأ ، ولا يجوز تمزيقُها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ؛ وفى ذلك إزراء بالمكتوب ـ كذا قاله الحليمىّ ؛ قال : وله غَسْلُها بالماء ، وإن أحرقها بالنار فلا بأس ، أحرق عثمانُ مصاحفَ فيها آيات وقراءات منسوخة ، ولم يُنكر عليه .

وذكر غيره أنّ الإحراقَ أوْلَى من الغسل ؛ لأن الغُسالة قد تقع على الأرض ، وجزم القاضى الحسين فى " تعليقه " بامتناع الإحراق ؛ وأنه خلاف الاحترام ، والنووى بالكراهة ، فحصل ثلاثة أوجه .

وفى " الواقعات "[2] من كتب الحنفية أنّ المصحف إذا بَلِيَ لا يحرق بل تحفر له فى الأرض ، ويدفن .

ونقل عن الإمام أحمد أيضا . وقد يتوقف فيه لتعرّضه للوطء بالأقدام .

---

(١) التبيان فى آداب حملة القرآن ؛ للامام محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ ، (كشف الظنون) .

(٢) الواقعات فى الفروع ، لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلوانى الحنفى المتوفى سنة ٤٥٦ ، وللجصاص أيضا ، ولطاهر بن أحمد البخارى صاحب الخلاصة المتوفى سنة ٥٤٢ ، ولأبى اليسر وللامام فخر الدين حسين ابن منصور المعروف بقاضيخان المتوفى سنة ٥٩٢ (كشف الظنون) .

مسألة

[فى أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله]

ويستحب تطييبُ المصحف وجعلُه على كرسىّ ، ويجوز تحليتهُ بالفضة إكراماً له على الصحيح ، روى البيهقى بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكاً عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفا فقال : حدثنى أبى عن جدّى أنهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وأنهم فضّضوا المصاحف على هذا ونحوه : وأما بالذهب فالأصحّ يباح للمرأة دون الرجل ، وخصّ بعضهم الجوازَ بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه ؛ والأظهر التسوية .

ويَحْرُم توسُّد المصحف وغيره من كتب العلم ؛ لأن فيه إذلالاً وامتهانا ، وكذلك مدّ الرجلين إلى شىء من القرآن أو كتب العلم .

ويستحب تقبيلُ المصحف ؛ لأنّ عكرمة بن أبى جهل كان يقبِّلُه ، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ؛ ولأنه هدية لعباده ، فشرع تقبيلُه كما يستحب تقبيلُ الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف .

وإن كان فيه رفعة وإكرام ؛ لأنه لا يدخلُه قياس ؛ ولهذا قال عمر فى الحجر : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّلك ما قبلتك .

ويحرم السّفر بالقرآن إلى أرض العدوّ للحديث فيه : خوف أن تناله أيديهم . وقيل : إن كَثُر الغزاةُ وأُمِنَ استيلاؤهم عليه لم يمنع ؛ لقوله : « مخافة أن تناله أيديهم » .

ويحرم كتابة القرآن بشىء نجس ؛ وكذلك ذكر الله تعالى ؛ وتكره كتابته فى القطع الصغير ؛ رواه البيهقىّ عن علىّ وغيره . وعنه تنوّقَ رجل فى ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فغفر له .

وقال الضحاك بن مزاحم : ليتنى قد رأيت الأيدى تقطع فيمن كتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . يعنِى لا يجعل له سِنّات. قال : وكان ابنُ سيرين يكره ذلك كراهة شديدة.

ويستحب تجريد المصحف عمّا سواه . وكرهوا الأعشارَ والأخماس معه ، وأسماء السُّور وعدد الآيات. وكانوا يقولون : جردوا المصحف . وقال الحليمىّ : يجوز ، لأن النقط ليس له قرار فيتوهّم لأجلها ماليس بقرآن قرآنا ؛ وإنما هى دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها .

وروى ابن أبى شيبة فى مصنّفه فى الصلاة وفى فضائل القرآن : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : جرّدوا القرآن . وفى رواية : لا تلحقوا به ما ليس منه . ورواه عبد الرزاق فى مصنّفه فى أواخر الصوم .ومن طريقه رواه الطّبرانى فى معجمه ، ومن طريق ابن أبى شيبة رواه إبراهيم الحربى فى كتابه " غريب الحديث " . وقال : قوله : «جرّدوا» ، يحتمل فيه أمران : أحدهما أى جرّدوه فى التلاوة ولا تخلطوا به غيره ، والثانى أى جردوه فى الخطّ من النقط والتعشير .

قلت : الثانى أولَى لأن الطبرانى أخرج فى معجمه عن مَسروق عن ابن مسعود أنه كان يكره التعشير فى المصحف . وأخرجه البيهقى فى كتاب " المدخل " ، وقال : قال أبو عبيد : كان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف . ويروى عن عبد الله أنه كره التعشير فى المصحف . قال البيهقىّ : وفيه وجه آخر أبين منه ، وهو أنه أراد : لا تخلطوا به غيرَه من الكتب ؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى ؛

وليسوا بمأمونين عليها . وقَوِىَ هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي عن قرظة بن كعب قال : لما خرجنا إلى العراق خرج معنا عمر بن الخطاب يشيّعنا فقال : إنكم تأتون أهلَ قرية لهم دوىّ بالقرآن كدوىّ النحل فلا تشغلوهم بالأحاديث فتصدوهم ، وجرّدوا القرآن .

قال : فهذا معناه أى لا تخلطوا معه غيره .

خاتمة

روى البخارى فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه، لُعن بكل حرف عشر لعنات » .

النوع الثلاثون

فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن

وهل يقتبس منه فى شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير

وحركة إعراب

جوّزَ ذلك بعضُهم للمتمكّن من العربية؛ وسئل الشيخ عز الدين فقال : ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « وجهت وجهى » ، والتلاوة ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾ (1) .

وما روى البخارى فى كتابِ(2) إلى هِرَقْل : « سَلام على من اتبع الهدى » ﴿ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ (3) .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللّهمّ آتنا فى الدنيا حسنة » .

وفى حديث آخر لابن عمر : « قَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة » (4) .

وقال عليه السلام : « اللهم فالقَ الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، اقضِ عنِّى الدَّيْن ، وأغنِنى من الفقر » .

---

(1) سورة الأنعام ٧٩ (2) فى باب كيف بدأ الوحى .

(3) سورة آل عمران ٦٤ ، وقد ورد الحديث فى الأصول مقتضبا ؛ والذى فى البخارى : « سلام على من اتبع الهدى ؛ أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ؛ ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ... » .

(4) كلمة « حسنة » ساقطة من ت .

وفى سياق كلامٍ[1] لأبى بكر : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2] ، فقصد الكلام ولم يقصد التلاوة .

وقول على رضى الله عنه : إنى مبايع صاحبكم ﴿لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[3] .

وقول[4] الخطيب ابن نُباتة :[5] هُنالك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويُجمع من له الثواب ، وحق عليه العذاب ، فضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لهُ بَابٌ[6] .

وقال النووى رحمه الله : إذا قال : ﴿خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[7] وهو جُنُب ، وقَصَد غير القرآن جاز له، وله أن يقول :﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[8] .

قال إمامُ الحرمَين : إذا قصد القرآنَ بهذه الآيات عَصى ، وإن قصد الذِّكر ولم يقصد شيئا لم يعص .

وللطُّرْطوشىّ[9] :

رحل الظاعنون عنك وأبقَوْا   فى حواشى الأحْشاءِ وجدا مقيما
قد وجدنا السَّلاَمَ بَرْداً سَلاَما   إذْ وَجَدْنا النَّوى عذاباً أليما

وثبت عن الشافعىّ :

---

(١) من كلمته حينما عهد لعمر بالخلافة ، وانظر الكامل للمبرد ــ بشرح المرصفى ١ : ٦٢ .
(٢) سورة الشعراء ٢٢٧ (٣) سورة الأنفال ٤٢ .
(٤) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الحذاق الفارقى صاحب الخطب المشهورة فى المواعظ ؛ وكان خطيب حلب ؛ وفيها اجتمع بسيف الدولة ؛ وأغلب خطبه تدور حول الجهاد والحض عليه. توفى سنة ٣٧٤ . ابن خلكان ١ : ٢٨٣ .
(٥) نقلها صاحب المثل السائر فى باب التضمين ٢ : ٣٤٧ .
(٦) تضمين لآية الحديد ٣
(٧) سورة مريم ١٢ (٨) سورة الزخرف ١٣ .
(٩) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشى الأندلسى ، الزاهد العابد ، صاحب كتاب سراج الملوك . توفى سنة ٥٢٠ . ابن خلكان ١ : ٤٧٩ .

أنلنى بالذى استقرضتَ خطًّا وأَشْهِدْ معشرا قد شاهدوه [١]
فإن الله خــلاّق البرايا عَنَتْ لجلال هيبته الوجوهُ
يقول « إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مُسَمًّى فا كتبوه » [٢]

ذكر القاضى أبو بكر الباقلانى أنّ تضمين القرآن فى الشعر مكروه ، وأئمةُ البيـان جوّزوه وجعلوه من أنواع البديع ، وسمّاه القدماء تضمينا والمتأخرون اقتباسا ، وسمّوا ما كان من شعر تضمينا .

مسألة

[يكره ضرب الأمثال بالقرآن]

يكره ضربُ الأمثال بالقرآن،نص عليه من أصحابنا العِماد النّيهىّ صاحب البغوىّ ، كما وجدتُه فى " رحلة ابن الصلاح " [٣] بخطه .

وفى كتاب " فضائل القرآن " لأبى عبيد عن النَّخَعِىّ قال : كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند شىء يعرض من أمور الدنيا .

قال أبو عبيد:وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهمّ بحاجته ، فيأتيه من غير طلب ، فيقول كالمازح : ﴿ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى ﴾ [٤] ؛ فهذا من الاستخفاف بالقرآن ؛ ومنه قول ابن شهاب : [٥] لا تُنَاظِر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيرا من القول ولا الفعل .

---

(١) ط « عاينوه » .

(٢) تضمين قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨٢ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

(٣) رحلة ابن الصلاح فوائد جمعها الشيخ تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بالصلاح ؛ المتوفى سنة ٨٤٣ ؛ فى رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائد فى سائر العلوم . كشف الظنون ٨٣٦ .

(٤) سورة طه ٤٠ .

(٥) هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ؛ أحد الأئمة من التابعين .

تنبيه

[لا يجوز تعدى أمثلة القرآن]

لايجوز تعدّى أمثلة القرآن؛ ولذلك أنكر على الحريرى فى قوله فى مقامته الخامسة عشرة[١] « فأدخلَنى بيتا أحرج[٢] من التابوت ، وأوهى من بيت العنكبوت » ، فأىّ معنى أبلغ من معنى أكّده الله من ستة أوْجه ؛ حيث قال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾[٣] فأدخل إنّ ، و بنى أفعل التفضيل ، و بناه من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرّف الجمع باللام ، وأتى فى خبر إنّ باللام ! وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[٤] ؛ وكان اللائق بالحريرىّ ألّا يتجاوز هذه المبالغة وما بعد تمثيل الله تمثيل ؛ وقولُ الله أقوم قيل ، وأوضحُ سبيل ؛ ولكن قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً ﴾[٥] ، وقد ضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم مثالا لما دون ذلك فقال : « لو كانت الدُّنيا تزن عند الله جناح بعوضة ... »[٦] وكذلك قول بعضهم :

وَلَوْ أنَّ ما بى من جوًى وصَبابةٍ ... على جَمَلٍ لم يَبْقَ فى النار خالدُ

غفر الله له ؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٧] فقد جعل ولوج الجمل فى السَّمّ غاية لنفى دخولهم الجنة ، وتلك غايةٌ لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة منفيا ، وهذا الشاعر وصف جسمه بالنحول ، بما يناقض الآية . ومن هذا جرتْ

---

(١) هى المقامة الفرضية ١ : ٢٣٠ — بشرح الشريشى .

(٢) أحرج : أضيق

(٣) سورة العنكبوت ٤١ .

(٤) سورة الأنعام ١٥٢

(٥) سورة البقرة ٢٦ .

(٦) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ٢ : ٢٢١ عن الترمذى ولفظه فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » .

(٧) سورة الأعراف ٤٠ .

مناظرة بين أبى العباس أحمد بن سريج[١]، ومحمد بن داود الظاهرى[٢]؛ قال أبو العباس له : أنت تقول بالظاهر وتنكر القياس، فما تقول فى قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٣] فمن يعمل مثقال نصف ذرة ما حكمه ؟ فسكت محمد طويلا وقال : أبْلِعْنِي ريقى ؛ قال له أبو العباس : قد أبلعتك دِجْلة ، قال : أنظِرْنى ساعة ، قال : أنظرتك إلى قيام الساعة ، وافترقا ، ولم يكن بينهما غير ذلك .

وقال بعضهم : وهذا من مغالطات ابن سريج وعدم تصور ابن داود ؛ لأن الذرّة ليس لهـا أبعاض فتمثّل بالنصف والربع وغير ذلك من الأجزاء ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[٤] فذكر سبحانه ما لا يُتخيَّل فى الوهم أجزاؤه ، ولا يدرك تفرقه .

---

(١) هو القاضى أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس البغدادى الشافعى ، شيخ المذهب ؛ وحامل لوائه ؛ ذكره السبكى وأورد المناظرة التى قامت بينه وبين داود الظاهرى فى طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بالظاهرى ؛ الفقيه الأديب الشاعر ؛ توفى سنة ٢٩٧، ابن خلكان ١ : ٤٧٨ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٤) سورة النساء ٤٠ .

النوع الحادى والثلاثون

معرفة الأمثال

الكائنة فيه

وقد روى البيهقىّ عن أبى هريرة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنَّ القرآن نزل على خمسةِ أوجهٍ : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابهٍ ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ،واتّبعوا المحكَم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال .

وقد عدّه الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته ، المثبتة لا جتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل . انتهى .

وقد صنّف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره . ؛ وحقيقتُه إخراج الأغمض إلى الأظهر ؛ وهو قسمان : ظاهر وهو المصرّح به ، وكامن وهو الذى لا ذكر للمثل فيه ، وحكمُه حكم الأمثال .

وقسمه أبو عبد الله البكراباذى إلى أربعة أوجه : أحدُها إخراج ما لايقع عليه الحسّ إلى ما يقع عليه ، وثانيها إخراج مالا يُعْلَم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة ، وثالثها إخراج مالم تجْرِ به العادة إلى ما جرت به العادة ، ورابعها إخراج ما لا قوّة له من الصفة إلى ماله قوّة . انتهى .

وضَرْبُ الأمثال فى القرآن يُستفاد منه أمورٌ كثيرة : التذكيرُ ، والوعظ ، والحث ،

والزجر ، والاعتبار ، والتقرير وترتيب المرادّ للعقل ، وتصويرُه فى صورة المحسوس ؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحسّ . وتأتى أمثال القرآن مشتملةً على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [١] ، فامتنّ علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد ، وقال تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ ﴾ [٣] .

والأمثال مقادير الأفعال ، والمتمثِّل كالصانع الذى يقدّر صناعته ، كالخياط يُقدِّر الثوبَ على قامة المخيط ، ثم يفريه ، ثم يقطع . وكلُّ شىء له قالَب ومقدار ، وقالَب الكلام ومقداره الأمثال .

وقال الخفاجىّ : سمى مثلا لأنه ماثلٌ[٤] بخاطر الإنسان أبدا ، أى شاخص ، فيتأسّى به ويتّعظ ، ويخشى ويرجو ، والشاخص المنتصب . وقد جاء بمعنى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَى ﴾ [٥] أى الصفة العليا ، وهو قول « لا إله إلا الله » ، وقوله : ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [٦] أى صفتها .

ومن حكمته تعليم البيان ؛ وهو من خصائص هذه الشريعة ، والمثلُ أعْوَنُ شىء على البيان .

فإن قلت : لماذا كان المثلُ عونا على البيان ، وحاصلُه قياس معنًى بشىء ، من عرف ذلك المقيس لحقّه الاستغناء عن شبيهِهِ ، ومَنْ لم يَعرفه لم يُحدث التشبيهُ عنده معرفة !

---

(١) سورة إبراهيم ٤٥
(٢) سورة الروم ٥٨ .
(٣) سورة العنكبوت ٤٣
(٤) ت : « عاثل » تحريف .
(٥) سورة النحل ٦٠
(٦) سورة الرعد ٣٥ .

والجواب أنّ الحِكَم والأمثال تصوّر المعانىَ تَصور الأشخاص ؛ فإن الأشخاصَ والأعيان أثبتُ فى الأذهان ، لاستعانةِ الذهن فيها بالحواسّ : بخلاف المعانى المعقولة ؛ فإنها مجرّدة عن الحسّ ولذلك دقت ؛ ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأنْ يكون المثلُ للمضروب مجرّبا مسلَّما عند السامع .

وفى ضرب الأمثال من تقريرِ المقصود ما لا يخفى ؛ إذ الغرض من المثل تشبيهُ الخفىّ بالجلىّ ، والشاهدِ بالغائب ، فالمرغَّب فى الإيمان مثلا إذا مثّل له بالنور تأكّد فى قلبه المقصود ، والمزهَّد فى الكفر إذا مثّل له بالظلمة تأكد قبحُه فى نفسه .

وفيه أيضا تبكيتُ الخصم ، وقد أكثر تعالى فى القرآن وفى سائر كتبه من الأمثال وفى سور الإنجيل سورة الأمثال [١] .

قال الزمخشرىّ : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعانى ، وإدناء المتوهَّم من المشاهَد ؛ فإن كان المتمثَّل له عظيما كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك ؛ فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل إلا بأمرٍ استدعتْه حال الممثَّل له ، ألا ترى أن الحقّ لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور ، وأنّ الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة ، وكذلك جُعل بيتَ العنكبوت مثلا فى الوهَن والضعف .

والمَثَل هو المستغرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣] ؛ ولما كان المثلُ السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال ، أو الصفة ، أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة .

---

(١) لعله أراد أمثال سليمان من كتب العهد القديم.

(٢) سورة النحل ٦٠

(٣) سورة الرعد ٣٥

أمّا استعارته للحال فكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾[١] ؛ أى حالُهم العجيب الشأن كحال الذى استوقد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى : ﴿ وَلِلهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾[٢] أى الوصف الذى له شأن ، وكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ ﴾[٣] ، وكقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾[٤] وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾[٥] ، وقوله سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾[٦] .

وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[٧] أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ؛ ثم أخذ فى بيان عجائبها .

لا يقال : إن فى هذه الأقسام الثلاثة تداخلا ؛ فإن حالَ الشىء هى وصفُه ، ووصفُه هو حاله؛ لأنا نقول : الوصفُ يُشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية أو ما قاربها من جهة اللزوم للشىء وعدم الانفكاك عنه ، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتىّ له ولا لازم ، فتغايرا . وإن أطلِق أحدهُما على الآخر فليس ذلك إطلاقا حقيقياً . وقد يكون الشىء مثلًا له فى الجرم ، وقد يكون ما تعلقُه النفس ويتوهم من الشىء مثلا ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾[٨] ؛ معناه أن الذى يتحصلُ فى النفس الناظر فى أمرهم ، كالذى يُتحصّل فى نفس الناظر من أمر المستوقِد ؛ قاله ابن عطية ، وبهذا يزولُ الإشكال الذى فى تفسير قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾[٧] وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾[٩] ؛ لأن مايحصلُ للعقل من وحدانيته وأزليّته ونفى ما لا يجوز عليه ليس يماثلهُ فيه شىء ؛

---

(١) سورة البقرة ١٧
(٢) سورة النحل ٦٠
(٣) سورة الفتح ٢٩
(٤) سورة البقرة ٢٦٤
(٥) سورة العنكبوت ٤١
(٦) سورة الجمعة ٥
(٧) سورة الرعد ٣٥
(٨) سورة البقرة ١٧
(٩) سورة الشورى ١١

وذلك المتحصل هو المثل الأعلى ؛ فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[١] ، وقد جاء : ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] ففسر بجهة الوحدانية .

وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَاتُ ﴾[٣] : هى الأمثال ، وقيل : العقوبات .

وقال الزمخشرى : المثل فى الأصل بمعنى المِثْل ، أى النظير ؛ يقال : مَثَل ومِثْل ومَثِيل كشَبَه وشِبْه وشبيه . ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو القِصّة إذا كان لها شأن وفيها غرابة . انتهى .

وظاهر كلام أهل اللغة أن « المَثَل » ، بفتحتين : الصّفة كقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[٤] ، وكذا ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[٥] . وما اقتضاه كلامُه من اشتراط الغرابة مخالف أيضاً لكلام اللُّغويين . وما قاله من أن المَثَل والمِثْلَ بمعنًى ينبغى أن يكون مرادُه باعتبار الأصل وهو الشبه ؛ وإلا فالمحققون ـ كما قاله ابن العربى ـ على أن المِثْل (بالكسر) عبارة عن شبْه المحسوس ، و بفتحتها عبارة عن شِبْه المعانى المعقولة ؛ فالإنسان مخالف للأسد فى صورته مشبّه له[٦] فى جراءته وحدّته ، فيقال للشجاع أسَد ، أى يشبه الأسد فى الجرأة ، ولذلك يخالف الإنسان الغيثَ فى صورته[٦] ، والكريم من الإنسان يشابهه فى عموم منفعته .

وقال غيرُه : لو كان المِثْل والمَثَل سيان للزم التنافى بين قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾[٧] ، و بين قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٨] فإن الأولى نافية له والثانية مثبتة له .

---

(١) سورة النحل ٦٠
(٢) سورة محمد ١٩
(٣) سورة الرعد ٦
(٤) سورة البقرة ١٧
(٥) سورة الرعد ٣٥
(٦ ـ ٦) ساقط من ت
(٧) سورة الشورى ١١
(٨) سورة النحل ٦٠

وفرّق الإمام فخر الدين بينهما بأنّ المِثْل هو الذى يكون مساويا للشىء فى تمام الماهية ، والمَثَل هو الذى يكون مساوياً له فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية .

وقال حازم فى كتاب " منهاج البلغاء " : وأما الحِكم والأمثال ؛ فإما أن يكونَ الاختيار فيها بمجْرىِ الأمور على المعتاد فيها ، وإما بزوالها فى وقتٍ عن المعتاد ؛ عن جهة الغرابة أو الندُور فقط ، لتوطّن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه ؛ إذ لا يحسنُ منها التحرز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها تستقربه ؛ وليبيّن لها أسباب الأمور ، وجِهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها ؛ فهذه قوانين الأحكام والأمثال ؛ قلّما يشِذّ عنها من جزئياتها شىء .

فمنه قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [3] .

وقوله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾ [4] .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [5] .

وقوله : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ... ﴾ [6] الآيات .

---

(١) سورة البقرة ١٧
(٢) سورة البقرة ١٩ .
(٣) سورة البقرة ٢٦
(٤) سورة العنكبوت ٤١ .
(٥) سورة الجمعة ٥
(٦) سورة التحريم ١٠ ، ١٢ .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾ [1] الآية .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [2] ، ثم قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ... ﴾ [3] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [4] .

فهذه أمثال قصار وطوال مقتضبة من كلام الكشّاف .

* * *

فإن قلتَ : فى بعض هذه الأمثلة تشبيهُ أشياء بأشياء لم يذكر فيها المشبّهات ، وهلاّ صرّح بها ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [5] ؟

قلت : كما جاء ذلك تصريحا فقد جاء مطويا ، ذكره على طريق الاستعارة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [6] ، وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ [7] .

والصحيح الذى عليه علماء البيان أنّ التمثيلين من جملة التمثيلات المركّبة المقرّبة لا يتكلف لكل واحد شئ بقدر شبهه به ؛ بناء على أنّ العرب تأخذ أشياء فُرادى معزولا بعضها من بعض ، تشبهها بنظائرها ، كما جاء فى بعض الآيات[8] من القرآن . وقد تشبّه أشياء قد تضامت وتلاحقت حتى عادتْ شيئاً واحدا بأخرى مثلها ، وذلك كقوله

---

(١) سورة البقرة ٢٦٤

(٢) سورة النور ٣٩ .

(٣) سورة النور ٤٠

(٤) سورة النحل ٩٢ .

(٥) سورة غافر ٥٨

(٦) سورة فاطر ١٢ .

(٧) سورة الزمر ٢٩

(٨) ط : «فى القرآن »

تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [١] ، فإن الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذى يحمل أسفار الحكمة ، وليس له من حملها إلا الثقل [٢] والتعب من غير فائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ﴾ [٣] ، المراد قلة ثبات زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضرة .

وقد ضرب الله تعالى لما أنزله من الإيمان والقرآن مثلين ، مثله بالماء ، ومثله بالنار ، فمثله بالماء لما فيه من الحياة ، و بالنار لما فيه من النور والبيان ؛ ولهذا سماه الله روحا لما فيه من الحياة ، وسماه نورا لما فيه من الإنارة ؛ ففى سورة الرعد قد مثله بالماء فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . ﴾ [٤] الآية ، فضرب الله الماء الذى نزل من السماء فتسيلُ الأودية بقدرها ، كذلك ماينزله من العلم والإيمان فتأخذه القلوب كل قلب بقَدَره ، والسيل يحتمل زبدا رابيا ، كذلك مافى القلوب يحتمل شبهات وشهوات . ثم قال : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ﴾ [٤] ؛ وهذا المثل بالنار التى توقد على الذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فيختلط بذلك زبد أيضا كالزبد الذى يعلو السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤] ، كذلك العلم النافع يمكث فى القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبى حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد ؛

---

(١) سورة الجمعة ٥ .
(٢) ت : « النقل » .
(٣) سورة الكهف ٤٥.
(٤) سورة الرعد ١٧ .

يقول. كما اضمحل هذا الزَّبَد فصار جُفاء لا يُنتفع به ولا تُرْجى بَرَكته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله [١] .

وفى الحديث الصحيح : « إنَّ مثلَ ما بعثنى الله به من الُهدَى والعِلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشبَ الكثير ، وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا ، وكانت منها طائفة إنما هى قيعان لا تُمسك ماء ، ولا تُنبت كلأ ، وذلك مَثَلُ مَنْ فقِه فى دين الله فنفعه مابعثنى الله به من الهدى والعلم ، ومَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هَدْى الله الذى أرسلت به » .

وقد ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلا بالنار ، ومثلا بالمطر، فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً .... ﴾[٢] الآية ، يقال : أضاء الشيء وأضاءه غيره فيستعمل لازما ومتعديا ، فقوله : ﴿ أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ﴾ هو متعدٍّ ؛ لأن المقصود أن تضيء النارُ ما حول مَنْ يريدها حتى يراها ، وفى قوله فى البرق: ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ [٣] ، ذكر اللازم ؛ لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان ؛ فإذا أضاء البرق سار ، وقد لا يضيء ماحول الإنسان ، إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان ، فجعل سبحانه المنافقين كالذى أوقد ناراً فأضاءت ثم ذهب ضوءها ، ولم يقل «انطفأت»، بل قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [٤] ؛ وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها فتضرّ . وهذا المثل يقتضى أنّ المنافق حصل له نور ثم

---

(١) نقله ابن جرير الطبرى فى التفسير ١٣ : ٩١ (طبعة بولاق) .

(٢) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة البقرة ١٧

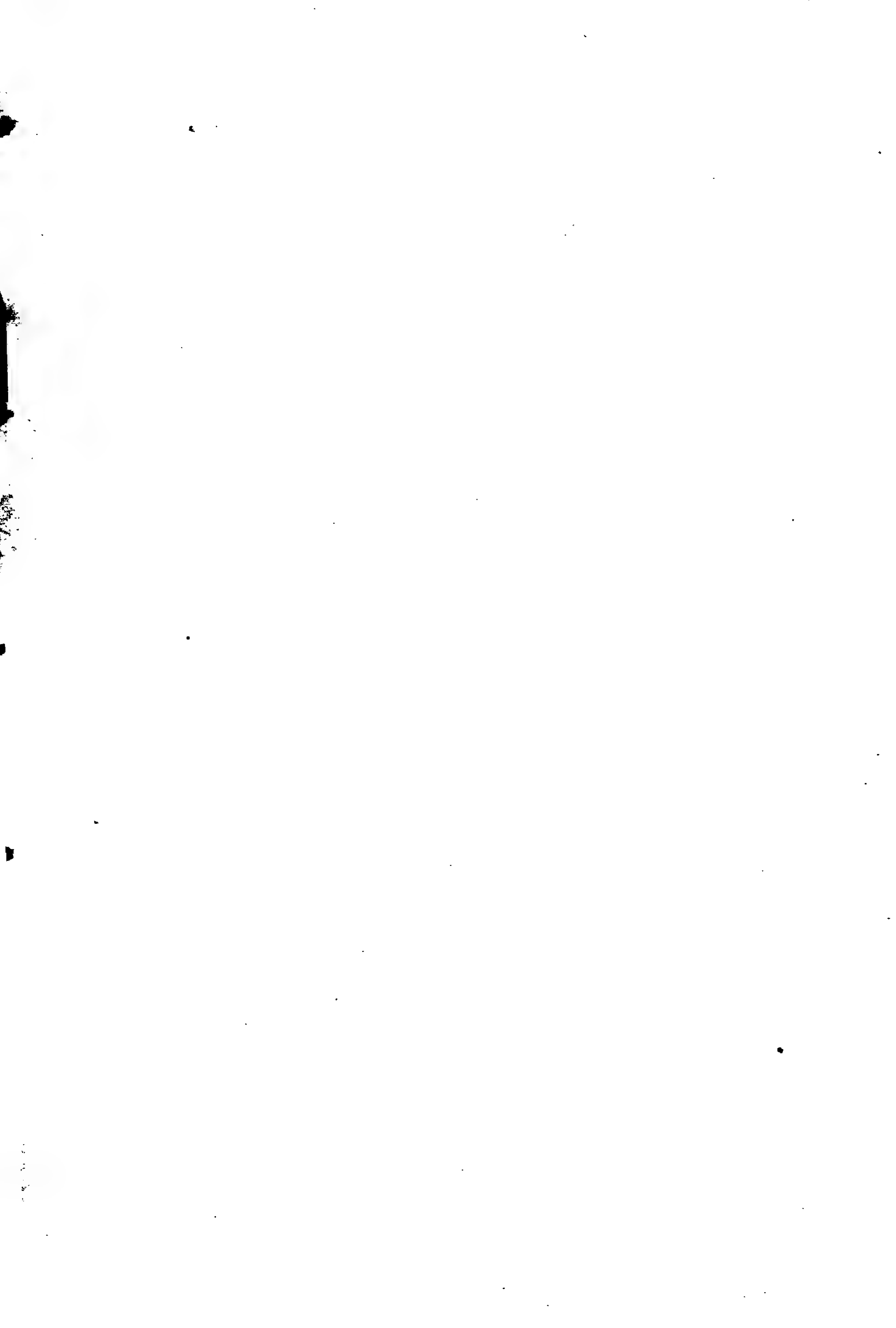
ذهب ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمنوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ [١] .

* * *

[تم بعون الله وجميل توفيقه الجزء الأول من كتاب البرهان فى علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشى . ويليه الجزء الثانى ، وأوله : النوع الثانى والثلاثون ـ معرفة أحكامه] .

---

(١) سورة المنافقون ٣ .



فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة

النوع الرابع عشر

معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

صفحة

النوع الثانى والعشرون

النوع الثالث والعشرون

النوع الرابع والعشرون

صفحة

صفحة

تصويبات واستدراكات

ص	س	الصواب
١٤	١٥	وأحكامه
٢١	٦	سورة البقرة ٩٧
٥١	١	﴿ لَكارهون. يُجَادِلونَكَ فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون ﴾
٩٤	٧	﴿ سأوريكم آياتى ﴾
١٨٦	١٢	سورة الفيل ٥
١٩٠	١٣	المعروف بالحاكم
٢٥٠	١٦	أسند الزبيدى
٢٥٩	١١	كما اقترحوا
٢٨٢	٥	﴿ وَلِيُنْذَروا ﴾
٢٩١	٣	أبو عبيدة
٢٩٧	٧	طارىء
٢٩٧	١١	يحتاج إليها
٢٩٩	٨	ما أحسن زيدا
٣٠٤	٢	ملاحظة
٣٠٦	١١	بم انتصب ؟
٣١٢	١٢	لحذف الواو
٣٢٣	٨	وابنه عبد الباقى

ص	س	الصواب
٣٢٤	٣	أبو عمر الطلمنكى
٣٢٥	٣	ابن ما مويه
٣٢٩	١	الـكسائى علىّ
٣٨٢	٢	﴿لا تيئسوا﴾
٣٨٧	١	﴿أفإن مات﴾
٤٠٢	١٩	سورة الـكهف
٤٢٦	٢١	﴿فاعلموا ...﴾
٤٦٤	٨	فى كراهة قطع القرآن